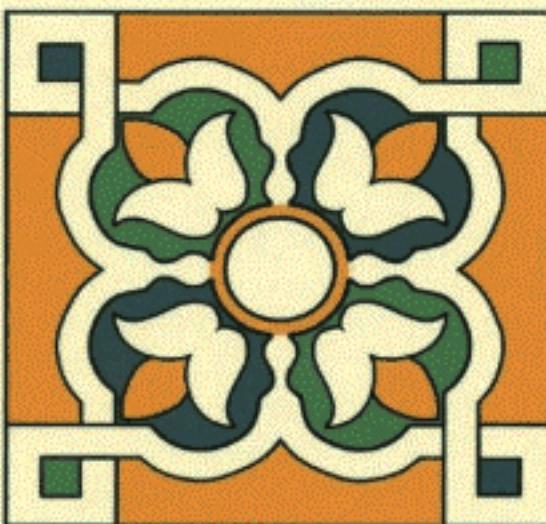


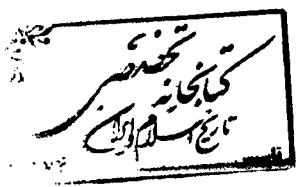
الشِّعْرُ الْمَهْمَلُونُ

الجزء الأول

العهد التركي



حمزة الحسن





كتاب نسخة من المخطوط
تأريخ نسخة وليد

الشيعة في المملكة العربية السعودية

العهد التركي

١٨٧١ - ١٩١٣ م

محررة الحسن

الجزء الأول

مؤسسة الباقع للتراث

حُقُوقِ الطَّبِيعِ مَحْفُظَةٌ

الطبعة الأولى

ـ ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ مـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَنَّمَ بِالسُّؤُلِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلَيْمًا ﴾

النساء - ١٤٨

تقديم

لا يقصد من هذا البحث المطول لأحوال الشيعة في المملكة العربية السعودية ولدة تزيد على ١٢٠ عاماً ، خلال عهدين متلاحقين « العثماني وال سعودي » ، لا يقصد منه المقارنة بين هذين العهدين ، رغم ما ورد في ذلك من الإشارات الكثيرة .

ولا يناقش الكتاب قضايا فكرية - عقائدية ، وإن جاء ذلك في مواضع قليلة محددة وبصورة سريعة للغاية .

ولا يهدف الكتاب إثارة قضايا طائفية أكل الدهر عليها وشرب ، تزيد في الفرقة ، وتضع المزيد من الحواجز بين أتباع الدين الواحد والوطن الواحد . والكتاب إنما خُصص للدفاع عن المواطنين الشيعة في المملكة ، فلأنهم الفتنة الأكثر حرماناً وأضطهاداً في المجتمع السعودي .. حيث أدى الحرمان والإضطهاد إلى خلق توترات أمنية مزمنة ، أن لها أن تنتهي ، وأن لطلب الإصلاح من أبناء الوطن الإهتمام بجذرها ومعالجتها إذا كانوا يعملون فعلًا من أجل بناء وطن يشعر فيه كل أبنائه بالأمن والطمأنينة والإحترام .

إن قضية التمييز الطائفي في البلاد ، كان يجب أن تكون محطة اهتمام كل المخلصين والعاملين من أجل رفعة الوطن ، وكان من المفترض أن يدافعوا عن أبناء وطنهم وجذورهم ، من أجل مصلحة الجميع .. إلا أن هذا لم يحدث مع بالغ الأسف ، إلا في حدود ضيقية للغاية ، بل انخرط بعض المثقفين في مشروع السلطة الطائفي ، وتجاهل البعض الآخر الموضوع ، حتى لا يورط نفسه في مشاكل سياسية مع النظام ، ولكن كانت هناك مجموعة من أبناء الوطن رفضوا التمييز الطائفي وحاربوه جهد إمكانهم ، بل ودفع بعضهم ثمن موقفه ذاك . بدبيهي إن الإنتماء إلى طائفة لا يجعل المرء طائفيًا ، فالطائفية ليست مجرد انتماء ، وإنما أصبح كل إنسان في المملكة - بل وفي كل مكان من العالم - طائفياً .

كما أن دفاع المرأة عن طائفتها التي إنتمي إليها بحكم الوراثة أو بحكم التبني والإقتناع بفکرها ، ليس أمراً معيلاً ، خاصة إذا كانت تلك الطائفة تتعرض لشئي أصناف القهر والإذلال .. إلا إذا كان القصد من ذلك الدفاع ، هضم حقوق المواطنين الآخرين ، مادياً ومعنوياً .. وهذا الكتاب لا يتبنّى هذا النوع من الدفاع ،

بل يدعو إلى معاملة المواطنين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ، بغض النظر عن إنتماءاتهم المذهبية والمناطقية والقبلية . إن التمييز الطائفي ، وليس الإنتماء الطائفي ، أو الدفاع عن الطائفة التي ينتمي إليها المواطن ، هو الذي يجعل من الإنسان طائفياً .

وقد حرص الكتاب على إيضاح معالم سياسة التمييز الطائفي التي ينتهجها الحكم السعودي ضد المواطنين الشيعة ، ودعا إلى إلغاء تلك السياسة التي أحدثت توترات داخلية شديدة ، وأثرت على الأوضاع الأمنية في أهم منطقة من مناطق المملكة .

إن دفاع المواطن عن طائفته التي تتعرض للاذى ، هو دفاع عن النفس ، باعتباره أحد أفراد تلك الطائفة ، وهذا أمر طبيعي جداً لأن (المواطنة) في المملكة أخذت منذ وصول العائلة السعودية إلى الحكم لم يغير معيار مذهبي .. فالمواطن الصالح بنظر تلك العائلة ، هو ذلك المواطن الذي يتخلّ عن هويته المذهبية لصالح هويتها هي ، أما من يتمسّك بهويته فلا يوثق به ، ولا يحق له حتى مجرد المطالبة بحقوق المواطن.

من خلال هذه الرؤية ، جرى التعامل مع العديد من أبناء الوطن ، فنزعـت حقوقهم الدينية والوطنية ، خاصة الشيعة ، الذين اعتبروا رغم أغلبـتهم في مناطق النفط ذوي قيمة كمية ضئيلة.

والغريب أن العديد من أركان النظام الطائفي في المملكة يعتبرون دفاع الشيعة عن أنفسهم ودعوتهم لإلغاء سياسة التمييز المنتهجة ضدهم عملاً طائفياً ، فأصبح ضحايا التمييز الطائفي ، والذين لا يملكون سلطة ولا قوة ولا مال ولا صوت .. طائفين . وأما أولئك الذين يمارسون الطائفية بالقول والفعل ومن مركز القرار ، وهم في موقع المسؤولية الوطنية .. أولئك الذين يعتبرون أنفسهم جنوداً في الحرب الطائفية التي أشعلوها ، خدمة لمصالح فئة أو عائلة .. أولئك الذين يملكون وسائل الإعلام ، وأسلحة القتل ، وأموال النفط ، ويحتكرـون الفتيا والتحدث باسم الدين .. أولئك وحدهم هم الوطنـيون الوحدـيون !!!

لقد أعدَّ هذا الكتاب من أجل تحقيق غرضين أساسيين : الأول ، التعريف بالمواطنـين الشـيعة في المملكة ، تاريخاً وثقافةً وهـوية .. لأنـهم رغم كثـرتـهم أـريد

لهم ان يكونوا مجھولين داخل وطنهم وخارجھ ، لا يکاد يحسّ بهم او يعرفھم أحد ، وكأنھم غير موجودين أصلًا في هذه البلاد ، وكان المطلوب منهم تسیر الصناعات النفطية في مناطقهم بصمت ، حتى لا يصيّب الحرج حکومة العائلة المالكة حين يقال بأن عدداً كبيراً من رعاياها هم من الشيعة .

والهدف الثاني : تسليط الأضواء على معاناة الشيعة في ظل الحكم الحالي القائم على تصورات طائفية .. والدعوة الى مساواة المواطنين ، واحترام خصوصية كل فئة ومذهب في أقاليم المملكة المختلفة في التاريخ والثقافة والعادات والطابع والإقتصاد بل وفي المناخ أيضاً .

وفي ختام هذا التقديم أود التنبيه الى حقيقة أنه رغم وجود خاصية لكل إقليم من أقاليم المملكة ، والتي توحدت رسميًا قبل سنتين عاماً تقريباً .. فإن النزعة الإنفصالية ضعيفة ولكنها موجودة ، يساعد على ذلك السياسات الحكومية نفسها ، فالمضطهد لكونه من الحجاز أو لأنه ينتمي الى مذهب التشيع في الشرق ، قد لا يشعر باحترام للكيان السياسي القائم ، الذي لا يحترم خصوصيته ، أو الذي يريد أن يلغى تلك الخصوصية بالقوة والجبر .. ومن حق المواطن أن يخشى على وحدة البلاد ، يخشى أن يكون السيف الذي وحدها هو نفسه الذي ينفع فيها الروح الإنفصالية ، ويجري كل ذلك تحت السطح ، فإذا ما ارتفع سلطان القيصر الذي يعتبر عامل التوحيد الأول والآخر ، قد يكون مآل الإمبراطورية الروسية أو الدولة اليوغسلافية .

كلنا نعي حقيقة ان الوحدة أفضل من الإنفصال .. ولكن الوحدة التي تعرض حقوق شريحة واسعة من السكان الى الخطرو والضياع ، لا ينظر اليها باهتمام ، وتتفشى في المضطهدين الروح الإنفصالية .. وهذا بالقطع موجود في مناطق الشيعة والجاز ، وربما في مناطق أخرى من المملكة .. وليس هناك من حلول للقضاء على مثل هذه الروح الآخذة بالانتشار إلا بالقضاء على عوامل التذمر وأن يكون توحيد المصالح والنفوس أهم من توحيد الأراضي بالقوة .. ومن هنا ينبع خطر ما تجره سياسة التمييز الطائفي والمناطقية الحكومية .. إنها تجرنا الى التشرذم وتؤجج في نفوس مواطنينا الروح الجاهلية الإنفصالية ، رغم ان العائلة المالكة لا تزال تفاخر بأنها حققت الوحدة بالسيف ، ولكن المم يأن لهذا السيف أن يوضع في غمده ، قبل أن يتحول ضدَّ السياف نفسه ؟ .

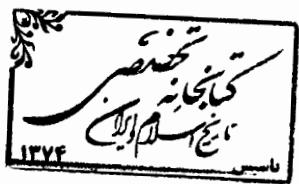
لقد آن لبلدنا أن تعيش روح التسامح ، وأن لها أن تعزّز وحدتها وفق تلك الروح ، حتى نحصل بالوحدة الى أرقى مستوياتها فيشعر كل مواطن بأنه محترم ،

فيحرص على حفظ الكيان كله ، بعد أن يرى أن مصالحه مرتبطة بمصالح الآخرين .

حمزة جعفر الحسن
١٢ / أكتوبر / ١٩٩١

الجزء الأول
العهد التركي
١٩١٣ - ١٨٧١





الشيعة في المملكة الهوية ، التاریخ ، السکن



إن تواجد الشيعة في المملكة العربية السعودية أصبح اليوم من الظواهر الشديدة الإثارة التي فرضت نفسها على الباحثين والدارسين ، خاصة خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة . وبعد أن كان الشيعة في المملكة أقلية لا تثير إهتمام أحد ، بل لم يكن يشعر بوجودها الأقربون فضلاً عن الأبعدين ، وبعد أن كان الإستغراب والدهشة يصادمان العديد من الناس حول أصل وجود هذه الأقلية في بلد تحكمه أقلية مذهبية أخرى ، بدا العالم ومنذ نوفمبر ١٩٧٩ ، أي بعد انتفاضة الشيعة ضدّ الأسطواد الموجّه إليهم ، يتبع تحركهم ويدرس أحوالهم وظروفهم - وعلاقة ذلك بالاضطراب السياسي وتأثيراته المستقبلية على كيان المملكة بشكل عام .

وفي خضم هذا التوجه والاهتمام المتزايد أثيرت الكثير من المسائل المتعلقة بوجود الشيعة في أهم منطقة في المملكة ، ليس حول معتقداتهم ، وإنما حول أساس تواجدهم ومناطق سكناهم وتاريخهم وظروفهم وأحوالهم اليوم ، وعلاقتهم بالسلطات الحاكمة التي تعاقبت على حكم مناطقهم .

إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات يبدو أمراً ضرورياً للغاية ، وإن تم بصورة سريعة ، نظراً لأنّ واقع أي شعب ، مرتبط بتاريخه وتراصه الثقافي والفكري .

تاريخ التشيع في المنطقة

التشيع كذهب ليس جديداً فيما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية في المملكة «الأحساء والقطيف» ، بإتفاق جميع من أرخ لها من الماضين والمعاصرين ، ولكنهم إختلفوا في تحديد المدة التي دخلها التشيع ، هل هي في عهد الرسول ﷺ

أم في عهد الإمام علي بن أبي طالب ، حيث يرى الشيعة أن التشيع كان معروفاً في عهد الرسول الأكرم ﷺ وأن العديد من الصحابة عرروا بمواقفهم للإمام علي ، ويعتقدون أن أول من بذر بذور التشيع فيما عرف قدماً بمنطقة البحرين ، والتي كان تشمل (أوال والخط وهجر ، والمعروفة اليوم باسم البحرين والقطيف والأحساء على التوالي) .. هو الصحابي الجليل أبان بن سعيد بن العاص الأموي ، الذي ولأه رسول الله ﷺ البحرين مسؤولاً عن بيت المال ، وكان أبان من الموالين للإمام علي ، فغرس بذور التشيع في المنطقة ، وبعد وفاة الرسول ﷺ لم يبايع أبان أبا بكر بالخلافة حتى بايع الإمام علي نفسه ، وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن سبب عزل أبان عن منصبه بعد وفاة الرسول مباشرة يعود ، إلى موقفه هذا .

بيد أن المؤرخين الآخرين يقولون بأن التشيع لم يكن معروفاً حتى خلافة علي بن أبي طالب ، وأن منطقة البحرين «القديمة» اعتنقت التشيع في عهده ، وأنها شاركت الإمام في حربه كلها (الجمل وصفين والنهران) .

واياً كان الأمر ، فإن التشيع ليس جديداً على هذه المنطقة ، وإنما عمره يزيد على أربعة عشر قرناً ، ويثبت المؤرخون لهذه المنطقة أن رجالها من الصحابة والتبعين والشعراء كانوا من الشيعة ، وهم أكثر من أن يذكروا ، منهم على سبيل المثال : الصحابي الجليل حكيم بن جبلة العبدى ، وقد تولى امارة السند في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وكان مشهوراً بالشجاعة واللقاء ، واستشهد في معركة الجمل (الأصغر) هو وإبنه ، وأتباعهما بعد ان رفضوا نزع البيعة من الإمام ، وقد ذكره الإمام علي في تبرير قتاله للخارجين عليه بقوله : «.. قتلوا شيعتي ، وقتلوا أخا رببيعة العبدى ، رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين ، قالوا لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدر كما غدرتم ، فوثبوا عليهم فقتلتهم - الى أن قال - فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتى ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي ، فقتلتهم بهم» .

ومن رجال الشيعة الذين نبغوا من هذه المنطقة ، زيد بن صوحان العبدى ، وقد قُتل يوم الجمل ، وكان أحد سادات الشيعة في المنطقة ، وسبق أن قال فيه رسول الله ﷺ « زيد ما زيد ؟ ! تسبقه يده الى الجنة ثم يتبعها جسده » .. فكان كما قال ﷺ .. وقد وقف الإمام علي عليه عند مقتله وفيه رمق ، فقال : رحمك الله يا زيد ، فلقد كنت خفيف المؤونة ، كثير المعونة . فرفع زيد رأسه وقال : وأنت رحمك الله يا أمير المؤمنين ، ما علمتك إلا بالله علينا ، وفي أم الكتاب علياً حكيناً ، وأن الله في صدرك لعظيم ، والله ما قاتلت معك على جهالة ، ولكنني سمعت أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ تقول : سمعت رسول الله

يقول : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ،
وانصر من نصره ، واخذل من خذله) ، فكرهت أن أخذلك فيخذلنی الله تعالى .
ومن الصحابة ، صعصعة بن صوحان العبدی ، أسلم على عهد رسول الله ،
وكان من سادات عبد القیس وخطبائهم المفوہین ، قاتل مع الامام علي في
معارکه ، واستشهد أخواه سیحان وزيد في الجمل ، توفي في عهد معاویة وقيل ان
الأخیر قتله غیلة .

ومنهم التابعی صحار بن العیاش العبدی ، شهد مع الامام علي جملة
موقعه .. وكذلك حويرثة بن سمی العبدی ، وقادمة بن مسروق العبدی الذي
استشهد مع الامام علي في صفين .. ومنهم الصحابی الجلیل عمرو بن المرجوم
العبدی ، كان أبوه أحد رؤساء عبد القیس في الجahلیة ، قاتل مع الامام في
الجمل وصفین ، وكان من أوائل المجبیین لدعوة الامام لقتال معاویة ، كانت له
وقفة مشهودة قال فيها مخاطباً الامام علي « وفق الله امير المؤمنین ، وجمع له أمر
المسلمین ، ولعن الملھین القاسطین ، الذين لا يقرأون القرآن ، نحن والله عليهم
حنقون ، ولهم في الله مفارقون ، فمتنی أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا » .

ومنهم الحارث بن منصور العبدی الذي شهد صفين مع الامام علي ،
والحارث بن مرّة العبدی ، الذي كان قائد المیسرا في صفين ، وهو الذي غزا
الهند سنة ٣٩ هـ بعد ان إستاذن الامام في ذلك .

ويذكر المؤرخون أن قبائل الشیعہ في البحرين (الاحسae والقطیف والبحرين
الحالیة) ، وهي قبائل ربیعة (عبد القیس وبکر بن وائل) ، كانت من أشد
الانصار لعلی ، ولذلك كان يعتمد عليها في حروبها أكثر من أي قبیلة
أخرى .. وذکروا ان الامام علي كان لا يعدل بها أحداً من الناس ، كما كان كثير
الثناء عليها ، ومن جملة مدحه لها في صفين قوله لرؤسائها : أنت درعي
ورمحی .. أنت انصاری ومجیبو دعوتی ، ومن أوثق حی في العرب في
نفسی .. ووصف الامام علي رایات ربیعة (عبد القیس وبکر بن وائل تحديداً)
بأنها رایات الله .. وكان الامام قد رأى رایات خفاقة فقال : ملئ هذه الرایات ؟
فقالوا : هذه رایات ربیعة . فقال : بل هي رایات الله ، عصم الله أهلها وصبرهم
وثبتت أقدامهم .. وفي صفين أُعجب الامام بزحف حامل رایة ربیعة الحمراء
(الحضین بن منذر) فقال :

لَمْنَ رَايَةَ حَمْرَاءَ يَخْفَقَ ظَلَّهَا
إِذَا قِيلَ قَدَّهَا حَضِينَ تَقَدَّمَا
وَيَدِنُو بَهَا فِي الصَّفَّ كَيْمًا يَدِيرُهَا حَمَامُ الْمَنَابِيَا نَقْطَرُ الْمَوْتَ وَالدَّمَا
وَلَيْسَ هَنَاكَ مِنْ شَكَّ فِي أَنَّ الْفَالَّبِيَّةَ الْعَظِيمَى - عَلَى الْأَقْلَ - مِنْ سَكَانِ الْأَحْسَاءِ
وَالْقَطِيفِ كَمَا الْبَحْرَيْنِ الْحَالِيَّةِ ، كَانُوا شِيعَةَ مَوَالِيْنَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ مِنْذَ عَهْدِ الْأَمَامِ

علي ، وقد استمر تشتتهم بولائهم هذا بعد وفاة الامام وسيطرة الامويين على الحكم والذين حاولوا ترسیخ أقدامهم في المنطقة ، إلا أنهم فشلوا في ذلك لكثره المناوئين لهم ، ولنarrow الكثیر من المعارضين للحكم الاموي الى تلك المنطقة سواء من الحجاز او من العراق او غيرها .. ومن الثابت أن منطقتي الاحساء والقطيف كانتا بؤرة معارضة للدولة الاموية حتى إنحلالها واستيلاء العباسيين على الخلافة .

وكما حدث للأمويين ، فإن العباسيين أهملوا إقليم البحرين لاضطرابه ، وكانت ولايتم عليهم عليه إسمية ، وقد اتخذ العباسيون المنطقة منفى للمعارضين ، ربما لكثره المعارضة فيها ، ولم يكن لهذه المنطقة في نهاية القرن الثالث الهجري أي علاقة بالخلافة العباسية .

وفي هذه الفترة سيطر القرامطة على المنطقة ، وأمعنوا في الشيعة قتلاً وتحريقاً على النحو الذي وصفه شاعر الشيعة ابن المقرب العيوني :

وَحَرَّقُوا عَبْدَ قَيْسَ فِي دِيَارِهِمْ وَصَبَّرُوا الْفَرَّ مِنْ سَادَاتِهِ حَمَّا
وَاسْتَطَاعُ الْعَيْنَيْنِيُّونَ الشِّيعَةَ فِي سَنَةِ ٤٦٦ هـ إِنْهَاءَ حُكْمَ الْقَرَامَطَةِ وَالْإِجْهَازُ
عَلَيْهِمْ، وَحَكَمُوا الْمَنْطَقَةَ نَحْوَ ١٧٠ عَامًا .

والى هنا فإن معظم سكان المنطقة من الشيعة ، وقد بقوا كذلك في عهد الدوليات المتعاقبة كبني عقيل والصفور والجروان والجبير والمقامس .. وحين زار ابن بطوطة المنطقة لاحظ شيعيتها - بغض النظر عن موقفه المذهبى المعادى - ، فقد قال : « ثم سافرنا الى مدينة القطيف ، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثیر ، يسكنها طوائف العرب ، وهم رافضية غلة ، يظهرون الرفض جهاراً لا يتقوون أحداً ^(٢) ، ويقول مؤذنهم في آذانه بعد الشهادتين : اشهد أن علياً ولی الله ، ويزيد بعد الحيلتين : حي على خير العمل .. ويزيد بعد التكبير الأخير - أي بعد الإنتهاء من الآذان - : محمد وعلى خير البشر ، من خالفهما فقد كفر » ^(٣) .

كما أشار ابن بطوطة الى هجر فقال أن بها من النخيل ما ليس ببلد سواها ، وأن أهلها عرب ، أكثرهم من قبيلة عبد القيس ابن أفصى .

بعد هذا سيطر البرتغاليون على المنطقة في أول استعمار غربي صليبي لمنطقة الخليج ، فاستدرج الشيعة بالعثمانيين رغم الخلاف المذهبى ، فكانت لهم الغلبة وحكموا المنطقة من سنة ٩٦٠ هـ الى سنة ١٠٨٠ هـ ، حيث استطاعت قبيلة بنى خالد القوية ان تنهي الحكم العثماني وتحكم المنطقة حتى سنة ١٢٠٧ هـ . وفي عهد الخوارد هذا ، وبعد ان فرضوا حكمهم بالعنف في بدايته ، اندمجووا مع الشيعة ، وتحولت كثير من أفرع قبائلهم الى جماعات مستقرة تعتنق

المذهب الشيعي .

ومنذ عهد السعوديين الذي بدأ سنة ١٢٠٧هـ ، وحتى سنة ١٢٣٣هـ ، بقي العنصر الشيعي مؤثراً سكانياً وإقتصادياً ، واستمر هذا الحال طوال العهد المصري ثم السعودي الثاني ، حتى عودة العثمانيين ثانية إلى المنطقة سنة ١٢٨٨هـ وحكمهم لها أكثر من أربعين عاماً وبالتحديد حتى عام ١٣٢١هـ ، أي إلى أن أجلاهم الملك عبد العزيز عنها .. طيلة هذه السنين كانت الغلبة السكانية لصالح الشيعة حتى الوقت الحاضر .

ولم يخل القول أن التشيع كان ولا يزال المذهب الأول في المنطقة ، منذ دخول الإسلام إليها وحتى اليوم .. ولا صحة للأقوال المغرضة التي تقول بأن التشيع انتشر أو وُلد من إيران ، بل أن الصحيح عكس ذلك .. فأهل هذه المنطقة كانوا عنصراً هاماً في فتوحات فارس ، وكانت الهجرة منهم إليها وليس العكس ، فضلاً عن أن المذهب الشيعي كان هو المذهب الرسمي في إيران قبل قيام الدولة الصفوية ، أي أن عمر التشيع في إيران لم يزيد عن خمسة قرون .
في الجانب الأدبي برز من قبائل الشيعة الكثير من الشعراء ، وظهرت في أشعارهم مسحة التشيع لأهل البيت ، نذكر منهم :

الأعور الشنني (بشر بن منقد العبدى) : وكان أحد أهم شعراء الإمام علي في الجمل وصفين ، قال بعد حرب الجمل محرضاً الإمام على قتال معاوية :
فُلْ لِهَذَا الْإِمَامَ قَدْ حَبَّتِ الْحَرَبُ وَتَقَتَّ بِذَلِكَ النَّعْمَاءُ
وَفَرَغْنَا مِنْ حَرْبِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ
تَنْفَثُ السَّمْ مَا مَنَ نَهَشْتَهُ
إِنَّهُ وَالَّذِي يَحْجَجُ لَهُ النَّاسُ
لَضَعِيفُ النَّخَاعِ إِنْ رُمِيَ الْبَرَى
جَانِحَاتِ تَحْتَ الْعَجَاجِ سَخَالًا
تَتَبَارِي بِكُلِّ أَصْبَدَ كَالْفَحَى
ثُمَّ لَا يَنْتَنِي الْحَدِيدُ وَلَا
إِنْ تَذَرْهُ فَمَا مَعَاوِيَةُ الدَّةِ
وَلَنْيَلُ السَّمَّاكُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ
فَاضْرِبْ الْحَدَّ وَالْحَدِيدَ إِلَيْهِ
وَجَاءَ الْأَعُورُ الشَّنْنِي إِلَى الْإِمَامِ فِي صَفِينِ وَقَالَ لَهُ : « زَادَ اللَّهُ فِي هَذَا
وَسَرُورُكَ ، نَظَرَتِ بِنُورِ اللَّهِ فَقَدَّمْتَ رِجَالًا وَأَخْرَتَ رِجَالًا » ، فَعَلِيكَ أَنْ تَقُولَ وَعَلَيْنَا أَنْ
نَفْعَلَ ، أَنْتَ الْإِمَامُ ، فَإِنْ هَلَكْتَ فَهَذَا مِنْ بَعْدِكَ - يَعْنِي الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ - ،
وَقَدْ قَلْتُ شَيْئاً فَاسْمَعْهُ ». قال الإمام : هات . فَأَنْشَدَ الشَّاعِرَ :
أَبَا حَسَنِ أَنْتَ شَمْسُ النَّهَارِ وَهَذَا فِي الْحَادِثَاتِ الْقَمِرِ

وانت وهذان حتى الممات
وانتم انس لكم سورة
يخبرنا الناس عن فضلكم
عقدت لقوم ذوي نجدة
.. ضربناهم قبل نصف النهار
ولم يأخذ الضرب إلا الروس
فحنن أولئك في امسنا
وقال مفاحراً بربيعة التي ينتهي إليها ميدياً اعتزازه بمديع الإمام علي لها ،
واعتماده عليها :

على الناس طرأً اجمعين بها فضلاً
ولم تترك الحرب العوان لنا فحلاً
كما تأكل النيران ذا الحطب الجلا
وكنا له من دون انفسنا نعلا
على قومنا طرأً وكنا له اهلاً

لا يرفع الطرف منك الثبة والصلف
او شحمة بزها شاو له نطف
احيا ماشر اباء له سلفوا
أسد العرين حمى اشباله الغرف
خيل إبي، فما عاجوا ولا عطفوا
منها السكون ومنها الأذى والصيف
يا غتب لولا سفاهة الرأي والسرف
ما للمبارز إلا العجز والنصف

كما كان رافضاً أن يكون الأشعري هو
ممثل جيش الإمام ، وحين أُجبر الإمام علي على قبول أبي موسى الأشعري ، قال
الشني ساخطاً وساخراً من شريح بن هاني الذي تولى تجهيز أبي موسى :

رفقت ابن قيس زفاف العروس
وفي زفاف الأشعري البلاء
وما الأشعري بدذي إربة
ولا أخذأ حظ اهل العراق
يحاول عمرأ وعمرو له
فإن يحکما بالهدى يتبعا
يكونا كتيسين في قفرة
وفشا في الناس أن أبا موسى سيخلع الإمام علي قبل أن يصل دومة الجندي ،
فأرسل له الأعور الشني راكباً ومعه هذه الأبيات :

اتانا امير المؤمنين فحسبنا
على حين ان زلت بنا التعل زلة
وقد اكلت مثنا ومنهم فوارساً
وكنا له في ذلك اليوم جنة
لائني ثناء لم ير الناس مثله
وهجا في صفين أحد أعدائه فقال :

ما زلت تتظر في عطفيك ابهاة
لا تحسب القوم إلا فقع قرقعة
حتى لقيت ابن مخزوم واي فتي
.. لما رأيتهم صبحاً حسبتهم
ناديتك خيلك إذ عض التفال بهم :
هلا عطفت على قتل مصرعه
قد كنت في منظر من ذا ومسفع
فالليوم يقفر منك السئ عن ندم

وكان الشني من الرافضين للتحكيم ، كما كان رافضاً أن يكون الأشعري هو
الشني ساخطاً وساخراً من شريح بن هاني الذي تولى تجهيز أبي موسى :

رفقت ابن قيس زفاف العروس
وفي زفاف الأشعري البلاء
وما الأشعري بدذي إربة
ولا أخذأ حظ اهل العراق
يحاول عمرأ وعمرو له
فإن يحکما بالهدى يتبعا
يكونا كتيسين في قفرة
وفشا في الناس أن أبا موسى سيخلع الإمام علي قبل أن يصل دومة الجندي ،
فأرسل له الأعور الشني راكباً ومعه هذه الأبيات :

أبا موسى جرَأَ اللَّهُ خِيرًا
وَإِنَّ الشَّامَ قَدْ نَصَبُوا إِمَامًا
وَإِنَّا لَا نُرَدِّلُ لَهُمْ عَدُوا
فَلَا تَجْعَلْ معاوِيَةَ بْنَ حَرْبَ
.. وَلَا تَحْكُمْ بَيْانَ سَوْيَ عَلَيْ
وَجَاءَتِ النَّتِيْجَةُ الْمُتَوقَّعَةُ مِنَ التَّحْكُمِ
مَكْتَبًا ، فَقَالَ الشَّهْنَى بِمَتَّلًا :

الله تر ائ الله يقضى بحكمه وعمرو عبد الله يختلفان
وليسا بهمدي امة من ضلاله
اثارا لما في النفس من كل حاجة
اصنان عن صوت المنادي تراهم على دارة بيضاء يعتجان
وهناك شعر كثير للأعور الشنلي ، الذي يعد من فحول الشعراء .
السلطان العبدى : وإسمه قشم بن خبيثة من بني محارب من عبد القيس .. كان
من شيعة الإمام علي ، وقد رافقه في حروبها ، كالجمل وصفين ، كما كان أحد
شعرائه المشهورين في تلك المعارك .

من شعره في صفين ، هجاؤه لأحد أعدائه بعد أن وسّدته السيف الثرى :
الا يا غَيْبُ اللَّهِ مَا زَلَتْ مُولِعًا
كَانَ حَمَاءُ الْحَيِّ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ
وَكُنْتْ سَفِيهًَا قَدْ تَعَوَّذَ عَادَةً
فَاصْبَحْتَ مَصْلُوبًا عَلَى شَرِّ الْهَةِ
تَشَقَّقَ عَلَيْكَ الْجَيْبُ ابْنَةُ هَانِئٍ
وَكَانَتْ تَرِي ذَا الْأَمْرَ قَبْلَ عِيَانِهِ
وَقَالَتْ : غَيْبُ اللَّهِ لَا تَاتِ وَائِلًا
فَقَدْ جَاءَ مَا مَيْتَهَا فَتَسْلِبَتْ
حَبَّاكَ أخو الْهِيْجَا حُرِيْثَ بْنَ جَابِرَ
وَقَالَ فِي التَّحْكِيمِ :

لعمُك لا أَفْيِي مَدِي الْذَّهَرِ خَالِعًا
فَإِنْ يَحْكُمَا بِالْحَقِّ نَقْبَلُهُ مِنْهُمَا
وَلَسْنَا نَقُولُ الذَّهَرَ ذَاكَ إِلَيْهِمَا
وَمَا الْيَوْمُ إِلَّا مُثْلُ امْسٍ وَإِنَّا
وَلِلْمُلْكَانِ شَعْرًا يَفْيِضُ حَكْمَةً ، يَقُولُ :

أثاب الصغير وفني الكبير
إذا هزمت ليلة يومها
نروح ونجدوا حاجاتنا
تموت مع المرء حاجاته

.. بُنِيَ بَدَا خَبْءَ نَجْوَى الرِّجَالِ
وَسَرَكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرَئٍ
كَمَا الصَّمْتُ أَدْنَى لِبَعْضِ الرِّشَادِ
وَبَعْضُ التَّكَلُّمُ أَدْنَى لِعِيْ
وَقَالَ فِي تَحْكِيمِهِ بَيْنَ الْفَرِزْدَقِ وَجَرِيرِ :

فَإِنْ كُنْتُمَا حَكْمَتَمَانِي فَانصِتا
فَإِنْ تَرْضِيَا أَوْ تَجْزِعاً لَا إِلَكْمَا
فَإِنْ يُكْ بَحْرَ الْحَنْظَلَيْنَ وَاحِدَا
وَمَا يَسْتَوِي شَمْ الذَّرِيْ وَالْأَكَارِعُ
وَلَا يَسْتَوِي كَالْقَادَامِيُّ وَرِيشَهَا
إِلَّا إِنَّمَا تَحْظَى كَلِيبَ بِشَعْرِهَا
زَيَادُ الْأَعْجَمِ : سَكَنَ إِصْطَخْرَ فَغْلَبَتِ الْعُجْمَةُ لِسَانَهُ ، عَاشَ حَتَّى أَوْلَى الْحُكْمِ
الْأَمْوَيِّ ، مَدْحُ العَبَاسِيِّينَ فِي الْبَدَائِيَّةِ ثُمَّ عَادَ فَهَجَاهُمْ بَعْدَ أَنْ نَكَلُوا بِالْبَيْتِ
الَّذِينَ أَخْذُوا الْحُكْمَ بِإِسْمِهِمْ ، وَقَالَ :
بِالْيَتْ جُورَ بْنِ مَرْوَانَ دَامَ لَنَا وَلِيْتَ عَدْلَ بْنِ الْعَبَاسِ فِي النَّارِ
قَيْلَ أَنَّ الْفَرِزْدَقَ أَرَادَ هَجَاءَ عَبْدَ الْقَيْسِ ، فَبَعْثَ لَهُ زَيَادَ بِأَبِيَّاتٍ جَعَلَتْهُ
يَتَرَاجِعُ ، مِنْهَا :

مَصْحَأَ ارَاهُ فِي ادِيمِ الْفَرِزْدَقِ
لَكَاسِرَهُ ابْقَوهُ لِلْمُتَعَرِّقِ
وَانْكَثَ مِنْ السَّاقِ مِنْهُ وَانْتَقَى
لَكَالْبَحْرِ مِمَّا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
مُحَمَّدُ بْنُ ثَمَامَةَ الْعَبْدِيِّ : عَاصِرُ الْعَهْدِ الْأَمْوَيِّ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :
أَتَزْعُمُ انْتَيْ أَهْوَى سَوَاكَ عَلَى دُنْوَهُ أَوْ بَعْدَ
جَهَدٍ إِذَا مَوَالَاتِي عَلَيْهَا وَقَلْتُ بِانْتَيْ مُمْوَى زَيَادَ
يَحْيَى بْنُ بَلَالَ الْعَبْدِيِّ : عَاشَ فِي صَدْرِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ ، مِنْ شِعْرِهِ :
أَمَّا الدُّعَاءُ إِلَى الْجَنَانِ فَهَاشَمُ
أَمِيْ مَالِكُ مِنْ قَرَارِ فَالْحَقِّيْ
فَلَثَنَ رَحْلَتِ لَتَرْحَلَنِ ذَمِيمَةَ
الْأَمِيرِ عَلَى بْنِ الْمَقْرَبِ الْعَيْوَنِيِّ : وَمِنْ شِعْرِهِ فِي مَدِيْحَةِ تَاجِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ
الْعَلَوِيِّ :

وَعَزَّ حَاضِرَهَا فِيهِمْ وَبِادِيهَا
فِي الْحَرْبِ حِينَ يَهْزِي الْحَرْبَ جَانِيهَا
نَجْلَاءَ تَبَرُّقُ مِنْهَا عَيْنُ أَبِيهَا
وَعَامَ بَيْنَ الْلَّقَاحِ الْخُورِ رَاعِيهَا
دَانِيَ مَعَدَّ إِذَا غَدَّتْ وَقَاصِيهَا
أَبِيَّاتِهِمْ عَرَّةً فِي سَرَّ وَادِيهَا

أَبَاؤُهُ مِنْ قَرِيشٍ خَيْرِهَا حَسْبًا
الْخَسَارِبُونَ الطَّلِيُّ وَالْهَامُ ضَاحِيَّةُ
وَالْطَّاغِيُّونَ الْخَيْلُ شَنِرًا كُلَّ نَافِذَةٍ
وَالْمُوْقَدُونَ إِذَا نَازَ الْقَرِيَّ حَمَدَتْ
قَوْمٌ لَهُمْ ذِرْوَةُ الْعَلَيَاءِ يَعْرَفُهَا
عَافُوا الظَّوَاهِرُ مِنْ أُمِّ الْقَرِيِّ وَبَنُوا

اَضْحَتْ وَمِنْهُمْ بِرَغْمِ الْخَصْمِ وَالْيَهَا
وَمَنْ يُسَامِي قَرِيشًا او يَبَارِيهَا
تُبْنِي وَقْطَبَ الرَّحْمَى مِنْهُمْ وَهَادِيهَا
عَدَمَتْ رِشْدَكَ هَلْ خَلُقَ يَسَامِيهَا
وَمِنْ عَلَى فَتْنَى الدِّينِيَا وَمُفْتَنَهَا
يُحْصِي التَّرَابَ وَلَا تُحْصِي اِيَادِيهَا
الشِّيْخُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَسْنٍ
الْعَبْدِيُّ الْخَطِيفُ (الْمَعْرُوفُ بِأَبِي
الْبَحْرِ) وَمِنْ شِعْرِهِ فِي وَطْنِهِ الْقَطِيفِ :

وَغَلَتْ عَلَى اسْتِيْطَانِهَا زَفَرَاتِي
طَفْلًا وَاتِّرَابِيَّ بِهَا وَلَدَاتِي
اَنِي اَقِيمُ بِتَكْمِ السَّاحَاتِ
تَلَكَ الرَّحَابُ الْفَيْحُ وَالْعَرَصَاتِ

نَ وَيَدْعُى لَمَا يَنْبُوبُ الْخَلِيلِ
بَعْلَرْ مَا اَنْ نَرَاهُ يَرْزُولِ
وَدَجَّ الْفَضْلُ فَهُوَ مِنْهُ قَتِيلِ
الثَّارُ فَالْخَطْبُ لَوْ عَلِمْتُ جَلِيلِ
فَمَا الْحَرْزُ اَنْ تَضَاعَ الذَّحْلُ
يَدِرُّ مَا فَاعِلُ وَلَا مُفَعُولٌ
غَيْرِيْ لَمْ يَدِرُّ «اِيْشُ» يَقُولُ
وَدَشِيْ شِيْخُ الْقَطِيفِ الْاَكْبَرُ اَبُو عَلِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ مَقْلُودِ مِنْ بَنِي وَائِلِ ،

إِنَّ الْقَطِيفَ وَإِنْ كَلِفْتُ بِحُبِّهَا
إِذْ إِنْ جَزَتْ رَأَيْتُ فِيهَا مَدْرَجِي
لِأَجْلِ مُلْتَمِسِي وَغَايَةِ مُنْتَقِيِّ
فَسَقَى الْفَعَامَ إِذَا تَحْمَلَ رَكْبَهِ
وَهَذِي الشِّيْخُ اَبُو الْبَحْرِ مَرَّةً بِشَاعِرِ الْقَطِيفِيِّ سَنَةَ ١٠٠٧ هـ فَقَالَ :
يَا خَلِيلِيْ مِنْ ذَوَابَةِ شَيْباً
إِنَّ هَذَا الْفَتَى الَّذِي وَسَمَ الشِّعْرَ
قَدْ نَضَأَ مَدِيَّةَ الْجَهَالَةِ يَفْرِي
يَا حَمَّةَ الْقَرِيبِشِ يَهْبِوا لِأَخْذِ
وَخَذُوا بِالْتَّرَاتِ مِنْ قَاتِلِ الشِّعْرِ
لَاكَ فِي فَيْهِ شَحْمَةَ الشِّعْرِ مِنْ لَمْ
وَادَعَى رَتْبَةَ الْبِلَاغَةِ فِي الْقَوْلِ
وَدَشِيْ شِيْخُ الْقَطِيفِ الْاَكْبَرُ اَبُو عَلِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ مَقْلُودِ مِنْ بَنِي وَائِلِ ،

فَقَالَ :
اَكْفَ البرَّاِيَا مِنْ تِرَاثِهِمْ صَفَرُ
وَخِيلُ الرِّزَاِيَا مَا تَزَالُ مَعْدَةً
تَكَرَّرُ عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ بِالرَّدِيِّ
.. خَلِيلِيْ مِنْ اَبْنَاءِ بَكْرٍ وَوَائِلٍ
وَبَدْرَاً تَرَاءِي لِلنَّوَاطِرِ فَاهَنَدَتْ
وَعَضْبَاً ثَنَتْ اِيْدِيَ النَّوَائِبِ حَذَهُ
اِرَامِيَ الرَّدِيِّ اَخْطَاتَنَا وَاصْبَتَهُ

وَبِيَضِ الْمَنَابِاِا منْ دَمَائِهِمْ حَمَرُ
تَقَاتَلَنَا فَرَسَانَهَا وَلَهَا النَّصْرُ
فَتَبَلُّغُ مَا لَا تَبَلُّغُ الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ
قَفَا وَانْدَبَا شِيشَا بِهِ فَجَعَتْ بَكْرُ
بَهِ بَرَهَةٍ ثُمَّ اخْتَفَى ذَلِكَ الْبَدْرُ
فَهَلَّ اعْتَراها مِنْ مَضَارِيهِ عَقْرُ
اسَاتِ لَنَا جَذَّتْ اَنَامِلَكَ العَشَرُ

الشِّيْخُ فَرجُ الْخَطِيفُ : مِنْ أَعْلَامِ الْقَنْتَنِ الثَّانِي عَشَرُ الْهَجْرِيِّ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

سَخَرَا بِقَبَّةِ خَامِسِ الْاَشْبَاحِ
كَالشَّمْسِ يَخْمَدُ نَيْرَ الْمَصْبَاحِ
تَفَرِيَ الْعَيْوَنَ بِدَمْعَهَا السَّفَاحِ
وَشَكَوَتْ ذَاكَ لِفَالِقِ الْإِصْبَاحِ

هَلَّا شَمَمَتْ رَوَائِحَ التَّفَاجِ
وَرَأَيْتَ نُورَ اللَّهِ يَشْرُقُ عَنْهُ
وَبَكِيَّ مَصْرَعَهُ الْمَهْوَلُ بِلَوْعَهُ
وَسَهَرَتْ لِيلَكَ بِسَاكِيَّا لِمَصَابِهِ

خطب إذا استشعرت أيسر أمره عسرت على مسالك الافراح
إلى لاعب عند ذكر خطيره لتعلق الابدان بالارواح
الشيخ حسن التاروتي : صاحب الرائعة المشهورة في رثاء الإمام الحسين ،
والتي يقول فيها :

صباة وجد فلم تهجع
تضمض منه ولم تجرع
بأن تخضبي الكف أو تسجع
فليس الشجي كمن يدعى
يلفت الحنايا وإنما دعى
دما لم أقل يا جفوني اقلعي
ولم يك هبابة إذ دعى
فما حمير من دعا تبع
إذا حلها البدر في مطلع
شات اربع الربيع في اربع
فانت بوادي طوى فاخلاع
لقدس أبي الحسن الانزع
ومركز دائرة الاجمع
وغلة احساه لم تنتفع
فاغرفت الرمي بالمنزع
فما لقعودك من موضع

الشيخ يوسف أبو ذيب ، ومن شعره :

وكل لهاي يقتفيه لهاي
لخوض عباب شب فيه ضرام
كما زج من عوج القسي سهام
على الهول للحرب الضروس لحام
بحر حشا يذكي لظاه اوام
كمثل الاياضي غالهن حمام
فرادي على حر الصفا وتوأم
عراهن من مور الرياح جهان
قطا بين اجراء الطفوف هيام
قضوا وهم بيض الوجوه كرام
وادمعها كالمعصرات سجام
طليق المحيى إن تعبس عام

يؤرقني ولا رب همود
ولا ذكري ليال لا تعود

البراعبية بالاجرع
ام استوجدت وانت مورداً
اجارتني ليس دعوى الاسى
إني حمامه جرع الحمى
فاما استطعت حيناً له
ودمع إذا فار تنورة
.. وداع دعاه إثنا للهدى
كان النجوم بهم تهتدى
.. فياراكبا ظهر مجدة
إذا نعمت نار طور الغري
وصل وسلم وصل واستلم
وناد وقل يا زعيم الصفوف
.. اثر نقعها فحسين قضى
وقد وئزته أكف الترات
إذا قعد الشمر في صدره
الشيخ يوسف أبو ذيب ، ومن قصائده :
.. كائي به والفيق اللجب حوله
يعني بقلب ثابت الجاش جيشه
ويرمي بهم زج المقاوير غارة
مدجحة تفشي الوغى فكانه
.. قضى بين اطراف الاستة والضبا
ومن حوله ابنا ابيه وصحابه
على الأرض صرعي من كهول وفتية
مرقلة الأجساد مثل اهلة
وتلك النساء الطاهرات كانواها
يطفن على شم العرانيين سادة
ويضربن بالأيدي النواصي تولها
وتهوي مروعات باروع اشmet
الشيخ محسن فرج ، ومن قصائده :
ل عمرك ما البعاد ولا الصدود
ولم يجر الدموع حداء حاد

عظيم ليس يخلقه الجديد
 عطاشاً لا يباح لها الورود
 تذودهم اتعلّم من تذود؟
 على جنبيه بارقة رعد
 ومن شعره :

انفحة الصوت ذا ام رئة الوتر
 تردّد نفسك ذا ام نفحة العطر
 ام قرص شمس الضحى ام غرة القمر
 ستّر الذّجى مرتخ ام دجنة الشّعير
 نار بثّلّج فلا بدعاً من القدر
 الشيخ علي بن حبيب التاروتي ، قال يرثي إبنته

وترادفت سحاً على مغناكا
 تسقى من الدمع الملاّث ثراكا
 ارق الجفون بمدمع يغشاكا
 من بعد ما يغشى الحمام اباكا
 تبكي اباها حسرة فتراكا
 في قبة لم تنقطع بسواكا
 اصمى فؤادي صائب اخطاكا
 من اجل موتك او ارى لقياكا

تعطر منها ساكن البر والبحر
 بان الليالي وصلها ليلة القدر
 هواطل غيث ضمّ قلبي من قبر
 روافل من الغاديات مدى الدهر
 يقى ناعماً عن نائم الترب في القبر
 لعلّ فؤادي يبرد اليوم من حرّ
 وقامت له الاشياء بالنهي والامر
 تحل سواها فيه في عابر الدهر
 اعراب نجد :

ففخركم شغرٌ وحلب عشار
 كمثل سراج في ضياء نهار
 ومن ذا يدانى غيركم لشنار
 مفاخركم بين الانام عواري
 تباعون فيهم صفة بخسار
 ودونكم ذلاً بكل صفار

ولكن أسبل العينين خطب
 عشيّة بالطفوف بنو على
 تذاذ عن الفرات ووويل قوم
 الا ويل الفرات ولا استهلت
 الشيخ علي بن حبيب التاروتي ،
 سمعاً مهفهة الهفوف من هجر
 هذا الذي عطر الآفاق فائحة
 وصفحة الوجه تبدو منك مسيرة
 هذا الذي فوق منن الظهر منسدل
 وهذه الوجنة الحمراء خذك ام
 الشيخ علي نقى ابن الشيخ احمد زين
 حسن ، وهو من اعز اولاده :

ابني لا بكت العيون سواكما
 فلقد بكيت بدموعة مهراقة
 ولقد بكتك والعيون نواسن
 قد كنت أمل أن تعيش لحادث
 وتكون بعدي للبيتية كافلاً
 نصب المنون عليك اشراك الردى
 سهم اصابك لا رماك وليتما
 .. إني وعيشك لا اعيش بفرحة
 ودشى زوجته « نوار » ، فقال :

.. نوار لقد حلّت بتربك رحمة
 نوار خذيها بالتحيبة واعلمي
 سقى الله قبراً يانوار إكتنفته
 واردف قبراً ضمّ جسمك لحده
 وأسكن قلبي بين جسمك والشري
 إذا مت فادفني بجانب قبرها
 .. أما والذى صلّى الإنام لوجهه
 لقد خامت قلبي فلم يبق موضع
 وقال في الفخر راداً على بعض
 إذا افترت قومي بمجد مؤثل
 .. لقد كانت الأنساب في جنب وائل
 فمن ذا يدانى للمكارم غيرنا
 اقول له كف الفخار فإنما
 تفاحر قوماً كنتم اعبدأ لهم
 فخلوا سبيل المجد تمنى لأهلها

لبسنا من المجد الأثيل ملاحفأ
وقال في الفخر أيضًا :
.. وإنّي أمرؤ لا ارجعي ذا خاصمةٌ
ولا أسأل الاستقطاع فضل نوالهم
ولست بملائقي أضاحك عابساً
وما أنا ركاب المفازة طالباً
سانافق مالي ما حبّيت على العلا
اعف نقى حتى لقدر ظُنْ اتنى
واسطوا لدى الهيجاء إِنْ شبَّ جمرها
واحّمّي ذماراً شرف الله اصله
انا ابن اية الضيم لا احمل الاذى

أصل الشيعة العرقى

سكن منطقة البحرين (القديمة) قبائل عربية عديدة قبل الاسلام ، كالازد الذين استقروا بكثافة في عمان ، وأياد التي هاجرت من الحجاز ، وقبائل تنوخ - وهي قبائل جاءت من تهامة وعقدت حلفاً فيما بينها على الاقامة (التنوخ) - .. غير ان قبائل ربيعة مثل (عبد القيس وبكر بن وائل) بمختلف افرعهما ، أزاحت أياداً والازد عنها وسيطرت على البحرين جميعاً ، فكانت الواحات بيد أفرع من عبد القيس ، ثم يليهم الى الغرب بنو بكر بن وائل ، والى غربيهم في البارية بنو تميم .

و قبل ان يدخل الاسلام الى المنطقة ، وبحكم غناها وثروتها واتصالاتها بالاقوام المختلفة لاجل التجارة .. سكن فيها عدد من العناصر غير العربية كالزالط المجهولي النسب ، والنبط ، والسياجة ، وعدد محدود من الفرس الذين كانوا يحكمون المنطقة في جاهليتها .. إلا أن الغالبية كانت من عبد القيس العرب حينما ظهر الاسلام واعتنقه أهلها سلماً ، فكانت المنطقة ثاني منطقة تدخل الاسلام بعد المدينة المنورة .

وتدفقت على المنطقة بعد ظهور الاسلام قبائل امتهنت بالسكن .. فسكنتها بطون من بني عامر ، وبني كلاب وغيرهم .. وفي نفس الوقت هاجرت اعداد كبيرة من عبد القيس الى العراق في العقد الثاني الهجري في خلافة عمر بن الخطاب ، خاصة الى البصرة والكوفة اللتين ابتنينا حدثاً .. ولعل هذا ما يفسر الوجود

الشيعي المكثف فيهما والذي بدا واضحاً في أواخر خلافة عثمان بن عفان . ان كثيراً من أسر الشيعة المتحضرة - وهي كلها متحضرة - ترجع في أصولها الى هذه القبائل العربية ، وإن كان المتحضرون في كل بلاد الدنيا لا يهتمون بالأنساب والاعتزاز بها .. وان العديد من سكان الأحساء والقطيف يعرفون أصولهم العرقية ، رغم أنهم لا يستطيعون إثبات هذا الانتماء بذكر إتصاله بفرع معروف من فروع إحدى القبائل المذكورة ، ويعتبر الباحثون ان هذا الأمر طبيعي جداً ، وهي أحدى صفات التحضر والاستقرار^(٤) .

ويعكس هذا نجد ان البدو يعتزون بأنسابهم ويعرفون أصولهم ، وكانت بادية الأحساء والقطيف تتلفت الكثير منهم ، وهم في أغلبهم سنة يغدون من وسط وغرب وجنوب الجزيرة العربية ، في حين كان السكان الحضر وعلى الدوام شيعة . كانوا البدو يغدون الى مناطق الشرق ، طمعاً في م راعيها العشبة ، وقرباً من مصادر الثراء والغنـى والمـياه والزراعة التي يقوم عليها الحـضر .. وكان الخلاف بينـ الـبـدوـ وـالـحـضـرـ أـمـلـوـفاـ فيـ كـلـ الـانـحـاءـ ، وـمـنـ بـيـنـهـاـ الـأـحـسـاءـ وـالـقطـيفـ ، وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ يـعـودـ لـأـسـبـابـ مـذـهـبـيـةـ ، فالـبـدوـ كـمـاـ يـقـولـ الـبـاحـثـونـ هـمـ مـنـ أـبـعـدـ النـاسـ عـنـ روـابـطـ الـدـينـ فـضـلـاـ عـنـ الـمـذـهـبـ ، وـلـكـنـ لـأـسـبـابـ إـجـتمـاعـيـةـ وـاقـتـصـادـيـةـ ، وـعـادـاتـ تـأـصـلـتـ فـيـ الـبـدوـ .

تجدر الاشارة الى ان كل قبيلة متى ضعفت ، وزاحتها قبيلة أخرى أقوى منها ، فإنها تعمد كلها أو بعض فروعها الى أحد ثلاثة أمور : إما الانضواء تحت سيطرة الأقوى ، أو الهجرة الى بلاد أخرى ، أو الاستقرار في المدن والحضر ، فترتك البداوة ، وبينما الإسم إلا من بعض الأقفرع الضعيفة التي تنتسب اليـها^(٥) . ولذا فـانـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـسـرـ الشـيـعـيـةـ تـنـتـمـيـ إـلـىـ قـبـائـلـ ضـعـفـتـ أوـ هـزـمتـ فـيـ حـرـوبـ سـابـقةـ ، وـنـخـصـ بـالـذـكـرـ قـبـيـلةـ بـنـيـ خـالـدـ الـتـيـ يـنـتـمـيـ أـعـدـادـ غـيرـ قـلـيـلـ مـنـ الشـيـعـةـ الـيـاهـ .. وـكـانـ بـنـوـ خـالـدـ قـدـ ضـعـفـوـ بـهـزـيمـتـهـمـ عـلـىـ يـدـ السـعـودـيـنـ مـرـةـ ، وـبـظـهـورـ الـعـجمـانـ مـرـةـ أـخـرىـ ، فـاستـقـرـتـ أـفـرـعـ مـنـهـاـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ وـتـحـضـرـتـ وـتـشـيـعـتـ وـانـضـمـتـ مـعـ السـكـانـ .. كـمـاـ انـ بـعـضـ بـنـيـ خـالـدـ هـاجـرـ إـلـىـ جـنـوبـ الـعـرـاقـ وـانـضـمـتـ تـحـتـ قـبـائـلـ أـخـرىـ ، وـلـمـ يـقـولـ بـنـيـ خـالـدـ هـاجـرـ إـلـىـ جـنـوبـ الـعـرـاقـ .. سـوـىـ بـضـعـةـ أـلـفـ قـلـيـلـةـ تـعـيـشـ عـلـىـ هـامـشـ الـحـيـاـ السـيـاسـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ بعدـ انـ كـانـ زـعـيمـ الـبـدوـ وـالـحـضـرـ مـعـاـ .

إن الشيعة عـربـ فيـ أـصـلـهـمـ ، وـهـمـ قـسـمانـ : قـسـمـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ قـبـائـلـ الـعـرـبـ الـأـصـلـيـةـ الـقـدـيمـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـطـنـ الـمـنـطـقـةـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ (عبدـ الـقـيـسـ وـبـكـرـ بـنـ وـائـلـ) ، وـقـسـمـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ أـصـوـلـ بـدـوـيـةـ تـحـضـرـتـ وـاعـتـنـقـتـ الـمـذـهـبـ الشـيـعـيـ ، أوـ عـوـائـلـ وـفـرـوعـ قـبـائـلـ أـغـرـاـهـاـ السـكـنـ وـالـرـفـاهـ ، فـوـفـدـتـ مـنـ مـدـنـ وـمـنـاطـقـ

مختلفة - خاصة من نجد - الى الاحسأء والقطيف واندمجت مع البقية وذابت عصبيتها .

معظم المصادر العربية والأجنبية تجمع على ان شيعة الاحسأء والقطيف من ذوي الأصول العربية ، وأنهم سكان المنطقة الأصليين منذ قرون طويلة . ويزرت في السنوات الأخيرة إدعاءات تقول بأن الشيعة غير عرب ، لأسباب طائفية وسياسية معروفة . وكانت مثل هذه الإدعاءات قد راجت قبل أن تصبح البحرين أمارة مستقلة ، حيث طالب الشاه الإيراني المخلوع بها ، وكان العداء السياسي مع ايران الشاه ، ومحاولة الأخيرة الادعاء بتمثيلها لكل الشيعة في البحرين بقسميهما العربي وهو الأكثرية ، والأقلية ذات الأصول الأعجمية التي وفدت قبل قرون أثناء سيطرة فارس عليها .. كان هذا هو الذي دفع بالقليل من الكتاب الى القول بأن الشيعة غير عرب ، في حين تصدى لهم آخرون وأثبتواعروبة البحرين من خلالعروبة التشيع والشيعة ، وبالتالي عدم أحقيّة فارس في تمثيلهم .

ومن المعلوم والشائع في كتابات المؤرخين المعاصرة والغابرة ، قولهـم ان سكان البحرين (القديمة) هـم من البحارنة الشيعة ، وأنـهم دون غيرـهم سـكان هذه المنطقة الأصلـيين .

وبالنسبة لمنطقة الاحسأء والقطيف ، فإن احتكارـهما بفارس كان ضـعيفـاً ، عـدا التـوافـق المـذهبـي ، وـنزـوح جـماعـات من الشـيعـة إلـى أـقالـيم فـارـس المـأهـولة بـالـعـرب عـلـى اـمـتدـاد سـاحـل الـخـلـيج الشرـقـي ، وبـالـخـصـوص إلـى ما عـرـف سـابـقاً باـسـم إـمـارـة « عـرـيـستان » .. وـلم يـثـبـت المؤـرـخـون ، كـما لم يـعـهـد السـكـان الشـيعـة المـحـليـون ، أـن عـنـاصـر فـارـسيـة استـوطـنـت هـذـه المـنـطـقـة ، بـعـكـس منـاطـق الـخـلـيج الـآخـرـى ، حيث تـواجـد أـقـلـيات إـيرـانـية شـيعـية وـسـنـيـة في الـإـمـارـات وـقـطـر وـالـكـوـيـت .

غيرـ ان تـصـاعـد الـخـلـاف بـيـن اـيرـان بعد ثـورـتها عـلـى الشـاه مـع الـحـكـومـة السـعـودـيـة ، وـعـزـف الـأـخـيـرة عـلـى الوـتـر الـقـومـي - الذـي سـبـق لهاـ ان حـارـبـته بالـعـزـف عـلـى الوـتـر الـدـينـي فيـ العـهـد النـاصـري - هوـ الذـي سـوـغ لـبعـض الطـائـفـين الطـعنـ فيـ عـرـوـبة الشـيعـة وـعـرـوـبة التشـيع ايـضاً .

وهـنـاك العـدـيد منـ الطـائـفـين لا تـظـهـر عـرـوـبـتهم وـهم يـجـدـون الـإـيرـانـيين ذـوـي الأـصـول السـنـيـة فيـ مـخـلـف دولـ الـخـلـيج ، وـلا يـهـمـون بـالـسـلـالـات الصـينـية وـالـأـنـدـونـيـسـية وـالـهـنـدـيـة وـالـتـرـكـيـة وـالـإـيرـانـيـة فيـ الـحـجاز ، وـلم يـحاـول هـؤـلـاء تـجـريـد أولـئـك منـ حـقـوقـهم الـدـينـيـة وـالـوـطـنـيـة بـدـعـوى عدمـ عـرـوـبـتهم .. وـلكـن عـدـدـاً منـ هـؤـلـاء الطـائـفـين - وـبـيـنـهـم مـسـؤـلوـن فيـ الدـوـلـة السـعـودـيـة - لا يـتـورـعون عنـ اـتـهـامـ

رعاياهم الشيعة بأنهم ايرانيون ، يجب طردتهم من البلد ! .. إن هؤلاء يتجاهلون حقيقة ان التشيع والشيعة ليسا طارئين في هذه المنطقة ، بل ان الطارئ هم غيرهم الذي لم يمض على بقائهم في مناطق الشيعة أقل من قرن من الزمان ، كما يتجاهلون حقيقة ان معارضه الشيعة السياسية للحكومة السعودية قد ألبست لباساً مذهبياً لأغراض معروفة للقاصي والداني .

إن الشيعة في المملكة ، ورغم أنهم يتبعون المذهب الإثنى عشرى كالإيرانيين وال العراقيين واللبنانيين وغيرهم ، إلا أنهم عرب ، وفي بعض الأحيان يسمون بالبحارنة ، نسبة الى البحرين القديمة ، دلالة على اصالتهم في هذه المنطقة ، وهم عرقياً قريبون من الشيعة في البحرين ^(١) .

ولا شك ان اصول الشيعة في البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة واحدة ، فهم ينتمون جميعاً الى القبائل العربية القديمة (عبد القيس بوجه خاص) ، وتاريخ المقطتين واحد الى ان جاء الاستعمار البرتغالي ، فانفصلت البحرين (أوال) عن (الخط وهجر) ، كما هو ثابت لدى المؤرخين .

ويضاف الى هذا فان العوائل في المقطتين متقاربة نسبياً ، رغم فواصل الحدود ، وتکاد لا توجد عائلة في منطقتي الاحساء والقطيف ليس لها ارتباط او صلة بعوائل في البحرين .. وواضح من التاريخ ان الهجرات بين المقطتين تجري بسهولة ، إما لأسباب اقتصادية ، أو قراراً من الاضطهاد السياسي والمذهبي .. فحينما سيطر آل خليفة سنة ١٧٨٢ م على البحرين واحتلواها ، أمعنا في الأهالي قتلاً وسحقاً ، ففر هؤلاء الشيعة الى الاحساء .. ويدرك كرستن نيبور أنه في منتصف القرن الثامن عشر كان في البحرين ٣٦٥ قرية ومدينة ، وبعد احتلال آل خليفة للبحرين بفزوهم لها من البر ، أصبحت لا تحتوي إلا على مدينة واحدة محصنة ، الى جانب ٤٠ - ٥ قرية في حالة سيئة بسبب الحرب الطاحنة بين الغزاة والسكان الشيعة ^(٢) .

وبالعكس حدثت هجرات قوية للشيعة من الاحساء والقطيف الى البحرين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، حينما سيطر الوهابيون على المنطقة ، وحدثت هجرة مشابهة لتلك سنة ١٩١٢ م / ١٢٢١ هـ ، وهي السنة التي احتل فيها الملك عبد العزيز ما يعرف اليوم باسم المنطقة الشرقية .. وتحفل دراسات المؤرخين بتأكيدات على أن الشيعة في البحرين ينقسمون الى ثلاثة أقسام : الأصليون ، والهاجرون من الاحساء والقطيف ، والایرانيون - وهم قلة - . وكما أشرنا فإن الشيعة يسمون بالبحارنة ، وهي لفظة يطلقها الطائفيون للسخرية والانتقاد .. ومفرد البحارنة بحراني ، وهي صيغة عربية صحيحة للإنتساب ، فكل من سكن البحرين (الاحساء والقطيف والبحرين الحالية) فهو

بحرياني ، ولأن كل البحارنة تقريباً هم من الشيعة ، لذا أصبحت الكلمة مرادفة في المعنى للشيعي .. فالبحرياني تعني الشيعي وتعني ساكن المنطقة الأصلي .. إلا أنها تعطى بالنسبة للطائفيين معنى دونياً تمييزياً ، فالبحرياني الشيعي ابن المنطقة بالنسبة لهم ، هو غير العربي (الذي يعني البدوي القبلي والسيد المسيطر) ^(٤) .. الجدير بالذكر أن هناك العديد من التابعين منمن سكن المنطقة يلقبون بالبحرياني ، بل أن ابن المقرب العيوني - الشاعر الفحل - ورغم محاولة الطائفيين إلغاء تشيعه ، فإنه يلقب بالعيوني البحرياني ^(٥) .

ويؤكد أحد الباحثين العرب في دراسته لأصول سكان منطقة الأحساء ، بأنهم أحفاد لقبائل عربية كانت تسود في الجزيرة العربية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ^(٦) .. إلا أن أحد دعاة الطائفية عكس الآية فقال : «والسنة في الإقليم يرجعون إلى أصل عربي ، وهم أحفاد العرب الأوائل الذين قطنوا هذا الأقليم منذ زمن بعيد ... أما الشيعة فيرجعون في أصولهم إلى أصل عجمي ، والقليل منهم من أصل هندي» ^(٧) ! .. ولا ندري بماذا يفسر الكاتب وجود أغلبية شيعية في هذه المنطقة إن كانت أعمجية أو هندية !! .

ومما يؤسف له ان الباحثين الأجانب عرفوا أصول الشيعة العربية بأكثر مما فهمها ويفهمها أولئل الذين يملأ الحقد الطائفي عليهم في كتاباتهم .. قال أحدهم بأن الشيعة هم عرب يعتقدون شكلاً من الإسلام يتضمن تمجيل القديسين ^(٨) ، وهو إن فهم أصل الشيعة ، فإنه لم يستوعب معتقدهم .

ويرد الدكتور الرميحي من الأقوال التي تورد أن شيعة البحرين غير عرب ، ويعلق على دراسة لإحدى الدانماركيات لقرية شيعية في البحرين ، بأنها خللت بين (البحارنة) و (العرب) : «ووصل بها الحد إلى أن تفتى بأن البحارنة غير العرب ، فقالت : هم أنفسهم - أي البحارنة - يصرّون على أنهم غير عرب مثل الحاكم وعائله .. إنهم يدعون أنفسهم بحارنة» .. ويضيف الرميحي : «لقد فشلت الكاتبة في أن تبين المعنى الواضح مما نقلته عن بعض سكان القرية ، حيث أنهم يعرفون الشيعة بـ (البحارنة) والسنّة بـ (العرب) . فلو سألت نفسها إذن من هم البحارنة لاستطاعت أن تتوصل إلى أنهم عرب أيضاً» ^(٩) .

غير أن الدكتور الرميحي اعترف بصعوبة التعرّف على أصل الشيعة العربي ، واشتكى أن ما بين يديه من مراجع لم يسعه في تحديد الأصول ، مع هذا قال : «إننا نميل إلى القول بأن الشيعة في البحرين - ويصدق ذلك على الأحساء والقطيف - من أصول عربية من العراق لأن اللهجة التي يتكلمون بها تقارب اللهجة العربية السائدة في جنوب العراق» .

لا شك أن هناك صعوبة في التعرف على أنساب الشيعة ، ومزد ذلك كما أشرنا

الى قوانين التحضر والاستقرار ، فهذه المنطقة عريقة في الحضارة ، ومجتمع الحضر يذيب - في العادة - الأنساب والأصول ، خاصة في المجتمعات الدينية التي لا تتفاخر بأنسابها ، ونحسب أن منطقة البحرين بشكل إجمالي واحدة منها .. والذي ميز المنطقة وبعض مناطق عمان عن نجد ومشيخات الخليج الأخرى ، أنها كانت متحضرّة قبلها بمئات - إن لم نقل بآلاف السنين - . فهذه المشيخات ما هي إلا قبائل متراحلة في أغلبها الى أن استقرّت قبل سنوات قليلة وتحولت الى امارات .. والقبائل تحافظ على أنسابها لأنه لا قيام لقبيلة إلا بها . فلا الدين عندها يجمع أفرادها بأقوى مما يجمعها النسب ، ولا روح الاخوة والاسلام تشدهم كعصبية القبيلة . ولتحضر هؤلاء المتأخر في نجد وقطر والكويت وبعض قبائل عمان والامارات ، فإن من الطبيعي أنهم يعرفون أنسابهم .

لكن هل يمكن معرفة أنساب سكان دمشق أو القاهرة أو بغداد ؟ ! .. إن المسألة تبدو في غاية الصعوبة ، وبالنسبة للشيعة فإنها تبدو أكثر إغراماً في الصعوبات ، لخصوصية في المذهب الشيعي الذي لا يحفل بالقوميات أكثر من أي مذهب إسلامي آخر .

ومع أن هناك الكثير من العوائل النجدية والقبلية الأخرى استوطنت الاحساء قبل حوالي ثلاثة قرون واعتنقت المذهب الشيعي ، إلا أن معظم أفرادها لا يدركون أصولهم العرقية ولا إنتماءاتهم المذهبية السابقة ، إلا قلة من رجالهم المعمرين في السن .

وهناك مسألة أخرى ، وتعلق بصعوبة التعرف على اصول السكان من خلال اللهجات .. صحيح ان الشيعة في البحرين والمنطقة الشرقية في المملكة تأثرت لهجتهم باللهجة العراقية ، نظراً للتدخل المذهبي ، وباعتبار ان العراق كان مهوى العلم والعلماء ، وان معظم علماء الشيعة في هذه المناطق درسوا في تلك البقاع ، وان معظم الشيعة يزورون الاماكن المقدسة الدينية .. قد تكون هذه أسباب تأثر لهجة الشيعة في الخليج باللهجة العراقية ، لكن الاختلاف بينها واسع بين .

قد تكون لهجة الشيعة في المنطقة غريبة على مسامع السكان البدو الوافدين ، تماماً مثلما هي لهجتهم غريبة على أسماع السكان الأصليين ، فهل يصح أن يقيم البدوي الوافد لهجة السكان الأصليين ويقرّ أنهم - وبحكم اقتراب لهجتهم بلهجة سكان آخرين - أنهم من أصل مشترك ، أو وافدين من ذلك البلد ؟ ! .

ومع وضوح عروبة سكان المنطقة ، فإنك تجد من يعرف كلمة (البحرياني)

بصورة خاطئة متعتمدة ، فيقول بأن شيعة البحرين والقطيف والهفوف ينطقون باللغة العربية (!) .. واستكثر عليهم أن يصفهم بالعرب ، أو أن يقول بأن لغتهم هي العربية ، وأنهم لا يجيدون غيرها .. ثم أشار بتفاخر إلى أن السنة في الأحساء يطلقون لقب البحرياني على كلّ شيعي ^(١٤) .

أماكن تواجد الشيعة وعوائلهم وشخصياتهم

يسكن الشيعة الإثنى عشرية (الإمامية) في مدن وقرى المنطقة الشرقية ، إضافة إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة .. يقول الدكتور عبد الله الحامد : « لا يوجد في كل الأقاليم - في المملكة - دين غير الإسلام .. والإماميون في مكة والمدينة ، ويتكاثرون في الأحساء والقطيف . والقطيف خاصة كل سكانها من الشيعة » ^(١٥) ، فيما يتمركز الإسماعيليون جنوب المملكة (نجران وقرابها) ، وتوجد أقليات شيعية (زيدية وإمامية) في مدن وقرى مختلفة من المملكة .

أماكن وعوائل الشيعة في الأحساء

□ الهفوف : وهي عاصمة الإقليم وتشمل نحو ثلث سكانه .. وتبعد نسبة الشيعة في الهفوف نحو ستين بالمائة من سكانها ، ويقطنون العديد من أحياها بأغلبية ساحقة مثل : الرفعة الشمالية ، الرفعة الجنوبية ، الكوت ، الفريق الشمالي ، الفاضلية ، التعاون ، المزرع ، السدرة ، الحدادين ، السويج ، النعاثل ، الرقيات ، اليحيى ، الأندرس ، الرزقيان .

من العوائل الشيعية فيها :

★ آل بوخمسين ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد بوخمسين ، والمرحوم الشيخ موسى بوخمسين ، والشيخ باقر بوخمسين ، قاضي شيعة الأحساء للأوقاف والمواريث ، وإبنه الشيخ حسن بن الشيخ باقر بوخمسين ، والشيخ موسى عبد الهادي بوخمسين ، والشيخ حسين عبد الهادي بوخمسين ، والشيخ حسن عبد الهادي بوخمسين ، والشيخ ياسين بوخمسين (توفي في ١٤٠٠ هـ) ، والكاتب الصحافي علي بن أحمد بوخمسين ، وتوجد عوائل من آل بوخمسين في الكويت

والبصرة نزحوا من الاحسأء .

★ العامر ، ولهم أقرباء في الزبير ، ومنهم الشيخ توفيق العامر .
★ الشواف ، ولهم أقارب في الكويت ، ومنهم المرحوم الشيخ حسين الشواف ، وهو من تلامذة الشيخ موسى بو خمسين ، ومنهم إبنه المرحوم الشيخ عبد الله الشواف ، ومنهم الشهيد الشيخ محمد نور الشواف (استشهد في عام ١٤٠٦ هـ) .

★ البو حلقة ، ولهم بعض الأقارب في الكويت ، ومنهم المرحوم الشيخ أحمد بن عبد الله بو حلقة الذي كان والده مؤسساً للعديد من الماتم الحسينية .
ومنهم إبنه الشيخ جواد بن الشيخ أحمد بو حلقة .

★ الرمضان ، ولهم بعض الأقارب في الكويت ، ومنهم المرحوم الشيخ أحمد رمضان ، وهو من تلامذة الشيخ موسى بو خمسين ، والشيخ أحمد بن راضي بن عبد الرضا بن عبد الله الرمضان . والشهيد الشاعر علي رمضان (استشهد في ١٣٧٠ هـ) ، والشاعر المعاصر الاستاذ محمد حسين الرمضان وأخوه الحاج جواد الرمضان .

★ الأمير ، ومنهم الخطيب الشاب الشيخ عادل بن علي بن محمد الأمير .
وللعائلة أقارب يقطنون في الكويت .

★ القطان ، ومنهم المرحوم علي بن طاهر القطان ، وهو شخصية إشتهرت بتأسيس الماتم الحسينية ، وللعائلة أقارب في الكويت .

★ آل بو علي ، ومنهم المرحوم الشيخ أحمد بن إبراهيم بو علي ، والشيخ توفيق بن ناصر بو علي .

★ البقشي ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد البقشي ، وهو من تلامذة الشيخ موسى بو خمسين ، والشيخ محمد أمين بن علي بن حسن البقشي ، والشيخ مجید بن عبد الله بن عبد الوهاب البقشي .

★ الخرس ، ومنهم المرحوم الشيخ إبراهيم الخرس ، والشيخ أحمد الخرس ، والشيخ عبد الأمير بن علي بن محمد بن شيخ إبراهيم الخرس .

★ الشبيث ، ومنهم الشيخ علي بن يوسف الشبيث ، وإبنه الشيخ حسين الشبيث .

★ السادة (آل صالح) : منهم عمدة الفوارس السيد حسين الصالح .
★ الوصيعي ، ومنهم المرحوم الشيخ عبد الله الوصيعي .

★ الهلال ، ومنهم الشيخ حسين الهلال ، وقد سكن بعض أفراد العائلة في الزبير ثم إنقلوا إلى النجف الأشرف ، ومن هؤلاء : الخطيب المرحوم الشيخ عبد الحميد الهلالي ، وإبنته الشيخ جعفر الهلالي ، وأخوه المرحوم الشيخ باقر

الهلالي ، وغيرهم .

★ الطويل ، ومنهم المرحوم الشيخ أحمد الطويل والشاعر الشعبي المعاصي عبدالله الطويل .

★ الغريري ، ومنهم الشيخ عبد الوهاب الغريري ، والمرحوم الشيخ سلمان الغريري ، والأخير يعد من تلامذة الشيخ موسى بوخمسين .

★ السادة (الحداد) ، ومنهم عمدة الفريق الشمالي ، السيد جواد سيد كاظم آل حداد .

★ بomerه ، ومنهم المرحوم الشيخ عبد الله بو مرره .

★ آل حمد ، ومنهم الشيخ حبيب أحمد آل حمد .

★ آل سليمان الناصر ، ومنهم آل بو خضر ، ومن هؤلاء المرحوم الشيخ ناصر بو خضر ، والشيخ حبيب بو خضر ، والشيخ يوسف بو خضر .

★ العوض ، ومنهم الخطيب أحمد العوض .

★ ومن العوائل ، آل إبراهيم ، المعيلي (ومنهم الشيخ عادل المعيلي) ، آل حمادة ، آل معروف ، آل عبد السلام ، الغدير (ومنهم الخطيب الأستاذ عبد الله الغدير) ، المبارك ، الحليلي ، الجاسم ، التمار ، القصبي ، السليمان (ومنهم الشيخ سلمان السليمان) ، الحمضة (ومنهم الشيخ محمد الحمضة) ، الحداد ، البو ناصر ، آل سعد ، العبد النبي ، محمد صالح ، الغراش ، العبد الرضا ، العبد الباقي ، الحسن ، العمر ، العمران ، الحميدي ، آل بن سليمان ، الشبعان ، الغانم ، آل ابن الشيخ .

★ ومن عوائل الهفوف : السادة (آل السويق) ، ومنهم المرحوم الوجيه السيد علي السويق ، وللعائلة فرع في البصرة يحمل نفس الإسم . وعائلة الحرز التي يربز منها المرحوم الشيخ محمد الحرز ، وعائلة الوايل التي ينتمي إليها المرحوم الشيخ عبد الله الوايل ، والمرحوم الشيخ أحمد بن حسن الوايل .

★ ومن بين عوائل الهفوف ، عائلة الهاجري ، ومنها المجتهد آية الله الشيخ محمد الهاجري ، وعائلة آل خليفة ، التي ينتمي إليها المرحوم الشيخ أحمد بن حسين آل خليفة . وعائلة المينا ، التي ينتمي إليها الشيخ علي المينا . وعائلة البغلي ، ومنها نبغ المرحوم الشيخ أحمد بن محمد الأحمد البغلي ، وأخوه الشيخ حسن ، والشاعر الشيخ محمد بن علي امليخان البغلي . وعائلة القرقوش ، ومنها الشيخ عبد الرؤوف القرقوش . وعائلة بن دهنين ، التي ينتمي إليها الخطيب الشيخ علي بن دهنين . وعائلة الصحاف وينتمي إليها الشيخ أحمد بن الشيخ علي الصحاف المتوفى سنة ١٣١٩ هـ ، وأخوه الشاعر المرحوم كاظم الصحاف ، والمرحوم الشيخ حسين الصحاف والمرحوم الشيخ علي

الصحف .

□ المبرز : وهي المدينة الثانية في الإقليم الأحسائي ، ويبلغ عدد الشيعة فيها نحو ٥٥ % من سكانها ، ويقطنون الأحياء التالية : الشعيبة القديمة ، الشعيبة الجديدة ، السياسب ، الماجبل (المقابل) ، العيوني ، العتبان ، النزهة ، اليحيى ، الخرس ، الراشدية ، محاسن ، الحمادية ، القوع (قوع العتبان) . ومن العوائل الشيعية فيها :

★ السادة ، ومن بينهم عوائل (العلي ، الهاشم ، الصالح ، اليوسف ، المحسن ، الأحمد ، السلمان والحسن) .. ومن السادة المرحوم السيد هاشم السلمان ، والمرحوم آية الله السيد ناصر السلمان ، والمرحوم السيد حسين السلمان ، والمرحوم السيد محمد السيد حسين السلمان ، وسماحة السيد علي السيد ناصر - الشخصية الدينية المشهورة في الدمام - وابنته السيد هادي ، والسيد محمد الناصر ، وإبنته السيد عدنان والسيد محمد علي بن السيد ناصر السلمان .

★ الجبران .. ويرجح أنهم من قبيلة بني هاجر ، وكان سكناً لهم في قرية البطالية ثم نزحوا إلى المبرز .. وعائلة الجبران عائلة علمية ظهر من بينها العديد من العلماء ، منهم المرحوم الشيخ محمد الجبران ، والمرحوم الشيخ محمد علي الجبران ، والمرحوم الشيخ علي الجبران ، والشيخ الأستاذ صادق الجبران .

★ ومن عوائل المبرز : آل ماجد ، وهم قسمان شيعة وسنة ينتمون إلى قبيلة عنزة ، وينتمي إليهم الشيخ علي آل ماجد .

★ الخليفة ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد الخليفة ، والمرحوم الشيخ عبد المحسن الخليفة ، والشيخ حسين الخليفة ، والشيخ صادق الخليفة ، والمرحوم الشيخ عبد الله الخليفة ، والشيخ أحمد الخليفة ، والشيخ جواد الخليفة ، والشيخ صادق الخليفة .

★ البشر ، ومنهم عمدة الشعيبة (في المبرز) أحمد آل بشر ، والمرحوم عيسى البشر ، الذي أمر الملك فيصل بإعتقاله بعد أن تجرأ في حضرة الملك في المطالبة بحقوق الطائفة الشيعية .

★ ومن عوائل المبرز الشيعية ، البحرياني ، والكويتي ، والقطيفي ، والمهنا ، والناصر ، وأل شمس (شيعة وسنة ينتمون إلى قبيلة سبيع) ، وعائلة الملا (شيعة وسنة) ، والبو صالح ، والحداد ، والمرهون ، والاسماعيل ، والبراهيم ، والعلوان (شيعة وسنة) ، وعائلة العمران (شيعة وسنة من عنزة) ، والبو خضر ، الحميد (شيعة وسنة) ، والخميس (ينتمي إلى هذه العائلة المرحوم الشيخ أحمد بن حبيب بن خميس - ت ١٢١١هـ) ، وهو من

تلامذة المرحوم السيد هاشم السيد سلمان) ، والغشام ، والمجد ، والذين والحمدود ، وعائلتي المبارك والعيسى (شيعة وسنة) ، وعائلة العليوي ، والعوضر (شيعة وسنة) ، والعويض ، الحواج ، النجيدي ، الصايغ ، الوايل ، النمر ، الدجاني ، النجار ، التمار ، الوصيبيعي ، آل ثاني (شيعة وسنة) ، آل بن سعد .

وفيمما يلي قرى الأحساء التي تسكنها أكثريّة شيعية :

□ الجبيل : وهي قرية تقع شرقي المفوف ، قال الشيخ آل عبد القادر عن سكانها : (وأهلها شيعة فلاحون) ^(١١) .. ومن عوائلها : السادة (آل حسين ، آل هاشم ، آل حسن ، آل بن محسن) .. آل الشايب (ومنهم الاستاذ المهندس عبد الله عبد المحسن الشايب) ، آل عبد الرضا ، آل بن نصر ، آل عيسى ، آل عبد الله ، آل حيا ، آل عبد ، آل مثن .

ومن شخصيات القرية : السيد ابراهيم السلمان ، وقد كانشيخ البلدة وعمتها . والمرحوم الشيخ عبد الكريم المتن ، وهو شاعر معروف . والشيخ عبد الرحيم المتن .

□ الشهارين : وتقع شرقي الفضول ، وكل سكانها من الشيعة ، قال صاحب التحفة عن ذلك بعبارته المعتادة : « قرية الشهارين يمر بها نهر من عين برابر .. سكانها شيعة فلاحون » ^(١٢) .

ومن بين سكنتها العوائل التالية : آل بدبو ، آل صقر ، آل عباد ، آل حسين ، العقيلي ، الدالوي ^(١٣) .

□ البطالية : وتُنَسِّب إلى مالك بن بطّال ، أحد رجال الدولة العيونية التي حكمت المنطقة ، وقد مدحه ابن المقرب العيوني بقوله :
ومالك حين ندعوه فائي فتى حرب إذا ما التقى الرجاف فالتطما
والبطالية قرية قريبة من مدينة هجر التي كانت معروفة في العهد
الإسلامي - كما يقول علامة الجزيرة حمد الجاسر - والذي زارها عام ١٤٥٨هـ
قرر أنها قائمة على أنقاض مدينة الأحساء التي اتخذها (القرامطة) منطلقاً
لهم ، وأنها كانت تتكون من أحياط أربعة ، وقال أنها تروى من عيني (الحازة
والجوهرية) .

وشاهد الجاسر مساحة واسعة يطلق عليها الناس (قصر قرييط) .. وكانت هناك آثار أخرى مثل (المسجد الجامع) الذي يسميه الأهالي (مسجد قرييط) ، وكذلك آثار الحمام الذي قتل فيه آخر رؤساء القرامطة . غير أن هذه الآثار زالت وأنشئت على أنقاضها أبنية حديثة ^(١٤) .

قال لوريمير عن سكان البطالية في مطلع القرن العشرين ، أن فيها

منزلًا ، وأن سكانها من الشيعة .. وقال آل عبد القادر « وجميع أهلها شيعة فلاحون » ^(٢٠) .

ومن العوائل التي تسكنها : المسبيح ، التي ينتمي إليها الشيخ علي المسبيح . وعائلة المسلم التي ينتمي إليها الشيخ عبد الله ناصر المسلم الذي استشهد في سجون صدام سنة ١٩٨٨ م ، وقد رفضت الحكومة السعودية التدخل لإنقاذه . وهناك عائلة الشيخ وعائلة العبد الرضا ، والكربي ، والحجبي ، والمسلمي ، وأل رنق ، وأل عمار الذين يننسب إليهم الشيخ باقر آل عمار .

□ المطيرفي : وجميع أهلها من الشيعة ، وتكثر في القرية الينابيع الحارة والنخيل والزروع ، ويسكنها آل خويتم (من الزعب) ، وقد كانوا زعماء البلدة فيما مضى . كما يسكنها عائلة البندر ، والعبيدون ، والبخيتان التي يننسب إليها عمدة البلدة في الوقت الحالي .

ومن عوائلها آل حجي ، والساسة (آل علي) ، الجزييري . وقد برز من هذه البلدة آية الله المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المتوفي ١٢٤١ هـ . ويعود من أبرز علماء الشيعة ، كما اشتهرت البلدة بأن عمدتها كان من أقوى عُمَد المنطقة .

وكان العديد من بني خالد قد انتقلوا إليها فيما مضى من السنين وتشيّعوا ^(٢١) .

□ بني معن : وهي قرية تقع شرق الهفوف ، وكل سكانها من الشيعة .. ويسكنها من العوائل : آل عطيّة (منهم الشيخ محمد العطيّة) ، وأل خميس (قبل أنهم من سبيع) ، وأل بو قرين (ومنهم الوجيه عبد الله آل علي بو قرين) ، والساسة ، والشقاقيق ومنهم الشيخ يوسف الشقاق الذي يعدّ أحد أهم شخصيات البلدة ، والعمدة عبد الله الشقاق ^(٢٢) .

□ الدالوة : وجميع سكانها من الشيعة . ومن عائلاتها : السادة (آل ناصر ، وأل هاشم) ، وأل تريكي ، المطاوعة (وينسب إليهم الشيخ حبيب المطاوعة) ^(٢٣) .

□ القارة : وكل سكانها من الشيعة .. ومن عوائلها : السادة (آل محسن وأل الشخص والسلمان) ، وأل الشخص عائلة علمية نبغ منها المرحوم آية الله السيد باقر الشخص ، وأبنه السيد عبد الرضا الشخص ، وابنه الدكتور السيد عدنان الشخص ، وأبنه السيد هاشم الشخص ، والشاعر الاستاذ محمد رضا بن السيد عبدالله الهاشم الشخص ، والخطيب المرحوم السيد محمد حسن الشخص ، والخطيب السيد هاشم بن السيد محمد الشخص .. ومن السادة المرحوم السيد باقر السيد خليفة الموسوي القاري ، المتوفى سنة

١٢٦ هـ . وهناك عائلة العيثان التي ينتسب اليها المرحوم الشيخ محمد العيثان ، والمرحوم الشيخ علي العيثان ، والمرحوم الشيخ حسن العيثان ، وعائلة العلي وينتمي إليهم الأديب الشاعر محمد العلي الذي شغل رئاسة تحرير جريدة اليوم ، والشاعر الاستاذ جلال العلي .

وتشتهر القراءة بجبلها المعروف بإسمها (جبل القراء) .

□ المخصوصة : وكل أهلها شيعة ، ومن عوائلها : السلمان ، العباد ، آل حبابي ، آل أوباري ، الفضلي (وينتمي إليهم العلامة المجتهد المرحوم الشيخ ميرزا محسن الفضلي ، وإبنه الدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي ، الذي شغل رئاسة قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة حتى عام ١٩٨٨) .

ومن عوائلها أيضاً : السلطان ، والعيسى (ومنهم الوجيه الحاج المرحوم عبد الحسين العيسى وابنه الشيخ توفيق العيسى) .

ومن علماء القرية : الخطيب حبيب الهذيب ، والخطيب علي بوراضي .
□ التيمية : وجميع سكانها من الشيعة ، وكانت بلدة علم وفضل .. قيل أنها كانت عامرة بالمجتهدين ، الذين بلغوا أربعين مجتهداً في آن واحد ، وذلك قبيل الاحتلال السعودي الأخير للمنطقة .. وأشارت روايات المؤرخين الرسميين الى أن مساجد هذه القرية وغيرها من القرى قد هدمت باعتبارها (كنائس !) .

قال المرحوم الشيخ فرج العمران فيها :

قدّسوا مدينة التيمية فهي من خيرة القرى الهرية
قدّسوا لكم الربوع اللواتي هي بالأمس مشرقات مضيّة ..
جمعت أربعين من علماء الذّين مفنّنوا المراقي العلية
ويسكن التيمية : آل بو عامر ، آل عبد الرزاق ، آل عباد وغيرهم . من
الشخصيات الدينية التي إشتهرت بها القرية : الشيخ إبراهيم بن حسن بن أبي
جمهور الشيباني الأحسائي ، وهو أحد كبار علماء الشيعة الإمامية في القرن
التاسع الهجري . وكذلك إبنه الشيخ علي ، وحفيده الشيخ محمد علي بن أبي
جمهور ، صاحب كتاب « غوايء اللآلئ » .

□ الطريبييل : جميع سكانها شيعة ، وهي من القرى التاريخية القديمة .. من
العوائل القاطنة بها : الهاجري ، آل بو شفيع (ومنهم الخطيب محمد بو
شفيع ، توفي عام ١٩٨٨ ، والمرحوم الشيخ شفيع بو شفيع) .

□ التويثير : جميع سكانها من الشيعة ، وسكان القرية كثيرون من القرى ،
خلط من أبناء القبائل التي تحضرت ، إضافة إلى السكان الأصليين .. ويسكن
القرية عدد من السادة (آل حاجي ، آل براقي ، آل بن محسن ، الحسن) ،

- ومن السادة السيد غالب السلمان . كما ويسكن القرية آل عبد الله ، والشقاق .
- القرن : جميع سكانها من الشيعة .. من عوائلها : الحسين ، ومنهم الشيخ حسين الحسين ، وعائلة السادة ، آل عطية ، آل جريدان .
- الحوطة : جميع سكانها من الشيعة ، منهم عائلة الشريط التي ينتمي إليها الشيخ علي الشريط .
- القررين : جميع أهلها من الشيعة . ومن عوائلها ، الجبران الذين ينتمي إليهم عمدة القرية أحمد الجبران . ومن عوائلها آل حسن الناصر ، آل بو علي ، والсадة . وقد نبغ من هذه القرية المرجع الديني حبيب بن الشيخ صالح بن قررين - توفي في عام ١٣٦٢ هـ ، والشيخ جمال الدين أحمد المحسني - توفي سنة ١٢٤٧ هـ .
- العقار : جميع سكانها من الشيعة ، كما قال الشيخ آل عبد القادر ، ولكن الأستاذ حمد الجاسر نقل خطأً عن كتاب (دليل الخليج) بأن جميع سكانها من السنة .
- الحليلة : تقع شمال شرق الهفوف ، كان للدائرة السنوية التركية فيها أراض مزروعة بالأرز ، وجميع سكانها من الشيعة . من عوائلها آل مبارك (وينتمي إليهم المرحوم الشيخ عبد الله المبارك) ، آل خميس ، آل سلطان ، البحرياني (ومنهم العمداء الحالي حسين طاهر البحرياني) ، آل بورقيبة ، آل كشي ، آل عباد ، الخضيري ، الحلبي ، الحلبي .
- غمسي : جميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، الراشد (منهم الخطيب حجي الراشد) .
- المزاوي : جميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، آل نصير .
- المركز : جميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، آل حسين ، آل ناصر ، السلمان ، السادة (آل هاشم) ، الجسم (ومنهم الشيخ علي الجسم) .
- السياسية : جميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، الراشد ، العليوي .
- بني نحو : قرب الهفوف ، جميع أهلها من الشيعة .
- أبو ثور : قرية جميع سكانها من الشيعة .
- الرميلة : جميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، الناصر ، الشقاقيف ، الراشد ، آل صالح ، السادة (السلمان) ، اللويسي (ومنهم المرحوم الشيخ عبد المحسن اللويسي ، وقد هاجر إلى إيران ودفن في مدينة « سير جان ») .
- الساباط : من قرى الهفوف ، وجميع سكانها من الشيعة . ومن عوائلها ، آل محسن ، آل حسن ، آل بطى ، البحرياني (ومنهم العمداء الحاج علي

البحرياني) .

□ العمران الشمالية : تقع في شمال شرقى الهاوف ، وجميع سكانها من الشيعة . من عوائلها ، آل علي (منهم المرحوم الشيخ عمران آل علي ، وإبنه المرحوم الشيخ معتوق ، والمرحوم العدة الحاج محسن العيسى العلي ، وإبنه عبد الهادي - وهو عمدة البلدة حالياً) ، آل السليم ، النجيدي .

□ العمران الجنوبية : وتقع شمال شرقى الهاوف . ومن عوائلها ، السادة ، الشايب (منهم المرحوم الشيخ حسين الشايب ، والمرحوم الخطيب طاهر الشايب) .

□ الشعبة : يقع الى جانبها جبل كنزان الذى وقعت بالقرب منه موقعة كنزان بين الملك عبد العزيز والعجمان .. معظم سكان القرية من الشيعة .. ومن العوائل التي تسكنها : الحليمي (ينتسب إليهم المرحوم الشيخ محمد الحليمي ، والشيخ حسين الحليمي ، والملا إبراهيم الحليمي) ، الخميس (ينتسب إليهم الشيخ موسى الخميس) .

□ المنizلة : وتسكنها أكثريّة شيعية ، ومن عوائلها ، آل حسين ، آل ناصر ، المسلمين .

□ الفضول : قرية تسكنها أكثريّة شيعية ، ومن عوائلها : المطر (ينتسب إليهم الخطيب المرحوم محمد صالح بن عبد الحسين المطر والمرحوم الشيخ كاظم بن مطر ، وابنه الخطيب جواد بن مطر ، وأخوه الخطيب الشاعر محمد صالح المطر) ، آل صويل ، آل كاظم .

وكانت قرية الفضول قد صارت مثلاً بعد أن (ذبح) الوهابيون معظم سكانها « ذبح النعاج » كما يقول المؤرخ الوهابي حسين بن غنام متداخراً في كتابه « روضة الأفكار والأفهام » .. وكانت المجزرة قد وقعت عام ١٢٠٣ هـ .

□ جليجة : يسكنها خليط من السنة (العجمان) والشيعة ، وقد تزايدت أعداد الشيعة حتى قدّروا بنصف سكان القرية . ومن عوائلها آل جعفري ، آل جعيدان ، الحسن .

□ الطرف : كانت الغالبية من سكانها من أهل السنة ، غير أن الكثير منهم رحلوا الى مناطق أخرى وخاصة الى المدن ، ونزع اليها عدد من العوائل الشيعية .. يقدر الشيعة فيها بالنصف تقريباً من مجموع السكان . ومن عوائل الطرف الشيعية : البدوي ، الأحمد ، الشملان ، آل شريدة (ومنهم الشيخ محمد شريدة) .

□ الجفر : يقدر عدد الشيعة فيها بنصف السكان ، ومن عوائلها ، العالم

(وينتسب إليها الشيخ المرحوم محمد العالم) ، آل جاسم ، آل أحمد .
□ الجشة : يسكنها خليط من الشيعة والسنة ، ومن عوائلها الشيعية ، آل بدر ، المليفي .

□ الصبایخ : وكل أهلها شيعة ، نبغ من القرية المرحوم الشيخ حسن الجزيري ، وإبنه المرحوم الشيخ عبد الحميد الجزيري .
□ وهناك عدة قرى يسكنها الشيعة مثل : أبو الرمل ، أبو الحصى ، الدويكية ، الصبایخ ، الشويكية ، السيدوية ، السويدر ، الضاحية ، العزامية ، الغلية ، الغرس ، واسط .

مراكز تواجد الشيعة في القطيف

□ القطيف : جميع سكانها من الشيعة ، ومن عوائلها :
★ أبو ذيب : (ينتمي إليهم المرحوم الشاعر الشيخ أحمد آل أبي ذيب القطيفي ، والشاعر الأديب المرحوم الشيخ عبد الحسين أبو ذيب ، وأخوه الأديب المرحوم والشاعر الكبير الشيخ يوسف أبو ذيب ، والمرحوم الشيخ ناصر بن محمد آل أبي ذيب القطيفي ، والمرحوم الشيخ عبد الرسول بن الملا حميد آل أبي ذيب القطيفي) .

★ البحارنة : وينتمي إليهم الوجيه المرحوم إبراهيم بن مكي البحارنة (ت ١٣٩٦ هـ) . وكان وكيلًا لعدد من مراجع الشيعة ، وفي مقدمتهم آية الله السيد محسن الحكيم) ، والمرحوم الشاعر يوشع بن حسين البحارنة ، والشاعر المعاصر مهدي عبد الرسول البحارنة .

★ البحر : من المياس ، ومن هذه العائلة الشاعر علي بن الحاج علي بن بحر .

★ الحجي : من هذه العائلة ، الخطيب المعاصر علي بن أحمد الحجي ، والفنان التشكيلي منير الحجي .

★ آل جمعة : من هذه العائلة ، الزعيم منصور بن جمعة البasha (توفي سنة ١٢٣٠ هـ) ، والزعيم عبد الحسين بن جمعة (استشهد على يد ابن سعود في ١٩١٥ م) ، والمرحوم الشيخ عبد علي بن منصور بن جمعة (توفي سنة ١٣٥٣ هـ) ، والشيخ عبد علي بن عبد الحسين بن جمعة .

★ أخوان : من هذه العائلة ، علي بن منصور بن أخوان (توفي ١٣٣٧ هـ) ، وابنه عبد الله بن علي بن منصور أخوان .

★ الجشي : وهي عائلة علمية وأدبية ، نبغ منها : المرحوم الأديب والشاعر عبد العزيز مهدي الجشي (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) ، والوجيه المرحوم محمد بن مسعود الجشي ، والمرحوم الأديب الشيخ علي بن الحاج حسن الجشي (ت ١٣٧٦ هـ ، وكان قاضياً للقطيف) ، والمرحوم الوجيه منصور بن محمد علي بن ناصر الجشي ، والمرحوم الأديب الشاعر محمد سعيد الجشي (ت ١٤١١ هـ) ، والمرحوم الشيخ باقر بن الحاج منصور الجشي ، والشاعر المعاصر الاستاذ عبد الرسول الجشي (وهو أحد أهم رواد الحركة الأدبية في القطيف ، كان رئيس تحرير مجلة الغري التي كانت تصدر في النجف الأشرف في العقد الخامس من هذا القرن الميلادي) . ومن هذه العائلة ، الحاج الخطيب عبد المهدى الجشي ، والاستاذ سامي الجشي ، والشاعرة المعاصرة نهاد سعيد الجشي .

★ المحروس : من الأسر الشهيرة في الكويكب بالقطيف ، ومن أعلام العائلة المشهورين : المرحوم العلامة الشيخ رضي إبراهيم المحروس (١٢٨١ هـ - ١٣٥٢ هـ) ، والمرحوم الشيخ حسن علي بن عيسى المحروس (ت ١٣٦٢ هـ) ، والشيخ المعاصر عباس المحروس ، والشاعر المعاصر وجدى محروس المحروس .

آل الخنizi (الخطّي) : منهم ، الإمام الشيخ علي ابو الحسن الخنizi ، والزعيم الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنizi ، والمرحوم الشيخ عبد الله الناصر الخنizi ، والمرحوم الشيخ محمد صالح الخنizi ، والمرحوم الاستاذ الشاعر عبد الواحد الخنizi (١٣٤٥ - ١٤٠١ هـ) ، والشهيد عبد الرؤوف الخنizi (ولد عام ١٩٣٠ ، واعتقل أثناء إضرابات ١٩٥٦ ، كما اعتقل مرة أخرى عام ١٩٦٤ ، وسجن لمدة سبع سنوات حتى توفي متاثراً بالتعذيب في السابع من جمادى الأولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) .

ومن المعاصرين : العلامة الأديب الشيخ عبد الحميد الخطّي - قاضي الشيعة في محكمة الأوقاف والمواريث بالقطيف - ، والأديب الكاتب الشيخ عبد الله الخنizi ، والشاعر الاستاذ محمد سعيد الخنizi ، والأديب الحاج حسن بن الشيخ علي ابو الحسن الخنizi ، والصحافي الشاعر غسان الخنizi .

★ السنان : وينتسب الى هذه العائلة ، الشيخ احمد بن الحاج عبد الله السنان (المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ) ، والوجيه الحاج علي بن صالح السنان ، والشهيد عبد الفتاح بن الحاج احمد السنان ، والوجيه المرحوم محمد علي بن سلمان آل سنان ، والأديب المعاصر عبد الرؤوف السنان .

★ آل حمار : ينتهي اليهم المرحوم الخطيب والشاعر إبراهيم بن الحاج

محمد بن حسين .

★ السويكت : من منطقة الدبابية في القطيف ، ينتمي الى هذه العائلة المرحوم الشيخ احمد بن مهدي السويكت ، والمرحوم الشيخ علي بن مكي السويكت (ت ١٣٥٢ هـ) .

★ الصفار : من هذه العائلة ، صاحب السماحة الشيخ حسن موسى الصفار ، أحد اهم الرموز الدينية والسياسية الشيعية في المملكة ، وهو خطيب وكاتب ، تزيد مؤلفاته على الثلاثين مؤلفاً ، كان آخرها : التعديلية والحرية في الإسلام . ومنها : الشيخ محمد موسى الصفار ، والفنان التشكيلي علي الصفار .

★ آل العلقم : منهم الشهيد حسين العلقم (استشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ) ، والوجيه المرحوم رضي بن عبد الله العلقم .

★ آل غريب : ومنهم الشهيدة فاطمة الغريب ، استشهدت في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ ، بينما أصابها رصاص الطائرات وهي في منزلها .

★ الجامد : من هذه العائلة الشهيد فيصل الجامد (استشهد في إنفاضة المحرم في المنطقة الشرقية ١٤٠٠ هـ) ، والدكتور ميزا الجامد .

★ المدفع : من هذه العائلة الشهيد الشيخ علي المدفع (استشهد عام ١٤٠٦ هـ) .

★ رمضان : من هذه العائلة ، المرحوم الشاعر علي رمضان (١٣١٤ هـ - ١٣٩٧ هـ) ، وهو صاحب المنظومة « ماضي القطيف وحاضرها » .

★ آل قيصوم : منهم الخطيب الشاعر علي بن حسن آل قيصوم .

★ الماحوزي : من هذه العائلة ، المرحوم الشيخ عبد علي بن محمد الماحوزي ، والشيخ حسين بن محمد الماحوزي (١٠٩٢ - ١١٨١ هـ) .

★ القطان (وينتمي الى آل القطان الشاعر الشهير احمد بن منصور بن علي القطان الذي كان معاصرأً للدولة العباسية) .

★ الشويكي : من هذه العائلة ، المرحوم الشيخ مرنوق بن محمد الشويكي (توفي سنة ١٢١٤ هـ) ، والشيخ محمد بن عبد الله الشويكي (توفي عام ١٢٥٤ هـ) ، والشيخ عبد الله الشويكي (توفي سنة ١٢٧٥ هـ) .

★ المقاibi : من هذه العائلة ، المرحوم الشيخ احمد بن الشيخ محمد المقاibi (توفي سنة ١١٠٢ هـ) ، والشيخ محمد بن يوسف المقاibi (توفي سنة ١١٢٥ هـ) ، والمرحوم الشيخ يوسف بن محمد المقاibi (توفي سنة ١١٠٢ هـ) .

★ المسلم : من هذه العائلة ، الاستاذ الكاتب والشاعر محمد سعيد المسلم ،

مؤلف كتاب : ساحل الذهب الأسود ، وله العديد من المؤلفات الأخرى . والشاعر المرحوم سليمان المسلم (توفي عام ١٣٦٠ هـ) ، والكاتب المعاصر عبد الواحد بن الحاج موسى المسلم .

★ الحاج : من السادة ، ومن هذه العائلة ، المرحوم الوجيه الخطيب السيد شرف بن السيد محمد الحاج (توفي سنة ١٣٦٦ هـ) .

★ العلويات : من هذه العائلة ، الشاعر المعاصر صالح حسن العلويات ، له ديوان مطبوع تحت إسم « مصابيح الظلام » .

★ البدر : من هذه العائلة ، المرحوم الشيخ عبد الله بن محمد البدر ، والعلامة المجاهد آية الله الشيخ حسن علي البدر (١٢٧٨ - ١٣٢٤ هـ) ، ونجله المرحوم الشيخ طاهر البدر (١٢٢٤ هـ - ١٣٧٧ هـ) ، ونجله الآخر الشيخ عبد اللطيف البدر (توفي سنة ١٣٣٨ هـ) .

★ المسحر : من السادة الموسويين ، قطنوا الكويكب ، منها الشاعر المعاصر السيد طاهر بن السيد ناصر المسحر .

★ الغانم : عائلة تولت زعامة الشيعة في القطيف في العهد الماضي ، منها ، الكاتب المعاصر راشد عبد الله الغانم .

★ الذهبية : تقطن هذه العائلة الكويكب ، منها الشاعر المرحوم الشيخ عبد الله بن أحمد الذهبية (ت - ١٢٧٧ هـ) .

★ الحكيم : من هذه العائلة ، المرحوم الشاعر الشيخ لطف الله بن يحيى الحكيم (ت ١٣٠٠ هـ) .

★ الإسکافي : تسكن هذه العائلة الدبابية ، منها المرحوم الشيخ علي بن حسن الإسکافي (ت - ١٣٢٠ هـ) .

★ آل رقية : من هذه العائلة ، المعاصر الشيخ أحمد بن عبد الحسين آل رقية .

★ آل خزام : من هذه العائلة ، الشاعر والكاتب المعاصر عباس مهدي آل خزام (له العديد من المؤلفات المطبوعة أبرزها : كيف ينظم الشعر) ، وإبنه الشاعر الشاب عادل خزام .

★ أبو عزيز : عائلة تسكن بباب الشمال ، منها المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز (ت - ١٢٠٠ هـ) وله العديد من المؤلفات المطبوعة ، من بينها : معراج النبي .

★ النهاش : من القلعة ، من هذه العائلة ، المرحوم العلامة الشيخ محمد علي بن الحاج علي النهاش (ت - ١٣٤١ هـ) .

★ السويدان : من هذه العائلة ، الكاتب والشاعر المعاصر مهدي السويدان .

★ **الخضرواي** : من السادة ، ومن هذه العائلة ، الكاتب السيد محمد بن السيد رضي الخضرواي .

★ **الحايك** : من هذه العائلة ، الكاتب المعاصر عباس أحمد إبراهيم الحايك .

★ **الدهان** : من هذه العائلة ، الشاعر المعاصر فوزي الدهان .

★ **المسعود** : من هذه العائلة ، الخطيب محمد المسعود .

★ **الطويل** : من هذه العائلة ، الخطيب المعاصر علي بن حسن الطويل .

★ **الزايير** : وينتمي الى هذه العائلة ، المرحوم الخطيب والوجيه راضي بن محمد جواد الزاير (١٤٠٣ - ١٢٢١ هـ) ، وأبوه الوجيه محمد جواد محمد الزاير (ت ١٣٤٣ هـ) ، والوجيه المرحوم عبد اللطيف محمد جواد الزاير .

★ **العصفوري** : من هذه العائلة ، الوجيه المرحوم حسن بن كاظم بن جاسم العصفوري (ت ١٣٤٩ هـ) .

★ **البيات** : من هذه العائلة ، المرحوم الشيخ حسن علي بن محمد البيات ، والعلامة المعاصر الشيخ منصور البيات ، وال حاج عبد الله البيات .

★ **الماجد** : وهم من السادة يسكنون في الدبابية في القطيف ، من أعلام هذه العائلة ، الوجيه المرحوم السيد احمد بن السيد ماجد الماجد ، والشاعر المعاصر السيد جعفر بن السيد احمد الماجد .

★ **الشماسي** : من هذه العائلة المرحوم الشهيد عبد المجيد الشماسي (ولد عام ١٩٢٥ ، واعتقل عام ١٩٦٩ ، وتعرض للتعذيب الشديد حيث قُلعت أظافره وكسرت فكه ، وهشم عموده الفقري ، وبقي ثلاثة أيام ينزف دماً حتى توفي في الحادي والعشرين من ربيع الثاني ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) .. ومن آل الشماسي الأديب الشاعر محمد رضا الشماسي .

★ **آل الغريافي** : منهم الكاتب المعاصر الاستاذ احمد الغريافي .

★ **آل البريكي** : ومن هذه العائلة : المرحوم الشيخ محمد صالح البريكي (١٢١٤ - ١٣٧٤ هـ) ، والمرحوم الخطيب الشهير الشيخ ميرزا حسين البريكي (١٢٢٦ - ١٣٩٨ هـ) ، والأديب المعاصر الشاعر محمد سعيد بن الشيخ ميرزا البريكي ، والدكتور الشاعر حسن بن محمد صالح البريكي .

★ **العوئي** : وهي عائلة مشهورة نزحت من البحرين في ظروف قاهرة اواخر القرن الثاني عشر الهجري .. منها : المرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ علي العوئي ، والمرحوم الشيخ علي العوئي ، والشاعر المعاصر الحاج احمد بن عبد الله العوئي ، صاحب ديوان (محرك الأشجان في رثاء أمناء الرحمن) .

★ **الخميس** : ومن أعلام هذه الأسرة ، المرحوم الشاعر الشيخ محسن بن علي بن سلمان آل الخميس (ت ١٣٣٥ هـ) .

★ العمران : وينتمي إلى هذه العائلة الكثير من العلماء والأدباء ، ذكر أغلبهم المرحوم العلامة الشيخ فرج العمران في كتابه : (تحفة أهل الإيمان في تراجم آل عمران) . ومنهم : الشيخ محمد آل عمران (المتوفى سنة ١٤٢٣ هـ) ، والشيخ عبد الله بن فرج آل عمران (المتوفى سنة ١٤٢٤ هـ) ، والمرحوم العلامة الشيخ فرج العمران (المتوفى سنة ١٤٩٨ هـ) ، وإبنه العلامة الشيخ حسين فرج العمران ، والشهيد الشاعر حسن بن الشيخ فرج العمران (إعتقد في التاسع والعشرين من ربيع الأول ١٤٩٠ هـ ، وأخبرت المباحث أهله بوفاته في الأول من ذي القعدة ١٤٩٢ هـ) . ومن هذه العائلة المرحوم الشاعر محمد بن الشيخ فرج العمران .

★ الغرّاش : وينتمي إلى هذه العائلة الشيخ إبراهيم بن عبد الله الغرّاش .
★ آل نصر الله : وينتمي إليهم ، الزعيم الشيخ أحمد مهدي نصر الله (المتوفى سنة ١٤٣٦ هـ) ، والوجيه المعاصر الحاج منصور بن الحاج حسن بن نصر الله ، والأديب الصحافي الاستاذ محمد رضا بن الحاج منصور نصر الله (وهو من أبرز النقاد في المملكة السعودية وتسلّم لفترة رئاسة تحرير صحيفة الرياض الأسبوعي) . والصحافي الشاعر فؤاد نصر الله .

★ المصطفى : ينتمي إلى هذه الأسرة ، المرحوم الحاج علي المصطفى (ت ١٤٢١ هـ) ، والمرحوم الشاعر الحاج احمد بن محمد بن علي المصطفى (وهو من أعلام الأدب والشعر في القطيف) ، والشيخ المعاصر حسين بن علي المصطفى ، والشاعر والرسام التشكيلي علي عبد الكريم المصطفى .

★ آل الخباز : وهم سادة ، وينتمي إليهم المرحوم السيد احمد بن السيد علوى الخباز (ت ١٤٩٦ هـ) ، والمرحوم السيد علوى بن السيد محفوظ الخباز (ت ١٤٣٧ هـ) ، والمرحوم السيد شير بن السيد محفوظ الخباز (كان عمدة قرية المدارس في القطيف ، كما كان موضع ثقة العلماء في بلده القطيف) ، ومنهم الخطيب المعاصر والشاعر السيد منير بن السيد عدنان الخباز .

★ الخباز ، وهم ليسوا سادة ، ومن هذه العائلة المرحوم الخطيب حيدر بن الخطيب عبد الله الخباز (ت ١٤٨٨ هـ) ، والمرحوم الشاعر والخطيب عبد الله الخباز (ت ١٤٦٢ هـ) ، والشهيد إبراهيم رضي الخباز (استشهد في إنقاضة المحرم ١٤٠٠ هـ) .

★ آل عبد الجبار : وهي من الأسر المشهورة بالعلم والأدب ، ينتمي إليها المرحوم الشيخ محمد حسين آل عبد الجبار ، والعلامة المرحوم الشيخ علي بن احمد آل عبد الجبار (ت ١٤٨٧ هـ) ، وأخوه العلامة المرحوم الشيخ سليمان آل عبد الجبار (ت ١٤٦٦ هـ) ، والمرحوم الشيخ سليمان بن الشيخ سليمان

آل عبد الجبار ، ومن أبرز من نبغ من هذه العائلة : الشیخ محمد بن عبد علی آل عبد الجبار ، كان من فقهاء الشیعة ، وله العدید من المؤلفات . ومن آل عبد الجبار الشهید عبد الواحد احمد حسن آل عبد الجبار (ولد في القطیف عام ١٩٣٦ ، واعتقل في الرابع من حزیران يونيو ١٩٧٠ ، وبعد أحد عشر يوماً توفي تحت التعذیب) .

★ السادة : ومن هذه العائلة ، الشهید السيد باسم السید حسن السادة ، إستشهد في إنقاضة المحرم في المنطقة الشرقية عام ١٤٠٠ هـ .

★ المدن : من سکنة منطقة الدبابیة ، منهم الخطیب المعاصر باقر بن الخطیب عبد الكریم المدن .

★ المیلغي : وهم من السادة ، ينتمی الى هذه العائلة المرحوم السيد باقر بن السيد حمید المیلغي .

★ العبد العال : وينتمی الى هذه العائلة ، الخطیب المرحوم الشیخ عیسی بن علی بن عبد العال (ت - ١٣٥٦ هـ) ، والخطیب المعاصر علی بن الشیخ عیسی بن عبد العال .

★ آل العوامی : ومنهم ، المرحوم آیة الله السيد ماجد العوامی ، والمرحوم السید هاشم السید علی العوامی ، والمرحوم السید حسین العوامی ، والمرحوم السید علی العوامی ، والمرحوم السید محفوظ العوامی ، ومنهم الكاتب المعاصر السيد باقر العوامی ، والوجیہ والکاتب الأدیب السيد حسن العوامی ، والأدیب السید علی العوامی ، والشاعر المعاصر السيد عدنان العوامی .

★ آل شعبان : وينتمی اليهم المرحوم الشاعر الشیخ حبیب آل شعبان (ت - ١٣١٠ هـ) .

★ الجامع : وتسکن هذه العائلة في القلعة ، وينتمی اليها ، المرحوم الشاعر حسن بن عبد الله بن عبد الصمد الجامع ، والشاعر المعاصر الاستاذ حسین بن حاج حسن الجامع .

★ ابو جعید : من هذه العائلة ، الشیخ محمد بن سلمان آل أبي جعید .

★ الشیوخ : ومن هذه العائلة الشیخ وصفی الشیوخ .

★ المهدی : من هذه العائلة ، الشاعر المرحوم عبد الوهاب حسن المهدی (١٣٥٨ - ١٤٠٦ هـ) ، والفنان التشكیلی عبد الله المهدی .

★ الفارس : من هذه العائلة ، الوجیہ المرحوم علی بن حسن بن فارس (توفي في عام ١٣٤١ هـ) ، وكان قد تولی منصب وكیل المائیة في القطیف . ومن هذه العائلة المرحوم الشیخ علی بن عبد الله بن فارس ، والاستاذ المعاصر المھتم بجمع الآثار محمد بن فارس الذي كان عمدة القطیف سابقاً .

★ الدار : ومن هذه العائلة الخطيب الشيخ عبدالله الدار .

★ الميلاد : ومن هذه العائلة الكاتب زكي الميلاد .

★ الموسى : ومن هذه العائلة الشيخ محمد الموسى .

★ ومن عوائل القطيف الأخرى : القفاص ، القلاف ، المبارك ، المحاسنة ، المحسن ، المحفوظ ، العيد ، العبادي ، الضيف ، الصحاف ، الصبيخي ، شروفنا ، المشد ، سلطان ، الربيع ، الربج ، رضي ، دعبل ، حيدر ، حميدة ، الحمود ، حمزة ، الحمام ، الحمالي ، البستاني ، الجسم ، الثنائي ، البرمكي ، المزين ، المشكاب ، الأخضر ، الأسماعيل ، الأسود ، الأصمعن ، الأصيل ، أمان ، البحرياني ، بربوز ، البنون ، البشراوي ، البطي ، البناي ، التاروتني ، تاريخ ، تحية ، تنبل ، الجارودي ، الحامد ، الجبيلي ، الجراش ، الجساس ، الجصاص ، العضر ، الخضر ، أبو شومي ، أبو صعب ، خلف ، خليت ، خلية ، الخميري ، خواهر ، الخياط ، خويطر ، الخويلي ، الدبيسي ، الدشيشي ، الدهنيم ، زكرياء ، السعيد ، المطلق ، المعروف ، المغاسلة ، مغيسن ، الناس ، الناصر ، المجهوج ، الهزيم ، الهلال ، الهنقامة ، الهواشم ، البتيم ، اليوسف ، الهاشم ، الناجي ، المعتوق ، مطر ، المطاوية ، مسيح ، المزفوق ، المرار ، المحرق ، المختار ، المخال ، المحميد ، المحسن ، المحمد ، القفشت ، العيسى ، سهوان ، السيف ، السيهاتي ، الشاخوري ، شباط ، الشنخنخ ، شهاب ، الشعلاوي ، الصادق ، الصايغ ، صباح ، الصباغ ، الصحاف ، الضامن ، الإبراهيم ، أبو تاكى ، أبو شاهين ، الضو ، الطاق ، طلاق ، الطحان ، عاشور ، العباس ، العسيف ، العلوان ، العلوى ، العليات ، العلي ، العيد ، الغراب ، الغمام ، الفردان ، القديحي ، القصاب .

□ سيهات : وهي من أهم المدن في المنطقة ، وقد شغل الكثير من قياداتها بالحرب والسياسة وتحالفاتها ، ولأهل سيهات وقفات مشهودة تذكرها كتب التاريخ في مقاومة الغزاة .. وتعرّضت المدينة لشتي صنوف المخاطر ، وقام الغزاة بالانتقام من أهلها مراراً بإقامة المجازد لهم ، خاصة في الدولة السعودية الأولى والثانية .

جميع سكان سيهات من الشيعة ، وأكثر عوائلها من أصول قبلية ، خاصة من الخوالد والعجمان والهواجر وسبيع .. وقد نلحظ هذا من خلال تعداد أسماء العوائل القاطنة بها اليوم .

من عوائلها : المطرود ، ومن هذه العائلة الحاج الوجيه عبد الله المطرود .
المطوع : ومنهم الوجيه المرحوم عبد الله بن حسين المطوع المتوفى سنة

١٤٠٩ هـ ، وإبنته الوجيه عبد الحميد المطروح .

النصر : من شخصيات هذه العائلة ، المرحوم الحاج حسين بن نصر - عمدة سيهات - ، والمرحوم الشاعر عبد المحسن بن نصر (له ديوان مطبوع في جزئين : لوحة الحزين ، ولد في ١٣٣٦ هـ ، وتوفي ١٤١١ هـ) ، وإبنته الشاعر باقر النصر .

الخميس : من هذه العائلة ، الخطيب المعاصر والشاعر احمد بن منصور الخميس .

الشيخ (آل أبي المكارم) : ومنهم الشيخ مجید الشيخ علي الشيخ جعفر .

آل جظر : ومنهم المعاصر الشيخ جواد جظر ، وأخوه الشيخ حسين جظر .

الذاؤود : وينتمي الى هذه العائلة الشيخ جعفر يوسف الذاؤود .

آل قريش : ومنهم الشيخ الأستاذ حسين رمضان القرishi .

آل الزواد : ومنهم الشيخ علي الزواد والشيخ عبد المحسن الزواد ، والشيخ ناجي الزواد .

آل الدبيس : ومنهم الخطيب الشيخ حبيب الدبيس .

العباس : ومنهم الخطيب الشيخ عبد الحميد العباس .

آل الزاكي : ومنهم الشيخ عبد الجليل الزاكي .

آل المسكين : ومنهم الشيخ محمد المسكين .

آل مدلوج : ومنهم الشيخ محمد المدلوج ، والشيخ سعيد المدلوج .

الراشد : وينتمي الى هذه العائلة ، الأستاذ الخطيب أحمد الراشد .

آل المعلم : وينتمي اليهم الوجيه الحاج محمد المعلم ، وأخوه المرحوم عبد الوهاب المعلم (ت - ١٤١٠ هـ) ، والوجيه الحاج منصور بن صالح المعلم (ت ١٢٨٩ هـ) ، والرسام التشكيلي المعاصر كمال المعلم .

السالم : وينتمي الى هذه العائلة ، المرحوم الخطيب والشاعر علي السالم ، له ديوان مطبوع .

السلم : واليها ينتمي الشيخ عبد الله المسلم .

الحمدود : يننسب إلى هذه العائلة ، الخطيب والشاعر المعاصر عبد الكريم بن الحاج محمد حسين الحمود ، وال الحاج الوجيه جعفر الحمود .

الصيود : وينسب اليها الخطيب الشيخ علي هلال الصيود ، والكاتبة المعاصرة معصومة الصيود .

القلاف : وينسب اليها الشهيد حسن منصور القلاف ، إستشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ ، وكان أول شهيد يسقط في الإنفاضة ، كما وينتمي الى هذه العائلة ، الكاتبة المعاصرة فاطمة علي يوسف القلاف .

آل السبع : ومنهم الشاعر المعاصر حسن السبع ، والذي يشغل حالياً منصب المسؤول الثقافي في جريدة اليوم .

الشافعي : ينتمي الى هذه الأسرة منصور بن احمد الشافعي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ، والكاتب المعاصر عبد الحميد عبد الله الشافعي .

آل الصليل : ومنهم الأستاذ الكاتب عيسى الصليل .

الشويخات : ينتمي الى هذه الأسرة الأديب الدكتور احمد شويخات ، والكاتب القصصي المعاصر الأستاذ حسن مبارك شويخات .

الهويدى : اسرة ينتمي اليها الفنان الكبير الأستاذ علي هويدى الحائز على الجائزة الأولى في معرض المملكة سنة ١٣٩٨هـ .

★ الشمر : ومن هذه العائلة ، الكاتب المعاصر الأستاذ احمد الشمر .

آل ابراهيم : ينتمي اليهم الشاعر عبد النبي جعفر آل ابراهيم صاحب ديوان (وهي الشعور) ، واخوه الشاعر علي جعفر آل ابراهيم .

ومن عوائل سيهات الأخرى : الهزاع ، الناصر ، الهدل ، المزعل ، المزوق ، المتروك ، المبارك ، المحفوظ ، المشامع ، المنيان ، المحسن ، الكبيش ، الفضل ، الغانم ، السلهام ، السكري ، الرشود ، الريغان ، السبيعى ، الرميح ، السواد ، السيهاتي ، سليس ، الداود ، الخريدة ، الباشا ، الدرويش ، الخميري ، البيات ، جراد ، الجفال ، الحال ، الحكيم ، الحميدي ، الخرداوي ، البوري ، المرهون ، المشهد ، اليامي ، نصر الله ، المؤمن ، المدن ، المرشود ، المعلم ، السادة ، البشير ، البشراوي ، التركي ، الحماد ، الحمد ، خليفة ، الخواهر ، السدرة ، السعدون ، شاخور ، الشافعي ، الشهاب ، شومان ، شيبان ، الصياحى ، الضاحى ، العرب ، العradi ، العواد ، العيد ، العيسى ، القراش ، المحيف ، مساعد ، المسبح ، المسجن ، المشرف ، المطر ، المويس ، المعtopic ، الهمل ، الأمان ، برهان ، إخوان ، الجعصي ، الزبيدي ، الهاشم ... وغيرهم .

□ صفوى : وهي مدينة تاريخية قديمة ، ويقع الى جانبها قلع (جاوان) الغني بآثار الحضارات البائدة .. وتقع المدينة شمالي القطيف ، وبينها وبين ميناء رأس تنورة - المرفأ النفطي المعروف - كيلو متراً معدودة .

جميع سكان المدينة من الشيعة ، وكان يعيش في أطرافها بعض البدو الذين تحضروا ، ثم ما لبث أن رحل معظمهم عنها .

وعوائل المدينة خليط من ذوي الأصول القبلية المعروفة ، ومن حفدة القبائل القديمة التي سكنت المنطقة قبل الإسلام .. من هذه العوائل :

السادة ، وينتمي الى هذه العائلة ، الخطيب الشهير المرحوم السيد هاشم

السيد شرف الحسن (المير) ، وأخوه الوجيه المرحوم السيد حسين السيد شرف ، والخطيب الكاتب السيد جعفر السيد هاشم السيد شرف ، وأخوه الخطيب السيد عبد المطلب السيد هاشم الشرف . وعمدة صفوى السابق السيد هاشم الشرفا ، والدكتور عدنان جعفر الحسن ، والكاتب الصحافى حمزه الحسن ، والخطيب السيد عبد الكامل السيد عبد المطلب الحسن . والخطيب السيد عمران السيد شرف أسعد ، والخطيب السيد محمد بن السيد على آل إدريس ، والسيد هاشم السيد أحمد علوى ، والخطيب المرحوم السيد هاشم السيد طاهر ، والسيد زهير عبد العظيم السادة ، والخطيب الشاعر السيد علي شرف أسعد .

الابراهيم : (شمريون من العارض) ، وينتمي الى هذه العائلة : الاستاذ الكاتب فؤاد على آل إبراهيم ، والاستاذ الأديب المعروف المرحوم سلمان بن صالح آل إبراهيم (الصفواني) ، والشيخ صالح محمد أحمد آل إبراهيم ، والدكتور عبد الله على آل إبراهيم ، والدكتور عبد المحسن علي عبد الله آل إبراهيم ، والدكتور محمد حسين صالح آل إبراهيم ، والدكتور باسم أحمد علي عبد الله آل إبراهيم . كما وينتمي الى هذه العائلة الوجيه المرحوم صالح بن أحمد آل إبراهيم ، وإبنه الوجيه المرحوم حسين بن صالح آل إبراهيم ، والشهيد حسن علي كريم آل إبراهيم - إشتشهد في إنتفاضة محرم ١٤٠٠ هـ - ، والخطيب الشيخ صالح محمد صالح آل إبراهيم ، والمرحوم الخطيب الحاج علي بن عبد الله آل إبراهيم ، والوجيه محمد أحمد آل إبراهيم .

آل صادق : ينتمون الى قبيلة عبد القيس ، وينتمي اليهم عمدة صفوى الحالى ، حسين صادق ، والكاتب عادل أحمد صادق ، والشاعر الاستاذ ناصر سلمان صادق ، والاستاذ عبد العظيم الصادق ، وغيرهم .

القريش (من سبيع) : وينتمي الى هذه العائلة ، الحاج الوجيه عبد الرحيم قريش ، والاستاذ هشام محمد أحمد قريش ، والاستاذ عبد الله عبد الرحيم قريش ، وال الحاج سعيد عبد الرحيم قريش ، وال الحاج محمد عبد الرحيم قريش ، والكاتبة منتهى محمد أحمد قريش .

اليوسف (قططانيون فخذ حسمة) ، وينتمي الى هذه العائلة : الخطيب حسين بن محمد بن إبراهيم يوسف ، وال الحاج المرحوم محمد تقى يوسف ، وإبنه سعيد تقى يوسف .

الحمدان ، وينتسب اليها الخطيب صالح بن أحمد آل حمدان . آل حميدان (المبارك) ، وأصلهم من الأحساء ، برب من هذه العائلة العديد من العلماء منهم : المرحوم الشيخ محمد صالح الصفواني - قاضي الشيعة في

القطيف - وصاحب المؤلفات العديدة ، كما برع منها المرحوم الشيخ مبارك بن الشيخ علي ، والمرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ محمد بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ علي بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ حسن بن الشيخ حسن بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ حسن بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ سليمان بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك ، والمرحوم الشيخ علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ علي المبارك .

آل مبارك : ومن هذه العائلة : الشيخ جعفر بن علي المبارك .

الحبيب : وينتمي إليهم زعيم صفوف الراحل سلمان عبد الهادي ، والوجيه علي سلمان عبد الهادي ، والشيخ محمد حسن عبد الرحيم آل حبيب .
الدخيل : وينتمي إلى هذه العائلة ، الشهيد مكي علي ناصر دخيل - إستشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ .

آل عبد الباقي : وينتمي إليهم الوجيه الحاج حسن عبد الباقي ، والشاعر حسن عبد الباقي .

الرهون : وينتمي إليهم الكاتب الأستاذ خضر علي المرهون .

آل الملا : وينتمي إليهم الأستاذ عبد الكريم الملا ، والدكتور عبد الله الملا .

آل هاني : ومنهم الكاتبة صباح عباس آل هاني .

آل مدن (القصاب) : وينتمي إليهم الشهيد سعيد عبد المحسن المدن ، والشهيد مالك عبد الرزاق آل مدن ، اللذان استشهدوا في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ .

آل سعيد : منهم الشيخ حيدر بن أحمد آل سعيد .

آل الخويلي : ومنهم الشيخ الخطيب حسن مكي الخويلي ، والأستاذ الكاتب ميرزا علي الخويلي ، والشاعر حبيب مكي الخويلي .

آل صلاح : ومنهم الخطيب الشيخ علي بن حسن صلاح .

المهدي : ومنهم الشيخ يوسف بن سلمان المهدي ، وهو أحد أهم أقطاب العلم والفضيلة بين شيعة القطيف والحساء .

آل دهيم : وينتمي إليهم الكاتب الشيخ صراع شبيب دهيم ، والشيخ حبيب دهيم .

آل عجاج : وينتمي إليهم الشيخ محمد العجاج ، والشيخ حسين بن أحمد العجاج .

المعلم : وينتمي إلى هذه العائلة ، الشهيد علي أحمد المعلم ، والشيخ علي عبد الله المعلم .

آل فريد : وينتمي إليهم : الوجيه حسين فريد ، والشاعر الشعبي عباس علي فريد ، والكاتبة عالية مكي فريد ، والاستاذ محمد عبد الله فريد .
الرهين : من هذه العائلة الشهيد سلمان آل رهين .
العواد : ومنها الشهيد الحاج عبد الوهاب العواد .

ومن عوائل صفوی الآخری : السيف ، الخلف ، الصالح ، الحايكی ، الخميس ، الفريد ، الكاظم ، المسلم ، المطلق (من المهاشير من بنی خالد) ، الناصر ، العقيلي ، البشري ، الفردان ، العامر ، المطرود ، المتزوك (ينتمي إليها الشیخ فؤاد عبد الكريم المتزوك) ، الغانم (وينتمي إليها الشیخ علي غانم) ، الغریب (وینتمی الى هذه العائلة الشیخ صالح بن عبد الله الغریب) ، الزاهر ، الزاکی ، آل فاران ، القرین ، آل شاهین ، نصفان ، المعینی ، آل داود (من الحوطة بنجد يننسبون الى عنزة) ، الدخیل (ومن هذه العائلة الفنان والكاتب میرزا حسین الصالح دخیل) .

□ تاروت : وهي الجزيرة المشهورة التي تحوي كنوزاً من الآثار القديمة ، وتتبعها سنباس والربيعية والزور ودارين - البلدة التاريخية المشهورة - .
معظم سكان الجزيرة وقرابها من الشيعة .. ومن عوائلها :

آل سيف : وينتمي إليهم ، الشیخ المرحوم محمد بن الحاج احمد بن سيف ، وهو جد الأسرة وأول أعلامها المعروفيـن . ومنهم المرحوم الشیخ حسین بن محمد آل سيف ، والمرحوم الشیخ علي بن الشیخ محمد آل سيف ، والمرحوم الشیخ منصور آل سيف (١٢٩٣ هـ - ١٣٦٢ هـ) ، والمرحوم الشیخ احمد بن الشیخ منصور آل سيف (١٢٦٦ هـ - ١٤٠٦ هـ) .

ومن أعلام الأسرة المعاصرـين : الاستاذ والكاتب الشیخ توفيق محمد تقی السيف (له العديد من المؤلفات المطبوعة وفي العديد من الحقول ، منها دراسته القيمة : البترول والسياسة في المملكة العربية السعودية) ، ومنهم الاستاذ الخطیب والکاتب الشیخ فوزی محمد تقی السيف (له أكثر من عشرة كتب مطبوعة ، أبرزها : نظام الإدارة الدينية عند الشیعة الإمامیة) ، ومنهم الخطیب الكاتب الشیخ محمد تقی السيف ، والاستاذ حمید محمد تقی السيف ، والکاتب الشیخ منصور بن الحاج جعفر السيف ، والاستاذ عبد العلي يوسف السيف (مؤلف كتاب : القطیف وأضواء على شعرها المعاصر) ، وال الحاج الوجیه محمد تقی السيف ، والشیخ عیسی بن الشیخ احمد السيف .

آل الدعلوج : وهم سادة ، وینتمی الى هذه العائلة : المرحوم السيد أسعد السيد علي الدعلوج .

المعتق : وینتهي نسب هذه العائلة الى آل مرھون ، ومن بين من نبغ من هذه

العائلة : آية الله المرحوم الشيخ عبد الله بن معتوق (١٢٧٤ - ١٣٦٢ هـ) ، وأخوه المرحوم الشيخ سلمان بن معتوق ، والشيخ المعاصر محمد تقى المعتوق ، والدكتور الأديب والشاعر أحمد بن الشيخ محمد تقى المعتوق .
الخبار : وينتمي الى هذه العائلة ، الخطيب المعاصر الشيخ جمال الخبراز ، والدكتور أحمد الخبراز .

الحجاج : وينتمي الى هذه العائلة كل من : الشهيد أزهر الحجاج (اُعتقل في الثاني من أغسطس ١٩٨٨ ، وأعدمته الحكومة بتهمة سياسية في اواخر اكتوبر ١٩٨٨) ، والشهيد نزيه الحاج (استشهد سنة ١٤٠٦ هـ) ، والخطيب المعاصر عبد الله بن الحاج أحمد الحاج .

العبيدي : من سنابس ، وينتسب الى هذه العائلة المرحوم الشاعر بربير العبيدي ، والكاتب المعاصر الأستاذ حسن العبيدي .

آل شلي : من الربيعية ، ينتمي الى هذه العائلة الشهيد جلال أحمد آل شلي (١٣٨٦ هـ - ١٤٠٦ هـ) ، والرسام التشكيلي الكبير الأستاذ عبد العظيم محمد آل شلي .

الدروزة : من السنابس ، وينتمي الى هذه العائلة الشاعر الشعبي المعاصر ابراهيم بن سلمان بن كاظم الدروزة ، والشاعر المعاصر والكاتب الأستاذ علي ابراهيم الدروزة (له عدة كتب مطبوعة اشهرها : شعراء الموال في جزيرة تاروت) ، والشاعر المعاصر حسن احمد الدروزة ، والشاعر علي عبد الله الدروزة .

آل ربيع : من الربيعية ، ينتمي اليهم المرحوم الشاعر الخطيب حسن بن عبد الله بن ربيع (١٢٨٢ - ١٣٦٢) وهو مؤسس قرية الربيعية في جزيرة تاروت ، ومنهم المرحوم الخطيب الشاعر علي بن حسن بن ربيع (١٣١٦ - ١٣٨٢ هـ) .
آل صليل : من السنابس ، ينتمي اليهم الشهيد حسن صليل ، الذي استشهد في انتفاضة المحرم عام ١٤٠٠ هـ .

الماء : ينتمي اليهم الشاعر المعاصر عبد الجليل مرهون الماء .

الدراري : ينتمي اليهم المرحوم الخطيب الشاعر عبد الحسين الدراري (١٢٩٢ - ١٣٩٢ هـ) له ديوان مطبوع اسمه (ذخيرة الشيعة) ، والشاعر الشعبي المعاصر علي بن حسن الدراري ، والفنان التشكيلي محمد الدراري .
آل عبد المحسن : وينتمي اليهم الكاتب المعاصر الأستاذ عبد الله حسن منصور آل عبد المحسن له عدّة مؤلفات اشهرها (من تراث جزيرة تاروت) ، والمعاصر الشيخ زهير حسن آل عبد المحسن .

آل ندع : ينتمي الى هذه العائلة الشاعر المعاصر عبد الكريم بن مبارك آل

المصلي : ينتمي الى هذه العائلة الشاعر المعاصر الشيخ مهدي المصلي ، والرسام التشكيلي محمد المصلي .

ابو سرير : ينتمي الى هذه العائلة الشاعر المعاصر الدكتور حسين ابو سرير .

الجنوبي : من السنابس ، ينتمي اليها الشاعر الدكتور علي الجنوبي استاذ علم نفس في جامعة الملك سعود بآبها .

الدرويش : من السنابس ، وهم سادة ينتمي اليهم المرحوم السيد سلمان

الدرويش (١٢٢٥ - ١٣٥٠ هـ) والشاعر المعاصر السيد طاهر بن السيد علوى الدرويش .

العماني : ينتمي الى هذه العائلة الشاعر المعاصر فاضل العماني .

الحداد : من السنابس ، من هذه العائلة الخطيب المرحوم رضي بن عبد الله الحداد ، والشاعر الشعبي المعاصر ابراهيم بن ناصر الحداد .

البيابي : ينتمي الى هذه العائلة الخطيب المرحوم رضي البيابي ، والخطيب المعاصر الشيخ عبد الرسول البيابي ، والخطيب المعاصر الشيخ محمد علي البيابي .

المحسن : من السنابس ، وينتمي الى هذه العائلة العلامة المجتهد المرحوم الشيخ على بن يحيى بن ناصر المحسن (١٢٢٦ - ١٤٠١) ، وإبنه الفاضل الشيخ هادي بن الشيخ علي بن يحيى المحسن .

الستي : وينتمي الى هذه العائلة المرحوم الخطيب الشيخ عيسى بن محمد بن مهدي الستي (١٣٠٥ - ١٣٥٥ هـ) .

العقيلي : وينتمي اليها الشاعر المعاصر عبد المحسن بن الحاج محمد بن الحاج رضوان العقيلي ، له ديوان شعر مطبوع اسمه (الزفرات الحسينية) .

آل غنام : وينتمي الى هذه العائلة المرحوم الشيخ منصور بن علي آل عنان (١٢١٣ - ١٣٧٢) .

الأسود : وينتمي الى هذه الأسرة الكاتب المعاصر الاستاذ محمد رضي الأسود ، له كتاب مطبوع اسمه (كتابات) .

آل حبيل : منهم الشيخ عبد الكريم آل حبيل .

القطري : وينتمي الى هذه الأسرة المرحوم الخطيب منصور بن محمد على القطري .

آل عمران : ينتمي الى هذه العائلة الصحافي المعاصر الاستاذ على موسى آل عمران .

آل طلاق : وينتمي الى هذه الأسرة الشاعر الشعبي المعاصر احمد بن حبيب

آل طلاق ، والرسام التشكيلي المعاصر على حبيب آل طلاق .
الكراز : من السنابس ، وينتمي الى هذه العائلة الشاعر الشعبي المعاصر عبد الله بن حسن الكراز .

آل الصايغ : وهم يننسبون الى آل المعتوق المرهون ، ينتمي اليهم الشاعر الشعبي المعاصر عباس بن احمد الصايغ .

القروص : من السنابس ، ينتمي الى هذه الأسرة الشهيد محمد علي القروص (اعتقل في ١٨ ابريل وأعدمه النظام السعودي بتهمة سياسية في اكتوبر ١٩٨٨) ، والشيخ حسن مكي القروص ، والاستاذ الكاتب عبد الله القروص ، وهو صحافي ، وله عدة كتب مطبوعة منها (استخدم عقلك) و (القراءة السريعة) .

العلويات : وينتمي الى هذه العائلة الشيخ محمد حسن العلويات .

الكوي : ينتمي الى هذه العائلة الكاتب المعاصر عبدالرزاق الكوي .

العبادي : ينتمي الى هذه العائلة الشاعر المعاصر شفيق العبادي .

الحبيب : من السنابس ، وينتمي الى هذه العائلة الشيخ المعاصر علي آل حبيب .

الخيري : من السنابس ، وينتمي الى هذه العائلة الشيخ فؤاد الخيري .

الشایب : وينتمي الى هذه العائلة الوجيه المرحوم الحاج رضي الشایب .

الصفار : يرجع نسبهم الى همدان ، ومن هذه العائلة : العلامة الشيخ رضي بن الحاج علي الصفار (١٢٩٥ - ١٣٧٤هـ) ، والمرحوم الشيخ حسن بن الحاج علي الصفار المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، والوجيه المرحوم الحاج جعفر بن صالح الصفار (١٣١٧ - ١٣٩٢هـ) ، والمرحوم الخطيب صالح بن الشيخ حسن الصفار ، والمرحوم الخطيب عبد علي الصفار (١٣١١ - ١٣٧٧هـ) ، والأديب المرحوم محمد صالح الصفار المتوفى سنة ١٤١٠هـ ، والمرحوم الشيخ عبد الحميد بن رضي الصفار .

العيد : وينتمي الى هذه الأسرة الصحافي جعفر العيد ، واخوه الاستاذ سلمان العيد .

آل حسين : ومن هذه العائلة الأديب الشاعر الاستاذ عبد الرسول محمد آل حسين .

آل صليل : من سنابس ، ومن هذه العائلة ، الشهيد حسن صليل ، إستشهد في إنفاضة المحرم في المنطقة الشرقية ١٤٠٠هـ .

العلق : من الربيعية ، ومن هذه العائلة ، الشهيد خالد عبد الحميد العلق ، اعتقل بتهمة سياسية في الثاني من أغسطس ١٩٨٨م ، وأُعدم في أكتوبر

ومن عوائل تاروت الأخرى : آل ابراهيم ، البحرياني ، البحارنة ، الجليح ، الجمعة ، الحبيب ، الدبيسي ، الخالدي ، الصادق ، الصفوان ، السالم ، الفردان ، القلاف ، المحاسنة ، المطر ، المعلم ، المطوع ، البدر ، أمان ، الجامد ، الجامع ، الجبران ، الجشي ، الجمعة ، الجيراني ، الخاطر ، حيان ، الدهنيم ، الداود ، الدعبدل ، الدغام ، الراشد ، السليس ، السهوان ، الزاير ، الطويل ، العوى ، المادح ، القديحي ، المدن ، المزوق ، المختار ، المرهون ، المطلق ، المياد .. وغيرهم .

□ العوامية : وهي مدينة ملتصقة بالقطيف من ناحية الشمال ، وقد قامت البلدة على أنقاض مدينة (الزارة) قاعدة المنطقة قديماً ، والتي هدمها القرامطة وأشعلوا في ربوعها النار . ونسبت البلدة الى أبي البهلوى العوام بن محمد بن يوسف الزجاج أحد بني عبد القيس الذي أخذ البحرين من القرامطة .

وجميع سكان البلدة من الشيعة ، ورجالها مشهورون بقوة البأس والواجهة مع العدو .. وقد تفرد أهلها خلال التاريخ القريب بمقاومة طغيان الحكم السعودي .

اما عوائلها فكثير منها ينتهي الى أصول قبلية قريبة معروفة نزحت من نجد .. فالنمر وآل زاهر عدنانيون ، وقد نسبوا متأخراً الى القحطانية - كما يقول زعيم العوامية الراحل عبد الله بن مهدي الفرج - .

ويعود نسب هذه العوائل الثلاث (آل نمر وآل زاهر وآل فرج) الى نمر بن عائذ بن عفیصان .. وينقل النسابون أن جدهم كان يتردد بين العوامية وقرية (الأسلمية) في نجد ، وأنه إعتقد بالذهب الشيعي ، وزوجه العلامة الشيخ محمد العرجان (المتوفى سنة ١٠١٩هـ) إبنته (عدا) ، فأولادها ثلاثة أبناء هم نمر وفرج وزاهر ، وإليهم تنسب الأسر الكبيرة الثلاث في العوامية .

وقيل أن آل عفیصان كانت لهم الزعامة في (الأسلمية) مع بني تميم ، إلا أن إستيلاء الآخرين عليها واستقرارهم بالحكم ، عجل بنزوح الكثير منهم الى المنطقة الشرقية ^(٤) .

من آل النمر : الشيخ نمر باقر النمر ، والاستاذ محمد باقر النمر ، والمرحوم الكاتب محمد حسن النمر (ت ١٣٩٧هـ) الذي أصدر عدّة صحف في العراق من بينها جريدة (بهلوى) إضافة الى كتب أخرى . ويزد من هذه العائلة المرحوم المجاهد آية الله الشيخ محمد بن ناصر النمر (١٢٧٧ - ١٣٤٨هـ) وآخره الشيخ حسن المتوفى سنة ١٣٢٧هـ ، والشهيد الشيخ قصي النمر

(١٤٠٧هـ) ، وال الحاج المرحوم عبد الحسين بن احمد النمر
· (١٢١٢ - ١٤٠٧هـ) .

ومن آل الزاهر : الوجيه الحاج باقر الزاهر ، عمدة العوامية سابقاً ، وال الحاج
علي الزاهر ، الشاعر المعروف ، صاحب ديوان (بسمة الاسحار) ، والخطيب
المرحوم علي الزاهر (١٢٩٨ - ١٣٥٥هـ) ، والشهيد سعيد حسن الزاهر
- إستشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠هـ -

ومن آل الفرج : المرحوم الوجيه الخطيب محمد حسن الفرج ، والشيخ سعود
بن محمد الفرج (ت ١٣٦٦هـ) ، والعلامة الشيخ عبد الكريم بن حسين الفرج
(١٣١٩ - ١٣٧٣هـ) ، والخطيب حسن بن علي الفرج (ت ١٣٦٤هـ) ،

والدكتور احمد علي الفرج ، والدكتور سعود نصر تركي الفرج ، والدكتور تقى
نصر الفرج ، والدكتور عبد الله محسن الفرج ، والكاتب المعاصر الاستاذ سعود
عبد الكريم الفرج ، الدكتور نصر باقر الفرج ، والمرحوم مهدي الفرج .

ومن العوائل التي تسكن العوامية ، آل أبي المكارم / آل الشيخ ، وهي عائلة
دينية مشهورة سكنت البحرين بعد أن قدمت من الحجاز قبل ان تستقر في
البلدة . وينتمي الى هذه العائلة : آية الله الشيخ جعفر بن الشيخ محمد آل أبي
المكارم (١٢٨١ - ١٢٤٢هـ) ، ومنهم الشيخ علي بن الشيخ جعفر آل أبي المكارم
(١٢١٣ - ١٣٦٤هـ) ، بالإضافة الى الخطيب الشيخ سعيد أبو المكارم ،
وال الحاج الكاتب عبد القادر أبو المكارم ، وإبنه الشاعر عدنان عبد القادر ،
والوجيه المرحوم عبد الكريم الشيخ علي أبو المكارم .

آل جريدي (منهم الأستاذ محمد علي جريدي) .
الحمد ، ومن هذه العائلة الشهيد سعود علي الحمام ، اعتقل في الثالث
والعشرين من رمضان الكريم ١٤٠١هـ ، واستشهد على أثر التعذيب في
الخامس عشر من ذي القعدة ١٤٠١هـ .

ومن العوائل : آل ثوير من سبيع الذين ينتمي إليهم (آل قريريص وآل
صويميل وآل زنادي) ^(٢٥) .

ومن العوائل : آل ضيف ، وآل عريض ، البراكى ، الجوهر ، آل ربح (وهي
عائلة كبيرة مشهورة وينتمي اليها الشيخ سمير الربح ، والشيخ رمزي الربح ،
والشيخ احمد الربح) .

المطر : ومن هذه العائلة الشيخ رضي المطر .

ومن عوائل العوامية : آل تحيفة (كانوا يسمون آل درويش) وهم
قططانيون ، ولهم أبناء عم في قرية الملحة .

آل مشيخص : وينتمي اليهم الدكتور عبد الواحد نصر ال مشيخص ،

والشيخ الخطيب عبد العظيم مشيخص .

الدبيسي : وينتمي الى هذه العائلة الكاتب المعاصر عبد الله الدبيسي ، وقد كان مشرفاً على صفحة (أخبار اليوم والناس) في جريدة اليوم .

آل مبيوق : ينتمي اليها الدكتور رضي المبيوق .

آل عرجان : وهم من سبيع ، وينتمي اليهم المرحوم الوجيه الشيخ محمد العرجان المتوفي سنة ١١١٩هـ .

العوى : ومن هذه العائلة الشيخ علي عبد الكريم العوى .

الصباح : ومن هذه العائلة الشيخ حسين الصباح .

□ الأجام (الأوجام) : وهي قرية كانت الى عهد قريب منفصلة عن واحة القطيف ، وكانت أكثر إتصالاً بالداخل الصحراوي ، وال憑تقت في علاقاتها مع البدو الرحيل .. الأمر الذي دعا بعض الشيعة الى وصف سكانها بأنهم « بدو الشيعة » نظراً لعلاقاتهم الوطيدة مع البدو ، رغم ان جميع سكان القرية من الشيعة وهم جميعاً متخصصون .

ومعظم سكان الأجام ينتمون لأصل قبل واحد .. فالعوايل الثلاث المشهورة (الناصر ، السنان ، المرزوق) قحطانية الأصل ، هاجرت من شمال اليمن قبل قرون عديدة ، وسكنت قريةبني معن قبل ان تستقر في البلدة .

وينتمي لآل السنان ، المرحوم الوجيه ناصر حسين رضي السنان ، والشيخ مالك ناصر السنان ، والوجيه محمد ناصر السنان .

وينتمي لآل الناصر ، الدكتور حبيب منصور الناصر ، والوجيه عبد الرحيم أحمد الناصر ، والخطيب أحمد محمد جواد الناصر . والشيخ شاكر أحمد الناصر . والشيخ علي أحمد الناصر ، والمرحوم الشاعر محمد علي الناصر ، والدكتور علي سلمان الناصر ، والشهيدة زهراء منصور حبيب الناصر (استشهدت تحت التعذيب في الحديثة ، على الحدود السعودية /الأردنية ، في عام ١٩٨٩م) .

ولآل المرزوق ينتمي ، المرحوم الوجيه راشد المرزوق ، والمرحوم الوجيه حسن محمد المرزوق ، والمرحوم الشاعر سعود بن مرنوق ، والاستاذ محمد حسن المرزوق ، والشيخ مصطفى حسن المرزوق .

كما أن هناك عوائل أخرى كالسادة ، ومنهم الخطيب السيد وجيه السيد ماجد الهاشم ، والدكتور حسن السيد سلمان الهاشم .

ومن عوائل الأجام ، آل جمیع ، ومنهم الاستاذ حبيب آل جمیع ، والشاعر الشعبي يعقوب الجمیع ، والشيخ حسن عبد الكريم الجمیع .

ومن عوائل الأجام : العاشر ، ينتمي إليها الشاعر والخطيب منصور

العاشر الأجمي ، والشيخ موسى محمد موسى العاشر ، والشيخ جاسم على العاشر .

وهناك عوائل أخرى ، كالمبارك (منها المرحوم الشيخ عبد الله بن ناصر بن حميدان بن سالم المبارك) ، والمحيسن ، وأل رهن .

ومن أشهر أعيان البلدة هم عمّدُها الذين تعاقبوا على رئاستها ، ومن أشهرهم :

١ - زعيم الأ杰ام الراحل راشد بن علي المرزق / السنان .

٢ - عبد الله بن راشد المرزق / السنان .

٣ - سعود بن محمد المرزق .

٤ - الخطيب حسين بن حسن السنان .

٥ - أحمد بن علي المرزق .

٦ - محمد بن سعود المرزق / السنان .

٧ - صالح بن علي الناصر ، وهو عمّدتها الحالي (٢٧) .

□ القديح : بلدة صغيرة المساحة ، ولكنها مكتظة مزدحمة بالسكان الذين ينتهي جميعهم الى المذهب الشيعي .. من عوائلها : السادة (آل أبو الرحبي ، الخضاروة) .

آل طعان : وينتمي اليهم المرحوم الشيخ أحمد بن صالح آل طعان ، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد آل طعان ، والشيخ محمد صالح بن أحمد آل طعان .

آل الشرفا : وهم سادة ، ينتمي اليهم السيد أمان بن السيد محمد الشرفا المتوفي في سنة ١٢٥٢هـ ، ومنهم العلامة السيد باقر بن السيد أمان الشرفا ،

ومنهم الشاعر المعاصر السيد ظاهر بن السيد صالح الشرفا ، والكاتب السيد محمد بن السيد علي الشرفا ، والكاتب السيد يوسف بن السيد محمد الشرفا .

الشميمي : من السادة ، وينتمي الى هذه العائلة ، السيد ظاهر الشميمي .

آل عرفات : ينتمي الى هذه الأسرة المرحوم الشيخ ابراهيم بن عرب آل عرفات توفي بعد ١٢٣٧هـ .

الخبار : سادة ، وينتسب الى هذه العائلة ، الكاتب السيد سعيد بن السيد احمد الخبراز ، له عدة كتب مطبوعة منها (الصلاة عبادة فكرية وعمل تربوي) .

آل الجنبي : وينتمي اليهم المرحوم الوجيه الحاج احمد بن صالح بن سسن الجنبي ، توفي سنة ١٢٥٧هـ .

الحليلي : ينتمي الى هذه الأسرة الوجيه المرحوم الحاج حسن بن مكي الحليلي .

آل مسباح : وينتمي الى هذه الأسرة الأديب المعاصر الشاعر عبد النبي بن علي آل مسباح .

آل حيان : وينتمي الى هذه العائلة الكاتب المعاصر الاستاذ عيد محسن آل حيان صاحب كتاب (أدباء من القطيف) .

آل الخاطر : وينتسب الى هذه العائلة الخطيب المعاصر سعيد بن ناصر الخاطر .

آل توفيق : وينتمي الى هذه العائلة الخطيب المرحوم علي بن ناصر آل توفيق المتوفي سنة ١٤٠٨هـ .

آل الشيخ : ينتمون الى اسرة البلادي : منهم الشاعر المعاصر عمر الشيخ وله ديوان مطبوع (متى تأتي ؟) ، والشيخ عبد العظيم الشيخ .

المقيلي : ينتمي الى هذه الأسرة الخطيب المعاصر الشاعر حسين بن حسين المقيلي .

الناصر : ومنها الأديب والكاتب محمد علي الناصر ، له كتاب مطبوع اسمه (الله الخالق القدير) ، والشاعر المعاصر محمد احمد مكي الناصر .

آل العبيدي : ينتمي الى هذه العائلة الأديب الشاعر المرحوم محمد بن رضوان العبيدي المتوفي سنة ١٣٤٥هـ .

العوازم : ينتمي الى هذه العائلة الشيخ مهدي العوازم .

آل غزوی : ينتمي الى هذه الأسرة الكاتب الاستاذ حسن عبد الله محمد آل غزوی .

ومن العوائل الأخرى في القدح : آل البلادي ، وأل شهاب ، وأل حوري ، وأل شاهين ، البشراوي ، العلوان ، البندری ، آل جعفر ، آل صفوان ، الحمادي ، وغيرهم .

□ أم الحمام : وتقع شمال غرب مدينة سيهات ، وجميع سكانها من الشيعة .
ومن عوائلها :

الشبيب : وينتمي الى هذه العائلة ، الشاعر والوجيه المرحوم حسين الشبيب - له ديوان شعر مطبوع في جزئين - ، وإبنه المقيم في البحرين الشاعر والخطيب عبد الكريم الشبيب ، والمرحوم الخطيب بدر بن شبيب الشبيب ، والشاعر الشاب سعيد معتوق الشبيب ، والفنان التشكيلي عبد الجليل الشبيب ، والشاعر بدر الشبيب ، والشيخ عبد اللطيف الشبيب ، والشيخ غازي الشبيب .

الرهون : وهي اسرة علمية وادبية برع منها العديد من العلماء والأدباء والخطباء منهم : المرحوم العلامة الشيخ عبد الحي الراهون (١٣٦٦هـ - ١٣٢٠هـ) ، والعلامة الشيخ منصور الراهون (١٣٦٢هـ - ١٢٩٤هـ) ، والعلامة المعاصر الشيخ علي الراهون ، وله العديد من

المؤلفات المطبوعة ابزها (شعراء القطيف من الماضين والمعاصرين) ، والخطيب الشيخ محمد حسن المرهون ، والخطيب الشيخ عبد الحميد المرهون ، والخطيب سعيد المرهون ، والخطيب عبد العظيم المرهون ، وله العديد من المؤلفات منها (تاريخ أم الحمام) ، والخطيب صادق المرهون ، والشاعر الاستاذ كاظم المرهون ، والكاتب الاستاذ محمد المرهون ، والشاعر الاستاذ ابراهيم المرهون ، والشيخ مصطفى عبد الحميد المرهون .
البراك : والي هذه العائلة ينتمي المرحوم الوجيه محمد صالح البراك (١٢٩٦ - ١٣٩٦هـ) .

الكعبي : وإليها ينتمي الخطيب الشيخ ناجي الكعبي .
الشملاوي : وإليها ينتمي الخطيب والشاعر سعود الشملاوي ، وابنه الشيخ علي الشملاوي .

الحرز : وإليها ينتمي الشاعر الشاب حسين بن منصور الحرز .
آل راضي : ومنهم الخطيب المعاصر الشاعر راضي بن المرحوم الحاج علي آل راضي .

آل مسبيح : ومنهم الأديب المعاصر الحاج محمد علي بن الحاج عبد الهادي المسبيح ، وله ديوان شعر شعبي في رثاء أهل البيت عليهم السلام .
ومن عوائلها : الحايك ، عبيد ، الطويل ، آل عباس ، آل عبد النبي ، البحرياني ، الستراوي ، الزاير ، عبد العال ، المويس ، العوامي ، الرضوان ، الطلالوة ، الحميد ، الهلال ، الربيع ، العلوي ، المدن ، الهاشم ، السادة (المعلم - المدن) ، الصليل ، المريط ، أمان ، معتوق ، العاقول ، السويكت ، المنصور ، الخميري ، آل الشيخ ، آل محمد علي ، هندي ، قنبر ، آل جبر ، الناصر ، الفتيل ، المعلم ، الجراش ، القيسوم ، وقع ، السريو ، المحسن ، الميزا ، الخبار ، القصار ، الطفيف ، الحلبي ، اليوسف ، النجراني ، المرنق ، الزبيل ، آل سعود ، الحميدان ، سيف ، شثار ، الأسعد ، شهاب ، الشخل ، السالم ، الجفال ، الشوملي ، عطية ، لطف الله ، عبد اللطيف ، أبو شيف ، نصيف ، سرحان ، الموسى ، صبيع ، خضراء .

□ الجيش : وتقع شمال غرب مدينة سيهات ، وجميع سكانها من الشيعة .
ومن عوائلها :

آل سنبل : ومنهم المرحوم الشاعر الشيخ بدر بن احمد آل سنبل (ت ١٢٣٦هـ) ، ومنهم الحاج حسن بن بن احمد آل سنبل (١٢٩٤ - ١٢٥٢هـ) ، والشاعر الشيخ فيصل بن عبد الله آل سنبل (١٣٦٤ - ١٣٢٦هـ) ، ومنهم الوجيه المعاصر الحاج احمد بن حسن آل

سنبل والشيخ ضياء آل سنبل ، والشيخ نزار آل سنبل ..
الخواهر : ومن هذه العائلة الصحفى المعاصر الأستاذ حسين عبد الله
الخواهر .

ومن عوائل الجيش : آل ضاحى ، آل حمزة ، آل عواد ، آل حمود ، آل سلام ،
آل خميس ، آل نصيف ، آل ذاذهب ، آل مبارك ، آل درويش ، المغاسلة ، آل
سعيد ، آل زاير ، آل عشوة ، آل كنيص ، آل عاشور ، آل عياش ، آل عبد ربه ،
آل المزوق ، آل أحمد ، آل عبد الحسن ، آل سيف ، القمر ، آل عويسي ، المدبس ،
آل ضيف ، آل موسى ، آل ابراهيم ، العوامي ، الجزاش ، آل مهنا ، آل
سليمان ، السبع ، رمضان ، آل تركي ، آل حيان ، العيد ، الجشى (وآل هذه
العائلة ينتهي الشيخ منصور الجشى ، والشيخ محمد الجشى) .

□ الجارودية : وهي بلدة تاريخية معروفة ، قريبة من البدرانى ، الذى كان
منطلقاً للحجاج فيما مضى ، وجميع أهلها من الشيعة .

ومن عوائلها : آل حبيل (وينتمي اليهم الخطيب المرحوم مهدي بن محمد
آل حبيل ، والشاعر محمد حسن آل حبيل) ، آل سيد طالب ، آل سيد طويلب ،
آل مشعل ، الجارودي ، الصفار ، آل سليمان ، آل المنشاد ، آل معلم (ومنهم
الشيخ محسن المعلم ، والشيخ علي المعلم) ، العياشى ، آل سيد كاظم ، الشرفا ،
السادة ، آل رمضان ، آل مدن . الشهاب (ومن هذه العائلة الخطيب حسن
شهاب) ، آل عيد (ومنهم الشاعر المرحوم الخطيب بدر بن ابراهيم بن عجلون
آل عيد) .

□ الخويلدية : وجميع سكانها من الشيعة .

ومن عوائلها : آل نتيف : ومنهم الخطيب المرحوم محمد علي آل نتيف صاحب
ديوان عبرة المؤمنين ١٢١٥ - ١٢٧٢هـ ، وإبنه الشيخ حسن الذي يعمل حالياً
في المحكمة الجعفرية في البحرين ، والخطيب مهدي نتيف وله ديوان مطبوع
يسمى جواهر الأفكار - وقد توفي عام ١٤١١هـ ، والخطيب عبد الله نتيف ، وله
ديوان مخطوط باسم ينبوع الحكمة في رثاء أهل العصمة ، والشاعر المعاصر عبد
الله مهدي نتيف .

الشرفا : ومن هذه العائلة الخطيب المعاصر السيد تقى الشرفا .

آل الأمرد (وينتمي اليهم الشيخ جعفر الأمرد) .

السادة ، ومنهم الخطيب السيد مصطفى السيد حيدر السادة ، والخطيب
السيد حيدر السيد علوى السادة ، والخطيب السيد صالح السيد علوى
السادة .

آل عباس ، ومنهم الوجيه الحاج السيد جبر آل عباس ، وابنه الخطيب السيد

يوسف .

ومن عوائل البلدة : الخوييلي ، الصحّاف ، الراشد ، السماك ، المزونق ، المدرهم ، العجمي ، الزواد ، الصاهول ، الجماعن ، الرميض ، المحروس ، الطريدي ، الجميعان ، القاسم ، القطان ، الصويلح (ومنها الشيخ حسين الصويلح) ، العلوى ، سهوان ، قنبر ، الناصر ، القمر ، عطية ، عبيد ، المزين ، آل عبد اللطيف ، الهاشم ، آل عبد العال ، الحريري ، المياد ، العفلوج ، المرهون ، لاشط ، آل محفوظ ، آل حبيب ، آل تركي ، النشمي ، الرضوان ، الطاق ، شهاب ، التحوي ، البشاروى ، الجارودى ، حرملا ، آل سالم ، آل إبراهيم ، طريدي ، غنام ، دعبدل ، آل شبّر .

□ التوبى : وجميع سكانها من الشيعة ، وقد نبغ منها الشاعر الكبير (الشيخ جعفر الخطى / أبو البحر) ولا يزال نسله فيها .. وهناك من يقرب إلى عائلة أبي البحر (كآل الشيخ وأآل موسى) ، وهناك عائلة الجراش (وأفرادها سادة موسويون ينتهي إليهم الشاعر الشاب السيد حسين علوى الجراش) ، وعائلة أبو الفلل (وأفرادها سادة موسويون أيضا ، منهم الأديب الشاعر السيد محمد بن السيد مال الله أبو الفلل المتوفى سنة ١٢٦١ هـ ، ومنهم المرحوم السيد مال الله أبو الفلل) .

□ حلّة محيش : وتقع جنوب القدّيف ، وجميع سكانها من الشيعة .
ومن عوائلها :

الخميس : من هذه العائلة الشهيد أحمد مهدي خميس ، اعتقل في السادس عشر من ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / الموافق ١١ أغسطس ١٩٨٦ ، واستشهد تحت التعذيب في الثامن عشر من ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / الموافق للثالث والعشرين من أغسطس ١٩٨٦ م . ومن هذه العائلة أيضاً الشيخ حسين مهدي خميس .
ومن العوائل : السادة ، الشعلة ، الهاشم ، العجيّان منها الشيخ رضا العجيّان ، الجنبي ، الشرقي ، الباقر (منها الخطيب حسن بن محمد الباقر ، وإبنه الشيخ محمد حسن بن محمد الباقر) ، البوري ، العكش ، النغموش ، درويش ، المتrok ، الكحيلي ، الفردان ، المحيشي ، اليوسف (منها الشيخ عبد الله اليوسف) ، الشخل ، الهرود ، الفلل ، الها ، المادح (منها الخطيب الشاعر المرحوم عبد الله بن علي المادح « ١٢٨٥ - ١٣٤٥ ») ، المقرقش ، القصاب ، البطران ، الطلاق ، العجمي ، العوامي .

□ الملّاحة : وجميع سكانها من الشيعة .

ومن عوائلها : آل درويش (ومنهم الخطيب المرحوم عبد الله بن علي آل درويش المتوفي سنة ١٣٩٤ هـ) ، آل زهيري (وينتمي إليهم الأديب الشاعر

الشيخ محمد بن عبد الله آل الزهيري المتوفى سنة ١٤٢٩ هـ) .

□ الشويكة : كانت قرية قبل سنوات قلائل ، ولكن عمران القطيف إمتد إليها ، فأصبحت جزءاً منها .. وجميع سكان البلدة من الشيعة .

□ البحاري : جنوب القديع ، وجميع أهلها من الشيعة .

ومن عوائلها : الميلاد ، الحماد ، الع Beckeri (منها الخطيب مهدي Beckeri) ، الحماد (منها الشهيد عبد الكريم الحماد ، إستشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ) ، الثنستان ، الشقيق ، العفريت (منها الخطيب محمد العفريت) ، الغاوي ، المحيسن ، العلي ، الدهن ، العليو ، السويد ، النزحة ، آل أبو صعب ، الضامن ، آل سويف ، آل شريف ، الزيداني ، الرضوان ، المياد ، المغيس ، آل عنون ، آل درويش ، آل زيد ، المرعي ، الخليف ، الحميد ، المياس ؛ أمان ، حاجي ، عاشور ، الكاظم .

□ عنك : ويسكنها كثير من الخوالد ، وبينهم عدد غير قليل من الشيعة يعرفون بـ « العليوات » ، ومن عوائل الشيعة الأخرى : العيد ، رمضان ، شعبان ، آل نصيف ، آل خميس ، الأمان ، الدخيل ، القنبر (منها الشهيد محمد قنبر آل قنبر ، إستشهد في إنفاضة المحرم ١٤٠٠ هـ) ، المشهدى (وينتمي إلى هذه العائلة الشاعر الحاج عبد الله بن علي المشهدى المتوفى سنة ١٤٥٥ هـ ، له ديوان شعر مطبوع . والشيخ غازي المشهدى) ، الخواهر ، السالم .

الشيعة في مناطق المملكة الأخرى

يتواجد الشيعة في مناطق المملكة المختلفة وبكثافة متفاوتة . في الأسطر التالية تحديد لواقعهم وعدد them :

□ المدينة المنورة : وتسكنها أربع جماعات شيعية جعفرية :

★ النخاولة ، ومفردها نخلي ، وهم من القبائل العربية ، وقد تداخل معهم عدد من أبناء القبائل الأخرى طلباً للحماية قبل نحو قرنين من الزمان مثل (العصارى) الذين ينتمون إلى عنزة (بني أصر) . والنخاولة هم أكثر الشيعة عدداً وإنشاراً ، وقد تعرضوا للإضطهاد والأذى بسبب التحامل الطائفي .. يقول أحد المتحاملين : « بيت النخلي ، وكلهم شيعة شنيعة ، وغالبهم جهله لا يكادون يفهمون شيئاً من مذهب الرافضة ، وإنما وجدوا آباءهم على آمة وهم على آثارهم مقتدون ، وهم معهم بلا شك في النار يحشرون » .. وأضاف مفترياً : « وقد ذاع وشاع وملأ الأسماع أن أصلهم من بقايا أولاد النساء

اللواتي حملن بالزناد في قضية الحرّة المشهورة في أيام الخبيث يزيد بن معاوية - قبّحه الله - حين إستباح المدينة قتلاً ونهباً وفسقاً وسلباً . وقيل : أن النخاولة بعضهم أصلهم من العبيد ، وبعضاهم من الهنود ، وبعضاهم من اليمين ، وبعضاهم من المغرب ، وبعضاهم من مصر ، وبعضاهم من الحجاز وغير ذلك »^(٢٧)

وقال متحامل آخر : « والبساتين والحقول يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشيها ، بل بالخدمة في البيوت أيضاً ، مجموعة من ذرية الأعجم يسمون النخولة ، وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين في مصرنا ، ولو لاهم ما قامت الزراعة ، وهم رافضة .. واحتقاراً لهم وعقاباً على نزعتهم الباطلة ، كلفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوى ، ويجتمع بهم الأعجم في مواسم الحج ، ويؤجرون منهم الدور بما فيها »^(٢٨) .

ويبدو أن الاحتقار والتشكيك والإهانة إنما يرجع إلى أمررين : سمرة بشرة النخاولة ، وتمذهبهم بالذهب الشيعي .. أي ان القضية ترجع إلى تمييز عنصري وطائفي في آن واحد ، وهذا أقبح أنواع التمييز وأشنعها . من زعماء الشيعة المشهورين في مدينة الرسول ﷺ : الشيخ محمد العمري ، وإبنه الشيخ كاظم العمري .

★ الأشراف ، ويأتون بعد النخاولة في العدد ، وهم سادة من بني هاشم . كما أنهم ينتشرون في مناطق أخرى غير المدينة المنورة مثل مكة المكرمة وجدة والطائف ومدن المملكة الجنوبية .

قال صاحب كنز الأنساب^(٢٩) أن من بين من ينتمي إلى هذه القبيلة (الأشراف) في المنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة : الحيادرة ، فالنسبة إليهم حيدرية ، وهم بطن من بني جعفر الصادق يُعرفون ببني أيمان . وأل إبراهيم ويسكنون ينبع النخل ، وأل حسين مع قبيلة الضفير - سادة حسينيين .

ومن المعروف تاريخياً أن الأشراف في مكة كانوا على مذهب الشيعة ، وأن الملالي كانوا على مذهب السنة ، وقد حكم الأشراف المناطق المقدسة سنوات طويلة في القرون الماضية وحتى وقت قريب أيضاً .

★ قبائل حرب وجهينة (الحروب) ، حيث إنعتق بعض أفرعها المذهب الشيعي (فرع بني علي / الفريد ، وغيرهما) . وقد أشار أحد الكتاب إلى إنتشار المذهب الشيعي بين قبائل حرب وجهينة^(٣٠) .

★ المشاهدة ، وهم من أصول عربية ويتواجدون في مكة والمدينة المنورة ، إلا أنهم أقل الفئات عدداً . ومن آل المشهدي الكاتب والروائي محمد بن عيسى

المشهدي

- أما الأحياء التي يسكنها الشيعة في المدينة المنورة وما حولها فهي :
- ١ - وسط المدينة ، جنوب الحرم المدنى .. حيث يوجد حي كان يسمى فيما مضى بزقاق النخاولة ، أو محلة النخاولة ، ويسمى في الوقت الحالي بحي الروضة .. كما يوجد النخاولة شمال غربي المسجد النبوى (باب الكومة) .
 - ٢ - قبا ، كانت قرية تبعد ميلين عن المدينة المنورة ، والآن أصبحت حيًّا من أحيائها الجنوبية ، وتسكن الحيُّ أكثرية من النخاولة .
 - ٣ - قربان ، حي جنوبى المدينة المنورة ، ويسكنه إضافة إلى النخاولة ، شيعة الحروب والواليد .

٤ - حي العوالى ، جنوب شرقى المدينة المنورة ، ويسكنه النخاولة والحروب بكثرة . على أن الشيعة منتشرون في معظم أحياء المدينة المنورة ، ولكن بكثافة أقل ، كما في الحارة الشرقية التي يتواجد بها عدد غير قليل من الأشراف وبشكل أقل من النخاولة . وكذلك يصدق القول على الحارة الغربية وهي العيون . وبالطبع هناك أعداد غير قليلة من الشيعة الزيدية أقامت في السنوات الأخيرة في المدينة المنورة . ويوجد الشيعة في العديد من القرى المحيطة بالمدينة المنورة أو التي تدخل ضمن إطاراتها الإداري ، من بين هذه القرى :

- وادى الفرع ، الواقع جنوب المدينة المنورة ، وقد إشتهرت قرى الوادى - وبينها قرى شيعية عديدة - بكثرة مياهها ونخيلها وطبيعتها الخلابة ، ومن القرى الشيعية المعروفة قرية (أبو ضباع) ويسكنها لفيف من الحروب والأشراف .

□ السويوقية ، وتقع جنوب شرقى المدينة ، وغالبية سكان القرية من الشيعة الأشراف .

□ ينبع النخل ، ويطلق هذا الاسم على جهة واسعة على شكل عقد من القرى ينتظم من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي . والمنطقة عامرة بالسكان والبساتين وتبعد عن المدينة المنورة حوالي ١٥٠ كيلومترًا . ويدرك البعض أن الاسم جاء من كثرة الينابيع واستمدت شهرتها من مرور طرق القوافل بها ، ولقد اقطعها رسول الله ﷺ رجلًا من جهينة يدعى كشد بن مالك ، ثم إشتراها عبد الرحمن بن أسعد ، واشتراها منه الإمام علي بن أبي طالب ، وتصدق بعينين من عيونها .

وبمنطقة ينبع النخل ٢١ قرية قدر عدد سكانها في إحصاء ١٩٧٤ بنحو ١٩٢٠٧ نسمة ^(٣١) . ويشير أحد المؤلفين ^(٣٢) إلى أن في ينبع ما لا يقل عن ثلاثة ألفاً من الشيعة الكيسانية . ويبدو أن المقصود هنا ليس سكان ينبع النخل وإنما

ينبع البحر / الميناء ، حيث يقترب منها (جبل رضوى) ، وهو ما أشار إليه ياقوت الحموي بقوله : « ورأيته من ينبع أخضر ، وأخبرني من طاف في شعابه أن به مياهاً كثيرة وأشجاراً ، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد الحنفيه به مقيم حي يرزق » .

□ مهد الذهب ، وهي القرية المعروفة بمناجم الذهب ، ويتوارد فيها عدد غير قليل من الشيعة من قبائل عربية متفرقة . ويقدر مجموع الشيعة في المدينة المنورة والقرى الأخرى المحيطة بها ، بنحو مائة ألف نسمة .

□ الشيعة في مناطق الحجاز الأخرى : هناك وجود للشيعة في مكة المكرمة والقرى المحيطة بها ، والطائف وجدة (التي يوجد بها حي كبير من الشيعة الحروب) .. ويقدر عدد الشيعة الإثنى عشرية في هذه الأماكن بنحو عشرين ألف نسمة ، ولقسم آخر من الشيعة (الزبيود) وجود قوي في المدن الحجازية ، ويقدر عددهم في مناطق جنوب وغرب المملكة - حيث وجودهم الأساس - بمائة وستين ألف نسمة .

□ الشيعة في نجران : ينتشر الإسماعيليون في المناطق الجنوبية من المملكة ، وبالخصوص في نجران وتواجدها ، ويسمون (المكارمة) ، نسبة إلى العائلة المكرمية التي كانت تحكم نجران ، والتي إشتهر منها حسن بن هبة الله المكري ، الذي هزم السعوديين في الدرعية في بداية تأسيس دولتهم الأولى . وينتسب هؤلاء إلى قبائل يام الشهير ، والزعامة منحصرة في فرع « أبو ساق » . ويقدر عدد الإسماعيليين الشيعة في جنوب المملكة بين ٢٥٠ - ٣٠٠ ألف نسمة .

وهناك عدد كبير من الزبيود في نجران من قبيلة وائلة ، ويسكنون زورآل حارث وزور وادعة .

كما أن هناك عدداً غير قليلاً من الأشراف الشيعة ويسكنون وسط وادي نجران ، ومن رؤسائهم الشريف أحمد أبو طالب . وهناك عدد قليل من الشيعة الإثنى عشرية في منطقة نجران ، كما يوجد عدد قليل أيضاً من الشيعة الكيسانية .

□ الشيعة في حائل : سكنت قبائل طيء تلك المنطقة ، وكانت من أنصار الإمام علي في كل حروبه ، وقد تشيّعت واشتهر العديد من زعمائها بحملهم للتشيع ، كعدي بن حاتم الطائي .

ويذكر المؤرخون أن الإمام الحسين التقى بأحد زعماء طيء - الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي - خارجاً من الكوفة المحاصرة فمنعه الحرّ الرياحي - أحد

قادة الأمويين قبل أن ينحاز إلى معسكر الحسين ويقتل معه في كربلاء - ، وانحاز الإمام إلى الطرماح وسأله : أخبروني خبر الناس وداعكم ؟ . قال.الطرماح : أما أشراف الناس ، فقد أعظمت رشوتهم ، ومُلئت غائزهم ، واستميل ودهم ، واستخلصت نصيحتهم ، وهم آلب عليك ، وأما سائر القوم ، فأفندتهم معك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك .

قال الإمام : فخبروني عن رسولي إليكم ؟ فقالوا : من هو ؟ قال : قيس بن مسهر الصيداوي . قال الطرماح وجماعته : نعم ، أخذه الحسين بن تميم ، فيبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد بلعنة ولعن أبيك ، فصل عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك ، وأخبرهم بمقدمك ، فأمر به ابن زياد ، فألقى من طمار القصر فمات .

فتغرغرت عينا الحسين بالدموع ، ولم يملك دمعه ، ثم قال : « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدأوا تبديلا » .

قال الطرماح بن عدي : « والله إننا لننتظر وما نرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين نراهم ملازميك لكتفي بهم ، فكيف وقد رأينا قبل خروجنا من الكوفة ما لم نرّ قط مثلهم ناساً في صعيد واحد عرضوا ليُسرحوا اليك ، فتشدك الله إن قدرت إلا تقدم شبراً إلا فعلت . فها هنا بلد منك الله به - حائل - ، حتى ترى رأيك ، فسر بنا حتى ننزلك جبلنا الذي يدعى أجاء ، إمتنعنا به والله من ملوك غسان وحمير ومن النعمان ومن الأسود والأحرم ، والله ما دخل علينا ذلّ قط ، ثم تبعث الرجال إلى من ينزل أجاء وسلمى من طيء » فيأتيك الرجال ، وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بالسيوف » .

فقال الإمام : « جزاك الله وقومك خيراً ، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم من أهل الكوفة قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في العاقبة » . فوَدَعَ الطرماح وجماعته الإمام وقالوا : « قد حملنا ميرة من الكوفة لأهلينا ، فنحن نحملها إليهم ونعود إليك » .

يقول الطبرى وإبن الأثير : أن الإمام يستعجل الطرماح عند التوديع ، ووَفَى الطرماح بوعده ، وعاد بعد أن وضع الميرة عند أهله وأوصاهem ، ولكن لما بلغ عذيب الهجانات ، لقيه سماعة بن بدر ، وأخبره بمقتل الإمام الحسين ، فرجع الطرماح إلى أهله (راجع كتاب : تجارب الأمم ، لإبن مسكويه الجزء الثاني ص ٦٢ ، ٦٣) .

إن قبائل شمر التي تسكن حائل هي قبائل طائية الأصل ، واشتهرت على الدوام بتسامحها الديني ، ورغم اجتياح موجة التعصب المذهبى نجداً بظهور الوهابيين ، كانت حائل أقل ميلاً إليها ، رغم أن الريحانى يقول بأن دولة آل

رشيد وهابية المذهب والشعارات ، بل أن عبيد أخو عبد الله بن رشيد مؤسس الدولة كان « رسول الوهابية الأكبر في الجبل » ، وكان بيته محطة رحال الوهابيين في حائل ». هنا تجب ملاحظة أن دولة الشمررين لم تقم على أساس مذهبي وإنما قامت على عصبية قبلية ، وحين إنتهت تلك العصبية أزيلت دولة شمر من الخارطة .

ويبدو أن أمرير جعلا الشمررين أكثر تسامحاً من غيرهم في نجد ، الأول : ارتباط العديد من فروع شمر بالعراق ، وبخاصة النجف الأشرف التي كانت - كما يبدو - أكثر المدن العراقية التصاقاً بالصحراء الجنوبية العراقية وسكانها البدو الذين ينتقلون إليها بين الفينة والأخرى . وقد استقر العديد من الشمررين في النجف والمدن العراقية الأخرى ، ويزور بينهم العديد من العلماء ومراجع الدين . وكانت اللحمة القبلية لاتزال قوية يومئذ ، لهذا كان من الصعب على شمر حائل مجاراة الوهابيين في مغالاتهم العقائدية .

الأمر الآخر هو أن الشمررين - كغيرهم من عرب الجزيرة العربية - لم يكونوا أصحاب مدرسة فكرية - كما في الحجاز والحساء - ، ورغم تراثهم الشيعي ، فإنهم لم يكونوا يحملون حساسية تجاه الأفكار ، وحين جاء الوهابيون بأفكارهم ، خضعوا لها باعتبارهم ضعفاء عسكرياً ، إلا أن التجربة الوهابية الأولى أسفرت عن تدمير قرى نجد واحدة على يد القوات المصرية ، ولم يصب حائل من الدمار إلا النذر القليل ، بل لم يشهد لها بأنها وقفت ضدَّ القوات المصرية الغازية .

ولعل تلك النهاية المأساوية ، هي التي شجّعت الشمررين على إستبعاد المذهب كأداة لخدمة السياسة ، وكان بإمكانهم فعل ذلك حين سيطروا على كامل وسط الجزيرة العربية وطردوا آل سعود منها .. لكنهم لم يتعرّضوا لأيٍ من القوى الدينية ، بل سمحوا لمن أراد بأن يبشر بمذهبه ، مع أنهم بقوا على معتقداتهم السنّية ، وكان أبناء عمومتهم في العراق شيعة .

لقد كان واضحًا للباحثين أن حائل ، وحتى وهي خاضعة لسلطان السعوديين - في دولتهم الثانية - كانت بعيدة عن التعصب ، وإن تمسّكت بشعارات المذهب الوهابي ، كما قال الريhani ، وكما قال الرحالة « والين » الذي زار حائل في عهد فيصل بن تركي ، أن في شمر تسامح في شرب الدخان ، و « المبدأ الأساسيان اللذان لاتزال تتمسّك شمر بهما من تعاليم الوهابية ، هما رفض الوسطاء بين الله والعبد ، والمبدأ الثاني هو الحررص على أداء الصلاة جماعة في المسجد ». (٣٣)

ويشير فاسيلييف إلى تسامح شمر بقوله : (كان أمير شمر يتميّز بالتسامح

الديني ، وقد سمح للشيعة بأن يقيموا أو يتاجروا في حائل .. وكتب بلغريف : « إن التجار من البصرة ومشهد علي - النجف - وواسط والباعة من المدينة وحتى من اليمن كانوا يستقرون في سوق حائل الجديد بعد عروض مغربية . وقدم طلال البعض منهم مقاولات رسمية وهي نافعه لهم وله في آن واحد ، في حين منح البعض الآخر إمتيازات وتسهيلات ، وكان يولي الجميع الدعم والحماية »^(٤) . ويفسر أحد الكتاب هذا التسامح في تعليقه على ما كتبه الريhani من تمسك أخي حاكم شمر بالوهابية ، وأن بيته محظ رجالها بالقول : « لكنهم في نفس الوقت اعتنوا بالهزيمة ، أو لنقل إستفادوا من أخطاء التجربة ، فكانوا أكثر تسامحاً ، أو تهاوناً - حسب موقفك - ». وينقل عن تقرير الخارجية البريطانية قولها بأن الشمريين « سمحوا للشيعة وغيرهم بسكنى حائل ، وتخففوا كثيراً من أوامر ونواهي الذهب الوهابي ، رغم إحتياجات فيصل الذي لا يزال إسمياً سيدهم ، وإحدى بناتهم تزوجها إبنه »^(٥) .

ولما سيطر ابن سعود على حكم الرياض ، أثار قضيتين بين أتباعه فيما يتعلق بحكم الشمريين لحائل ، هما : ولاء أهل حائل لدولة الخلافة ، التي هي العدو التاريخي للوهابيين ، وجود الشيعة في حائل ، وعدّ الحاكم السعودي هاتين القضايتين مبرراً لأنّه في حرب ابن رشيد والإستيلاء على حائل . وكتب ضابط البعثة المدنية في بغداد إلى حكومة الهند يقول - نقاً عن سليمان الدخيل - بأن الأخير يعتقد أن الإخوانية ستنتشر بين عنزة ، وخلال أربع سنوات فإن كل البدو سوف يقبلون الانضمام إلى سلك الإخوانية ، وأضاف بأن دعائيات ناجحة وكبيرة تنتشر بين قبائل شمر ستشكّل ضغطاً على الأمير فيما يتعلق بالتجار الشيعة . وتابع الدخيل بأن الشيعة والسنّة الذين خاضوا في التدخين يعدون أكثر الكارهين للإخوان^(٦) .

واحتلَّ ابن سعود حائل في نوفمبر ١٩٢١ م بدعم بريطاني قوي^(٧) ، وعلى غير العادة فقد حرم أمير نجد السلب في المدينة « وكان الشيعة أكثر من يخشى على حياتهم ، ولكن ابن سعود أصدر إيعازاً خاصاً يكفل لهم الحماية ، غير الإخوان لم يوافقوا على تسامح أميرهم وانتقدوه علانية لغضبه النظر عن المشركين »^(٨) .

غير أن الحقيقة تفيد بأنَّ أغلب الشيعة في حائل طُردو منها إلى العراق ، أو هاجروا إلى المدينة المنورة والججاز بصفة عامة قبل أن يحتله السعوديون بعد نحو خمس سنوات من سقوط حائل ، وحتى آل الرشيد فـ الكثير منهم إلى العراق ، واعتنق أكثرهم الذهب الشيعي .. ولأنه لم ترسم بين جبل شمر وبين العراق والأردن الحدود ، فإن ابن سعود كان يرى أن كل قبائل شمر وعنزة

تابعة له ، وهؤلاء يقطنون أماكن بعيدة تعدّ جزءاً من العراق « أضف الى ذلك أن بعض قبائل شمر وغيرها من القبائل الرافضلة لمطامع السعوديين قد إرتحلت الى العراق » كما تقول المس بل^(٣) .

ورغم هذا بقي أعداد من الشيعة في حائل ، رغم كل المصاعب ، دون إعلان هوية ، شأنهم شأن شيعة مدن وقرى نجد الأخرى .. فهناك شيعة في الرياض وفي القصيم وفي الأفلاج والحريق ، ولهم أحياe معروفة ، على الأقل لدى الحكومة .

ويصعب تقديم تقديرات لعدد الشيعة في حائل ومناطق نجد الوسطى والجنوبية ، ولكن - وقياساً لعددهم في الرياض - يمكن إعطاء رقم عشرة آلاف نسمة^(٤) .

الهجرات من وإلى الأحساء والقطيف

عرفت المنطقة هجرات سكانية كبيرة قبل آلاف السنين ، لكننا لا نريد العودة الى الماضي الموجل في القدم ، فحسبنا القول ان الجزيرة العربية وبالأخص أجزاءها الوسطى والجنوبية كانت على مر التاريخ ، تذبذب بموجات بشريّة هائلة الى الشمال ، فرّقت منطقة الهلال الخصيب وماجاورها بالكتافة البشرية التي تحتاجها للإعمار .

وقد هاجر الى هذه المنطقة (البحرين القديمة) وسكنها الكنعانيون والعمالقة والفينيقيون والكلدانيون (الجرهائيون) ، ثم توافد اليها العديد من القبائل العربية العدنانية كقضاء اوائل القرن الميلادي الأول ، وعلى رأسها زعيمها مالك بن فهم ، ثم لحق بهم أقوام من أيداد والأزد ثم سيطر عليها أقوام ربيعة (عبد القيس وبكر بن وائل)^(٥) .

وبظهور الإسلام كانت الغلبة السكانية في الحاضرة لقبيلة عبد القيس .. وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان عهده عهد توسيع وفتحات الدولة الإسلامية ، حدثت أكبر هجرة في تاريخ هذه المنطقة ، حيث رحل العديد من سكانها الى المناطق المفتوحة والتي أسهموا في فتحها ضمن الجيش الإسلامي ، خاصة للعراق ، حيث استقرَّ الكثير منهم في المدن المؤسسة الجديدة كالبصرة والكوفة ، أو في المدن الموازية على الشاطئ الشرقي لخليج العجم .. وقد كان لهذه الهجرة دور مهم في تاريخ العراق السياسي خاصة في عهد الإمام علي والعباسي .

وفي العهد الأموي حدثت هجرة في السكان من الحجاز وال العراق الى منطقة الخليج وبالاخص الى (الاحساء والقطيف) فراراً من الاوضطهاد السياسي والمذهبي الذي مارسه الامويون بحق اتباع اهل البيت ، ومما شجع على ذلك ان المناطق المهاجر اليها كانت بعيدة عن مركز الخلافة في دمشق .. وبوصول اعداد من الشيعة من المناطق الأخرى الى الاحساء والقطيف تعززت حالة الرفض والثورة على الحكم الأموي ، وأصبحت منطقة البحرين مركزاً من مراكز الثورة ضد الامويين ثم العباسيين .. وقد أدى تكيل العباسيين بمن أخذت الخلافة بإسمهم الى توافق مجموعات سكانية اليها ..^(١) لذا لم يكن غريباً ان تكون المنطقة ملجاً للشيعة في عهد الدولتين الأموية والعباسية^(٢).

وفي الحقيقة فان المنطقة أصبحت بؤرة تجمع مختلف فئات المعارضة الساخطة على الحكمين الاموي والعباسي .. وقد وجد الخوارج فيها ملجاً لهم ، مع ما يفترض انهم على عداء مع الإمام علي وشيعته .. ونجد انه حينما خرج الخوارج من نجد (اليمامة) توجهوا أول ما توجهوا الى البحرين سنة ٦٧هـ ، وحينها قبل الأزد في عمان حكمهم ، أما الشيعة (عبد القيس) فرفضوا ذلك وقالوا : « لا ندع نجدة يتولى أمرنا وهو حروري مارق » .. غير ان نجدة هزمهم ووضع السيف في رقبتهم ، ودخل القطيف واستباحها ، وفي ذلك قال الشاعر حمل بن المعنى العبدى :

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها وما خير نصح بعد لم يتقبل
فقد كان في اهل القطيف فوارس حماة إذا ما الحرب شدت بيذبل
على أن المجموعات السكانية الفارة من جحيم الحكم الأموي الى المنطقة ، ما
لبث أن شاركت في ثورات الشيعة في العراق كثورة التوابين وثورة المختار
الثقفي ، يدلنا على ذلك أن ابراهيم بن مالك الاشتراط ورد للمنطقة وساهم فيما بعد
في تلك الثورات ، ولازال له عقب في القطيف نفسها . في حين ان شيعة آخرين
إنطلقوا الى ما وراء الخليج شرقاً بعد هجوم عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ على
المنطقة وإجبار أهلها على مفارقة التشیع .. إنطلقوا الى الهند والصين ، فنشروا
الاسلام هناك ، وتشير العديد من الدراسات الحديثة الى أن الشيعة هم أول من
نشر الاسلام في الصين ، ويوجد اليوم عدّة ملايين منهم .

لقد إجتذبت المنطقة العديد من المهاجرين على مر العصور لسبعين أساسين :
أولهما ، غنى المنطقة المشهود له قبل الاسلام وبعده والى اليوم ، حيث توافر
المياه وخصوصية الارض ، وتتوفر المراعي وكثرة الزراعة .. وقد ساهم موقع ما
يعرف اليوم بإسم (المنطقة الشرقية) الجغرافي في ذلك كثيراً لقربها من البحر ،
وممارسة أهلها التجارة واحتلاطها بالأقوام المختلفة ، ووقوعها عند ملتقى

القوافل البرية القادمة من الجنوب ، او السفن القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا الى منطقة الهلال الخصيب .. كل هذه العوامل كان لها أثر كبير في إجتذاب شئي الأقوام ومختلف القبائل ..^(٤) وللحقيقة فإن المهاجرات الى المنطقة كانت في الغالب لأسباب إقتصادية ، وكان أكثر المهاجرين يأتون فراراً من الماجعة والقطط الذي يلف نجداً والمناطق الجنوبية من الجزيرة العربية .

أما السبب الآخر فهو الإضطهاد الديني والسياسي ، إضافة إلى عامل الحروب التي تستعمل في المناطق البدوية ، والتحاربات القبلية التي لم تخلص البلاد من شرها إلا في وقت متأخر .. كل ذلك دفع بالهجرات قدماً نحو هذه المنطقة .. واضح ان هذا العامل - العامل الديني والمذهبي - كان أقل أهمية من سابقه ، خاصة في العصور المتأخرة .

ومع هذا نجد أن إقليم (نجد) قد دفع خلال القرنين الماضيين بجماعات سكانية هائلة الى منطقة الخليج لأسباب مذهبية واقتصادية .. ففي بداية تكون الدولة الوهابية أواخر القرن الثاني عشر الهجري نزح علماء نجد الحنابلة الى منطقة الأحساء والقطيف التي كانت تحت حكم الخوارد ، ومعهم الآلاف من البشر ، لكنهم ما لبثوا أن أكملوا هجرتهم الى جنوب العراق والكويت باحتلال الوهابيين للأحساء والقطيف . ولا شك أن الكويت وبعض أمارات الخليج مدينة بوجودها كدول الى الكثافة السكانية النجدية الهائلة التي أعقبت سيطرة الوهابيين الأولى على نجد والأحساء ، ثم الى تدفق النفط والرخاء الاقتصادي الذي عمّها .

وبالنسبة للشيعة ، فلم يكن هناك أي سبب يدفعهم للنزوح عن موطن آبائهم وأجدادهم ، فالعيش الرغيد متوفّر ، وليس هناك بقعة في الجزيرة العربية بأسراها تضاهي منطقة الأحساء وغناها .. إن السبب الذي حملهم على الهجرة كان على الدوام الإضطهاد المذهبى .. ولم يتم ذلك بصورة مفجعة إلا في العهد السعودي ، خاصة في أوّله ، حيث رافق القمع والتشدد والقتل للمخالفين في الرأي والمذهب تأسيس دولة الوهابيين الأولى .

وبمقدار ما استقبلت المنطقة من هجرات كبيرة ذات مع السكان ، واعتنقت مذهب الأكثرية الشيعية فيه ، غادرت الإقليم هجرات واسعة بفعل الإضطهاد الطائفي .. وتأتي هجرة الشيعة في مطلع القرن الثالث عشر كأكبر هجرة في تاريخ المنطقة بعد الهجرة الأولى التي تمت إثر الفتوحات الإسلامية لفارس .

إن أقل التقادير تشير الى أن نصف السكان قد هجروا الإقليم في الفترة الواقعة بين عامي ١٢٠٥ هـ - ١٣٥٠ هـ .. ولو لا أن المنطقة اجتذبت في وقت سابق الكثير من القبائل ، لما بقي من الشيعة إلا القليل .. إذ يقدر عدد الشيعة

من ذوي الأصول القبلية السنوية حوالي نصف عدد الشيعة الكلي في المنطقة الشرقية .

وبديهي أن سياسة التفريغ السكاني للشيعة من مناطقهم ، والاستحواذ على أملاكهم ، من أراض وبساتين ودور ، على أساس أنهم كفار يجوز سلب ما لديهم .. أدى إلى تقليل أعداد الشيعة ، وتقليل نسبتهم إزاء الطوائف المذهبية الأخرى .

تجدر الإشارة هنا إلى أن بادية الأحساء حينما استضافت بنـي خالد ، كانت الغلبة السكانية والمذهبية للشيعة . وبسيطرة بنـي خالد على المنطقة ، كان من المتوقع أن تقل نسبة الشيعة ، غير أنه مع مرور الزمن تحضر بنـو خالد وانضوت العديد من من أفرعهم تحت لواء التشيع ، وهو أمر أحدث بعض اللبس لدى المؤرخين ، فكثير منهم يتحدث عن بنـي خالد كقبيلة شيعية صرفة ، أو أن أكثرها على مذهب التشيع .. منهم الدكتور صلاح العقاد الذي قال بأن : « غالبية قبيلة بنـي خالد في الأحساء تعتنق المذهب الشيعي » ^(١٥) . في حين رد باحث آخر : « لم يكن بنـو خالد من الشيعة ، إلا أن سكان الأحساء هم من الشيعة » ^(١٦) .

ان الذي بقي من بنـي خالد ويحمل اسم القبيلة بعد انهيار سلطتها الفعلية بضعة آلاف هم من المالكية السنة ، أما البقية فقد تخلوا عن البدوة وتحضروا وتشيّعوا .

ولما جاء العجمان إلى المنطقة حوالي منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، واستقروا في بادية الأحساء ، زاحموا قبائل المرأة وبنـي هاجر والعوازم وسبيع .. وأصبحت الكلمة الأولى لهم . وبعد حوالي نصف قرن خاضوا حرباً شرسـة ضد الملك عبد العزيز الذي أراد توطينهم في هجر الإخوان كسرـاً لشوكتهم ، وقد نجح بشكل متـأخر في سنة ١٩١٩ . وبمرور الزمن ، وبعد ظهور النفط توطـنت هذه القبائل وتحضـرت وسكنـت في المدن النفطـية الجديدة ، وأصبحـت أتباعـها في عـداد سـكانـ المنطقة .

إن هذا يقودـنا إلى التـأكـيد على أن مـعظمـ السـنةـ في الأحسـاءـ وـفيـ الـبحـرينـ ، هـمـ منـ المستـوطـنـينـ حدـيثـاًـ فيـ هـذـهـ الـديـارـ ، فـفـيـ الـبـحـرـيـنـ كانـ الـغالـيـةـ السـاحـقةـ منـ السـكـانـ شـيـعـةـ (ـاـكـثـرـ مـنـ ٩٥ـ %ـ)ـ حـتـىـ اـحـتـلـالـ العـتـوبـ لـهـ سـنـةـ ١٧٨٣ـ ،ـ فـيـ عـمـلـيـةـ سـطـوـ وـاضـحةـ ..ـ فـقـدـ كـانـ العـتـوبـ مـنـ الـقـبـائـلـ الـتـيـ تـبـحـثـ عـنـ مـلـجـاـ تـسـكـنـ إـلـيـهـ ،ـ وـقـدـ وـفـدـتـ مـنـ أـعـمـاقـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ وـتـوـجـهـتـ إـلـىـ قـطـرـ ،ـ وـمـنـهـ قـفـزـتـ عـلـىـ الـبـحـرـيـنـ وـاحـتـلـتـهـ .ـ وـفـيـ الـبـدـءـ كـانـ الـغـزـاةـ قـلـةـ ،ـ قـيـاسـاـ لـعـدـدـ السـكـانـ ،ـ وـلـكـنـ مـعـ تـصـاعـدـ الـمـقاـومـةـ لـحـكـمـهـ الـقـاسـيـ وـالـشـرـسـ ،ـ اـحـتـاجـوـاـ إـلـىـ حـلـفاءـ جـددـ يـواجهـونـ

بهم الأكثريّة الشيعيّة المتحضرّة ، فأغروا الدواسر بالمجيء وأقطعوهم الأراضي الزراعيّة المصادرية من الشيعة باعتبارها من حق المُنتصر ، وحوّلوا الضرائب المفروضة على الشيعة دون غيرهم إلى جيوب الحلفاء القبليين .

وفي العقود الأخيرة ، فتح حكام البحرين باب الهجرة للسنة القادمين من الجزيرة العربيّة ، في عملية إعادة توازن سكاني مع السكان الأصليين ، وفي الوقت نفسه تشدّدوا في رفض كلّ عربي يحمل الهويّة الشيعيّة . ومع كلّ هذا فإنّ الغالبيّة من السكان الّيوم هم من الشيعة ، تماماً مثلما كانوا بالأمس ، رغم فرار عشرات الآلوف من السكان إلى الساحل الإيراني (خاصة بوشهر والمحمّرة) .

وبالنسبة للأحساء والقطيف ، فما جرى لهم لا يختلف عما جرى في البحرين .. فهناك إتّخذت الممارسات الطائفيّة صفة الخضوع للمُنتصر ، وهنا أبىست الممارسات مسوح الإسلام . إن كلّ المصادر السعودية التي عنّيت بتاريخ المنطقة ، تؤكّد حقيقة أنّ الوجود السكاني السنّي كان قليلاً في الماضي .. وقد عاش هؤلاء تحت حكم دول شيعيّة كالحكم العيوني وحكم آل عصفور ، دون إضطهاد أو تدخل في شؤونهم المذهبية . وأيضاً عاش الشيعة فترات زاهية من عهودهم تحت رئاسة حكام من السنة ، ولم يشكّل المذهب يومها مشكلة لدى السكان وتعاونهم .

كما أنّ أغلب المصادر تؤكّد أيضاً على أنّ الهجرات السنّية قد زادت بشكل كبير بعد الاحتلال السعودي الأول لمنطقة الشرقيّة ، ولكن هذه الهجرات - بعكس الهجرات الأولى - لم تندمج في المذهب الشيعي ، لأنّ التعرّفات الطائفيّة ، والتمييز الطائفيّ المقيّت ضدّ الشيعي كان إحدى ثمرات الحكم السعودي القائم على المذهب الوهابي .. ولم يكن المهاجرون الجدد على استعداد لتقبّل العنت والإضطهاد بالانتقام إلى مذهب يترتب عليه إهدار الدم ، ومصادرة الأموال والتهجير من الوطن .. وفي كتاب (تحفة المستفيد) أسماء عوائل السنة في الأحساء في الستينيات الهجرية من القرن الماضي ، وقد حدد أصولهم العرقية ، كما حدد في كثير من الواقع الفترة الزمنيّة التي قدموا فيها للمنطقة .

لقد حدث فرز طائفيّ منذ القرن الثالث عشر الهجري ، واستتبعه جواز إضطهاد السكان الأصليين ، وقد استقرّ العديد من النجديين في الأحساء واستحوذوا على ممتلكات وأراضي وبساتين الشيعة التي صودرت منهم ، أو التي تركوها وفرّوا بأنفسهم خشية القتل .. ولم تكن الهجرة بالنسبة للشيعة إختيارية بل إضطرارياً .. فالعنف والدموية للغزا لا تحتاج إلى شواهد ، فكلّها مسطّرة في كتب الموالين قبل غيرهم .. وقد نفّي الوهابيون آلاف الأشخاص لأنّهم لم يتخلّوا

عن مذهبهم ويقبلوا بالمذهب الوهابي الجديد .. قال مؤرخ وشاعر الوهابيين (ابن غنام) وهو يتحدث عن نفي الشيعة من وطنهم بتقاضير :
وقد وفي الاحسا سعود فاسعدت مسامعيه اهل الخير فانتظموا سمعطا
وابعد اهل الشرك عنها وأبعدت مذاهفهم فيها وما ابصروا غمطا
.. نعم هدمت للرفض فيها كنائس وكل شعار الرفض عن ارضها ميظا
.. ولم ينف إلا كل من عمل الردى ومن كان سباباً لمنطقه مسطرا
وبعيد تدمير الدرعية ، وإنها الحكم السعودي على يد قوات محمد علي باشا ،
زادت الهجرة من نجد لأسباب إقتصادية ، ذلك أن الدرعية - وهي العاصمة -
كانت ترفل بالثراء مما يأتيها من ضرائب من المناطق الأخرى التي تسيطر
عليها ، وبتدميرها وإنهاء الحكم السعودي فيها عادت نجد الى فقرها القديم ،
فارتحلت جماعات الى الكويت والاحساء والبحرين وقطر وجنوب العراق .. لكن
هذه المigrations ضفت بانبعاث سلطة الوهابيين من جديد وتأسيس الدولة
السعودية الثانية ، الى أن جاء الاتراك واستولوا على الأحساء فخفت الهجرة
النجدية الى الإقليم ، بسبب اعتبار الوهابيين سلطة الاتراك كافرة ، لا يجوز أن
يكون المسلم تحت ولائها ، بل أن من الواجب عليه أن يهاجر منها .

وبمجيء آل سعود واحتلالهم للمنطقة سنة ١٣٣١ هـ ، هجر الأحسائيون
وأهل القطيف بلادهم في هجرة كبيرة الى البحرين والكويت والعراق وايران وقطر
واليارات ، بل وصلت بعض المهرجات الى الشام ، فراراً من الإضطهاد
الوهابي ، وفي الوقت نفسه تصاعدت الهجرة من نجد الى المنطقة ، ثم تضاعفت
بشكل طاغ بعد إنتاج النفط ، وجذب الشركات للبدو كأيدي عاملة .
في العقود الأربعية الماضية ، وضعت الحكومة السعودية مخططاً طموحاً
لتعديل النسبة المذهبية لصالح مذهبها في المنطقة ، فقدّمت إغراءات جديدة في
مجال العمل والخدمات للمهاجرين الجدد ، وتعتمدت حرمان الشيعة من كل
هذا ، وأرفقت بذلك حملة إعلامية طائفية شرسة ضدّ الشيعة ضمن حسابات
الصراع الأقليمي المعروف .

إستوطن المنطقة بعيد إحتلال ابن سعود لها كل القبائل التي كانت مستقرة في
البادية ، ضمن المشروع العسكري - السياسي الذي وضعه الملك والذي عُرف
بمشروع «المهجر» .. وعلى هذا الأساس إستقر العجمان وبنو مرّة والهاجر
ويعض أفرع السبيع والعوازم ومطير وبنو خالد .. وفي نفس الوقت وفد الى
المنطقة عدد غير قليل من قبائل البريمي ، كالناصير ، وقبيلة البو متذر (تحت
مشيخة قران بن مانع) ، وكان استيطان أتباع هذه القبائل للمنطقة قد تم في
أواخر العقد الثاني من هذا القرن الميلادي ^(٤) .

ففي عهد حمدان بن زايد - حاكم أبو ظبي - ، إلتجأ بعض القبائل المتصارعة إلى الأحساء .. حيث قامت نزاعات بين المناصير والمزاريع وبنو ياس من جهة ، وبين العوامر وأل بو شماس والدروع من جهة أخرى .. والتاج الجميع إلى عبد الله بن جلوى حاكم الأحساء طلباً للحماية ، في حين إلتجأ أفرع من بنو ياس - كالحومان والقبسيات - إلى أبو ظبي .. ومنذ ذلك الحين استقرَّ المناصير في الأحساء بزعامة الشيخ راشد بن مانع ، في أواخر العقد الثاني الميلادي ، ثم تبعهم في يونيو ١٩٢٥ العوامر والدروع ^(٤٨) .

ثم استقبلت المنطقة وفي نفس الفترة الدواسر الذين رفضوا الاصلاحات السياسية والاقتصادية في البحرين سنة ١٩٢٣ م ، فدعاهم الملك عبد العزيز للسكن في المنطقة (الدمام) فكانوا نواة سكانها .. ومع تصاعد إنتاج النفط في الأربعينيات الميلادية ، وفدت جماعات كبيرة من جنوب المملكة ، تبحث عن العيش والاستقرار ، فكان أن تلقتها ماكنة صناعة النفط ، وضمتها الدولة إلى المدن الحديثة .

من جهة أخرى ، نرى أن الهجرات الشيعية من المنطقة كبيرة ومذهلة ، نستطيع تحديدها في خمسة إتجاهات :

الأول : الهجرة إلى العراق .. حيث نزحت جماعات كثيرة إلى هناك ، خاصة بعد سيطرة الوهابيين على المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي .. وكان من بينهم من سكن البصرة ، فيما سكن آخرون في المدن الشيعية المقدسة كالنجف وكربلاء .. وقد أشار الاستاذ محمد سعيد المسلم إلى وجود حي يعرف به « حي القطافة » - نسبة إلى القطيف - من لواء المتنفق ، وقدر سكانه في عام ١٩٦٠ بنحو عشرين ألف نسمة ^(٤٩) . ولربما كان تواجد المهاجرين في جنوب العراق أكثر من غيره ، خاصة من الأحسائيين ، الذين إنهمكوا في الزراعة ، حتى أصبح من الشائع أن يطلق على المزارع هناك لقب « حساوي » ^(٥٠) .

الثاني : هناك قسم كبير من الشيعة المهاجرين أقام في منطقة عربستان « خوزستان الإيرانية حالياً » .. ويعيش عدد غير قليل منهم في المدن العربية عبادان والمحمرة « خرمشهر » والأهواز وبوشهر .. وهؤلاء لا زالوا يمارسون مهنتهم كمزارعين ، ولا تزال لغتهم الأم هي العربية ، كما ان البعض منهم لا زال محافظاً على قدر ولو قليل من الارتباط بموطنه أجداده .

الثالث : وهناك وجود غير قليل من شيعة الأحساء والقطيف في الكويت . وقد استقبلت الكويت أكثر من أي مشيخة خليجية أخرى المهاجرين من نجد والحساء .. وإذا كانت روابط البحرين بالمنطقة معلومة في التاريخ باعتبارهما كياناً سياسياً واحداً ، وتسكتما طوائف عربية ذات أصول مشتركة ،

ويجمعهما المذهب والتاريخ المشترك .. فإن الكويت أيضاً علاقة خاصة بالاحسأء . إذا أن هذا الكيان المعروف اليوم بإسم الكويت لم يؤسس إلا على يد بنى خالد ، حكام المنطقة ، حيث إبتنوا لهم حصنًا سُمي بـ « الكوت » ، كان ينزل فيه زعماء القبيلة بين الفينة والأخرى .. ثم ما لبث أن تجمّع حوله لفيف من البدو ، وبعدها جاء آل صباح فاستقروا بالقرب من الكوت وسيطروا على ما حوله ممتنعين بحماية بنى خالد .. وشيئاً فشيئاً تحول الكوت إلى الكويت ، كما يثبت ذلك جميع المؤرخين بدون استثناء .

وحتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، كان المجتمع الكويتي لا يملك أية خاصية ، فقد احترفت أعداد من السكان مهنة الغوص من أجل اللؤلؤ إضافة إلى صيد الأسماك ، لكن البدو الرجال الذين يقدمون ويطعنون كانوا هم الأكثرية .. وبعد أن جاء آل صباح وما تلا ذلك من إنبعاث حركة العنف الوهابي في وسط وشرق الجزيرة العربية ، وما نشأ عنها من تدفق المهاجرين والمقطهدين ، وتطلّعهم إلى أماكن يسودها نوع من الأمان والإستقرار .. وجد هؤلاء في الكويت مكاناً ملائماً للسكن والإقامة^(٥١) .

من هنا نلحظ أن تشكيل الكويت السكاني الحديث مدين - قبل النفط - إلى وفود جماعات نجدية وأحسائية ، لما كانت تتعرض له في مناطقها من بطش وإرهاب^(٥٢) . وفي تقسيم سكان الكويت على أساس مذهبي ، نجد أن السنة يتشكلون إضافة إلى الأسرة الحاكمة ، من سنة نجد المعارضين للمذهب الوهابي ، ومن بعض سنة العراق والاحسأء ، إضافة إلى بعض الأعاجم السنة .. ويضاف إلى السنة هؤلاء أفرع من قبائل مطير والعجمان كانت تحوم في مناطق متنازع على تبعيتها .

أما الشيعة في الكويت .. فهم عرب وأعاجم ، ويشكل الأحسائيون والبحرينيون وال العراقيون القسم الأول ، وهناك حي في الكويت يعرف حتى اليوم بإسم حي « الحساوية » ، ويقع جنوب حي (الشرق) ، ومعظم سكانه من الأحساء ، كانوا إلى وقت قريب يعملون في صناعة النسيج والعباءات العربية^(٥٣) .

وفي حي « القبلة » توجد إضافة إلى الأسر النجدية المهاجرة ، أسر أخرى من مقاطعة الأحساء ، كما توجد في حي « الشرق » مجموعات من العوائل القطيفية والأحسائية^(٥٤) .

أما الشيعة العجم فقد هاجر بعضهم إلى الكويت قبل أكثر من قرنين من الزمان ، كعائلة معرفي .

إضافة إلى ما تدفق على الكويت من المهاجرين في بداية تأسيس الدولة

ال سعودية الأولى .. تدفق إليها بعيد احتلال الأحساء سنة ١٩١٣ عدد غير من أهل المنطقة ، وقد أفاد هذا التدفق الكويت إقتصادياً ، فكان ذلك أحد أهم عوامل إزدهارها ، مثلاً حدث في الهجرة الأولى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ^(٥٠) .

ولأن أرض الكويت ليست صالحة للزراعة ، فيبدو أن الهجرات الأحسائية بالخصوص شملت الحرفيين ، بعكس الهجرات القطيفية والحسائية إلى العراق التي مارست أعمال الفلاحة . ولذا تشير المصادر التاريخية إلى أن الأحسائيين انخرطوا في الكويت في صناعة الآلات والأدوات النحاسية والمزالية ، كصناعة القدور وأباريق القهوة ، كما مارسوا مهنة الحداقة ، فصنعوا السكاكين والمطارق وألات الهمم والبناء ، والمسامير التي تستعمل في بناء السفن ، والقداديم والكلاليب والملاقط وغيرها ^(٥١) .. أما المهنة التي برع الأحسائيون فيها منذ القدم ، فهي صناعة النسيج ، وبالأخص صناعة المشالح الأحسائية ذات الشهرة العالمية ، فكان هي الحساوية من أنشط الأحياء في هذه الصنعة - قبل أن يدمّرها النفط - .. وبرزت أسماء شيعية شهرة من عائلة البغلي والقطان وغيرها ، الذين عُدوا أساتذة هذه المهنة ^(٥٢) .

رابعاً : الهجرة إلى البحرين ، والهجرة هنا ضمنية لأسباب ذكرناها سابقاً .. إلا أن المؤرخين لم يفتقهم التأكيد على حقيقة تبادل الهجرات بين المنطقتين كلما لم يأخذها عاصفة طائفية أو سياسية ، مثلاً حدث سنة ١٧٨٣م في البحرين ، أو ما حدث بعد ذلك بعديدين في الأحساء ، أو أثناء الحرب الأهلية السعودية على الأحساء ، وذلك في العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي ، أو أثناء الحرب بين البدارية والشيعة في القطيف سنة ١٩٠٨ ، أو بعد احتلال ابن سعود للأحساء سنة ١٩١٣ ، أو بعد أن أفتى علماء الوهابية بضغط من الأخوان وبأمر من الملك عبد العزيز بقتل الشيعة أو طردتهم إن لم يغروا مذهبهم وما تبع ذلك من هجرة واسعة إلى البحرين في ١٩٢٧ - ١٩٢٨ .
يقسم المؤرخون السكان في البحرين إلى أكثرية شيعية وأقلية سنوية حاكمة .. ويتشكل السنة من العقوب ، والهولة الإيرانية الذين نزحوا من الشاطئ الشرقي للخليج سنة ١٩٢٥م ، والبياسري وبنو خضير .. إضافة إلى الدواسر ، وعدد آخر من القبائل النجدية السنوية ^(٥٣) .

والشيعة في البحرين على ثلاثة أقسام : الأول : البحارنة ، وهمؤلاء هم السكان الأصليون ، وهم الأكثرية . والثاني : هم الشيعة من ذوي الأصول القطيفية والحسائية « وقد نزحوا إلى البحرين بعد أن خضعت مناطقهم لحكم الوهابيين في القرن التاسع عشر » ^(٥٤) ، و « زادت هجرتهم إلى البحرين ، خاصة بعد

خامساً : هناك جاليات أحسانية معروفة في قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة ، تمارس التجارة ، ولكن لا يعلم متى تمت هجرتها ، ويرجح أنها كانت بعد عام ١٩١٢ .. ويضاف إلى هذا هناك أسر شيعية قليلة نزحت من المنطقة واستقرت في الهند والباكستان وسوريا وغيرها .

عدد السكان

ما يدهش الباحثين والمهتمين حقا ، هو عدم وجود رقم حقيقي ومعتمد من قبل الحكومة وأجهزتها الرسمية ، فيما يتعلق بـتعداد السكان . فحتى الآن لا توجد سوى تقديرات متفاوتة ومتناقضة أحياناً لا يمكن الوثيق بها ، أو الاعتماد عليها في أي مشروع بحث ، أو مشاريع خطط عمل إستراتيجية .
والسعودية من غير جدال من أكثر الدول إفتقاراً إلى الأرقام والبيانات الاحصائية ، مما أوجد صعوبات في إجراء أي دراسة تحليلية للسكان ^(٣) .. بل أنه يمكننا القول وبدون مبالغة بأن السعودية من أكثر الدول خوفاً وخشية من الاحصاءات ، ليس في مجال تعداد السكان فحسب ، وإنما في شتى الجوانب المهمة الاقتصادية والاجتماعية . ونظراً لغياب الإحصاء الموثق والمعتمد ، فإن من المستحيل إعطاء رقم دقيق لـعدد السكان الشيعة ^(٤) .

وكانت مجلة الإيكonomist البريطانية قد أصدرت تقريراً محدود التداول في عام ١٩٩٠ ، فسرّ سبب إحجام المسؤولين السعوديين عن إجراء تعداد للسكان في المملكة ، بأن ذلك محاولة من جانب الأمراء للتغطية على ضخامة عدد السكان غير السعوديين الذين كانوا يقدرون بأربعة ملايين وافد ، معظمهم من اليمن ، كما يرمي الأمراء إلى إخفاء عدد المواطنين الشيعة الذين يطالبون منذ زمن طويل بإلغاء سياسة التمييز الطائفي التي تمارس ضدهم .

كانت الحكومة السعودية تتداول رقم ثمانية ملايين كـعدد لـسكان البلاد لمدة طويلة . وفي سبتمبر ١٩٧٤ م ، جرى إحصاء متخلّف بإعتراف المسؤولين ، أظهر أن عدد السكان في حدود سبعة ملايين ، وهو رقم كانت بعض أجهزة الدولة الرسمية تعتمده ، وهو من تقديرات منظمة اليونسكو . ويبعد أن نتيجة الإحصاء

غير الدقيق مبالغ فيها ، حيث أشارت مجلة اليمامة السعودية ، إلى أن عدد السكان وفق ذلك الإحصاء الذي لم تنشره الحكومة يتراوح بين ٥،٥ - ٦ مليون مواطن يحملون الجنسية السعودية . وقد أكدَ عدد من المسؤولين في وزارة المالية التي أشرفت على الإحصاء ، بأن هذا الرقم كان هو بالفعل النتيجة التي أظهرها الإحصاء .

في ذلك الإحصاء ، وهو الأول والأخير ، جرى توزيع بيانات في المدن الرئيسية ، كما تم وضع بعض الملصقات على أعمدة الكهرباء والحيطان ، والطريف أن عدداً قليلاً محدوداً للغاية من السكان شعروا بأن هناك إحصاء للسكان . ولم تنشر الحكومة تفاصيل الإحصاء عن التركيب العمري والنوعي والإقتصادي ، مما يدلّ على أن العملية لا تعدو وضع أرقام عدّلها المسؤولون لتتناسب مع الأوضاع السياسية .

وقد إنشرت - يومها - شائعات قوية بأن عدد السكان لم يزد عن أربعة ملايين نسمة . ولكي يت disillusion المسؤولون من الإحصاء ونتائجـه إنترفوا بأن موظفي الإحصاء ما هم إلا موظفين في وزارة المعارف ذُرّبوا لمدة شهر قبل إجراء الإحصاء ، وهي فترة لا تكفي حتى لمعرفة المبادئ الأولية للإحصاء . ولوحظ أن هــم الغالبية من المشتركون ، إنهاء وقت التعداد بأي شكل والحصول على المكافأة المالية »^(١) .

بهذه الإعتباطية جرى تعداد السكان سنة ١٩٧٤ .. وقبل هذا التاريخ بإثني عشر عاماً (١٩٦٢) قامت مصلحة الإحصاء بـإجـراء (حصر) للسكان ليكون مرجعاً ، ولكن نتائجـ هذا الحصر ما لبثـ أن ألغـيت رسمياً . وقد كان الحصر مجرد تجربة ، وقد قدّر عدد السكان السعوديين بنحو ٣،٢ مليون نسمة . ويبدو أن الرقم لم يعجبـ الأـماء الذين كانوا يعتمدون رقمـ ثمانية ملايين « فـاعتـرضـوا على ما أسمـوه بـعيوب ظـهرـتـ في عمـلـيـةـ الحـصـرـ ، فـأـلـغـواـ نـتـائـجـهاـ رـسـميـاًـ ، بـعـدـ أنـ طـبـعواـ وـوـزـعواـ النـشـرـةـ الـأـولـىـ الـمـتـعـلـقـةـ بـنـتـائـجـ الـعـمـلـيـةـ فيـ مـدـنـ الـمـلـكـةـ »^(٢) .

لا تـريدـ الحكومةـ السعوديةـ انـ تـقدمـ رقمـاً صـغـيرـاًـ لـعـدـدـ السـكـانـ ، إذـ سـيـثارـ حينـهاـ سـؤـالـ حولـ تـبرـيرـ الإنـفـاقـ المتـزاـيدـ وـالتـلاـعـبـ بـالـثـرـوـةـ الـوطـنـيـةـ .ـ وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ لاـ تـريـدـ الـحـكـوـمـةـ أـنـ تـظـهـرـ العـدـدـ الـحـقـيقـيـ لـلـسـكـانـ الشـيـعـيـةـ .ـ مـعـ أـنـ حـالـةـ الإـضـطـهـادـ الطـائـفـيـ سـتـؤـثـرـ بلاـ شـكـ عـلـيـ ذـلـكـ ..ـ إـنـهـاـ تـريـدـ تـقـلـيـصـ عـدـدـ السـكـانـ الشـيـعـيـةـ لـأـسـبـابـ سـيـاسـيـةـ مـعـروـفةـ .ـ وـقـدـ سـبـقـ أـنـ سـأـلـ الـكـاتـبـ أـمـينـ الـرـيـحـانـيـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ فـمـطـلـعـ الـعـشـرـيـنـاتـ الـمـيـلـادـيـةـ :ـ «ـ هـلـ تـرـوـنـ أـنـ مـنـ الـوـاجـبـ الـدـيـنـيـ مـحـارـبـ الـمـشـرـكـيـنـ حـتـىـ يـدـخـلـوـاـ فـيـ دـيـنـ التـوـحـيدـ -ـ الـمـذـهـبـ الـوـهـابـيـ -ـ ؟ـ »ـ .ـ فـأـجـابـ الـمـلـكـ :ـ «ـ لـاـ ..ـ لـاـ ..ـ وـضـرـبـ الـأـرـضـ ضـرـبـتـيـنـ بـعـصـاهـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ هـذـاـ

الحسا عندنا أكثر من ثلاثة ألف من أهل الشيعة ، وهم يعيشون أمنين ..^(١٦) . فمللک لم يعتبر الشيعة مشركين فقط ، وإنما قال بأن عددهم ثلاثة ألفاً ، في حين أن البيانات الحكومية تشير إلى غير ذلك ، إعتماداً على نظام الضرائب الذي سنّه السعوديون .

من كل هذا يتبيّن أن هناك صعوبات عديدة في تحديد رقم لعدد السكان في المملكة بشكل إجمالي ، إذ أن ما هو متداول لا يعود تقديرات ، تقترب أو تبتعد عن الحقيقة بحسب متفاوتة . غير أن هناك خطأ فادحاً وقع فيه معظم الباحثين ، الذين التقطوا إلى تواجد الشيعة المُكْثَف في مناطق الشرق الغنية بالنفط ، والتي تعاني من إضطرابات سياسية مزمنة ، وتتجاهلها الأعداد الكثيرة للشيعة في مناطق المملكة الأخرى (في الغرب والجنوب والشمال) .

ومن المهم إلقاء النظر إلى أن بحثنا عن تعداد الشيعة في البلاد ، يكتسب أهمية سياسية ، بإعتبار أن النظام السياسي القائم يعتمد أساساً على الفرز الطائفي في سياساته وتحالفاته الداخلية والخارجية ، حيث يشكل المذهب إحدى أهم قواعد الموقف السياسي والإجتماعي .

تقديرات السكان في الماضي والحاضر

في مهمة إستخبارية بالدرجة الأساس ، تحرك الكاتب والمخبر الإنجليزي ج . ج . لوريمير نحو الأحساء - وكانت يومئذ تحت قبضة الحكومة العثمانية - مصطفحاً معه عدداً من الباحثين والمساعدين ، من أجل إعداد مسح جغرافي وسياسي شامل لها .. فحدد موقع المنطقة الطبوغرافية ومصادر الثروة ، وعدد القرى واحدة واحدة ، وتحدى عن سكانها ومنازلها وما يملكون من ثروات ومزارع ، وما تحويه تلك القرى أو المدن من عيون . وكانت خلاصة المسح الذي دام مدة غير قليلة ، أن طبع في كتاب يحمل إسم « دليل الخليج » ، يحوي ١٤ مجلداً ، سبعة منها في الجغرافيا ، وسبعة أخرى في السياسة .. ولم توزع هذه المجلدات إلا على المسؤولين البريطانيين المهتمين بالمنطقة والذين يتعاطون مع شؤونها ، حيث لم يطبع منه سوى ٥٠ نسخة . وفي الخمسينيات الميلادية تسرّبت نسخ من الكتاب ، وترجم وطبع في قطر مرتين على حساب أميرها .

قدر لوريمير في دراسته (سنة ١٩٠٧) عدد سكان الأحساء بحوالي ١٥٨ ألف نسمة ، بين بدو وحضر . في حين أفادت تقديرات أخرى لنفس الفترة أن عدد سكان الكويت كان يبلغ ٣٥ ألفاً ، والبحرين ١٠٠ ألف ، وقطر ٢٧ ألفاً . وساحل عمان بأكمله ٧٢ ألفاً^(١٧) .

ويلاحظ أن لوريمير قدر نسبة الشيعة في الأحساء بثلاثة أرباع السكان الحضر ، وأشار إلى أن الشيعة في القطيف وما حولها يشكلون الأكثرية الساحقة ، وقال أن عدد سكان القطيف يقدر بنحو ٢٨ ألف نسمة ^(١٦) . وفي الثلاثينيات الميلادية ، قدر عمر رضا كحالة سكان الأحساء فقال أن عددهم ٢٥٠ - ٣٠٠ ألف نسمة ^(١٧) . وفي نفس الفترة قدر مستشار الملك عبد العزيز - الشيخ حافظ وهبة - عدد سكان الحضر بـ ٩٠ ألف نسمة ، قال أن ستين ألفاً منهم ينتمون إلى المذهب الشيعي .

وقدّر فايدل - صاحب مؤلف واحة الأحساء - عدد الشيعة في الأحساء سنة ١٩٥٥ بنحو ١٣٠ ألف نسمة ، وقال أن نسبتهم إلى السنة والبدو المستوطنين حينئذ بكثافة عالية بعد أن تفجّر النفط هي ٤٥ إلى ٥٥ . ونظراً لهذا التقدير الضئيل لعدد الشيعة ، فقد شك فاسيلييف في الرقم ، وقال أن الشيعة ربما يخفون معتقداتهم ، فمن المحتمل أن عددهم في المنطقة الشرقية كان أكبر مما ذكره الباحثون ^(١٨) .

وفي عام ١٩٦٠ ، قدر الأستاذ محمد سعيد المسلم عدد السكان في القطيف وقراها - دون الأحساء - بمائة وخمسين ألفاً ، وقال أن عدد الشيعة يمثل ٩٦٪ من السكان في واحة القطيف ، وأشار إلى أن نسبة السكان قد زادت في تلك الفترة لارتفاع نسبة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات ^(١٩) .

وببناء على تقديرات محمد سعيد المسلم لعدد سكان القطيف ، فإنه يمكن تخمين عدد سكان الأحساء في نفس العام ١٩٦٠ بنحو ٢١٠ ألف نسمة .. فيكون عدد الشيعة في واحتي الأحساء والقطيف حوالي ٣٥٠ ألف نسمة .

وقدّر الأستاذ الدكتور عبد الله السبعبي عدد سكان الواحتين - الأحساء والقطيف - في عام ١٩٦٠ بـ ٦٠٠ ألف نسمة ^(٢٠) . وفي نفس الفترة ، قدر باحث أمريكي سنة ١٩٥٩ عدد السكان الشيعة بأكثر من ١٠٠ ألف نسمة ، يعيشون في الأحساء والقطيف ، وأشار إلى الشيعة (المكارمة / الإسماعيليين) ، الذين كانوا يسيطرون على نجران قرب الحدود اليمنية ، دون أن يذكر عددهم ^(٢١) . واضح أن حساب هذا الباحث غير دقيق لضعف إطلاعه ، فقد قال في حديثه عن سكان المنطقة الشرقية بأن الهنوف يسكنها (٦٠ ألفاً) ، والمبرز (٢٨ ألفاً) ، وأن في الأحساء ٥٢ قرية قدر عدد سكانها مجتمعة بنحو (١٥٠ ألفاً) ، والخبر (٣٥ ألفاً) ، والقطيف (٢٥ ألفاً) ، والدمام (١٥ ألفاً) ، والظهران (١٥ ألفاً) . ويكمّن الخطأ في تقديرات الكاتب الأميركي أنه لم يحسب عدد

الشيعة في القرى الأحسائية - وهي في غالبيتها قرى شيعية - ، كما نعتقد أنه لم يضف إلى حسابه عدد الشيعة في قرى القطيف وهي كثيرة . غير أن من المدهش حقاً هو أن تقديراته لسكان المدن التي زارها ، والتي أشرنا إليها أعلى ، هي تقديرات تقارب الصحة (٧٤) .

وتتضح نسبة شيعة المنطقة الشرقية بالنسبة لعلوم المملكة بالمقارنة مع سكان المدن الأخرى المهمة . فقد أشار الكاتب الأميركي إلى أن أكبر مدينة سعودية في أواخر الخمسينيات الميلادية هي مكة المكرمة ، وقال أن عدد سكانها (١٢٠ ألفاً) ، في حين أن عدد سكان جدة (١٠٠ ألف نسمة) ، والمدينة المنورة (٤٠ ألف نسمة) ، وينبع الميناء / البحر (عشرة آلاف نسمة) ، أما العاصمة الرياض فقال أن سكانها يبلغون يومئذ (٧٥ ألفاً) وارتفع الرقم حتى أصبح أكبر من عدد سكان مكة المكرمة .

و واضح من مجمل الأرقام التي وضعناها كتقدير لعدد السكان في المملكة ، أنها متباينة وتقريبية ، أما إحصاءات الحكومة - إن وجدت - فهي غير موثوقة من قبل كل الباحثين على الإطلاق .

حسب « حصر » السكان عام ١٩٦٢ الذي ألغت الحكومة نتائجه ، فإن عدد سكان الأحساء والقطيف وصل إلى ٥٧٥ ألف نسمة ، بينهم ٢٠٠ ألف بدوي مترحل (٧٥) ، وذلك من مجموع عدد السكان المقدر بـ ٣,٢ مليون نسمة . وفي عام ١٩٧٤ قدر عدد سكان المنطقة الشرقية بحوالي ٧٧٠ ألف نسمة من أصل سبعة ملايين هم مجموع سكان المملكة . وفي عام ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ ، قدرت مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والإقتصاد الوطني عدد سكان المنطقة الشرقية بـ ٧٦٢٠٢٧ نسمة . وكل هذه الأرقام لا تعدو التخريصات ، وإن لم تخلُ من الدسّ أيضاً .

بإندلاع إنتفاضة الشيعة في المنطقة الشرقية في مطلع عام ١٤٠٠ هـ - نوفمبر ١٩٧٩ م ، تزايدت الحاجة لمعرفة عدد الشيعة في المملكة ومواضعهم وتأثيرهم ، ولكن الباحثين فوجئوا بشحة الإحصاءات ، وتناقض الأرقام . فاعتمد الباحثون على التخمين أو الجمع بين المتناقضات ! ، أو وضع أرقام متباينة لتقرير التخمين ! . تماماً مثلما فعلت الأمم المتحدة من قبل ، حيث قدرت في منتصف السبعينيات الميلادية عدد سكان المملكة بين ٦ - ١٠ مليون نسمة ! (٧٦) . قدر فاسيلييف عدد الشيعة في الأحساء والقطيف في مطلع الثمانينيات الميلادية بين ٣٠٠ - ٣٥٠ ألف نسمة ، وقال أنهم يقطنون أهم منطقة إستراتيجية في البلاد (٧٧) .

في نفس الفترة قدر « عصيده دويشة » نسبة الشيعة في المملكة إلى بقية

السكان بـ ١٢٪ ، ولكنه لم يذكر عدد سكان المملكة في الأساس ، وأشار الى أن المنطقة الشرقية تسكنها أغلبية شيعية (٧٨) .

روبرت ليسي ، الكاتب والصحافي البريطاني ، قدر عددهم عام ١٩٨٢ بمائة ألف نسمة ، ونظنّ - من خلال تتبعنا لسياق حديثه - أنه قصد منطقة الإضطرابات فقط ، ويعني بها القطيف ، ولم يشمل رقمه سكان الأحساء الشيعة (٧٩) .

وقدّر باحثان غربيان في مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية عدد الشيعة عام ١٩٨٢ بنحو ٢٧٥ ألف نسمة ، ١٥٠ ألفاً منهم يعيشون في واحة القطيف ويشكلون ٩٨٪ من سكانها ، وأشارا الى أن الشيعة يشكلون نصف عدد سكان الأحساء . وواضح الخطأ في التقدير هنا ، لأن سكان الأحساء أكثر من سكان القطيف ، في حين أن تقديرات الباحثين قالت أن عدد سكان الأحساء الشيعة لا يتجاوز ١٢٥ ألف نسمة ، أي أقلّ من سكان القطيف . ومن جهة ثانية أشار الباحثان الى أن عدد سكان المملكة سنة ١٩٨٠ بلغ ٤,٣ مليون نسمة ، وفي موقع آخر قالا أن الرقم أقلّ من أربعة ملايين نسمة (٨٠) .

أما الباحث جوزيف كشيشيان ، فقد قدر عدد الأقلية الشيعية في المملكة بين ٢٥٠ - ٤٠٠ ألف نسمة ، وقال أنهم يسكنون بصورة رئيسية في مدن القطيف والهفوف وسبiez ، ويعمل غالبيتهم في صناعة النفط ، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنهم . وأشار الى أن الطرد بالجملة للشيعة السعوديين المتهمين بنشاطات معادية للدولة سيلحق الضرار بصناعة النفط (٨١) .

من جهةه قدر الكاتب البريطاني « مايكل فيلد » عدد الشيعة في السعودية في منتصف الثمانينيات بحوالي ٣٨٠ ألف نسمة (٨٢) . وقدّر مؤلفا كتاب SHIISM AND SOCIAL PROTEST « عددهم بـ ٢٠٠ الف نسمة (٨٣) .

وقدّر ولIAM كوانت في كتابه « السعودية في الثمانينيات » عددهم بـ ٣٠٠ ألف نسمة ، وجيمس بوكان بـ ٤٠٠ ألف نسمة ، وجيمس بل - صاحب مؤلف الاسلام والسياسة والشيعة في الخليج - بـ ٤٠٠ ألف نسمة . واعتمد جاكوب غولدبيرغ في دراسة عن الأقلية الشيعية في السعودية ، رقمًا قال أنه معتدل وهو ٣٥٠ نسمة من بين ستة ملايين هم عدد سكان المملكة . وقال جاكوب أن أكثر من ثلث سكان الأحساء شيعة ، وأن ٩٥٪ من القطيف وما حولها من الشيعة ، وكذلك نصف سكان الهفوف .

وفي عام ١٩٨٧ / شعبان ١٤٠٧ هـ ، قدر الأستاذ يوسف خالد أبو بشيت في مقال له عن القطيف وحدها ، قدر عدد سكانها بـ ٨٩ ألف نسمة .. كما قدر عدد سكان القطيف مع مجموع القرى والمدن المحيطة بها بربع مليون نسمة ..

وبالطبع فإن هذا الرقم لا يشمل الأحساء (٨٤) . في نفس الفترة - أواخر الثمانينات - كان أعيان الشيعة في القطيف يعتمدون رقم ٤٠٠ ألف نسمة كعدد سكان القطيف وقراها ، كأساس في خطاباتهم ومراسلاتهم مع المسؤولين الحكوميين .

وفي دراسة ميدانية قام بها لفيف من خريجي الجامعة في منطقة القطيف في صيف عام ١٩٨٩ ، وضع خلالها حصرًّا لعدد طلاب وطالبات الإبتدائية والمتوسطة والثانوية ، وطلاب المعاهد المهنية والصناعية والجامعات ، وعدد العاملين في شركة أرامكو النفطية . وجرى حصر عدد المدارس والأندية والشركات الأهلية والمستشفيات والمساجد وعدد خطوط التلفون وغيرها . وكانت نتيجة الدراسة والحصر أن وُضعت تقديرات لعدد سكان منطقة القطيف وقراها ، فجاءت على النحو التالي :

القطيف : ٨١ ألفاً ، القديح : ٢٠ ألفاً ، البحاري : سبعة آلاف ، أم الحمام : ١٦ ألفاً ، الجارودية : ٨,٥ ألف نسمة ، الجيش : ١٢ ألفاً ، الخوبلدية : ٧ آلاف ، الأوجام : ٩,٥ ألف نسمة ، العوامية : ٢٦ ألف نسمة ، سيهات : ٤٥ ألفاً ، صفوى : ٤١ ألفاً ، تاروت : ٢٨ ألفاً ، الربيعية : ١٤ ألفاً ، سنابس : ٢٠ ألفاً ، حلة محيش : ٧,٥ ألف نسمة ، الملاحة ٧,٥ ألف نسمة ، متفرقات (الدمام - الخبر - الجبيل - بقيق - الثقبة - رحيمه - الظهران) : ٤٥ ألف نسمة . وأشارت الدراسة إلى أن عدد سكان القطيف وضواحيها ، إضافة إلى سكناً المدن - دون الأحساء - تصل إلى ٣٩٥ ألف نسمة ، في حين قدرت الدراسة عدد سكان الشيعة في الأحساء بـ ٥٦٠ ألف نسمة .

وأوضحت الدراسة لعينة عشوائية من ٥٠٠ شخص ، أن معدل الزيادة السنوية للسكان الشيعة في القطيف خلال الأربعين سنة الماضية كان : ٪ ٣,٧ سنوياً ، وأن هذه النسبة أخذة في التصاعد لتصل في الوقت الحاضر إلى ٪ ٣,٩ سنوياً . وأرجعت الدراسة سبب هذه الزيادة المذكورة إلى عدة عوامل : أولها : إنخفاض نسبة الوفيات خلال العقد الماضي ، فبعد أن كانت الوفيات بين المواليد في أواخر السبعينيات تزيد على ١٤١ في الألف - وهي نسبة مرتفعة جداً - ، إنخفضت هذه النسبة في أواخر الثمانينيات لتصل إلى ما يقارب ٣٠ في الألف ، ويرجع ذلك إلى تحسن مستوى الخدمات الصحية .

ثانيها : الزواج المبكر ، حيث تبين الدراسة بأن معظم الزيجات تتم بالنسبة للرجال بين ١٨ - ٢٥ سنة ، وبالنسبة للفتيات بين ١٦ - ٢٢ سنة . ويرجع سبب الزواج المبكر إلى أمرتين هامتين : البيئة الدينية المحافظة ، وعدم وجود صعوبات أمام الشباب في إقدامهم على الزواج ، حيث أن المهر لا يزال منخفضاً ، ومعظم

المهور بين ١٥ - ١٠ الف ريال ، بينما تصل في مناطق من المملكة الى مئات الآلوف من الريالات .

ثالثها : دفع المجتمع الشيعي لأفراده نحو كثرة الإنجاب ، ولعل ذلك بسبب - أو أحد أسباب - شعور الأقلية بعدم الإطمئنان ، وضرورة التحدي . وتشير الدراسة الى أن عادات المجتمع الشيعي وتقاليده جعلت من إكثار النسل بحد ذاته قيمة يعتد بها . إن أسرة يبلغ عدد أطفالها خمسة ، يعتبر ضئيلاً في رأي عامة الناس .. ومن الأمور الإعتيادية جداً بل والشائعة أن يكون عدد الأطفال عشرة وأكثر ، بل أنك تجد شباباً كثريين لم تتجاوز أعمارهم الثلاثين لديهم خمسة أو ستة أطفال .. وتقول الدراسة الى أن هذا لا علاقة له بمستوى المجتمع الثقافي ، خاصة وأن مستوى الوعي بين الطائفة الشيعية هو الأكثر قاطبة بين سكان المملكة .

من جهة أخرى لا يبدو أن معدل زيادة السكان في القطيف يختلف عنه في الأحساء ، والتي يبدو فيها التمدد الشيعي واضحاً في كل القرى ، بل أن القرى المختلطة غالبتها كثافة شيعية ، مع ملاحظة أن الأحساء كانت المحطة الأهم للهجرات القادمة من الداخل الصحراوي ، ومن جنوب المملكة . وقد لعبت زيادة التسلل بين السكان الشيعة في الأحساء دوراً مهماً في إبقاء الغلبة للعنصر الشيعي ، كما كانت طوال القرون الماضية ، رغم الهجرات الهائلة القادمة من مناطق الجزيرة العربية المختلفة .

وبهذا يمكن إعطاء تقدير معتدل لعدد السكان الشيعي في عموم المملكة بـ ٣٧٠ مليوناً وخمسمائة ألف نسمة (٩٥٥ ألفاً في المنطقة الشرقية - ٢٨٠ ألف نسمة في المنطقة الغربية ، تشمل الشيعة الزبيود والإمامية / الإثناعشرية - ٣٠٠ ألف نسمة في المناطق الجنوبية من الإسماعيليين) .
وتحدد نسبة عدد الشيعة لجمل السكان بناء على تقديرات عدد سكان المملكة والتي تتراوح في الوقت الحالي بين ستة ملايين و إثنى عشر مليون نسمة ، أي بين ١٢,٥ % - ٢٥ % .

هوامش

- (١) تحفة المستفید في تاريخ الاحسأء القديم والجديد ، الشیخ علی آل عبد القادر ، ص ٢٠١ .
- (٢) أي أنهم يمارسون حریاتهم الدينیة دون خوف .
- (٣) رحلة ابن بطوطه ، المسماة تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار الكتاب اللبناني ، من ١٨٦ .
- (٤) المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ، الجزء الأول ، حمد الجاسر ، ص ٥٨ .
- (٥) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، ٥٩ .
- (٦) Saudi Arabia Modernization, The Impact Of Change On Stability. By John A. Shaw & David E. Long, The Center For Strategic And International Studies, George town University Washington D.C, 1988 P98.
- (٧) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٦ ، أكتوبر ١٩٨٢ . دراسة للدكتور محمد رياض تحت عنوان : الخليج والخليجيين قبل عام ١٩٣٠ / دراسة الجغرافيا والسكان والإقتصاد ، ص ٤٤٥ .
- (٨) انظر كتاب : البحرين / التغيير السياسي والاجتماعي ، للدكتور محمد الرميحي ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
- (٩) راجع ديوان ابن المقرب العيوني ، تحقيق عبد الفتاح الحلو .
- (١٠) الخليج العربي ، دراسة في اصول السكان ، يوسف محمد المصيط ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .
- (١١) الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، عبد الفتاح بوعلية ، ص ٤٧ ، والكاتب ليس سعودياً ، وإن كان يحمل الجنسية السعودية ! .
- (١٢) مايكيل فيلد ، التجار ، الجزء الأول ، ترجمة دهام عطاونة ، ص ٦٩ .
- (١٣) الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
- (١٤) الإصلاح الاجتماعي ، ص ٤٨ .
- (١٥) الشعر في الجزيرة العربية ، الدكتور عبد الله الحامد العلي ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
- (١٦) آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .
- (١٧) المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- (١٨) وينتمي إلى عائلة الدالوي الباحث والطبيب الشعبي المشهور : ناصر علي الدالوي ، الذي يكتشف عقاراً يسبّب العقم الدائم ، وأخر للعقم المؤقت . وقد سجلت إكتشافه الأول موسوعة الطب العالمية . إنعتله الباحث السعودية لعشرة أيام في عام ١٩٨٧ لمسائل تتعلق ببحوثه ، وقيل أن الشیخ زايد آل نهیان - رئيس دولة الامارات العربية المتحدة - عرض عليه أن يسكن في الامارات لإعداد أبحاثه وتجاربه ، ولكن إعتذر عن ذلك بأنه « لا يستطيع أن يترك وطنه » .
- (١٩) المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ، الجزء الأول ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- (٢٠) آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

- (٢١) قال أحد كبار آل خويت ، أن الأمير محمد بن فهد بن جلوى - أمير الأحساء - سأله عن نسب عائلته - والأمير له إهتمامات بهذه المسائل ، فأجاب : أنه من الزعب . فقال الأمير : أريد مصادر أعتمد عليها . فقال له : إنكم لم تتركوا للشيعة كُباً ، فقد أحقرتموها .
- وقال آخر من زعماء العائلة أنه يحتفظ بـ « صك » أعطاه الملك عبد العزيز لعمدة البلدة - المطيري - يمنحه سلطات واسعة في بلاده ، ولكنه يعترف بأنها كانت مجرد (ورقة) لا قيمة لها .
- (٢٢) لقاء في ٢/١٥/١٩٨٩ مع السيد محمد ن . غ .
- (٢٣) لقاء مع م . ب . غ ، في الثان من محرم ١٤٠٩ هـ .
- (٢٤) أعلام العوامية ، الشيخ سعيد أبي المكارم ، الجزء الأول ، ص ١٥ .
- (٢٥) لقاء مع (س . ح . ع) في ١٦/١٢/١٤٠٨ هـ .
- (٢٦) لقاء مع (أ . المزنق) أحد أعيان بلدة الوجه في ٢٨/١٢/١٤٠٨ هـ .
- (٢٧) تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب - عبد الرحمن بن عبد الكري姆 المدني - ت ١١٩٥ هـ ، وهو متاعف مع الوهابيين وأفكارهم كما هو واضح من كتابه .
- (٢٨) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت باشا ، جزء ١ ، ص ٤٤٠ .
- (٢٩) كنز الأنساب وجمع الآداب ، حمد بن إبراهيم بن عبد الله الحقيل ، الطبعة العاشرة ، ص ١٢٨ ، ١٣٩ .
- (٣٠) قيام الدولة السعودية ، عبد الكرييم الغرابية .
- (٣١) المصدر السابق ، ص ١٧ .
- (٣٢) الملامح الجغرافية لدورب الحجيج ، سيد عبد المجيد بكر ، ط ١٤٠١ هـ ، ص ١٤٠ .
- (٣٣) السعوديون والحل الإسلامي ، جلال كشك ، ص ٢٤٠ .
- (٣٤) فضول من تاريخ العربية السعودية ، إليكى فاسيليف ، ط لندن ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
- (٣٥) جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦ .
- (٣٦) FO.371-4147 وثيقة مؤرخة في الثالث من نوفمبر ١٩١٩ م ، ومرسلة من ضابط البعثة المدنية البريطانية إلى حكومة الهند .
- (٣٧) أعدَّ العتيد البريطاني في البحرين الكولونيل ديكسون مذكرة إلى رئيسه ، حول أوضاع نجد يستعرض فيها خارطة التحالفات القبلية في نجد ، وبينها إمكانية قيام تحالف بين قبيلة عنزة وإن سعوه لهاجمة حائل من الشمال والجنوب . ثم يطرح ديكسون رأيه في موضوع حساس وهو : مساعدة بريطانيا لإبن سعود من أجل إسقاط الحكم الرشيد ، مستعرضاً فوائد ذلك للحكومة البريطانية .
- يقول ديكسون : « هل سيكون من مصلحة حكومة صاحب الجلة أن ترى إبن رشيد مرة أخرى تابعاً لنجد ؟ أنا أرى أن ذلك في مصلحتها . إن وسط جزيرة عربية قوي بقيادة إبن سعود الذي هو على أمنن علاقات الصداقة مع الحكومة البريطانية ، سوف يناسب على ما أرى السياسة البريطانية حتى آخر تقاضيلها ، وسيحل هذا مشاكل كثيرة ، وسيجعل الدول الساحلية الصغيرة - التي تحكمها بريطانيا - أكثر اعتماداً علينا مما هي عليه الآن . أن الكويت والبحرين وأمارات الساحل المتصالح وعمان والمدين والهزار وحتى سوريا ، ستبقى دائماً في حالة فزع ورعب من جارها القوي ، وستكون أكثر تجاوباً وإنصياعاً لرغبات حكومة صاحب الجلة البريطانية مما هي عليه اليوم أيضاً .
- وفي الوقت الحاضر ، فإن كل هذه الدول الساحلية - ونتيجة الحرب العالمية الأولى ، والحديث الممل عن حقوق الدول الصغيرة - قد تحركت خيالاتها ودافت طرباً (لهذه الأقاويل) ، وهي عديمة الانضباط وتؤدي دائماً لو تستطيع الانحراف عن الصراط المستقيم (الصراط البريطاني !) . وستكون أول من يبدأ بالصرارخ والعويل إذا أصبح جار قوي خطراً يتهدها . وهي تعرف حالياً حق المعرفة أن إبن رشيد قويًا في نجد يجعل إبن سعود يفكر مرتين قبل أن يحرك قوة كبيرة بعيداً عن نجد . إنها كالثعلب تشعر في أمان وهي تدوس على ذنب الأسد ، وتتعلم أنها في مأمن من الضربات الانتقامية .
- .. إذا أصبح إبن سعود أقوى رجل في جزيرة العرب ، فإن النفوذ البريطاني سيزداد بشكل هائل ، وسيطغى أمد هذا النفوذ إلى ما لا نهاية بين الدول الساحلية . أما إذا استمرَّ إبن سعود وإن رشيد في حروبهما المたوالية

بلا نهاية ، بحيث يضعف الإثبات الى درجة الإنهاك ، فستكون النتيجة الأولى ، ميلًا للتخلص من التفود البريطاني ، والتدخل في شؤون الدول الساحلية . ويجب أن لا ننسى أن كل هذه الدول الساحلية الصغيرة تطمح الى توسيع رقعة اراضيها الداخلية .

ويضيف ديكسون : من الطبيعي أن حكومة صاحب الجلة - إن هي أرادت حقاً أن تساعد ابن سعود كي يصبح الأقوى ، وكانت ترغب بالتأكيد في دعمه في إخضاع ابن رشيد لسلطته - فإن أسرع أسلوب وأسهله لتحقيق هذا الغرض ، هو أن تعلن الحكومة البريطانية حالة حصار شديدة ضد ابن رشيد ، بدءاً من النجف بالعراق وحتى الكويت ، بما في ذلك حصار هاتين المدينتين ، على أن يكون تنفيذ الحصار في الكويت بيد المسؤولين البريطانيين هناك .

إن حصاراً كهذا - إذا ما أرقق بهميد من ابن سعود بشن الحرب - سيجر ابن رشيد خلال ثلاثة أشهر على أكثر التقديرات ، على قبول آية شرط تفرض عليه . ولتحقيق أهداف الحصار من طرف الكويت ، لا بد من الاستيلاء المباشر على السلطة فيها من قبل البريطانيين ، ذلك أن حصاراً محلياً يديره الشيخ سالم الصباح سيكون مهزلاً .

اما إذا كان وجود ابن رشيد قوي مهماً وحيوياً بالنسبة لحكومة صاحب الجلة ، فما عليها إلا أن تدعم ابن سعود بثبات وبطء بنفس الطريقة التي كان الآتراك يدعمون ابن رشيد . وفي كل الأحوال يجب أن يجعل الدول الساحلية تعيش في حالة خوف ورعب دائمين من الجار النجدي الكبير ، لأنها بهذه الوسيلة فقط ستفلت راغبة في البقاء على علاقات طيبة معنا . يجب أن تشعر كلها بضرورة حمايتنا والحاجة اليها ، وإن أفلتت من بين أيدينا .

واقتنع الانجليز بهذا التحليل ، فانهالت المساعدات على ابن سعود ، وبعد سنة واحدة فقط ، كان ابن سعود ومستشاره البريطاني جون فيليبي يطركان أبواب حائل ! .

انظر الوثيقة السرية 12852 E التي أعدّها ديكسون في ١٢/٨/١٩٢٠ م ، والمسجلة بتاريخ ١٨/١٠/١٩٢٠ م .

(٢٨) فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٢٧٧ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(٤٠) في لقاء المؤلف مع عدد من هؤلاء الشيعة ، أبدوا مخاوفهم من ذكر أسماء عوائلهم والقبائل التي ينتنون إليها ، والأحياء التي يسكنون فيها ، خوفاً على أنفسهم من الإضطهاد .

(٤١) انظر تفصيلاً عن هذه الهجرات في كتاب ساحل الذهب الأسود ، للأستاذ محمد سعيد المسلم ، ص ٥٩ - ٨٠ .

(٤٢) الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٤١ .

(٤٣) الخليج العربي (١٩١٤ - ١٨٤٠) - الجزء الأول - للدكتور جمال زكريا قاسم ، ص ٣٩ .

(٤٤) يوسف الصميط ، مصدر سابق ، ص ٢٧ . والدكتور الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٤١ .

(٤٥) التيارات السياسية ، الدكتور صلاح العقاد ، ص ٥٨ .

(٤٦) الرميحي ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٤٧) الحدود الشرقية للجزيرة العربية ، ج . ب . كيلي ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٥ .

(٤٨) الخليج العربي (١٩٤٥ - ١٩١٤) ، الجزء الثاني ، جمال زكريا قاسم ، ص ٢٩٧ - ٣٠٠ .

(٤٩) محمد سعيد المسلم ، مصدر سابق ، ص ١٢ .

(٥٠) الجغرافية السياسية للكويت ، د . محمد رشيد الفيل ، ص ١٧٩ .

(٥١) دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والإقتصادي في العصر الحديث ، د . بدر الدين عباس خصوصي ، الطبعة الثانية - الكويت ، ص ١٢٢ .

(٥٢) المصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٥٣) محمد رشيد الفيل ، مصدر سابق ، ص ٥٨٦ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٢ .

(٥٥) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٦٤ . ومحمد رشيد الفيل ، مصدر سابق ، ص ٣٩٤ .

- (٥٦) محمد رشيد الفيل ، مصدر سابق ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
- (٥٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- (٥٨) جمال ذكريأ قاسم ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤ . ويوف الصميط ، مصدر سابق ، ص ٣٦ . وكذلك الريميحي ، مصدر سابق ، ص ٥٢ .
- (٥٩) جمال ذكريأ قاسم ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٥ . ويوف الصميط ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .
- (٦٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٦١) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٦٢) سكان المملكة العربية السعودية ، محمد أحمد الرويسي ، ط ٢ الرياض ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .
- (٦٣) Shi'ism And Social Protest , Edited By Juan R.I. Cole & Nikki R. Keddie , Yale University Press , U.S.A , 1986 , Chapter 9 [The Shi'i Minority In Saudi Arabia] , By Jacob Godberg , P.230
- (٦٤) محمد أحمد الرويسي ، مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .
- (٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ ، ٢٤ .
- (٦٦) أمين الريhani ، ملوك العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ ، ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ .
- (٦٧) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، عدد ٣٦ ، أكتوبر ١٩٨٣ / ذي الحجة ١٤٠٣ هـ .
- (٦٨) لوريمير ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، الجزء الثاني ، ص ٨٤٦ .
- (٦٩) جغرافية شبه الجزيرة العربية ، عمر رضا كحالة ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
- (٧٠) فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٣٤٩ .
- (٧١) محمد سعيد المسلم ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .
- (٧٢) الدكتور عبد الله السباعي ، إكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، ط ١٩٨٧ ، ص ٣٠ .
- Saudi Arabia, It's people, It's society, It's culture. By George A. Lipsky, Harf Press, (٧٣)
U.S.A 1959, P.25,35,44,70
George A. Lipsky, P.25 (٧٤)
- (٧٥) الصميط ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
- (٧٦) الرويسي ، مصدر سابق ، ص ٢٤ . لقد نشرت أرقام أقرب إلى الحقيقة تقول بأن عدد سكان المملكة بين ١٩٦٢ - ١٩٧٤ يقدر بـ ٣,٢ - ٤,٤ مليون نسمة .
- (٧٧) فاسيلييف ، مصدر سابق ، ص ٥١٧ .
- (٧٨) السعودية تبحث عن الأمن (مترجم) ، عضيد دويشة ، المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية - لندن .
- (٧٩) روبرت ليسى ، المملكة ، ترجمة دهام عطاونة ، انظر الفصل المتعلق بانتفاضة الحرم تحت عنوان (المهدي) .
- John A. Shaw & David E. Long. P. 46,97 (٨٠)
- الطريف أن المؤلفين قدما إحصاءً لعدد الأجانب في السعودية فقالا إنهم يمثلون نصف السكان ، أي أكثر من مليوني نسمة ، منهم ١٠٠ ألف كوري جنوبى ، ٥٠ ألف تايلاندى ، ٢٠٠ ألف فلبيني ، ٧٥ ألف هندي ، ٣٠٠ ألف باكستاني ، ٤٠ ألف أمريكي ، ١٠ آلاف المانى ، ١٥ ألف فرنسي ، ١٢ ألف إيطالي ، ١٠ آلاف يونانى .. الخ » .
- (٨١) دراسة عنوانها : « رسائل جهيمان السابع » ، أعدت للندوة التي عقدت لبحث موضوع « الأصولية الإسلامية » في الاجتماع السنوي العشرين مؤسسة الدراسات الشرق أوسطية / بوسطن في ٢١/١١/١٩٨٦ .
- (٨٢) مايكيل فيلد ، التجار ، ص ٧٠ . SHI'ISM AND SOCIAL PROTEST, P.230,231.
- (٨٤) مجلة القافلة ، تصدرها شركة ارامكو النفطية ، عدد شعبان ١٤٠٧ هـ ، موضوع يحمل عنوان : (القطيف .. مدينة تاريخية عريقة) . الصفحتان ٦ - ١٥ .

٣

الشيعة والوهابيون الأوائل

في سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣ م ، ولد في العيينة - إحدى قرى نجد - الشیخ محمد بن عبد الوهاب ، صاحب الدعوة التي حملت إسمه ، وكان أبوه قاضياً ومدرساً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

وبعد أن بلغ صاحب الدعوة من العمر ثلاث عشرة سنة زار المدينة المنورة ، والتقى بالعالم النجدي الشیخ عبد الله بن إبراهيم بن يوسف آل سیف ، وتوثّقت علاقته به ودرس على يديه ، كما درس عند الشیخ محمد حیاة السندي . وبعد أن عاد الشیخ محمد بن عبد الوهاب إلى نجد قادماً من الحجاز ارتحل إلى العراق وزار بغداد والبصرة ، وقيل أنه بقي هناك مدة أربع سنوات حيث قرأ على يد الشیخ محمد المجموعي في البصرة ، وهناك اصطدم مع العديد من الآراء والأفكار السائدة ، فقام السكان إليه وطردوه من المدينة ، فارتاحل إلى الأحساء - وكان فيها فحول العلماء - والتقى بالشیخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطیف الشافعی ، فدرس على يديه ، ثم عاد إلى حريملاع حيث كان يقيم والده . في حريملاع حاول الشیخ إظهار آرائه التي تمیل إلى التشدد ، فاصطدم مع أهل حريملاع ، بل أنه جرى بينه وبين أبيه جدال وخلاف ، ويقول أتباعه إنه دارى أباه إلى أن مات ، فأعلن دعوته بصراحة ، ولكن أهل حريملاع تصدوا له وطردوه ، أو حاولوا قتله ، فذهب إلى العینة ، وحاول جهده أن يكسب ولاء حاكمها عثمان بن معمر ، فنجح إلى حين ، ولكن الحاکم الخالدی في الأحساء (سلیمان آل محمد) ، هدد ابن معمر ، بإلاستیلاء على نخیله وبساتینه في الأحساء ، ویمنع سکان العینة من الورود إلى الأحساء والقطیف للتجارة . لهذا أخرج ابن معمر الشیخ محمد بن عبد الوهاب ، فالتجأ إلى حاکم الدرعیة ، وكانت من أصغر القرى النجده وأضعفها وأقلّها موارد ، حيث لم تكن بيوتها تزيد على الخمسين بيتاً ، وهناك أجرى الشیخ صفقة إتفاق مع

الحاكم السعودي في سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م ، قامت على أساسه ما عُرف فيما بعد بالدولة السعودية الأولى . وتضمن الإتفاق إقتسام السلطة ، إقتسام السلطة بحيث تكون السلطة السياسية في يد محمد بن سعود وخلفائه ، وتكون السلطة الدينية في يد آل الشيخ . ولم يشر إلى هذا الإتفاق من المؤرخين الأوائل إلا صاحب كتاب لمع الشهاب .

في حين يشير بقية المؤرخين إلى أن الشيخ إتفق مع محمد بن سعود على أن يحاربا الشرك ويأمراً بالمعروف وينهياً عن المنكر ، وأن لا يغادر الشيخ الدرعية إذا ما حققت دعوته انتصارات . وكان الحاكم السعودي يدرك أن توسيع سلطانه ونفوذه لن يتم إلا بإعلان « الجهاد الديني » الذي كان يعني محاربة المناطق المجاورة باعتبار أن أهلها من المشركين ، وأن دارهم دار حرب . ومن هنا ندرك لماذا تصدى لهذه الدعوة معظم علماء الدين ومعظم حكام المناطق في الجزيرة العربية . ذلك أن أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب غالوا في كثير من الأمور الخطيرة ، وأولئك اعتقادهم بأن من يرى غير رايهم كافر حلال الدم والمال ، وقيامهم بنشر آرائهم الدينية بقوة السلاح وليس بالحجارة والإقناع ، وظلّ التعلّق والبغاللة يلزمان أتباع الدعوة الوهابية – السلفية حتى قيام الدولة السعودية الثالثة في مطلع القرن العشرين ^(١) .

لقد وقف علماء الأحساء الستة بين فيم الحنابلة وأكثر علماء نجد والجذار ضدّ صاحب الدعوة وأزائه ، ومن بينهم أخوه صاحب الدعوة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألف كتاب « الصواب الإلهي في الرد على الوهابية » ، حيث أنكر على أخيه الإجتهد ، واعتراض على آرائه وقابلها بأراء من نفس المصادر الحنبليّة التي يعتمد عليها أخوه ، وهي كتب ابن تيمية .

وحين بدأت الدعوة الوهابية تتمدد إلى خارج الدرعية ، وقف ضدّها الجميع ، ليس اعترافاً على آراء الشيخ الدينية فحسب ، وإنما أيضاً لإعراضهم على إتساع نفوذ الأسرة السعودية ، ودخلت الدرعية حروباً دامية استمرت نحو أربعين عاماً إلى أن إستطاعت السيطرة على إقليم نجد بما فيه من قرى ومدن ، ولم تخل مدينة أو قرية إلا ودخلت مع آل سعود في حرب ، ولم ترضخ واحدة إلا وتشور الثانية وتتمرد ، فتقمع من جديد ويقتل المعارضون أو يطردون من وسط الجزيرة العربية بالكامل ، أو تمارس بحقهم الإقامة الجبرية في الدرعية ، أو يؤخذ أعيان كل بلدة كرهائن لمنع قيام التمرّدات ^(٢) .

في أواخر القرن الثاني عشر ، وبعد أن إنثنى الوهابيون من السيطرة على المناطق النجدية – أو كادوا – ، إلتفتوا إلى الأحساء ، حيث لم تكن لهم الجرأة ولا المقدرة فيما مضى على مقارعة الحكم الخالدي ، بل أن حكام بني خالد حاولوا

احتلال الدرعية مرتين إنطلاقاً من الأحساء ، وبالاعتماد على الساخطين الكثرين من الحكم السعودي / الوهابي في الدرعية .

ومنذ عام ١٢٠٠ هـ حتى عام ١٢٠٨ هـ ، إتخذت غارات الوهابيين على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية طابعاً شرساً ، ويبعد أن الغرض كان إثارة السكان المحليين وإثبات عدم قدرة الخوالد على حمايتهم ، وقد كانت الغارات سريعة وخاطفة ومفاجئة^(٢) .

أما مبررات احتلال الأحساء ، فتحصر في موضوعين أساسين :

الأول : الموضوع الاقتصادي : ويبعد أنه كان العامل الأساس لاحتلال الأحساء والقطيف . تقول الدكتورة مدحية درويش ، بأن العامل الاقتصادي : « هو الدافع الأساس في ضم الأحساء ، التي تمتاز بكثرة واحاتها الخصبة ، الوفيرة المياه ، هذا إلى جانب وقوعها على الخليج ، حيث الحركة التجارية والمصالح التي تشكل مورداً رزقاً كبيراً في ذلك الوقت ، كان كل هذا من أهم الأشياء التي تتطلع إليها الدولة السعودية في زيادة دخلها ، ومساعدتها في القيام بأعبائها التوسعية ، هذا بالإضافة إلى أنها ستجعل منها دولة تطلّ على الخليج ، مما يتبع لها الفرصة للاتصال الخارجي ، وكذا تمكيد السبيل لضم بقية مناطق الخليج »^(٤) . ويشير إلى ذات الأمر الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، حيث يقول بأن إقليم الأحساء يضمّ الكثير من الواحات الخصبة التي تتتوفر فيها المياه ، والتي جذبت أنظار عدد كبير من القبائل النجدية ، ولذا رأى حكام الدرعية بعد أن سيطروا على نجد أن يزيدوا من مواردهم ، خاصة وأن الأحساء تشرف على الخليج حيث الحركة التجارية والمصالح ، مما سيتيح للدولة بأن توسيع من دائرة اتصالاتها ، وتمهد لضمّ بقية مناطق الخليج إلى حوزتها^(٥) .

الثاني : الموضوع المذهبي ، حيث كان المذهب الشيعي يسود مناطق الشرق (الأحساء والقطيف) ، ولما كان الحكم في الدرعية قائماً على أساس مذهبي ، يلغى كل المذاهب الأخرى ، ولما كانت خصومة الحكم مع الشيعة أكبر ، لهذا كان احتلال الأحساء يعني إنتصاراً مذهبياً للحكم السعودي ، حيث تمّ فرض مبادئ الدعوة الوهابية على سكانه ، كما قام الوهابيون بتدمير المساجد الشيعية التي يشير إليها ابن بشر بلفظة (الكنائس) ، كما قام الوهابيون بحرق الكتب الدينية الشيعية^(٦) .

على هذا الأساس ، الطمع في خيرات المنطقة ، والإنتصار للمذهب ، تحرك الوهابيون بكل ما لديهم من قوة لاحتلال مدن الشرق وقراءه .

في سنة ١١٧٦ هـ ، سار عبد العزيز بن محمد بن سعود في جيش نحو

الاحساء ، وأغار على قرية المطير في الشيعية وقتل من أهلها سبعين رجلاً ، واستولى على أموال كثيرة . وفي طريق عودتهم الى نجد أغارت الوهابيون على المبرز وقتلوا عدّة رجال من أهلها ^(٤) .

وفي سنة ١١٧٨ هـ تحالف حاكم بني خالد مع بعض القرى النجدية المعارضة لحكم آل سعود ، وارسل الى حاكم نجران حسن بن هبة الله المكرمي يدعوه لمناصرته ، فوجه الأخير قوّة الى الدرعية لساندة الخوالد ووجه أقسى ضربة لقوات الدرعية ، كادت أن تنهي الحكم السعودي ، فقد تقابلت قوات الدرعية مع حاكم نجران في حاير سبيع ، ولكن الدائرة دارت عليهم ، وقتل من الدرعية أكثر من ٥٠٠ شخص ، الأمر الذي دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان ينحو منحى дبلوماسية لإقناع المكرمي بعقد اتفاق صلح ينهي تقدّمه نحو الدرعية واحتلالها .

وحين وصل الحاكم الخالدي تؤازره القوات النجدية الساخطة ، وجد أن الاتفاق قد تمّ بين حليفه محمد بن سعود ، فأراد أن يثنيه عن المضي في تنفيذ الاتفاق ، لكن المكرمي أجاب : « لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري الصلح بيننا وبينه ، لأنّظم الأمر على وفق خاطرك ، ولكن الان نحن حصل مرادنا من الإنقاص ، وقد طلب منا العفو ، ونحن أهل له عند القدرة ، وأعطيتنا فلا يمكننا إبدال القول ، أما أنت فمختار بحربك معه ، نحن لا نتعرض بشيء » ^(٥) .

إستاء الحاكم الخالدي من الوضع ، وحاصر الدرعية بمعونة حلفائه أهل القصيم مدة شهر كامل ، ولكنه لم يواصل حصاره ، وعاد الى الأحساء . في سنة ١١٩٨ هـ ، أغارت سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على أهل قرية العيون الأحسائية واستولى على مواشיהם وحيواناتهم ، ونهب بيوتهم وقتل منهم عدداً من الرجال ، ثم قفل راجعاً الى الدرعية ^(٦) .

وفي سنة ١٢٠٢ هـ ، أمر الحاكم السعودي ، عبد العزيز بن محمد بن سعود ، أمر سليمان بن عفیصان بالغزو ، فغزا قطر وقتل من أهلها (آل أبي رمیح) رجالاً كثیرین ، واستولى على الكثير من اموالهم ، ثم قصد قرية (الجشة) الشيعية في الأحساء ، فأغار عليها بفترة وقتل عدداً من رجالها . وفي نفس السنة أغارت سليمان بن عفیصان على میناء العقیر الأحسائي فأخذ ما فيه وأشعل في ربوعه النار ^(٧) .

وفي سنة ١٢٠٣ هـ ، سیر الحاكم السعودي جيشاً الى الأحساء لمقاتلة بني خالد ، ونال لهم مدة يومين ثم رحل عنهم ولم تقع إشتباكات كبيرة ، لأن القائد السعودي - ابن الحاكم - خشي من خيانة بعض الأعراب ، ولكنه من أثناء عودته على بعض القرى وأخذ ما فيها من طعام وغيره ^(٨) .

وفي نفس العام قاد سعود بن عبد العزيز جيشاً وقصد به الأحساء ونازل أهل المبرّز ، ولكنَّ أهلها استعدوا له فلم يستطع الإقتراب منهم ، ولم تقع سوى مناورات صغيرة ، ثم ارتحل إلى قرية الفضول الشيعية فدهمها على حين غرة .. وقتل من أهلها ثلاثة رجال ، واستولى على ما في القرية من متاع وغيره ^(١٢) .. وافتخر المؤذخ السعودي الذي عاصر الأحداث يومئذ الشيخ حسين بن غنام ، بأنَّ أهل القرية « ذبحوا كالنعام » ، فصارت قرية الفضول مضرب الأمثال ^(١٣) . في هذه الأثناء إشتلت الخلافات بين الخوالد على الزعامة ، إلى حد أن التجأ بعض زعمائهم إلى الحاكم السعودي في الدرعية ، وساروا معه في جيش لمقاطلة منافسيهم وأخذ حكم الأحساء .. ومنذ ذلك الحين أصبح حكم الخوالد في الأحساء في مهب الريح ، والتجأ الكثير من زعمائهم إلى قطر والبحرين وغيرها . وفي سنة ١٢٠٤ هـ ، سار سعود بن عبد العزيز في جيش ضخم ، ومعه عدد من جلوية بني خالد المختلفين على زعيمهم عبد المحسن السرياح وإبن أخيه دويحس بن عريعر ، وفي مكان يقال له غريميل وقعت المعركة بين الطرفين واستمرت ثلاثة أيام ، هزم على أثرها عبد المحسن وهرب إلى المنافق ، وحاز الجيش السعودي من الإبل والغنم والأمتعة مالا يعده ولا يحصى ، وقتل من الخوالد الكثيرون . وأصبح الحكم بيد السعوديين من الناحية الفعلية ، إلا أن قوة الخوالد لا تزال موجودة ، ولذا إستعمل سعود - بأمر والده عبد العزيز - زيد بن عريعر رئيساً لبني خالد وحاكماً على الأحساء ^(١٤) .

وفي جمادى الأولى ١٢٠٦ هـ ، انطلق سعود ومعه جيشه من الدرعية قاصداً القطيف ، فحاصر أهل سيهات ، واستطاع أن ينفذ من أسوارها ، وقتل العديد من الأهالي بعد إنتهاء المعركة ، وأمر سعود جنده بنهبها . ثم مرَّ الجيش السعودي على « عنك » وهي قرية قريبة من سيهات ، وقتل من أهلها أكثر من أربعين نسمة رجل ، وأخذ أموالاً كثيرة من أهلها ، وصالح الشيعة الوهابيين على الفرضة بخمسين نسمة أحمر ^(١٥) .

في هذه الأثناء رفض الخوالد حكم زيد بن عريعر واعتبروه صنيعة السعوديين ، واجتمعوا على بران بن عبد المحسن ، وطردوا آل عريعر . وفي سنة ١٢٠٧ هـ وقعت الواقعة بحكم الخوالد ، حيث جيَّشَت الدرعية جيشاً ضخماً لقتالهم في الباذية عند الجهراء ، وقد تتبع الأمير سعود آثارهم ، وأغار عليهم فانهزموا وتبعهم جيش الدرعية يقتل ويذهب ، وانهزم بران ومعه قلة من الخيالة إلى المنافق ، وقيل أن عدد قتلى الخوالد بلغ الفي رجل ، واستولى السعوديون على جميع ركايبهم وخيلهم وأمتاعهم وفرشهم وجميع ما معهم ، ومن بينها مائتا فرس ، ولم تقم لبني خالد بعهد هذه الواقعة العظمى (الشيط)

وزحف سعود بج逐ه من الشمال قاصداً الأحساء بعد أن انهى القوة الكبرى لبني خالد ، فنزل بالقرب من عين نجم وخرج أهل الأحساء فباقعوه ودخل الوهابيون الأحساء « ودموا جميع ما فيه من القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية فلم يتركوا لها أثراً » ، وأقام سعود في الأحساء شهراً ، وعين العديد من العلماء الوهابيين في المساجد للصلوة ولتعليم المذهب الوهابي ، كما عين محمد الحملي أميراً على الأحساء ، وحسين بن سبيت رئيساً لبيت المال ، وأقام حصنأ وضع فيه عدداً من الجنود .. ولكن ما إن غادر سعود الأحساء حتى ثار أهالي الأحساء على الحكم السعودي وقتلوا الأمير المعين ورئيس بيت المال ، وعدها من العلماء الوهابيين ، واستولى زيد بن عريعر الخالدي على الأحساء من جديد ^(١٢) .

في العام التالي ١٢٠٨ هـ ، قصد الأمير سعود ومعه جيوش نجد الأحساء ، فأتى قرية الشقيق وحاصرها مدة يومين ، ثم أخذها عنوة واستولى عليها وهرب منها أهلها بعد أن قتل منهم عدة رجال .

وإجتمع أهل القرى الأحسائية الشمالية في قرية القرین الشيعية فحوصرت ، فيما ذهب جموع أخرى من الجنود إلى قرية المطيري ، فحوصرت هي الأخرى ، وحصلت على الأمان بدفع نصف ما لدى أهلها من أموال ^(١٣) .

وسار الوهابيون بريدون المبرز ، فخرج زيد بن عريعر للقتال ولكنه لم يفلح في صد المهاجمين فتراجع محتمياً بالأسوار ، وبعد أيام قلائل حدثت مصادمات قتلت على أثرها نحو مائة من الخوالد وعدد قليل من جيش الدرعية .. ثم توجه الجيش إلى قرية البطالية الشيعية فقاومت وقتل من أهلها رجال ، كما قتل عدد من الشيعة في قرية الجبيل أثناء المواجهة .. « هذا وجميع البوادي الذين مع سعود يذمرون في الأحساء ويصرمون النخيل ويأخذون من التمر ويعبوونها أحمالاً ويأكلون ويطعمون رحالتهم من الحاضر والباد ، واكتالوا جميع البوادي من الأحساء نهباً وقرروا الرحيل وأقاموا على ذلك » ^(١٤) .

ولما رأى الأحسائيون تدمير القوات الغازية لمزارعهم وتشديد الحصار عليهم ، تمردوا على زيد بن عريعر ، وأرسلوا براك بن عبد الحسن السرداح إلى الأمير السعودي في الدرعية - الأمير عبد العزيز - للتفاوض ، فأنمنهم الأمير السعودي شرط أن تكون الأحساء خاضعة للدرعية ، وأن يكون حكم الأحساء داخلاً ضمن ولاية السعوديين ، وعيّن الأمير عبد العزيز براك أميراً على الأحساء ، وأمر ولده الأمير سعود بالعوده إلى الدرعية وفك الحصار . ويعتبر المؤرخون أنه في هذا العام (١٢٠٨ هـ) إنتهت ولاية الخوالد المستقلة عن حكم

القطيف والاحساء .

في رمضان ١٢١٠ هـ إتفق رؤساء الشيعة والستة في الأحساء على مقاومة الحكم المذهبي الوهابي ، الذي فعل بهم الأفاعيل ، ساعدهم في ذلك الأمير الخالدي المعين من قبل الدرعية براك بن عبد المحسن ، واستعدوا للحرب والمقاومة ، فارسل اليهم الحاكم السعودي - الأمير عبد العزيز - بعسكري يقوده إبراهيم بن سليمان بن عفیصان كمقدمة لجيش على رأسه ابنه سعود ، فقاتلهم ابن عفیصان ، ولكنه لم يستطع المقاومة الى أن جاءه المدد ، فقتل من الجبيل نحو ستين رجلاً ، واستسلم عدد من الزعماء ، فاشترط عليهم أن يقيموا بصفة إجبارية في الدرعية ^(٢٠) .

لكن الأمير سعود الذي كان يعد العدة لجمع الجيوش من بوادي نجد ، سار في ذي القعدة من نفس العام ١٢١٠ هـ ، الى الأحساء بفرض تأديب السكان وإرهابهم .. ويصف لنا المؤرخ الوهابي ابن بشير ما جرى كالتالي : « نزل سعود قرب الرقيقة .. وبيات تلك الليلة وأمر منادية ينادي أن يوقد كل رجل ناراً وأن يثوروا البنادق عند طلوع الشمس ، فلما أصبح الصباح ، رحل سعود بعد صلاة الصبح ، فلما استولوا على ركائبهم وساروا .. ثوروا بنادقهم دفعة واحدة . فأظلمت السماء وأرجفت الأرض وتار عَجَ الدخان في الجو وأسقط كثيراً من النساء الحوامل في الأحساء . ثم نزل سعود في الرقيقة المذكورة فسلم له وظهر عليه جميع أهل الأحساء على إحسانه وإساعته ، وأمرهم بالخروج إليه فخرجوا » .

وأضاف : « واقام في ذلك المنزل مدة أشهر يقتل من أراد قتله - كذا - ويجلب من أراد جلاءه ، ويحبس من أراد حبسه ، ويأخذ من الأموال ، ويهدم من الحال ، وينبني ثغوراً ويهدم دوراً ، وضرب عليهم الوفاً من الدراما وقبضها منهم .. وأكثر فيهم سعود القتل .. فهذا مقتول في البلد ، وهذا يخرجوه إلى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود ، حتى أفنائهم إلا قليلاً . وحاز سعود من الأموال ما لا يعد ولا يحصى ، فلما أراد الرحيل من الأحساء أمسك عدة رجال من رؤساء أهله .. وظهر بهم الى الدرعية وأسكنتهم فيها » ^(٢١) .

ورغم تقديم النفوذ السعودي في الأحساء ، إلا أن إقليم القطيف لم يخضع للحكم السعودي ، معتمداً في ذلك على قوة الأهالي أنفسهم ، وعلى تحالفهم الوثيق مع زعماء الخوالد ، الذي أبقوا على أقوى النفوذ والدفاعات في تلك المنطقة . ويدرك مؤلف « لمع الشهاب » ذلك بقوله : « وبقي شرق الأحساء بلادين - بلداناً - كثيرة يبلغ عددها أربعين قرية ، وأهل ذلك شيعة المذهب ، وكثيرهم قاطبة علي بن أحمد ، وكان شجاعاً ، فأرسل له سعود بن عبد العزيز أن يطيع

ولا يكاتب آل حميد ، فأبى عن ذلك وأظهر العداوة لسعود . فسار سعود بنفسه إلى بلاد الشرق وجعل يحاربه علي بن أحمد ستة أشهر ، فلم يدرك سعود من حرب علي بن أحمد شيئاً »^(٣٢) . ويضيف موضحاً كيفية سقوط القطيف : « ثم أن الأمر استقلَّ لآل سعود في أرضبني خالد أتمَ الإستقلال ، ما عدا بلادين الشرقيَّة من تبعه الأحساء والقطيف كذلك ، فسار - جيش سعود ثانياً - على حرب علي بن أحمد صاحب بلاد الشرق ، فافتتح جملة من قراه ، وقد انحصر علي بن أحمد في قلعة صغيرة بالقطيف كانت محفوظاً له هو وأبناء عمّه ومائة رجل ، فحاصرهم سعود ، ورميهم بالمدفع حتى هدم طرفاً من البناء ، وكلما صنع ذلك بهم وحمل عليهم : رثوه . ولما أراد الله ذهاب علي بن أحمد ، وتمكن آل سعود في الأحساء ، زُيَّن له أن يطلب منهم ذمةً وأماناً ، فعاهدوه على ما طلب ، ولما سُلِّم لهم الأمر حبسوه سبعة أيام ، ثم بدا لهم أن يضرموا عنقه ، فأمر سعود بإحضاره ، واحتاج عليه بحجج فاسدة وضرب رقبته بيده ، فانظر إلى قلة وفائهم بالعهد»^(٣٣) .

ويعلق الاستاذ ابو حاكمة - محقق كتاب اللمع - على جملته الأخيرة بالقول : « هذا من المواطن القليلة في الكتاب ، حيث ينساق المؤلف مع التعليقات العاطفية » .

غير أن الحكم السعودي لم يستتب في القطيف التي ما لبث أن تمردت ، فأرسل الحاكم السعودي عسكراً إليها « وكان فيها حينئذ عبد الله بن سليمان المنشوري الخالدي ، وفيها أيضاً كبيراً على الرعايا أحمد بن غانم القطيفي ، فسار إبراهيم بن عفیصان مع ذلك العسكر أميراً عليه ، وكان عدده ثمانيآلاف ، فنزل سبيهات ، بينها وبين القطيف ثلاثة فراسخ ، فلما سمع عبد الله بن سليمان بذلك ، أرسل العسكر الذي معه في القلعة - قلعة القطيف - لمقاتلتهم مع ابنه علي ، فوقعت الحرب هناك وانكسر ابن عفیصان بعسكره إلى ناحية جنوب القطيف في موقع يقال له ظهران لا سكناً فيه ، بل كان قد ياماً مسكوناً ، وبقي هناك عشرة أيام ، وبعد ذلك المكان عن القطيف مسافة يوم ، فجعل يغزو أطراف القطيف وينهب ويقتل حتى الأطفال في المهد ، فأنطاعه أكثر قرى القطيف » .

وكان سقوط القطيف كالتالي : « .. وحمل على قلعة القطيف أول الليل ، فلم يزل البارود يثور ، والصاعد يصعد - إلى القلعة - حتى منتصف الليلة ، دخلوا القطيف ، فأمر - ابن عفیصان - بالقتل الذريع لكل أحد إلى طلوع الشمس .. ثم أن الذين قتلوا من أهل القطيف عددهم كباراً وصغاراً ، ألف نفس »^(٣٤) .

بعد هذا تحصن عبد الله بن سليمان الخالدي وكثير من الأهالي في قلعة تاروت ، وبعد جهد جهيد « دخلها ابن عفیصان ، وكل من ظفر به هنا ضرب

عنقه، ثم استقلَّ الأمر لآل سعود في أرض القطيف ، وكتب إبراهيم ابن عفیسان إلى عبد العزيز - الحاكم السعودي في الدرعية - بالفتح . فبعث إليه أن أقبل إلى الدرعية .. وسار إلى الدرعية وقد أخذ من القطيف أموالاً كثيرة أكثرها رشوة ، أعطوه أهل القطيف خوفاً من إحتاج آل سعود عليهم »^(٢٦) . وبهذه الهزيمة التي مني بها بنو خالد والشيعة ، حقق الوهابيون أكثر من نصر عسكري ، فقد كان إنتصارهم إنتصاراً سياسياً واقتصادياً ودينياً في نفس الوقت ، ولقد إستقررت هذه الإنتصارات العثمانين الذين خسروا من توسيع النفوذ السعودي إلى جنوب العراق ، فعملوا على إعداد حملات عسكرية ، أدت في النهاية إلى إنهاء الحكم الوهابي من كل الجزيرة العربية ^(٢٧) .

ففي عام ١٢١١ هـ أمرت الدولة العثمانية زعيم المتفق في البصرة ثويني بن عبد الله أن يقود حملة لتحطيم قوة الوهابيين الذين باتوا يهددون العراق بهجماتهم المتكررة عليه . فجمع ثويني قواته من القبائل المجاورة وانضمَّ إليه بنو خالد جميعاً - عدا فرع المهاشير - ، ودعمه والي الأتراك على العراق بقوات بلوشية تحمل البنادق ، كما جهزه بخمسة مدافع ، وأعدَّ الكثير من السفن لنقل المقاتلين بحراً إلى القطيف .

نزل ثويني عند ماء الجهراء بالكويت أواخر ١٢١١ هـ .. فوافته القبائل ، وجهزت الدرعية قوات كبيرة لمواجهته ، وتقدمت القوات السعودية نحو الطف ، ولكن ثويني تقدم إلى قرية ثم إلى الطف ، وتراجع السعوديون إلى قرب الأحساء ، وأصاب القوات السعودية الفزع والخوف لكثره الإستعدادات الحربية التي جهزها العثمانيون لمواجهتها .. إلا أن حادثة غير عادية وقعت وغيَّرت كلَّ شيء .. ففي الرابع من محرَّم ١٢١٢ هـ ، تقدم عبد من جبودبني خالد وطعن ثويني غيلاً وقتلته ، فتشتت الجيش خاصة وأن الشقاق زاد في الخوالد ، وحين قتل ثويني تراجع براك بن عبد المحسن السرداخ وانضمَّ إلى القوات السعودية وهاجم ثويني وقواته فمرقها في معركة سميت « سحبة » ، وقيل أن براك هو الذي غدر بثويني . وتراجع الجيش المدجج بالسلاح لا يلوى على شيء ، وتشتت شمال البدو والأعراب ، واستولى السعوديون على المدافع والأموال والأمتدة والمواشي والخيول . ولما فرغ قائد الجيش السعودي - الأمير سعود - من الحرب سار إلى شمال الأحساء ، وطلب من أهله تجديد البيعة والطاعة ، وقتل عدداً من الرجال الذين لم يظهروا ولاءهم أثناء المحنَّة ، وأخذ من الأموال ما لا يحصر ! ^(٢٨) .

في العام التالي ١٢١٣ هـ ، أمر سليمان باشا بإعداد العساكر لحرب الوهابيين والإستيلاء على الأحساء ، ومما شدَّ من عزمهم الهجمات الكثيرة التي

قام بها الوهابيون بعد اشهر قلائل من وقعة سحبة على سوق الشيوخ وما جاورها ، فاجتمعت الجموع وتهيأت الاسباب ووضع على رأس القيادة الكت الخدا (الكيخيا) علي باشا . فقد إنطلق الأخير من بغداد في الثاني والعشرين من شهر ربیع الثاني ، ونزل في البصرة برهة من الزمن وأعد السفن لنقل الأرذاق ، واجتمع عليه قبائل شمر والظفير وبدو آخرون . وكان يفترض أن يذهب المقاتلون إلى الدرعية عن طريق الأحساء بعد أن يسيطر الجيش عليها ، إذ وجد من الصعب عليه ان يقتسم الصحراء دون مؤونة كافية ، ودون استخدام البحر . وفعلاً تم نقل المشاة والمدفعية والمؤن إلى ميناء العقير عن طريق قوارب تم إستئجارها من شيخ الكويت .

ويقول ابن بشر أن الكيخيا استولى على الأحساء « وتابعه أهل المبرز والهفوف وقرى الشرق وجميع نواحيه تقضوا العهد » ، وقد كان أكثر سكان الإقليم قد رحبوا بالقوات العثمانية أملاً في التخلص من الضغط الاقتصادي والمذهبي الذي مارسه الوهابيون ، وأشار أحد الباحثين إلى أن الكيخيا علي باشا ارسل قبل وصوله إلى الأحساء رسائل إلى وجوه السكان داعياً إياهم إلى الانضمام إلى قواته ، وقد وجدت تلك الدعوة إستجابة ، وخاصة من السكان الشيعة الذين كانت نفوسهم غير راضية عن حكم آل سعود وأفعال الوهابيين ^(٢٨) .

غير أن الكيخيا لم يستطع السيطرة على حصن الهفوف والذي قاوم فيه إبراهيم سليمان بن عفیسان ، كما ان حصن المبرز لم يسقط ، رغم سقوط كل المدن والقرى ، ورغم استمرار الحصار الذي دام مدة شهرين .

هنا إنسحب الجندي بقيادة الكيخيا ، وبعد أسبوعين من مسیرهم شمالاً إلى التقا بدون ميعاد مع قوات سعودية على رأسها الأمير سعود عند ماء في ديرة بنى خالد يقال له « ثاج » ، فوق الرعب في الجندي السعودي ، وأرسل الأمير سعود رسالة ذات لحن طائفي يطلب فيها الصلح وأن يعود الفريقان كل إلى بلده .. يقول سعود في رسالته إلى الكيخيا علي باشا :

« من سعود العبد العزيز إلى علي

أما بعد ما عرفنا سبب مجئكم إلى الأحساء ، وعلى أي منوال جئتم . أما أهل الأحساء فهم أرفضن ملاعين ، ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف . وهي قرية الآن ليس داخلة في حكم الروم ، بعيدة منكم ، ولا يحصل منها شيء بسوى تعبيكم . ولو أن جميع الأحساء وما يليها تؤدى لكم دراهمها ما تعادل مصارفكم التي عملتموها في هذه السفرة ولا كان بيننا وبينكم من المضايقة قبل ذلك ، إلا ثويني فهو كان معتمدي ولقي جزاءه . فالآن مأمولنا المصالحة فهي خير لنا لكم والصلح سيد الأحكام » ^(٢٩) .

و رغم ضعف الجندي السعودي ، إلا أن قوة الجيش التركي كانت ظاهرة ، فالدافع كانت عاطلة عن العمل لأن لوازمه دفنت في منطقة القطار الأحسائية أو أحرقت لعدم القدرة على حملها ، كما ان الذخيرة والاطعمه قد نفذت ، والجيش لا يملك غير قوت يومه ، والأكثر من هذا ان جيش علي كيخيا ترك المياه العذبة الى الماحلة التي لا يستساغ شربها ، فسيطر على الأولى الجندي السعودي .. لهذا كلّه ارتضى الكيخيا الصلح وكتب له :

« من علي باشا الى سعود العبد العزيز !

اما بعد فقد اتنا كتابك ، وكلما ذكرت من أمر المصالحة صار معلومنا . لكن على شروط نذكرها لك ، فإن أنت قبلتها وعملت بها فحسن ، وإنما فإننا ما عاجزون عنك ولا من طوائفك بعون الله وقوته . وعندك الخبر الصحيح إذا اشتدت الهيجا ، وانشقت العصا ، فحسبك الضحاك والسيف المهدى ، حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك نجوب الفلا ونستأثر أهل القرى ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة . وبهذه الدفعة أيضاً إنفررت بقول ابن عفیسان . أما الشرط الأول هو ان الأحساء لا تقربها بعد ذلك . والثاني الأطواب - المدافع - التي أخذت من ثويني أنك ترجعها ، والشرط الثالث تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر ، والرابع أن لا تتعرض للحجاج التي تجئ اليك من العراق ولا تتعرض لأبناء السبيل وتكتف عن غزوك العراق ، وتكون معنا كالأول . فهذه الشروط التي أخبرناك بها والسلام على من إتبع المدى » ^(٢٠) .

ورد سعود على الشروط بقوله :

« جائنا كتابكم وفهمنا معناه . أما عن حال شروط المذكورة ، فأولاً الأحساء هي قرية بعيدة الى دياركم وخارجة عن حكم الروم ، وما تجازي التعب ، ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا ، فهذا حالها . وأما الأطواب فهي عند والدي بالدرعية ، إذا صدرت اليه أعرض الحال بين يديه ، والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب له ، فإن صحت المصالحة وارتفاع الشقاق من الطرفين فهي لكم ، وأنا كفيل بها الى أن أجبيها الى البصرة . وأما مصارفكم فإننا لم أملك من هذا الأمر شيئاً والشور في يد والدي ، والذي عندنا فهو يصلكم . وأما ما ذكرتم عن الطريق ، وعدم التعرض للحجاج المتزددين وما لهم عندنا غير الكرامة والتسiar . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وقد كان اعتذار سعود عن قبول بعض وأهم الشروط له مبرراً من الناحية الظاهرية ، ولذا أمضيت المصالحة طبق الشروط التي وافق عليها وقبل بها الطرفان ^(٢١) . وبعد إتمام الصلح عاد سعود الى الأحساء وأقام مدة شهرين ، إنشغل خلالهما بترتيب الأوضاع الداخلية السياسية والعسكرية ، وعاقب

المتعاونين والمعاطفين مع القوى السياسية المجاورة التي تسعى لإنها الحكم الوهابي من الأحساء . وكان أغلب المعاطفين والمتعاونين قد رحلوا من الأحساء خشية الإنقاص في وقت رحيل الكيخيا من الأحساء . يقول ابن بشير عن انسحاب الكيخيا من الأحساء : « وانهم معهم أهل الأحساء الخائنون لا يلوى أحد على أحد ولا والد على ما ولد ، وتركوا محالهم وأموالهم » ^(٣٣) .

أوضاع الشيعة في الدولة السعودية الأولى

تجمعت في الحكم السعودي الأول صفات عديدة جعلته شرساً للغاية ، وعبأها كأهل المواطن في مختلف المناطق .. وقد كانت القبلية ، والمذهبية الجذر الحقيقي لكل الخطايا التي ارتکبت يومئذ بحق سكان الجزيرة العربية بدون استثناء ، فالدماء التي سالت والأعراض التي هتك ، والأموال التي سلبت ، والأرواح التي أزهقت ، ارتکبت في الغالب على أساس تصورات مذهبية ، وفي المقابل كان هناك استبداد وإلغاء لكل الكيانات السياسية أو شبه السياسية .. كان هناك عائلة واحدة حاكمة فقط ، لا تتسلط بإسمها فحسب ، بل وتتجدد لها مشروعية بتبنيها رسالة مذهبية .

رُّكِّان الرافضون للحكم المتمذهب ، أو الرافضون لإلغاء الكيانات القبلية الضعيفة لصالح كيان قبلي واحد ، يواجهون بالقتل ، ليس باعتبارهم معارضين للسيطرة السعودية ، بل لأنهم - بمنطق السعوديين وخلفائهم الدينيين - يعارضون رسالة السماء ، فحق عليهم القتل والسلب والنفي والاضطهاد . من الحالات النادرة في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، أن تجد مثلاً لتلك الهجرة التي تمت بعيد استيلاء الوهابيين على أواسط الجزيرة العربية ثم على شرقها ، وأخيراً غربها وجنوبها . لقد هاجرت جماعات عديدة وقبائل وشخصيات كثيرة جداً إلى مناطق تقع خارج السيطرة الوهابية ، ولو لا تلك الهجرات لما قامت الكيانات السياسية الهزلية اليوم في الخليج . بالطبع هناك من يبرر القسوة والإرهاب الذي اتصف به الحكم السعودي - الوهابي الأول ، بأنه كان ضرورياً لبناء الكيان السياسي الكبير ، فمن وجهة نظرهم كان البناء عسيراً في مجتمع قبلي ، ومتتنوع مذهبياً وجغرافياً ، وبدون استخدام الأدوات الجراحية القاسية ، وبدون أن تكون هناك رسالة للحكم يبشرها للناس ، فإن أي كيان لا يمكن أن يقوم .. وقد كانت الرسالة « مذهبية » تسعى إلى إلغاء « مذاهب » أخرى بقوة السيف والبارود . وكانت الرسالة في ظاهرها رسالة وحدة أقاليم مفككة ، وفي حقيقتها رسالة تفرد وسعى دائم للتنفيذ والسلطة من قبل عائلة واحدة .

لم يكن حال الشيعة في شرق الجزيرة العربية يختلف عن بقية المناطق ، اللهم الا في حدة القمع الذي وجه ضدهم ، إذ لم يكن المطلوب من قبل الحكام السعوديين إلغاء الكيان السياسي في شرق الجزيرة العربية فحسب ، بل كان المطلوب أيضاً إلغاء الهوية المذهبية الشيعية لصالح هوية مذهبية جديدة جاء بها الحكام الجدد ، وكان هذا يعني بصورة واضحة تسلیط المزيد من العنف والإضطهاد على سكان تلك المنطقة .

من هنا كان أمراً بدبيهيّاً لحكم مذهبي أن يسيء بشكل كبير لرعاياه ، بل أن هذا الحكم سعى بأن لا يكون هناك رعايا يدينون بمذهب غير مذهبه ، في كل المناطق التي سيطر عليها ، وخاصة في المناطق الشيعية التي تعتبر ذات وضع استثنائي .

على الصعيد العقائدي ، حاول الوهابيون الأوائل إلغاء الخصوصية المذهبية لسكان مناطق الشرق بالقوة . ومنذ البداية لم يكن الوهابيون مقتنعين بأنه يمكن تغيير الخارطة المذهبية ، لأن الشيعة كانوا الأصعب دوماً ، وعلى مر التاريخ ، وثانياً لأن الشيعة كانوا أشد المقاومين لل الاحتلال الوهابي - السعوي - ، كما رأينا خلال استعراض الأحداث التي سبقت سقوط مناطق الشرق تحت قبضة الوهابيين . لهذا لم تكن للحكام الجدد وأعوانهم القناعة ولا الإستعداد لتغيير آراء الناس بالإقناع والإرضاء والنقاش ، وقد كان هذا دأبهم مع غير الشيعة أيضاً الذين عادة ما يسارعون إلى الرضوخ سياسياً ومذهبياً للمنتصر ، ولكن لم يحدث هذا للشيعة وإن كانوا قد خضعوا لحين المنتصر سياسياً فحسب . لهذا كانت القاعدة الوهابية المقاتلة والحاكمة متدفعه بروح مذهبية جارفة يعززها الانتصار السياسي والعسكري في إفباء الطرف الخصم ، وقد قامت هذه القاعدة المقاتلة والفتنة الحاكمة بحملة إبادة فورية للسكان .. نتج على أثرها الكثير من المذابح وفرار معظم العلماء والأدباء والوجهاء إلى خارج المنطقة ، مصحوبين بمئات من المواطنين ، كما حدث في الأحساء حيث نزح الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي - أحد أكبر العلماء في ذلك الوقت - وبمعيته العديد من العلماء والمواطنين إلى العراق ، ومن ثم إلى ايران ، وبقي في الخارج حتى سقوط الدولة السعودية على يد القوات المصرية ، فعاد وحاج ولكن الحمام وافاه في الديار المقدسة فدفن في البقيع . يضاف إلى هذا الكثير من العلماء الذين قتلوا فور سقوط المدن والقرى الشيعية تحت قبضة الغزاة .. يقول أحد الكتاب ان سعود الكبير قتل نحو مائتين من علماء الأحساء ^(٣٣) .

وعلى الفور ، بادر الغزاة إلى تدمير المساجد والحسينيات الشيعية باعتبارها كنائس ، كما يشهد بذلك المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر ، كما تم تعيين القضاة

الوهابيين محل القضاة الشيعة ، فكان من قضاة سعود الكبير على الأحساء محمد بن سلطان العوسجي من أهل ثادق ، فلما توفي حل محله عبد الرحمن بن نامي . وكان قاضي سعود على القطيف محمود الفارسي ، عرفه ابن بشر بأنه مهاجر فارسي ، وعلى تهمة أحمد الحفظي .. وفي عهد عبد الله بن سعود - آخر حاكم في الدولة السعودية الأولى - لم يتغير هؤلاء القضاة .

وعين السعوديون أئمة للمساجد من الوهابيين ، وجرى إجبار الشيعة على الصلاة جماعة خلف الإمام المعين والمنصب براتب من قبل السلطة الحاكمة . من جهة ثلاثة صادر الوهابيون الأوقاف الشيعية ، واعتبروها من حق المنتصر ، وكانت الأوقاف ضخمة للغاية من نخيل وبساتين ودور واراضي ومدارس وغيرها .. كان يجري الاتفاق منها على المعوزين والفقراء وطلبة العلوم الدينية الذين يتلقون تعليمهم المحلي في مدارس كانت هي أيضاً من الأوقاف وتسمى « حوزات » .

وجرى أيضاً إحراق المكتبات الشيعية ، وألاف من المخطوطات ، باعتبارها كتب ضلال وكفر ونندقة .. وللحقيقة لم تكن كتب الشيعة وحدها التي تعرضت لعقاب المنتصر ، وقد رأينا هذا في الحجاز قد تكرر أكثر من مرة ، وهناك كتب بعينها سلط الوهابيون غضبهم ضدها .. غير أن إهانة الكتب الشيعية وحرق تراث الشيعة الفكري والأدبي والذي كان في قمة العطاء ، قد جاء بعشوانية وتخبط وعدم تمييز بين ما يتعارض مع رؤى المذهب المنتصر وما يوافقه . وقد كان لذلك الفعل أثر كبير في ضياع أهم تراث الشيعة في المنطقة ، وهو أمر عانى منه الشيعة حتى الوقت الحالي ، يزيد في ذلك الأمر سوءاً أن الحكومة السعودية وبأوامر رجال المذهب الوهابي صادرت العديد من مكتبات التراث الشيعية الباقية في السنوات العشر الماضية ، ولا يعلم حتى الآن ما فعلت بها ، وهي تحوي كنوزاً حقيقة في شتى حقوق المعرفة .

على صعيد ممارسة الشعائر المذهبية الشيعية .. ولا نقصد هنا ان لدى الشيعة شعائر خاصة بهم ، ولكن ما نقصده بالتحديد ما تعارف الشيعة على إحياءه من ذكريات دينية إسلامية يمارس عموم المسلمين - في الحجاز وفي خارج المملكة إحياءها في الوقت الحالي - كالإحتفال بذكرى مولد الرسول ، وذكرى هجرته ، ووفاته ، وكذلك ولادة ووفيات الأئمة الاثني عشر ، وقد خصصوا للإمام الحسين سبط الرسول مناسبة عاشوراء ، وهي ذكرى استشهاده التي أصبحت عنواناً لظلماوية الشيعة ودفعاً لهم عن العقيدة الإسلامية في قبال حكومات الجور والإستبداد .. وأسسوا أمكناة سموها « حسينيات » يقيمون فيها هذه المناسبات الدينية .

على هذا الصعيد ، منع الشيعة من ممارسة هذه الشعائر ، بإعتبارها كفراً وهرطقة ، وبذلة لا محل لها من الدين ولا أساس .. فكان أن منع المواطنين من إحياء هذه المناسبات التي كانت على مر السنين عنواناً للمذهب الشيعي .. وقد هدم الوهابيون كما قلنا « المساجد كما الحسينيات » لهذه الأسباب ، ولكن المواطنين في حقبة العهد السعودي الأول ، استطاعوا - رغم الخطير - أن يمارسوا شعائرهم بسرية تامة وفي المنازل ، تماماً مثلما يفعل الحجازيون اليوم في الإحتفال بذكرى المولد النبوى ، و المجالس ذكر فضائل الرسول عليه أفضى الصلاة والسلام . ومع كل هذا فشل الوهابيون في تأسيس جذور لهم بين الشيعة ، وواجهوا صعوبة في نشر مذهبهم في شرق الجزيرة العربية لسبب هام « هو أن معظم سكان مدنها ولا سيما القطيف كانوا من الشيعة . وقد كانت هذه نقطة ضعف بالنسبة للسيادة والتسلط الوهابي في الأحساء ، وقد سببت لهم متابعة كبيرة »^(٣٤) . وقد كان الشيعة المنتشرون في ساحل الخليج وبعض مدنه خاصة القطيف - بيئة من بيئات المعارضة^(٣٥) .

على الصعيد الاقتصادي ، استخدم الوهابيون أسلوب المصادرات لأملاك السكان الشيعة الذين هربوا فراراً من الإضطهاد المذهبي ، كما تمت مصادرات الكثير من الأموال الشخصية بحجج مختلفة وبمبررات واهية .. وبطبيعة الحال ، فإنه إذا كان من حق المسلم أن يسلم على ماله ودمه وعرضه في دولة الإسلام ، فإن الدولة المتذهبة التي لم تعرف بأن الشيعة مسلمون من الأساس ، والتي تعتبر نفسها تطبق الشريعة ، قامت بمصادرات حقوق المسلم الشيعي لأن الكافر لا حرمة ماله ولا لدمه ولا لعرضه . وقد كان الاعتماد على المصادرات كأسلوب ملء خزينة بيت المال قد ملا النقوص بالثورة الخافته ضد الدولة وسلطانها ، ليس في مناطق الشيعة فحسب بل وفي كل المناطق^(٣٦) . لقد كان احتلال الأحساء والقطيف في العهود السعودية جميعاً ذا هدف إقتصادي ، وفي الدولة السعودية الأولى كان ما يجب من الأحساء والقطيف من زكوات يفوق جميع مناطق الجزيرة العربية التي خضعت لحكم الوهابيين . أشار إلى ذلك ابن بشر في معرض تقديراته للزكوات المجبية ، وكذلك مؤلف لمع الشهاب الذي قال أن الزكاة المجبية من مناطق الشيعة « الأحساء والقطيف » بلغت ستمائة ألف ريال ، في حين لم تزد زكوات بادية نجد عن ٤٠٠ ألف ريال ، والحجاز ٢٠٠ ألف ريال ، ورأس الخيمة وعمان ٢٧٠ ألف ريال .. وهناك محاصيل الأموال في الأحساء ونجد الحاضرة ٣٠٠ ألف ريال .

وغير المصادرات والزكوات ، وضع الحكماء السعوديون يومها نظاماً يقضي بموجبه أن يدفع المواطنون الشيعة مبالغ تحت مسمى « الرقبية » أو الروسية ،

أو الجهادية » وتعطي معنى واحداً هو « الجزية » باعتبار الشيعة غير مسلمين . ولكن الأمراء السعوديين كانوا حريصين على عدم تسميتها بالجزية ، وإنما كضريبة الخدمة العسكرية .. لم يكن الوهابيون يريدون من الشيعة أن يشاركون في معاركهم ، ولم يكونوا في نفس الوقت راضين بأن يعتبر الشيعة كفراً بحيث لا يدفعون الزكاة ، وقد كان هذا النظام معمولاً به حتى سنة نهاية العشرينات الميلادية من القرن الحالي .

على الصعيد السياسي ، كان عمال الحكم السعودي يعينون من نجد في كل الأحوال ، وكانت هناك بيوت معينة قد حكمت مناطق الأحساء والقطيف .. كآل عفيصان ، وأل السديري ، وكان حاكم الإقليم الذي ينتخبه الأمير السعودي يجب أن يتتوفر فيه الولاء السياسي ، بل والأهم من ذلك أن يكون موالياً مذهبياً .. وبالطبع فإنه كان من السهل على الدولة السعودية الأولى أن تركل جانبها الكيانات السياسية التي سحقتها ، وأن تصنفى القيادات السياسية والقبلية قتلاً وبالإقامة الجبرية في الدرعية ، وهو أمر استخدم بتوسيع رهيب .. ولكن كانت هناك استثناءات نراها واضحة ، ففي بعض مدن وقرى القصيم كان الأمير السعودي يرجح شخصاً من عائلة معينة من نفس البلدة ، وقد يضع حاكماً لا يتتوفر فيه الولاء المذهبى ، ولكنه في الوقت نفسه لا يجعل له من الصالحيات إلا الاسم ، حيث يعين شخصاً آخر يكون هو الحاكم الفعلي وإن توارى في الظل . وفي الغالب ، فإن المناطق المارة ، أو التي تتمتع بنسيج اجتماعي قوي ، يعين من بين قياداتها شخصية إسمية حاكمة .

نجد هذا واضحاً في بعض مدن وقرى نجد ، كما نجده في مناطق الأحساء والقطيف .. وفي الأحساء ، وبسبب ضعف الشيعة الواضح ، ونتيجة التصفيات التي طالت القيادات الاجتماعية والسياسية أثناء حروب ما قبل الاحتلال ، عين الحاكم السعودي إبراهيم بن عفيصان ثم توأر في الظل وعين مكانه سلمان بن محمد بن ماجد ، ثم عاد وتم تعين إبراهيم بن عفيصان في عهد سعود الكبير ، وفي عهد عبد الله بن سعود كان حاكم إقليم الأحساء فهد بن سليمان بن عفيصان - أخا إبراهيم - .

وفي القطيف التي تعتبر إقليماً منفصلاً عن الأحساء ، بقيت الزعامة الشيعية السياسية التي كانت منحصرة في بيت آل غانم ، حيث أبقى الأمير عبد العزيز أحمد بن غانم حاكماً للقطيف ، وفي عهد سعود الكبير استمر أحمد بن غانم في الحكم ، وفي عهد عبد الله بن سعود كان الحاكم القطيفي هو إبراهيم بن غانم . وكان آخر ولادة آل غانم ، وهو علي بن عبد الله ، قد قتل بيد الوالي الحقيقي عبد الله المداوي في عهد فيصل بن تركي .

وفي الحقيقة فإن الاستثناء الذي حظيت به القطيف ، لم يكن ذا معنى هام ، فقد شعرت العائلة السعودية الحاكمة بأن مناطق الشيعة في القطيف مغلقة يصعب التعامل معها من الخارج بدون أن تكون هناك أداة محلية تساعده على ذلك .. وقد كان الأدوات آل غانم ، الذين كانوا يحكمون بالاسم فحسب . إن المتبع لسلسلة أمراء مناطق الشيعة ، سوف يدهش لأن القيادات السياسية قد انتهت أو عطلت فعلياتها منذ الاحتلال السعودي الأول للمنطقة . وأن أمراء مناطق الأحساء كانوا على الدوام من خارج الأحساء ، وحتى القطيف كان حكامها الإسميون من الشيعة - الزعامات التقليدية - إلى بداية عهد فيصل بن تركي بن عبد الله في طوره الثاني .

كان زعماء الشيعة التقليديون هم من آل غانم في الدولة السعودية الأولى ، واستمرروا حتى عهد الدولة السعودية الثانية ، إلى أن بربز الزعيم أحمد بن مهدي بن نصر الله ، ثم آل جمعة (منصور وعبد الحسين) ، حيث كان الأخير آخر زعيم سياسي ، تشاء الأقدار أن تكون نهايته قتلاً على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ! .

الشيعة في الدولة السعودية الثانية

سقطت الدولة السعودية الأولى تحت قبضة القوات المصرية التي أرسلها محمد علي باشا لتحرير الحجاز والأماكن المقدسة . وقد كان هذا السقوط أمراً طبيعياً تحتمه الظروف الداخلية والخارجية معاً . فالدولة العثمانية شعرت بأن سمعتها أصبحت في الخصيف بعد أن سيطر السعوديون على الحجاز والقوا إسم الخليفة العثماني من أن يذكر على المنابر ، ومنعوا الحجيج من كل بقاع الأرض الإسلامية ، الأمر الذي شكل تحدياً للحكومة العثمانية ، وامتحاناً لسمعتها كحامية للديار المقدسة ، وكانت البلدان المحبيطة تتوق لترى نهاية السعوديين ، بسبب منع الحجيج وبسبب الغارات التي شنها الوهابيون بعيداً عن مركز سلطتهم في العراق ، حيث مذابح كربلاء والنجف ، وفي الشام وفلسطين . فقد وصلت القوات السعودية إلى هناك لتقوم بغارات خاطفة تقتل وتنهب وتعود بالغنائم .

وعلى الصعيد الداخلي ، كانت هناك نكمة في الحجاز بسبب فرض المذهب الوهابي أولاً ، وبسبب تدهور الحياة الاقتصادية الذي نشأ عن انقطاع الحج . وفي مناطق أخرى من الجزيرة العربية ، كانت النفوس مشحونة بالثورة على الحكم السعودي ، أما بسبب المصادرات المالية ، أو بسبب العنف والقسوة التي

استخدمت بتوسيع في تأسيس الملك السعودي ، أو لأسباب قبلية ، ذلك لأن القبائل صعبة المراس ولا تقبل بالأنظمة الإدارية التي تكاد تلغي دورها السياسي والإجتماعي من الوجود .. وهناك الأسباب المذهبية والاقتصادية الأخرى . لقد كان يتراءى للحكام السعوديين أن القبضة الحديدية والخضوع الظاهري لسلطان القوة ، كافياً لإستمرار الدولة ، بل وتوسيع رقعتها .. رغم أن مظاهر الإنشقاق السياسي والديني بادية للعيان حتى في نجد ، حيث الثورات القبلية المتالية التي ما تثبت ان تخمد واحدة حتى تقوم أخرى . ولكن غاب عن أعين الحاكمين أن امتلاك القوة يختلف عن امتلاك النفوس ، وإن الخضوع الظاهري لا معنى له إن لم يكن هناك ولاء حقيقي لا يعتمد على المال ولا على الترهيب ، وقد رأى الوهابيون كيف تحولت القبائل في نجد والجهاز - حتى قبلية عنزة التي تدعي العائلة المالكة أنها تنتمي إليها - وكذلك سكان الحضر عنهم ، بمجرد أن وصلت طلائع القوات المصرية إلى ميناء ينبع . بل أن عدداً من الموالين لآل سعود وأعمدة أركانهم ، لما رأوا مصالحهم تتعارض معبقاء آل سعود انضموا إلى القوات الغازية ، مما جعل المؤرخ ابن بشر يغضب لذلك ويشنع على الفاعلين فعلهم .

سقط الجهاز أولأ بقيادة طوسون باشا ، ثم سقط الجنوب بقيادة محمد علي باشا نفسه ، ثم سقطت نجد بأكملها بقيادة إبراهيم باشا الذي أمره السلطان العثماني - وخلافاً للاتفاق - بأن يهدم الدرعية ويشعل في ربوعها النار ، وسيق السعوديون وأل الشيخ إلى القاهرة كأسرى حرب ورهائن ، وأرسل الزعيم السعودي إلى الأستانة لينفذ بحقه حكم الإعدام على يد الجنادين .

سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ ، ولكن قبل سقوطها أرسل واي العراق العثماني محمداً وماجداً إبني عزيز بعشائرها بني خالد وساعدهما بعشائر المنقق والعشائر المناوئة لآل سعود ومن قربتهم الحكومة العثمانية وقت الحاجة ، أرسلوا إلى الأحساء للسيطرة عليها ، فحاصروها قبل أن يفتح إبراهيم باشا الدرعية ، فاحتلوا الأحساء والقطيف ^(٣) بسهولة ويسر ، بسبب العلاقات الحسنة بين الأهالي والخواud هذا إضافة إلى روابط النسب التي حكمت علاقات الكثرين بهم .

غير أن إبراهيم باشا ، ما لبث أن فرغ من إحتلال الدرعية ، فارسل محمد الكاشف ومعه عبد الله بن عيسى بن مطلق كوال من قبله على الأحساء ، ومعهما نحو ٢٤٠ جندياً ، فسيطروا على الأحساء والقطيف ، وهرب آل حميد ومعهم عربان الخواud ، وأعمل الجنود القتل والنهب في المنطقة وعاشروا فيها فساداً ، وكانت نيتهم تتجه إلى ترك الأحساء ، وقاموا بمصادرة جميع أموال الأمراء

ال سعوديين وأتباعهم ، وقتلوا الكثير من الموالين للحكم السابق ، وكان بينهم قضاة ومشايخ ، بينهم القاضي عبد الرحمن بن نامي الذي حُبس ثم قتل . وتشاء إرادة الله ، أن يكون مصر قيادات السعوديين في الأحساء والقطيف والتي تولت حكمها بعد احتلالها ، والتي اذاقت الناس الذل ، أن يقتلوا على يد القوات المصرية ، وأن تصادر أملاكهم أيضاً كما قتلوا هم قيادات الشيعة السابقين وسلبوا الناس أموالهم . هذا ما حدث لعبد الله بن عفیصان ولغهد بن عفیصان ولتعب بن إبراهيم بن عفیصان الذين استأصل الباشا خزائفهم - على حد تعبير ابن بشر - وقد قتل هؤلاء في القصيم وليس في الأحساء .

من جهة أخرى شعر الإنجليز في الخليج بالفرز من التمدد المصري لمناطق الساحل التي يسيطرون عليها ، ولكنهم رأوا إمكانية عقد اتفاق مع محمد علي باشا والتعاون معه في القضاء على النفوذ السعودي في مناطق الخليج الأخرى ، وبالتحديد في رأس الخيمة التي تضخت قواتها البحرية وقامت بهجمات عديدة ضد سلطان مسقط ضد السفن البريطانية نفسها ، وكان الإنجليز غير متاكدين حتى ذلك الوقت من إمكانية إنهاء نفوذ القواسم في رأس الخيمة ، رغم انتهاء الحكم السعودي في وسط الجزيرة العربية ، وكانوا يأملون لو أن قوات إبراهيم باشا واصلت حملتها لتحتل رأس الخيمة وتنتهي نفوذ القواسم المزعجين لها .

وفي نفس الوقت كانت هناك خشية من أن يتسع النفوذ المصري فيضر بمصالحها .. لهذا قامت عبارة بريطانية بإيذال قوات عسكرية بريطانية في القطيف ، وكتب فيلبي يقول : « من الصعب الافتراض بأن إزالة القوات العسكرية البريطانية في القطيف في وقت احتلال المصريين للإحساء يمثل شيئاً غير استعراض العضلات ضد المصريين . فقد كان بسط نفوذهما على ساحل الأحساء تحدياً للموقع البريطاني في ساحل الصلح البحري » ^(٢٨) .

وقال لودمير أن بريطانيا اصرت على إبعاد النفوذ المصري ، والظاهر بأنها تقوم بحماية المصالح التركية .. وفي ١٨ يونيو ١٨١٩ وصل الكابتن جورج فوستر سادلير من فرقه صاحب الجلة ٤٧ إلى ساحل الأحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا ، ولكن السفينة جنحت إلى ساحل رملي مما أفشل مهمته .. أما المهمة فتستهدف : التعرف على نواياه ومشاريع إبراهيم باشا بعد إخضاعه للساحل الأحسائي ، وجمع المعلومات الممكنة عن طبيعة الأحساء والقطيف ومواردهما ومساحتهما والمدن وكل ما يراه ضروريًا .. وإن يتعرف على ما إذا كان إبراهيم باشا ينوي استئصال القواسم ، وماذا يمكن للإنجليز أن يقدموا من مساعدة .. وحمل سادلير سيفاً كهدية مع خطاب تهنئة ! .. ولكن سادلير تأخر كما يبدو حيث بادرت القوات المصرية إلى الإنسحاب من المنطقة ، وحين وصلت

المدمرة فستال من بوشهر الى القطيف « لم يجد هناك من المصريين سوى الحاكم وإثنين من مساعديه . لهذا وضع نفسه تحت حماية بنى خالد ، وسافر الى المفوف ، ومن هناك قرر مصاحبة الجيش التركي المنسحب .. وأشار في تقريره بأهمية إقليم الأحساء وميناء القطيف والعquier لضرب رأس الخيمة ، وحين وصل جدة رفض ابراهيم مناقشته في أي أمر يتعلق بالخليج ». فنوايا بريطانيا الإستعمارية معروفة لديه ولابيه .. وبقي سادلير أربعة أشهر في جدة ريثما وجد وسيلة النقل التي تعده الى الخليج ، وذلك في يناير ١٨٢٠^(٣٩) .

ارتحلت القوات المصرية بعد أن قضت بضعة أشهر في الأحساء ، كما أن عبدالله بن عيسى توفي ، فعاد الخوالد وحكموا الأحساء ، حيث ملك الأحسائيون ماجد بن محمد بن عريعر ، الذي أرسل ابنه الضرير سعدون الى القطيف وحكمها .. كان ذلك في نهاية سنة ١٢٣٤ هـ .

إنتهت مهمة إبراهيم باشا بتدمير الدرعية ، فسحب قواته وعاد الى مصر .. وبعودته عاد رؤساء البلدان الذين أقصاهم آل سعود عن رياستها ، وثبتت المنازعات والفتن والحروب .. وفي أواخر ذي الحجة سنة ١٢٣٤ هـ ، أتى محمد بن مشاري بن معمر من العيينة الى الدرعية لكي يصبح حاكماً لها ، وراسل عدداً من البلدان الصغيرة التي ناصرته فيما بعد ، ولكن خشي عدد من الرؤساء القدامى على نفوذهم فاستنصروا بحاكم الأحساء الخالدي الذي سار على رأس جيش غير قليل ، وتابعه أهل الخرج والرياض وحرملاء ، ووّقعت معارك مع ابن معمر ، الذي استطاع خداع الحاكم الخالدي بالهدايا والخضوع لسلطانه ولسلطان الخلافة العثمانية .

في هذه الآثناء ظهر مشاري بن سعود ونازع ابن معمر على الحكم واستطاع التخلص منه ، ودانت له معظم قرى نجد . وهنا انزعج الاتراك ومحمد علي من عودة النفوذ السعودي سريعاً ، وأنئت دولة الخلافة محمد علي لسحبه قواته من وسط الجزيرة العربية ، خاصةً رأى مشاري بن سعود كان يستعد للزحف على الأحساء والقطيف لاحتلالهما . وكان إبراهيم باشا لا يزال في المدينة المنورة ، فأرسل جيشاً قوياً لإعادة السيطرة عليها وإبعاد السعوديين عن الحكم .

في هذه الآثناء سيطر تركي بن عبد الله آل سعود على الحكم ، فواجهته الحملة المصرية الثانية وهزمته شر هزيمة ، ومارس جنودها الكثير من الأعمال الإرهابية ، ولكنها لم تستطع إستئصال السعوديين رغم ضعفهم وانزولائهم في الدرعية .

انشغل تركي بن عبد الله في حرب القوات المصرية ، بينما كان حكام الأحساء

من الخوالد يعملون على إثارة السكان المحليين في القرى والبلدان النجدية ضده ، وراسل ماجد بن عريعر دولة الخلافة حاثاً إياها على مقاومة النفوذ السعودي ، وعمل على توطيد حكمه في مناطق الشرق ، ولكن سرعان ما انتبه الى ان النفوذ السعودي لابد وأن يتمدد الى الساحل الشرقي ، حيث لا يمكن لحكومة نجدية موحدة ان تستقيم بدون خيرات الأحساء ، خاصة وان سنين مجاعة وفقر مرت على النجديين منذ احتلال الدرعية على يد قوات ابراهيم باشا . ولكن الحملة المصرية اكتفت بالعقاب السريع وانسحبت فعاد تركي الى الرياض وسيطر عليها سنة ١٢٤٠ هـ واتخذها عاصمة لملكه ، وأخضع البلدان النجدية الثائرة ، ثم استطاع القضاء على التحالف النجدي الأحسائي في معركة « حفر العنك » .. وبحلول عام ١٢٤٤ هـ ، كان تركي قد أنهى بالفعل كل التمرادات وقضى على كل خصومه في كامل أقليم نجد .. بقي عليه أن يعيد تنفوز آبائه في الشرق ، وهو أمر حيوى لمنطقة خرجت للتو من نقاوة الحرب . لم يكن بإمكان تركي ، أن يكرر خطأ أسلافه فياحتل الحجاز ويثير دولة الخلافة ، ولكنه لا يستطيع بأي حال أن يستغنى عن الأحساء والقطيف ومتذيهما البحريين الهامين .

في محرم ١٢٤٥ هـ ، أرسل تركي بن عبد الله آل سعود محمد بن عفيصان على رأس جيش لغزو الأحساء ، فأغار على قافلة مقبلة من ميناء العقير واستولى عليها وكان فيها من الأموال الشيء الكثير ، وقد كانت هذه الغزوة مجرد اختبار لقوة الخوالد ، الذين ما لبثوا ان جمعوا جموعهم لمحاربة حكام نجد بالتحالف مع فهيد بن مبارك الصيفي رئيس سبيع ، وضويعي الفغم رئيس الصهباء من مطير ، ومزيد بن هذال وأتباعه من عنزة ، ومطلق بن نخيلان رئيس بني حسين .. انطلقت الجموع لمواجهة تركي الذي سيرجيشاً بقيادة ابنه فيصل الذي هرب للتو من الإقامة الجبرية في مصر ، والتقيا عند ماء معروف ، ودارت المعارك عدة أيام ، ولكن كانت النهاية مأساوية للخوالد ، حيث قتل ماجد بن عريعر في الأول من رمضان ، فهد ذلك من عزم الخوالد ، ولكنهم صمدوا حتى اواخر رمضان ، حيث قدم تركي بنفسه ، بعد أن بعث اليه ابنه فيصل يبشره بقرب النصر ، وتقابل المحاربون في معارك أخيرة فكانت النهاية في السابع والعشرين من رمضان ١٢٤٥ هـ حيث هزم الخوالد وقتل منهم الكثيرون هم وأتباعهم ، واستولت القوات النجدية على مصالحهم وخيامهم وأسلحتهم وأمتعتهم وفرشهم وإبلهم وغنائمهم وجميع ما معهم من حلي وأوانی ، وسميت الواقعة بوقعة السبيبة ، لكثرة ما سبي فيها من حلي وحفل وأنعام^(٤) .

أكمل تركي بن عبد الله الحرب بمتابعة الخوالد الى قريب الأحساء ، وكتب

إلى الزعماء المحليين يطالبهم بالخصوص ، فأجابوه ، فتقدم إلى الأحساء وحينها هرب من بقي من بنى خالد إلى الشمال ، ودخل تركي المفوف بغير قتال ، وبقي في الأحساء نحو أربعين يوماً ، واستولى على ما وجده من أملاك بنى خالد ، من الذهب والفضة والخيل والركاب وأخذ نخيلهم ، وعزز تركي نصره العسكري بنصر مذهبية حين أصر على تعيين إمام في كل قرية للصلوة بالشيعة جماعة ، وأمر بمعاقبة من يختلف عن ذلك ، كما عين الشيخ عبدالله الوهيبي قاضياً . ثم أرسل لأهالي القطيف مهدداً وداعياً إياهم للخصوص ، فأرسلوا وفداً لمبايعته ، ورتب لهم من الآئمة والقضاة مثلاً فعل في الأحساء .. وقبل أن يرتحل عين تركي عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على الأحساء ، ولكن يبدو أنه أبقى زعماء القطيف المحليين في مناصبهم .

في عام ١٢٤٨ هـ كان الموقف في الأحساء والقطيف تشوبه بعض الإضطرابات ، فسار تركي بنفسه على رأس قوة كبيرة لتأديب العجمان وأل مرة ، ووصلت القوات السعودية إلى البياض قرب القطيف ، وحينها خرج عدد من الرؤساء المحليين بينهم زعيم القطيف الشيعي عبدالله بن غانم وقدم له الولاء والهدايا ، ولما تأكد تركي من هدوء الأوضاع عاد إلى الرياض بعد أن تزوج في الأحساء ^(١) .

في العام التالي (١٢٤٩) هـ تمردت مدينة سيهات القرية من القطيف ، واستعلن زعماء البلدة بآل خليفة في البحرين الذين لهم مطالبات بالدمام وكانوا على خلاف دائم مع الحكام السعوديين الذين قاموا بدعم المعارضين لآل خليفة خصوصاً رحمة بن جابر الجلاهمة .

والسبب في تمرد أهل سيهات هو أن آل خليفة في البحرين وجهوا حملة إلى القطيف لضمها ، وذلك سنة ١٢٤٩ هـ ، فسيطروا على دارين وتغلوا في جزيرة تاروت واحتلوها ، وكان عبدالله بن غانم زعيم القطيف - الذي كان مسؤولاً عن بيت المال فيما مضى - قد أعد العديد من السفن لقابلة الأسطول البحرياني ، واتفق مع أهل سيهات على أن يواجهوا العدو سوية ، وأن يجهزوا سفنهم وتواعدوا في يوم معين ، ولكن أسطول عبدالله بن غانم تأخر ، مما اضطر أهل سيهات لمواجهة وحدهم ، وكانت قوتهم ضعف من أن تواجه آل خليفة ، فمنوا بهزيمة ساحقة وخسروا الكثير من الأموال والأنفس ، واعتبروا تأخر عبدالله بن غانم خدعة منه لتوريطهم في حرب لا قبل لهم بها وحدهم ، فتواعد أهل سيهات على قتلها والإنتقام منها ، وذهبت جماعة منهم إلى القلعة وهاجموه في عقر داره واعتقلوه واقتادوه إلى بلدتهم ، ورغم تشقق أكبر زعيم ديني للشيعة في القطيف يومئذ الشيخ علي بن عبد الجبار في ابن غانم ، إلا أنهم قتلوا زعيم القطيف ، ثم

خافوا العاقبة فتحالقو مع آل خليفة لصد الهجوم السعودي المتوقع ، وعرضوا على حاكم البحرين تسليم البلدة له ^(٤٤) .

توجه فيصل بن تركي لقمع المتمردين على سلطان أبيه ، سواء في سيهات أم في جزيرة العماير حيث قام سكان هذه بال تعرض لأهل القطيف وثارت الحرب بينهم وبين الأهالي ، فأضطرر تركي إلى إرسال ابنه لقمع الإضطرابين على حد سواء ، واستطاع ابنه أن يقمع أهل العماير ، ولكن سيهات استعصت عليه ، فنزل المريقيب غرب سيهات وحاصرها حصاراً شديداً ورمها بالمدافع ، وقطع الكثير من نخيلها ، وكان الحاج علي بن عبد الرحيم زعيمها ، واستطاع بالاتفاق مع آل خليفة أن يخفف من أثر الحصار عن طريق البحر ، حيث كانت المؤن والذخائر تصله إلى ميناء سيهات من البحرين ، وخشي فيصل من امتداد نطاق التمرد إلى القطيف نفسها ، فرب حصونه فيها ، وعين على حصونه في دارين محمد بن يوسف العجاجي - أحد النجديين المقيمين حديثاً في الأحساء - كما جعل أنساً آخرين على حصن تاروت .. وفي هذه الأثناء وفاه خبر مقتل أبيه تركي ، فلم يبلغ أحداً ، وسار إلى الأحساء وهناك تزود بالمال والسلاح والطعام ، ورتب اتفاقات مع زعيم الجبل في حائل ومع آخرين في نجد وكان مع فيصل زعيم القطيف عبدالله بن خانم ، أخذته خشية أن يميل إلى المتمردين في سيهات مستغلاً توفر الأوضاع في نجد ^(٤٥) .

أعاد فيصل السيطرة على الرياض وانتقم من قاتل أبيه وهو مشاري بن سعود في صفر ١٢٥٠ هـ ، وكان مديناً في ذلك إلى الأحساء بحيث قام عمر بن عفيصان بوضع موجودات بيت المال تحت تصرفه ، وكان ذلك من أهم عوامل نجاحه في قهر مشاري بن سعود ^(٤٦) .

كما قام فيصل بإخمام الإضطرابات في الجنوب ، وأرسل في ربيع الآخر سنة ١٢٥١ هـ جنداً بقيادة عبده زويد الذي كان قد أخبره بقتل أبيه ، أرسله إلى القطيف لإخماد تمرد الأهالي سيهات ، ويبعدوا أن الآخرين لم يكونوا راغبين في الحرب بناء على نصيحة أمير القطيف ، وبناء على تغير المعادلة السياسية حيث هادن فيصل آل خليفة في البحرين لإنشغاله بالمشاكل التي ستاتي له من الحجاز ، حيث كان محمد علي يهد خالد بن سعود في مصر لولاية نجد لهذا أعلن أهالي سيهات ولاءهم للحاكم الجديد ، وقام العبد زويد بإجراء تغييرات في المناصب ، وعاد إلى الرياض ومعه علي بن عبد الرحيم أمير سيهات ، وأمير القطيف الجديد ، كي يقدموا فروض الولاء والطاعة ^(٤٧) .

تحركت حملة مصرية أعدها محمد علي بقيادة اسماعيل بك ، وخالد بن سعود - وقد كان من بين من أخذهم إبراهيم باشا إلى القاهرة وأقاموا

فيها - تحركت الحملة من الحجاز سنة ١٢٥٢ هـ ، باتجاه القصيم فسيطرت على قراها ومدنها ، وكلما جمع فيصل الجموع انخفضت بمال الذي كانت تتنفقه الحملة ، وكان معظم المواطنين في نجد غير راغبين في المواجهة مع المصريين ، ولم تزل ذاكرتهم حية تحفظ بسجل السنوات الماضية وما فعله بهم المصريون على يد ابراهيم باشا وغيره . لهذا قرر فيصل انه لا يمكن له المواجهة ، وان الساسخين على الحكم قد بدأوا يجهرون بسخطهم في الرياض العاصمة نفسها ، فقرر أن يخرج من نجد كلية ويلجأ الى الأحساء ، حيث انصاره من آل عفیصان ، فدخل الرياض وأخذ كل أملاكه ، لكنه لم يستطع الخروج حيث كان له بالمرصاد من أهل البلد كثيرون ، فوهب الدرام والأموال حتىتمكن من الخروج بماله وعياله ، وهكذا انقلب أهل الدن وقبلهم البدو عليه^(٤١).

وما أن حلت سنة ١٢٥٢ هـ حتى خضعت قرى نجد للقوات المصرية ، وأصبح خالد بن سعود الكبير زعيماً لنجد من قبل محمد علي باشا ، في هذه الأثناء ثارت قرى الحوطة والحلوة والحريق وأذاقت القوات الغازية طعم الهزيمة وإن لم تكن كاسحة .. هنا اراد فيصل بن تركي الذي اقام في الأحساء ان يستغل الوضع فيعيد سيطرته على نجد ، فيتزود من الأحساء وحمل الكثير من المال ، وانطلق الى نجد واتصل بالمعارضين للحكم المصري ، واستطاع ان يحاصر خالد بن سعود في الرياض مدة من الزمن ، ولكنه فك الحصار ورحل عن الرياض في شعبان ١٢٥٣ هـ ، تحت ضغط القوات المصرية . واستعد الطرفان لعقد الصلح واجتمع فيصل مع خالد في السابع عشر من شعبان من نفس السنة لاقرار الصلح ، ولكنه لم ينعقد ، حيث عرض خالد أن يحكم فيصل الأحساء فحسب ، وأن يحكم هو نجداً وقراها ، ولكن فيصل الذي قبل العرض اشترط ان يرحل الجنود المصريون - سند خالد من نجد - ، فرفض الأخير ذلك ، وتجدد القتال^(٤٢) .

في هذه الأثناء راسل خورشيد باشا - وكان والياً للمدينة - الأمير فيصل ، وقدم له الهدايا لينسحب من نجد ويقنع بحكم الأحساء ، لأن ذلك أبقى له وأجدى ، وهدده إن لم ينسحب ، بإرسال فرقة تحمل الأحساء ، فانسحب فيصل الى المنفورة وأبلغ أتباعه بقبول عرض خورشيد ، ولكنه غير رأيه فيما بعد رغم إغراء آل عفیصان له .. وأرسل عمر بن عفیصان الى الأحساء ليحفظها كما أرسل أمراءه الى عمان وبلدان اخرى في جنوب نجد . وهنا أعد خورشيد عدته لتدعيم وضعه في نجد انطلاقاً من المدينة المنورة التي يقيم فيها ، فأعاد اسماعيل بك وأجل مكانه آخر وأرسل قوات إضافية الى نجد كان هو على رأسها ، حيث زحفت على القرى النجدية واحتلتها واحدة تلو الأخرى بمساعدة القبائل البدوية

من سبيع وقططان وغيرهما . ووصلت نجدة من عمر بن عفیسان من الأحساء ، وقاتلت الى جنب فيصل ولكنها هزمت ، وفرّ المقاتلون من عند فيصل ، واستطاع خورشید محاصرة الدلم - مقر فيصل بن تركي - وطال الحصار فاضطر الاهالي الى التسلیم ، وسلم فيصل شرط أن يسافر مع أخيه جلوی ولدیه عبد الله ومحمد وإن أخيه الى مصر ليقيموا فيها إقامة جبرية ، وقد انعقد الصلح سنة ١٢٥٤ هـ وفي الثاني من شوال من نفس السنة اقتاد الجندي الأمیر فيصل الى الحجاز ومنه الى القاهرة ^(٤٨) .

بعد هزيمة ابن عفیسان ، رحل الى الأحساء في حين أرسل خورشید بعد هزيمة فيصل بيومين عبد الرحمن الحملي بكتاب الى عمر بن عفیسان والى زعماء الأحساء يطلب منهم القدوم اليه مع منحهم الأمان ، فخرج الأحسائيون عدا ابن عفیسان الذي هرب الى البحرين ومنها الى الكويت . ووصل أهالي الأحساء الى خورشید في شهر سوال ١٢٥٤ هـ وقدموا فروض الطاعة وعادوا الى بلادهم ، بعدها أرسل خورشید مع أحمد السديري - الذي أصبح أميراً على الأحساء - قوة من الجندي بقيادة خزان المغربي ، ثم أرسل له قوة أخرى بقيادة الفاخری لتعزيز القوة في الأحساء ، واستطاع والي الأحساء ان يكسب ولاء المواطنين ووهم نظراً لمعاملته السمححة ، فأقر العمال على مراتبهم ، وكتب لرؤساء القطيف « فقدم اليه علي بن عبد الرحيم أمير سنيهات ، وسعد بن غانم أمير القطيف وأخوه أبو السعود - من وجهاء القطيف - وباييعوه ، وركب الكاشف برجال من الترك حفاظاً على القطيف ، ثم ان البasha أرسل رجلاً من العسكر يقال له أبو طاهر وجعله رئيساً لعسكر القطيف ، وأمر أحمد السديري على رجال يخرصون الزدع في الأحساء والقطيف فخرصوها من غير تعد ولا ظلم » ^(٤٩) .

كان محمد على باشا يريد السيطرة على كل المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ السعوديين ، باعتباره الوريث ، ولكن قوة المصريين وطموح محمد علي أخاف الإنجليز وهم أسياد المنطقة الخليجية منذ زمن غير قصير ... وربما كان مخطط محمد علي أبعد من ذلك حيث كان يحلم بالسيطرة على العراق والكويت إضافة الى أطماعه في بلاد الشام . وقد أوكل مهمة إخضاع هذه المناطق تدريجياً الى الموقف في القطيف التي أصبحت مركزاً للإتصالات بمشايخ الخليج ولا سيما امارة البحرين ، أدرك خورشید باشا اهمية الأحساء والقطيف لإنحصار السيطرة على نجد من ناحية ، والوقوف بوجه التحركات البريطانية من جهة أخرى ، ومن هنا كان تركيزه عليهما ، ولذا أرسل قوة كبيرة بقيادة محمد رفعت ، وأعطى

أوامر صريحة باتخاذ القطيف قاعدة لتحرك قواته لأهمية مينائها وصلاحيته للعمل ، ولقربها من البحرين ، وطلب خورشيد لغرض التوسيع إرسال قوات من جدة إلى القطيف بحراً^(٤٠) .

أدرك خورشيد أيضاً أن آل خليفة غير مهتمين بالسيطرة على الأحساء ، أو ليست لهم قابلية هضمها - وكان هم آل خليفة الإنطلاق من قلعتهم في الدمام ، وهماجمة الشيعة في القطيف ، أو تسلیط الهواجر - حلفاء آل خليفة - والعمایر المقيمين في قلعة عنك عليهم . فرأى أن يضع حدأً لهجمات البدو على القطيف ، التي كانت في أوجها يومئذ إلى حد أن الكثيرون من الأهالي اضطروا إلى الهجرة باتجاه البحرين .

قرر محمد رفعت إخضاع القطيف إخضاعاً تاماً ، فاتجه من الأحساء في يوم الاثنين ٢١ ذي القعدة على رأس قوة ومعه محمد آغا الكاشف الذي كان على رأس القوة ، فوصل القطيف يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ ووجد أبواب السور مغلقة ، والبلاد محاصرة ، وتخيلها خربة لكثرة ما عبث فيها البدو ، كما وجد أن أهلها لا يستطيعون الخروج خوفاً من الهجمات التي تقع عليهم من عربان الهواجر والعمایر .. فأمر رفعت أهل القطيف بفتح أبوابها ودخل بقواته البلد ، ووجد أحد عشر مدفناً ونحو مائتين وخمسين آفة بارود ، وحينها أمر المقاتلين من الأهالي أن ينضموا إلى قواته واعد مدفعين من المدافع التي وجدها في البلد والتي لم يكن أهل القطيف على دراية بكيفية استعمالها بطريقة صحيحة ، وخرج محمد رفعت على رأس القوة إلى قلعة عنك حيث يقيم عربان العمایر وغيرهم ، فهجم على القلعة وتمكن من الإمساك بشيخ العمایر ، وهرب بقية الرجال الذين كانوا في القلعة في مركبين إلى البحر ، واستولى على قلعة عنك وحاز على ثلاثة مدافع فيها ، إلى جانب بعض العفش والتتر ، فرتبت الأمر وأخذ المدفع إلى القطيف^(٤١) .

بقي بعد التخلص من غائلة البدو ، آل خليفة في حصن الدمام .. وبعدها يستطيع ولاة محمد علي باشا توسيع نشاطهم خارج حدود المنطقة . أرسل محمد رفعت إلى مبارك بن عبدالله آل خليفة - ابن أمير البحرين المقيم في قلعة الدمام ، طالباً منه أن يأتي إليه ليمنحه الأمان ، فأرسل مبارك شيخ الهواجر ليقف على جلية الأمر ، وفي القطيف أقنع محمد رفعت شيخ الهواجر ، بأنه لا يريد سوى القلاع ((لكون القلاع ليست الا للحكام ، وأن هؤلاء الناس مضررين لأهل البلاد ، ومضررين علينا في الجمرك ، وأنه ليس له هدف عدواني ، وأرسل الأمان مع شيخ الهواجر إلى مبارك ، فقبل الأخير بالأمان ، ولكي يثبت محمد رفعت حسن نواياه أطلق سراح شيخ العمایر ورد إليه مركبه الذي سبق له

الاستيلاء عليه ، ومنه ورقة أمان له ولجماعته ، شريطة أن يسكنوا جزيرتهم - جزيرة العماير -)) .. وبذلك بدأت الحياة تعود الى القطيف وسكانها ، كما بدأ خورشيد يضع مخططه للمرحلة التالية ، وهي احتلال البحرين^(٤)

قام محمد رفعت بزيارة سريعة الى البحرين ، في الأول من ذي الحجة سنة ١٢٥٤ هـ ، وكتب تقريراً الى خورشيد يقول فيه أن البحرين ذات أهمية قصوى لاستقرار الاحوال في الاحساء والقطيف ، وأشار الى أن ميناء البحرين ذو أهمية في المنطقة ، وحيث أن ميناء القطيف لا تستقر مياهه على حال ، ولا ترده إلا سفن صيد السمك الصغيرة ، أما ميناء الاحساء - العقير - فلا يوجد به أهل وأن اهل الاحساء لا يملكون سفناً صغيرة ولا كبيرة .. ولاحظ محمد رفعت في تقريره أنه منذ وصوله الى المنطقة وسفن البحرين تمنع عن المجيء الى ميناء القطيف ، وأصبحت ترسو في الدمام عند القلعة ، رغم أنه لا يسكن تلك الانحاء سوى بعض البدو الرحل ، وأشار الى أن عدم مجيء سفن البحرين الى القطيف يضر بأحوال المنطقة الاقتصادية فضلاً عما تسببه من إضطرابات سياسية ، وقال ان البحرين كانت تابعة لفيصل بن تركي ، وأنها أصبحت ملجاً لكل الذين يريدون الخروج على الحكم المصري من قبائل الهواجر وبني خالد والعمairy والمهاجر وأل صبيح ، والذين يقيم بعضهم بالقرب من قلعة الدمام ، وتأخذهم السفن المغادرة للدمام نحو البحرين .

وقال محمد رفعت في تقريره أن أمير البحرين رفض الدخول في الطاعة ، وأنه رأى مندوباً عن المقيم البريطاني في بوشهر ، كما أن مندوباً عن والي بغداد كان في البحرين قال أنه يدفع بالخليفة بأن لا يقدموا ولاعهم لمحمد علي . ورأى محمد رفعت في البحرين جمعاً غيرياً من الذين رفضوا الدخول تحت الطاعة من أهل الاحساء والقطيف ونجد ، وعلى رأسهم عمر بن عفیسان ، حاكم الاحساء السابق ، ومحمد بن سيف العجاجي ، حاكم القطيف السابق ، وفهد بن عفیسان .

وفق هذه المبررات التي قدمها محمد رفعت كتب ((إن هذه الجزيرة إذا لم تدخل تحت طاعة الحكومة ، فإن تلك المضرات المذكورة لا تتحقق بل تأخذ بالإزدياد ... وإن الاستيلاء عليها - سبب لحصول الحركة في ميناء الاحساء والقطيف ، ولإدارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد ، هذا ما نراه في إدخالها تحت حكومة ولي النعم))^(٥) .

حاول خورشيد في مراسلاته ان يعقد اتفاقاً مع حاكم البحرين عبد الله بن احمد ، ولكن الأخير خشي ان يعقد اتفاقاً يسبب غضب حكومة بغداد وحكومة

الإنجليز وربما حكومة فارس عليه . ولكنه رضخ أخيراً واتفق مع خورشيد باشا على دفع الزكاة بالاتفاق مع محمد رفعت ، وأن يوالى ويعادي من يواليه ويعاديه خورشيد .. وحين شاع نباء الاتفاق انزعجت جميع الأطراف المعادية لمشروعات محمد علي في شرق الجزيرة والخليج وعلى رأسها بريطانيا التي بدأت مقاومتها لهذه العلاقة بصورة فعلية .. حيث أرسلت في البداية قوات لتحتل جزيرة خرج وأرسلت بعض القوات الى البصرة حتى تكون عائقاً أمام تقدم قوات محمد علي ، كما أنها تطلعت لوضع البحرين تحت وصايتها ، وأرسلت الى محمد علي تنذره بأنه إذا ما حاول احتلال البحرين أو مد سلطانه على الخليج ، فإنها لم تقف مكتوفة الأيدي ^(٤) ، ثم ما لبثت أن أرسلت سفناً لضرب حصار على مينائي القطيف والعقير ، مع ملاحظة أن الحكم السعوديين لم يكونوا مهتمين بركوب البحر ، ولم يكن لديهم سفن حربية على الدوام ، بل كانوا أحياناً يستخدمون سفن الغوص التي يمتلكها الرعاعيا في القطيف ونواحيها ^(٥) .

ودغم ضغط الإنجلiz ، فقد وقع محمد رفعت مع حاكم البحرين اتفاقاً آخر تضمن فيما تضمن : أن يأمر أمير البحرين ولده المقيم في بر الدمام ، بطرد عرب الهواجر والعمایر المقيمين عنده ، وأن لا يقبل أحداً منهم إلا أولئك الذين يوالون محمد رفعت . وتضمن الشرط الثاني أن يسمح لحاكم البحرين بأن يأخذ « العوائد » التي كانت له في السابق من غواصي البحرين والقطيف ، وبعض غواصي القرى الأربع التي تقع على ساحل بحر قطر . وثالثاً أن يقبل عبد الله بن احمد إقامة ممثل من طرف خورشيد وأن يقبل بنقل العسكر الى البحرين وغيرها ، ورابعاً يتم تسليم الهاربين من كل طرف الى الطرف الآخر ، وكان توقيع الاتفاقية في صفر ١٢٥٥ هـ .

هدى المقيم السياسي في بوشهر - ثم في خرج - بإفساد الاتفاق بالقوة ، وقال إن حكومة الهند لا ترغب في استيلاء خورشيد على البحرين ، لأن ذلك مخالف للاتفاق بين محمد علي وإنجلiz ، ولكن خورشيد اعتبر الحكم تابعة لآل سعود ، وأن الحكومة المصرية هي الوريث لحكومة السعوديين ، وحاول التفاوض سلبياً مع المقيم ، ولكن المقيم رفض ذلك ، وراح يغرى ويتوعد أمير البحرين لتمزيق المعاهدة فرفض .

ودأى المقيم هناك ، أن خورشيد باشا قد بدأ بغزو معاقل الإنجلiz في عمان وإمارات الساحل ، والكويت ، إنطلاقاً من القطيف والحساء ، واقتصر على حكومته في بومباي ان تقوم البحرية البريطانية بعرض مسلح في منطقة الخليج ، وأن تفرض حصاراً عسكرياً على موانئ القطيف والعقير وسيهات ^(٦) . كانت الوضاع عموماً تخدم الإستراتيجية المصرية في شرق الجزيرة العربية ،

إلا أن مقتل محمد رفعت باشا على يد البداوة قد أصاب النفوذ المصري في الخليج في المقتل ، فقد أقدم ثلاثة من العوازم - حسب قول ابن بشر - على قتل محمد رفعت نظراً لسياسته الداخلية السيئة القائمة على الإكراه والمصادرة والعنف وفرض شتى صنوف الضرائب التي لم تكن معهودة فيما مضى .. وبعد مقتله طلب بنو خالد الرئاسة ، ولكن خورشيد ابى أن يعطيهم إياها وأرسل الى الأحساء قائداً عسكرياً آخر من عنده إسمه محمد أفندي شرمي .. كان ذلك أواخر سنة ١٢٥٥ هـ . وعين خورشيد عيسى بن فايز رئيس جبل شمر أميراً على الأحساء ، وجعل الأمير السابق احمد السديري مسؤولاً عن بيت المال ^(٥٧) . أنتهت مشروعات محمد علي حين تصدت له الدول الكبرى وأرغمه على سحب قواته من بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ، ضمن معااهدة لندن الموقعة عام ١٢٥٦ هـ ، وما كاد خبر انسحاب القوات المصرية ينتشر حتى شب الصراع في منطقة نجد بين خالد بن سعود وبين عبدالله بن ثنيان وانقسمت البلاد الى فريقين .

ففي سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م أمر محمد علي خورشيد باشا أن يقدم عليه ، وقبل ان يغادر عين احمد بن مبارك رئيس حريملاع أميراً على الأحساء ، وبذا أصبح خالد بن سعود حاكماً على نجد والأحساء ومعه ٣٠٠ جندي فحسب ، ثم جاءه عمر بن عفيصان من الكويت وصار في خدمته ، وفي صفر من عام ١٢٥٧ هـ قدم بعض رؤساء اهل الأحساء - النجاشيين الأصل - وكان بينهم موسى الحملي وعبد الرحمن بن مانع ، قدموا الى خالد بن سعود في الرياض ، ومعهم أمير الأحساء حمد بن مبارك ، فأقاموا عنده واستعمل الحملي عليهم أميراً ، في حين أصبح عبد الرحمن بن مانع مسؤولاً عن بيت المال . وفي نفس العام اختلف عبد الله بن ثنيان - الذي وصفه المؤرخون بأنه كان سفاكاً للدماء - مع خالد بن سعود ، وكان في خدمة خورشيد باشا ، اختلفا واستعد الطرفان للحرب ، ورفع الثنيان شعار تخلص نجد من القوات المصرية ، وانقسمت البلديات النجدية بين مؤيد ومعارض ، وجند كل طرف اتباعه ، واستطاع الثنيان من تحقيق عدد من الانتصارات على خالد لضعف تدبیره ، ودانت معظم نجد لعبد الله الثنيان ، وانزوى خالد بن سعود في الأحساء ، ثم حاول أن يقوم بعملية لإسترداد ملكه إلا أنه فشل ، حيث أمر من بقي من القوات بالخروج معه ، ولكن لم يكن الا القليل ، فهرب وترك خيامه وقد صدر الدمام ، فنزل في بره وهرب عنه اكثر خدامه ورجاله ، فاضطر خالد الى الهرب الى الكويت ، ومنها انتقل الى مكة المكرمة برأ عبر القصيم ، ولم تمض سوى مدة قليلة حتى توفي ^(٥٨) .

وفي بداية ١٢٥٨هـ . أمر عبد الله بن ثنيان عبد الله بن بتال المطيري أن يسير إلى الأحساء ويسيطر عليها ، فلما فعل ذلك ، أرسل إلى عمر بن عفيصان أن يسير إليها ويصبح أميرها .. فسار في منتصف محرم من نفس العام ومعه أكثر من مائة رجل ، ودخل الأحساء ونزل قصر الكويت ، وأتاه رؤساء أهل الأحساء فباعوه ، ولكنه أمرهم بالوفود على ابن ثنيان في الرياض وتأدية فروض الولاء ، ففعلنوا ، وأبقى عنده أربعة منهم رهن الإقامة الجبرية ، ريثما يتتأكد من خضوع المنطقة الكامل له ^(٣) .

ولكن القطيف لم تخضع ، وبعد بضعة أشهر أمر ابن ثنيان بلال بن سالم الحرق وهو عبد في رجال معه أن يسير إلى القطيف ويسيطر عليها ، وفي نفس الوقت أرسل فهد بن عبد الله بن عفيصان في رجال من أهل الخرج والوشم وسدير أن يقصدوا الأحساء ، وأن يتولى فهد الإمارة فيه بالنيابة عن ابن عمه عمر ، ريثما يقوم الأخير باحكام السيطرة على القطيف ، بعد أن تصله قوات بلال الحرق ، وكان هذا الإجراء ضرورياً كي يحصل ابن ثنيان على منفذ له على البحر ، وقد سار عمر بن عفيصان من الأحساء ومعه فلاج بن حثين ورجال من قبيلة بني هاجر وأل مرة والعماير .. فلما وصلوا القطيف حاصرواها حتى اضطررت إلى الاستسلام وتولى عمر بن عفيصان الإمارة فيها ، ثم تقدمت القوات إلى سيهات وحوصرت ورميت أسوارها ومنازلها بالمدفعية حتى استسلمت . وأرسل ابن عفيصان حاكمها علي بن عبد الرحيم ، إضافة إلى أمير القطيف علي بن عبد الله بن غانم إلى (الرمحيه) ليقابلها ابن ثنيان ويعملنا تأييدهما وخضوعهما .. وكما يقول ابن بشر : « أمر ابن غانم الرافضي رئيس أهل القطيف أن يركب إلى ابن ثنيان واستدعى ابن عبد الرحيم رئيس سيهات فأسره وهدم سور سيهات ، فلما قدم ابن غانم على ابن ثنيان في الرمحيه ناوته بأشیاء ، وقال إنك تمالي صاحب البحرين على طوائف المسلمين ، وذكر له أشياء غير ذلك ، ثم حبسه وأخذ منه أموالاً عديدة ، وحبس ابن مانع - عبد الرحمن ، مسؤول بيت المال من طرف خالد بن سعود - وعذبه وأخذ أمواله وحبس رجالاً وأخذ منهم أموالاً وأخذ من العربان خيلاً وركاباً » .. ومن الواضح أن السبب الحقيقي هو اعتناق الأمراء المذهب الشيعي كما يلمح إلى ذلك أحد الكتاب السعوديين ، الذي قال إن ابن ثنيان حاكم علي بن غانم محاكمة صورية ^(٤) .

ولكن علي بن عبد الرحيم ، رئيس سيهات استطاع الهرب من عند عبد الله بن ثنيان ، إلى البحرين .. بعدها طلب حاكم الرياض من أحمد السديري أن يصبح أميراً على القطيف بعد أن أصبحت المنطقة الشيعية مفرغة من أهم

زعامتها فواحد في السجن وأخر في المنفى ! .

وفي بداية سنة ١٢٥٩ هـ وصل فيصل بن تركي الى نجد قادماً من منفاه بالقاهرة ، وقيل أنه هرب من مصر مع ابنه عبد الله ، ولكن الوثائق المصرية تقول إن الحاكم المصري ، رأى أن وسط الجزيرة العربية قد خرج على السيادة المصرية بقيادة ابن ثنيان ، وبالتالي لم يعد لوجود فيصل في المنفى أي معنى بل إن بامكانه ان يقدم شيئاً مفيداً للحكم المصري في حال سيطرته على نجد . اصطدم فيصل بعد الله بن ثنيان كما هو متوقع ، حيث اعتبر نفسه الحاكم الشرعي ، ولكن ابن ثنيان لم يستسلم وتقدم فيصل مدعوماً بقوات آل رشيد وشمر من حائل واستولى على الكثير من المدن والقرى ، وحاصر الرياض الى أنتمكن بعد نحو شهر من القبض على ابن ثنيان والإستيلاء على الحكم فدانت له نجد كلها .

واسرع فيصل للسيطرة على الأحساء بإعتبارها ذات أهمية إقتصادية واستراتيجية ، حيث أرسل عبدالله بن بتال المطيري إليها ليكون أميراً فور إنتهاءه من إحتلال الرياض .

ولكن التمردات لم تنته من الأحساء والقطيف طوال عهد فيصل ، وقد كان أول عمل عسكري قام به في فترة حكمه الثانية هو قمع حركات التمرد في المنطقة ... وبعد بضعة أشهر من احتلال الأحساء ، قصد فيصل في أواخر عام ١٢٥٩ هـ وبداية عام ١٢٦٠ هـ جهة القطيف ، فأغار على المناصير وعلى آل مرة ، ثم اغار على الهواجر ، ثم نازل آل خليفة الذين عادوا الى حصن الدمام فحاصرهم إثنى عشر يوماً حتى استسلموا . وحيث فرغ الأمير فيصل من عملياته في الدمام قفل راجعاً الى الأحساء واقام فيه نحو أربعين يوماً ، وفي تلك الاثناء عين فيصل أميراً جديداً على القطيف وهو عبدالله بن سعد المداوي ، الذي وصفه ابن بشر بالشهامة والشجاعة ، كما عين ناصر بن علي العريبي قاضياً على القطيف لنشر المذهب الوهابي بين سكانه . أما أمير الأحساء أحمد السديري فمن صفاته التي يتعرض لها المؤرخ الوهابي ابن بشر ، أن له « قوة على الانجاز » وهو هنا يخفى مقصده ، لكنه سرعان ما يأتي بقضية قتل أمير القطيف عبدالله المداوي لزعم الشيعة هناك على بن عبد الله بن غانم ، ليتبين أن (الانجال المقصودين) هم الشيعة .. يقول : « ثم ان عبدالله المداوي أحضر علي بن عبدالله بن غانم الراضا رئيس القطيف في السابق ، فقاربه بأشياء وضربه حتى مات . فغضب الامام فيصل وأرسل اليه غلامه بلال بن سالم الحرق فأشخصمه اليه وجلس بلال مكانه ، فلما قدم على الامام اعتذر من ضربه لإبن غانم ، وذكر الباعث لذلك ، فقبل منه ورده الى القطيف أميراً »^(١) .

أما الاستاذ المسلم فيسرد قصة مقتل زعيم القطيف ، علي بن عبدالله بن غانم بشكل آخر .. فقد ورث علي الزعامة بعد مقتل أبيه عبد الله بالاتفاق مع الامير فيصل بن تركي ، وكان علي على خلاف مع أبيه مما جعله يترك القطيف الى مسقط ، ثم عاد وأصبح زعيم القطيف الأوحد .. وكان فيصل قد عين المداوي حاكماً للقطيف ، مع زعامة إسمية لإبن غانم .. فلما قدم المداوي الى القطيف أسكنه إبن غانم في أحد قصوره « ولكن المداوي أخذ يتصرف حسبما شاء له هواء ، ويرتكب أعمالاً من الظلم والعنف تجاه المواطنين فأشار تذمرهم ، فاستغل سوء الوضع وكيل بيت المال علي بن صالح السنان ، الذي كان موظفاً من قبل علي بن غانم والذي كانت له مطامع في الرئاسة ، فأخذ يح Hick الدسائس بين رئيسه وبين الممثل النجدي ، فدعاه مرة علي بن غانم في منزله ، وأخذ يشكو إليه تصرفات المداوي على مسمع من المداوي نفسه ، فأجابه بأنه كتب في عزله ، فحنق الأمير علي علي بن غانم ، وأمر رجاله بأن يقتلوه خنقاً عندما يزوره كجاري عادته في الصباح الباكر .. فخنقوه ورموا جثته في زقاق غير سالك وظل ملقى مدة ثلاثة أيام دون أن يعلم بمكانه أحد ، وتحقق لعلي بن صالح السنان حلمه ، فورث زعامة البلاد ، ولكن هذه الرئاسة لم تستمر طويلاً ، إذ عمد أحد أقارب القتيل فوشى به لدى المندوب النجدي - عبد الله المداوي - فهجم عليه في منزله وقتله ، وورث الزعامة من بعده كاتبه مهدي بن نصر الله - والد الزعيم والشاعر أحمد مهدي بن نصر الله - ويقال أن سبب القتل هو أن المندوب النجدي قدم ومعه حواله مالية فماطله علي بن صالح ، وفي أثناء زيارته لسلمان بن غانم ، أمر سلمان ساقى القهوة بأن يتخطأه ، فلما أبدى استنكاره ، أجابه سلمان بأنك - أي المداوي - لو كنت رجلاً لما ماطلك إبن السنان ، فطاش غضباً وتحمس وذهب الى إبن السنان وهجم عليه في مجلسه صباحاً وقتله ، فلما سمع رجاله إطلاق الرصاص هجموا على القاتل - المداوي - وقضوا عليه في الحال »^(١٢) .

هذه القصة أخذها المسلم نقلأً عن والده ، ولا شك ان هناك خلفيات أخرى لقتل زعيمي القطيف (إبن سنان والغانم) على يد ممثل الحكومة النجدية عبد الله المداوي .. وهي كون الزعيمين شيعيين ، وأن القطيف كانت حتى ذلك الحين تعارض الحكم السعودي رغم إعيانها .. وقد كان من متاعب السعوديين في مناطق الشرق « إنتشار المذهب الشيعي بين السكان ووجود تقليد استقلالي قوي »^(١٣) .

ورغم الحجج التي ساقها المداوي حين وفد الى الرياض ليحقق فيصل بن تركي في أسباب قتله لإبن غانم .. إلا أن فيصل كان مقتنعاً بأن الجرم الحقيقي

لعلي بن غانم هو في كونه شيعي المذهب « ويبعدوا ان العوامل النفسية كان لها تدخل في القضية إذ أن المداوي أراد أن يتخلص من رجل ينافسه الزعامة في المنطقة ، وبخاصة أن أهالي القطيف يؤيدون زعيمهم علي بن غانم لأنه شيعي المذهب .. وبخاصة ان المقتول كان شيعي المذهب » ^(١٤) .

لا يعتبر العديد من المؤرخين أن هناك دولة سعودية ثانية ، وإن كل ما وجد لا يعود عصر تشتت وانهيار قبل ان تبعث السلطة السعودية من جديد في مطلع القرن العشرين على يد الأمير الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن ، ليعيد للعائلة المالكة مجدها السابق ، والذي انهار إثر إجتياح الجيوش المصرية جزيرة العرب من غربها الى شرقها ، ومن شمالها الى جنوبها .

لم يستتب الحكم للسلطة المركزية في الدولة السعودية الثانية ، إلا لفيصل بن تركي بعد عودته الثانية من منفاه في مصر .. حيث دام حكمه أكثر من عقدين ، لكن سلطته كانت أقل من سلطة أسلافه في الدولة السعودية الأولى ، حيث لم يخضع الحجاز لحكم السعوديين ، لضعفهم العسكري أولاً ، ولتفهمهم أن السيطرة على الحجاز ستفتح لهم من المشاكل الكثير ، وقد يؤدي الى انهيار الحكم السعودي نفسه .

وإذا كان الحكام السعوديون الأوائل قد عملوا على محاربة الدولة العثمانية والتوسع في مناطق نفوذها ، وإسقاط هيمنتها ، والتركيز على أحقيتهم في قيادة العالم الإسلامي بدلاً منها ، فإن الحكام السعوديين في الدولة السعودية الثانية وبالخصوص تركي بن عبد الله وإبنه فيصل ، كانوا أكثر استيعاباً لحجم قوتهم ولحجم القوى الكبرى في الخارج « الإنجليز والعثمانيين » ، وقد عمل فيصل بالخصوص على عدم إستثارة الإنجليز والعثمانيين ، كما أعلن أكثر من مرة خضوعه للسلطان العثماني ، ودفع في أكثر من مرة ضريبة هذا الخضوع عبر حكام الحجاز . ولكن فيصل لم يتنازل عن إدعاءاته التاريخية بأن عمان والمشيخات المتصالحة فيما بعد إضافة الى البحرين يجب أن تخضع لسلطانه كما خضعت لسلطان أبيه وأجداده في الماضي .. ولكن التسلیم بهذا من قبل الإنجليز كان مستحيلاً ، كما كان صعباً على فيصل ان يواجههم بالقوة ، وقد أدت تدخلاته الى هجمات بريطانية على موانئ الأحساء والقطيف أكثر من مرة ، وتعرضت لقصف المدفعية البحرية البريطانية .. ولكن الإنجليز - مع ذلك - سمحوا له في بعض الأحيان باستلام الجزية من حكام البحرين ومسقط ، شرط أن لا يعني ذلك أي معنى سيادي ، وإنما تحمل معنى دينياً بحتاً .

إضافة الى أن السعوديين في الدولة السعودية الثانية قد حكموا رقعة من الأرض كانت أقل مما حكمه أسلافهم .. ويشير عدد من الباحثين الى أن أهم

الاختلافات بين الدولتين السعوديتين الأولى والثانية : هو ضمور التوجه المذهبية بالصورة الفاقعة التي كانت معهودة في الدولة الأولى .. ولعل السبب في ذلك هو ما أشاعه مناخ هزيمة السعوديين قبالت القوات المصرية ، حيث تبين أن النجدين أنفسهم لم يكونوا يخضعون لسلطان السعوديين السياسي والديني إلا بالإكراه ، فلما تحرروا من سلطان القوة ، تمردوا على السلطان السياسي والديني معاً ، خاصة في القصيم ، وأضطر تركي بن عبد الله وإبنه فيصل إلى القتال مجدداً ومقارعة الرؤساء المحليين في كل المدن والقرى النجدية . ومن الواضح أن اللحن الديني في الدولة السعودية الثانية كان ضعيفاً ، وإن كان لا يزال ركناً أساسياً من أركان إخضاع القاعدة للسلطة السياسية .. ويقول الباحثون : أن حدة التعصب المذهبي قد خفت في عهد تركي وإبنه فيصل ، حيث لم يكتسب القتال الصفة الدينية والمذهبية البحتة ، كما اختفت إلى حين شعارات تكفير المسلمين الآخرين ، كتمهيد لاحتلال أراضيهم ، لأن الغزو لم يقم للبلدان المجاورة ، فضلاً عن أن تركي بن عبد الله اعتبر العائلة السعودية المالكة أحق من غيرها بالحكم ، ليس لأنها تتبنى مذهبًا جديداً تحاول فرضه على الناس ، وإنما باعتبرها صاحبة تراث سياسي توحيدى ، أقره الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين جعل الحكم في العائلة السعودية وأرسى دعائم وراثة العرش في حياته لإثنين من الحكام هما عبد العزيز بن محمد بن سعود وإبنه سعود .

بالطبع لم يكن تغير الوضع كثيراً بالنسبة للشيعة في الأحساء والقطيف ، فتعصب الوهابيين قد يخف ، ولكن ليس إلى حد التعابيش مع الشيعة ، واحترام خصوصياتهم المذهبية ، وعدم تغيير قناعاتهم بالعنف والقوة ، واجبارهم على الخضوع للمذهب المنتصر .. مع هذا يقول المستشرق السوفيaticي ، إليكسي فاسيليف أنه خلافاً للأمراء السابقين طبق تركي وفيصل في الأحساء سياسة متسامحة الأمر الذي ساعدهما على تركيز سلطنتهما هناك .. ولاحظ ان الوهابية فقدت بريقها ، وأن من الصعب اعتبار انصار السعودية من الملتزمين بالبدأ الوهابي المعصب .. وأشار إلى أن الوهابية لم تعد تتميز بالتعصب الذي كانت عليه في الدولة السعودية الأولى ، مع أنه ذكر في معرض تقييمه للنظام السياسي والإجتماعي في الدولة السعودية الثانية أن « أمراء الهاوف يعيينون دوماً من النجدين ، ولم يكن سكان المنطقة الشرقية متعاطفين كثيراً مع الرياض والوهابيين . إلا أن أهمية هذه المنطقة كبيرة لدرجة جعلت أمير الرياض يرى ضرورة الإحتفاظ بحاميات دائمية هناك »^(٦٩) .

ويقول مؤرخ غربي آخر إن الحكومة الوهابية في الدولة السعودية الثانية كانت أكثر تسامحاً من الأولى .. ويستشهد على ذلك بأن الشيعي محمود الفارسي

عين قاضياً للحسا .. والحقيقة ان الفارسي ايراني سني اعتنق المذهب الوهابي ، كما اشار الى ذلك ابن بشر وكان قاضياً للقطيف وليس للاحساء ، في عهد فيصل بن تركي ، أما قاضي الاحساء فقد كان عبد الله الوهبي ثم الشیخ عبد اللطیف بن الشیخ مبارک ، وفي اواخر ایام فيصل كان القاضی الشیخ احمد بن مشرف .. إضافة الى هذا يقول بأن الموطنین الشیعیة لم يتعرضوا لاضطهاد كبير في ممارستهم لشعائرهم الدينیة .. ومع هذا فإن تركي بن عبد الله وإبنته فيصل حاول لاقدر ما استطاعا نشر المذهب الوهابي وعيينا العلماء والمدرسين لإعادة تعليم الشیعیة على النمط الوهابی ، كما عينا ائمة وقضاة في مختلف المدن والقرى الشیعیة في الاحساء والقطيف ^(١٦) .

ومع أن فيصل بن تركي قد حاول إرضاء الزعماء المحليين بعكس أسلافه الذين عانوا نتيجة التمردات المحلية ، بسبب القضاء على البيوتات الحاكمة في المناطق الخاضعة لسلطانهم .. فإنه لم يمارس الأمر ذاته بالنسبة للاحساء والقطيف ، بل على العكس ، تعرضت القيادات السياسية الشیعیة الى تصفیيات وملاحقات ، كما رأينا ذلك بالنسبة لأكبر زعيمین في واحة القطيف علي بن غانم وعلي بن عبد الرحيم ، أو كما حدث في عهد أبنائه إبان الحرب الأهلية ، حين اضطرب الزعيم أحمد مهدي بن نصر الشالی الفرار من المنطقة بعد أن صودرت أملاكه وكان قاب قوسين أو أدنى من المقصولة . وقد سبب هذا بالخصوص تمردات كثيرة في منطقة القطيف واستياء بالغاً بين السكان .

ولم يثبت ان سياسة فيصل في ترضیة الزعماء المحلية في نجد كانت ناجحة ، إذ أنه انشغل لفترة طويلة في إخضاع التمرد تلو الآخر .. كما أن زعماء القبائل - خاصة في الاحساء - من العجمان وأل مرة قد تحدوا أكثر من مرة الزعامة السعودية ، وعاشت مناطق الشرق فترة عاصفة من الإضطرابات التي لم تنته حتى موته رغم الحملات المتكررة التي قادها هو بنفسه أو قادها إبنه عبد الله ، وبطش بكل القسوة المعروفة عن السعوديين بالزعamas القبلية والحضرية على حد سواء ، وصح ما قاله أحد الباحثین الغربیین بأن فيصل تعزز سلطانه وتغلب على كل معارضه متبقیة من قبائل نجد والاحساء عن طريق ما أسماه أحد المعاصرین بقوته التي لا تعرف الرحمة ^(١٧) .

على الصعيد الاقتصادي ، يقدر بلغريف عدد السكان الشیعیة بالنسبة للحضر في الدولة السعودية الثانية فيقول بأن عددهم يصل الى ربع مليون نسمة ، في حين يصل تعداد سكان الأقالیم الأخرى في حدود مليون وربع المليون نسمة .. ولكن ما يدفعه الشیعیة من ضرائب مختلفة وزکوات يساوی جميع ما يدفعه السكان الآخرين في كل الأقالیم بما فيها كامل نجد وعمان وامارات الساحل

المتصالح والبحرين .. حيث تتسلم الحكومة من الشيعة من الواحتين مائتي ألف ريال سنوياً هي عبارة عن زكوات وضرائب (من بينها الجهادية / الرقبيه) وجمارك وغير ذلك .. في حين يدفع جبل شمر ١٦ الف ريال ، والقصيم ، ٢١ ، والوشم ٦ ، والسليل ٣ ، والدواسر ٤ ، والأفلاج ٢ ، والحريق ١٠ ، واليمامة ٦ ، والعارض ٥ ، ومسقط ٦ ، والبحرين ٤ ، وشيخوخ الساحل من رأس الخيمة الى أبوظبي ٢١ ، ومن صحار والقسم الداخلي من عمان ٨ ، ومن جميع القبائل بما فيها قبائل الأحساء والقطيف - وهي قبائل غير شيعية - ١١٤ ألف ريال ، بحيث يصل المجموع ٢٠٠ ألف ريال ، أي أن واحتى الأحساء والقطيف في كفة ، وبباقي المناطق الخاصة للحكم السعودي في كفة أخرى^(١٨).

ولا يفسر مقدار ما يجبى من أموال من مناطق الشيعة ، القول بأنها غنية ، بل أن الضرائب المفروضة على السكان كانت ولا شك عاملاً مهماً في ذلك .. وينبغى الإلتقاء الى أن امراء الدولة السعودية الثانية كانوا يحاولون التخفيف عن رعاياهم في نجد لاسترضائهم ، في مقابل تعويض النقص المادي من مناطق الشرق .. وما يجري على الشيعة لا يجري على غيرهم . وكان الحكام السعوديون يعتبرون المنطقة خزانة مالياً لحل مشكلاتهم كلما احتاجوا الى ذلك . حدث عام ١٢٦٠ هـ أن وقعت معركة بين العجمان وحليفتها سبيع وبين قبائل مطير ، وقد تكبدت مطير خسائر فادحة من الإبل والأسلحة والقتلى ، وتشير المصادر التاريخية الى أن قبيلة مطير هي المعدية « إلا أن الأمير فيصل بن تركي عوض عن خسائر مطير بكرم وسخاء من بيت مال القطيف ، لأن محمد الدويش - زعيم مطير - كان من المخلصين له »^(١٩) . ومع هذا حكم العديد من الشيعة وقتلوا بحجة أنهم يتهربون من دفع الضرائب ، أو أنهم اعتدوا على بيت مال المسلمين ! .

هو امش

- (١) الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ م = ١١٥٨ - ١٢٢٣ هـ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ٣٩ - ٤٠ .
- (٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ٥٥ .
- (٣) تاريخ شرق الجزيرة العربية ، أحمد مصطفى أبو حاكمة ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ص ١٧٢ .
- (٤) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأخير من القرن العشرين ص ٢٢ .
- (٥) عبد الرحيم بن عبد الرحمن ، مصدر سابق ص ٦٩ .
- (٦) المصدر السابق ، ص ٦٨ .
- (٧) ابن بشر ، ج ١ - ص ٤٦ وانظر تاريخ نجد ص ١١٨ ، الذي استخدم هذا اللفظ : وهج المسلمين على من كان فيه من المشركين .
- (٨) لمع الشهاب ص ٤٢ .
- (٩) ابن بشر ، ج ١ - ص ٤٦ .
- (١٠) المصدر السابق ص ٨٣ .
- (١١) المصدر السابق ص ٨٥ .
- (١٢) المصدر السابق .
- (١٣) تاريخ نجد (روضة الأفكار والآفهام) لابن غنام ج ١ - ص ١٥٩ .
- (١٤) ابن بشر ج ١ - ص ٨٥ .
- (١٥) ابن بشر ج ١ - ص ٨٨ .
- (١٦) المصدر السابق ص ٩٨ .
- (١٧) المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ .
- (١٨) المصدر السابق ص ١٠٠ .
- (١٩) المصدر السابق .
- (٢٠) المصدر السابق ص ١٠٥ .
- (٢١) المصدر السابق ص ١٠٦ .
- (٢٢) لمع الشهاب ص ٧١ .
- (٢٣) المصدر السابق ص ٧١ - ٧٢ .
- (٢٤) المصدر السابق ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٢٥) المصدر السابق ص ٧٦ .
- (٢٦) أبو حاكمة ، مصدر سابق ص ٧٦ .
- (٢٧) ابن بشر ج ١ - ص ١٠٧ - ١٠٩ وانظر أيضاً : العراق بين احتلالين ، عباس الغزاوي ، المجلد السادس ، ط ١٩٥٤ م ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

- (٢٨) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مصدر سابق من ١٨٩ .
- (٢٩) عباس الفراوي ، مصدر سابق من ١٢٩ - ١٢١ .
- (٣٠) المصدر السابق من ١٢٢ - ١٢٣ .
- (٣١) المصدر السابق من ١٢٣ .
- (٣٢) ابن بشر ج ١ - من ١١٨ .
- (٣٣) العراق بين احتلالين ، عباس العزاوي ، المجلد السادس من ١٢١ .
- (٣٤) تاريخ الكويت الحديث ، ابو حاكمة من ١٠٨ وايضاً الشيعة والإضطراب الاجتماعي من ٢٢٢ .
- (٣٥) التيارات السياسية في الخليج ، صلاح العقاد من ٥٨ .
- (٣٦) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى من ٢٤٣ .
- (٣٧) العراق بين احتلالين المجلد السادس من ٢٥٨ .
- (٣٨) فاسيلييف - من ١٢٨ .
- (٣٩) كشك من ٢٠٢ - ٢٠٥ .
- (٤٠) ابن بشر ج ٢ من ٢٥ - ٣٧ .
- (٤١) ابن بشر ج ٢ من ٤٤ .
- (٤٢) محمد سعيد المسلم - ساحل الذهب الاسود - من ١٨٢ ، ١٨٣ .
- (٤٣) ابن بشر ، ج ٢ من ٤٨ والمسلم ، مصدر سابق ، من ١٨٢ ، وعليه من ٢٩ ، وعبد الرحيم عبد الرحمن ، محمد علي وشيه الجزيرة العربية ، من ٢٦٩ - ٢٧١ .
- (٤٤) عبد الفتاح علي ، الدولة السعودية الثانية ، من ٢١ .
- (٤٥) ابن بشر ، ج ٢ ، من ٦٨ ، والدولة السعودية الثانية ، من ٤١ . ومحمد علي وشيه الجزيرة العربية ، من ٢٨١ .
- (٤٦) محمد علي وشيه الجزيرة العربية ، من ٢٨٦ - ٢٨٧ . والدولة السعودية الثانية من ٤٤ . وابن بشر ج ٢ من ٧١ .
- (٤٧) محمد علي وشيه الجزيرة العربية ، من ٢٩٧ - ٢٩٨ .
- (٤٨) ابن بشر ج ٢ من ٨٤ . ومحمد علي باشا وشيه الجزيرة العربية ، من ٣٠٩ ، ٣٠٨ .
- (٤٩) ابن بشر ج ٢ من ٨٥ - ٨٦ . والدولة السعودية الثانية من ٥١ . ومحمد علي باشا وشيه الجزيرة العربية من ٣١٧ .
- (٥٠) محمد علي باشا وشيه الجزيرة العربية ، من ٣١٨ - ٣١٩ .
- (٥١) المصدر السابق ، من ٢٢٠ - ٢٢١ .
- (٥٢) المصدر السابق ، من ٢٢٢ ، ٢٢١ .
- (٥٣) المصدر السابق ، من ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- (٥٤) المصدر السابق ، من ٢٢٩ .
- (٥٥) الدولة السعودية الثانية ، من ٢٢٩ ، ٢٤٠ .
- (٥٦) محمد علي وشيه الجزيرة العربية ، من ٣٦٠ .
- (٥٧) ابن بشر ج ٢ من ٨٧ - ٨٦ . ومحمد علي وشيه الجزيرة ، من ٢٤٥ - ٢٤٦ .
- (٥٨) (ابن بشر ، ج ٢ من ٩٥ ، ٩٦ . والدولة السعودية الثانية ، من ٥٨ .
- (٥٩) الدولة السعودية الثانية ، من ٧٦ .
- (٦٠) ابن بشر ، ج ٢ ، من ٩٧ . والدولة السعودية الثانية ، من ٧٦ .
- (٦١) ابن بشر ج ٢ ، من ١١٠ .
- (٦٢) محمد سعيد المسلم ، مصدر السابق ، من ١٤٨ - ١٨٥ .
- (٦٣) الدولة السعودية الثانية . من ٧٤ .
- (٦٤) المصدر السابق ، من ٩٩ ، الذي يقول من ١٠٥ أن فيصل أرسل المداوي من القطيف إلى عنزة المتربدة على حكم فيصل ولكن أهلها رفضوه واعتبروه أجنبياً .

- (٦٥) فاسيلييف - المصدر السابق ، ص ١٧٩ - ١٤٧ - ١٤٨ .
- (٦٦) الشيعة والإضطراب الاجتماعي - ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .
- (٦٧) كيلي - الحدود الشرقية لشبب الجزيرة العربية ، ص ١٢٦ .
- (٦٨) الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٥٤ ، ٢٦٢ .
- (٦٩) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

الأحساء والقطيف

في المدبلجية السعودية

قبل ان يودع فيصل بن تركي الحياة في ١٨٦٥ هـ ، كان قد وثق علاقاته مع الانجليز في الخليج بصورة اكبر مما كانت عليه في عهد أسلافه ، إذ سمح للمقيم السياسي البريطاني في الخليج لويس بيلي بزيارة في الرياض ، وتوقيع معاهدة معه ، أشار اليها الملك عبد العزيز فيما بعد أكثر من مرة . وقد ابتدأت زيارة الكولونيل بيلي للرياض في ٢ / ٥ / ١٨٦٥ ، وكان من بين اهدافها التالي :

أولاً - الحصول على مركز استراتيجي بحري في القطيف أو العقير .
ثانياً - تأمين المصالح البريطانية في محميات الخليج من قبل حلفاء الحكم السعودي ، وفي هذا السياق يقول بيلي في تقريره عن الرحلة : «لقد شعرت جازماً ، أنه اذا تمكنت من إقامة علاقات مع حاكم كفيصل ، فإننا نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل . ولن تخشى من أن يتحول هذا النفوذ في اتجاه لا يتوافق مع الاتجاه المعتدّن» (١) .

ثالثاً - دراسة تضاريس الجزيرة العربية ومناخها واقتصادها وسكانها ، ولذا فهو قد قدم وصفاً للاحسإ موضحاً أهميتها الزراعية والاستراتيجية باعتبارها بلداً ساحلياً تطلّ موانئه على الخليج ، وكان بيلي قد مرّ بالاحسإ في طريق عودته الى قطر في الثامن عشر من مارس ١٨٦٥ .

رابعاً - التعرّف على مراكز القوى في الحكم السعودي ، خاصة وأن فيصل ، الحاكم السعودي ، يعيش آخر حياته ، وقد أصيب بالعمى والشلل ، ورأى بيلي كيف أن «عبد» الحاكم السعودي المدعو محبوب بن جوهر يتمتع بنفوذ قوي ، لدرجة أنه تبرّع من تلقاء نفسه بعرض مشروع معاهدة تلزم السعوديين بمنع أعمال السلب والنهب ، الضارة فقط بالمصالح البريطانية (٢) .

كما لم يضيع بيلي الفرصة ، فالتقى بأبناء فيصل وبالخصوص «عبدالله وسعود» ، وخرج بانطباع سيء عن عبد الله الذي خلف والده فيما بعد ، وعرف

أن سعودا هو أكثر ميلا للانجليز ، لذا لا غرابة أن نجد بيلي فيما بعد ، من أكبر المناصرين لسعود اثناء اشتعال الحرب الأهلية بينه وبين أخيه عبدالله ، وقد كتب لحكومته بضرورة مناصرة سعود لتحقيق اطماعها في الاحسae . وملخص القول أن زيارة بيلي حققت كامل أهدافها ، عدا ما يتعلّق باعطاء تسهيلات للانجليز في موانئ القطيف والاحسae ، وذلك خشية من الحاكم السعودي أن يتثير ذلك العمل نفمة الحكومة العثمانية التي كان السعوديون يومئذ يخضعون لسيادتها الاسمية .

فمن جهة استحصل بيلي من خلال المعاهدة الموقعة على «تعهد من الامام فيصل بن تركي بمعاقبة كل من يقوم أو يمارس أعمال السلب والقرصنة في كل من مينائي الدمام والعقيр السعوديين .. وحرضا على سير الامور في اطارها الصحيح ، فإن الامام السعودي طلب من بيلي ان يتصل به مباشرة في حال وقوع حوادث تؤدي الى تعكير صفو السلام في المنطقة» (٣) . وطلب فيصل بن تركي من الكولونيل البريطاني أن تتولى المقيميمية البريطانية في بوشهر رعاية مصالحه البحرية ، بمنع الاعتداء البحري عليه ، وصيانة الأمن في الخليج (٤) .

وأوضح فيصل عن رغبته في تنظيم المراسلات مع المقيميمية في بوشهر (٥) ، كما وحقق بيلي نجاحا في تحديد سلطة السعوديين في المناطق الواقعة تحت السيطرة والنفوذ البريطانيين ، وأهم ما في ذلك ، أنه أوضح لفيصل بن تركي أن دفع الزكاة من قبل حاكم عمان أو المشيخات الأخرى ، لا يعني أي سلطة له ، وأنما هي أتاوة مادية لا تتعدي هذه الحدود ، وهو أمر أوضحته بيلي فيما بعد للحاكم السعودي الجديد عبدالله الفيصل عن طريق مبعوثه الى بوشهر في فبراير ١٨٦٦ .

ومن الناحية الاستخباراتية ، حصل بيلي على كم هائل من المعلومات عن القبائل والاقتصاد والسكان ، وعاداتهم ، وعن الجغرافيا ، فكانت أشبه ما يكون بمسح «تجسسي» لكل داخل الجزيرة العربية الواقع تحت نفوذ الوهابيين .. وقبل أن يغادر بيلي الرياض ، وأنشاء الوداع قال له فيصل أنه «أصدر تعليماته الشديدة الى عماله في منطقة الساحل» ، بما اتفق عليه .. وقد عرج بيلي في طريقه على الاحسae ومعه فريقه الاستخباري لمعرفة أوضاعها .

قبل أن يموت فيصل بن تركي ، جرى امتحان لهذا الاتفاق ، ففي أغسطس ١٨٦٥ ، أرسل الحاكم السعودي وكيله الى مسقط طالبا زيادة الزكاة الى ثلاثة أضعافها ، وقد رفض ثويني حاكم عمان الطلب .. مما أدى الى قيام الوهابيين باحتلال ميناء صور العماني ونهبه وقتل الكثريين وسلبهم . وقد صادف أن كان في الميناء بعض الهنود من ذوي التبعية البريطانية ، فكانوا بين من قُتل وأسر .

في تلك الاثناء ، كان بيلي قد سافر الى بومباي لعرض تقرير عن رحلته الى الرياض على رؤسائه ، فاقتراح أن يسمح لثويني بمحاصرة الاحساء ، او ان تقوم حكومة الهند بالاحتجاج على فيصل بشكل مباشر ، او عن طريق الحكومة العثمانية ، وذلك لأن فيصل يهدد على حاكم مسقط ! .

عاد بيلي في شهر اكتوبر ١٨٦٥ الى مقره في بوشهر ، وأرسل احتجاجا الى فيصل على مهاجمة اتباعه في «صور» ، فرد الاخير بأنه أصدر تعليماته الى وكيله في البريمي ، تركي السديري ، باطلاق سراح ذوي التبعية البريطانية ، وإعادة الاملاك المنهوبة منهم

لقد أيد الحاكم العام للهند بيلي ، وأيد اقتراحه القاضي بمساعدة ثويني في حملة عسكرية على موانئ الاحساء والقطيف ، وأبلغ الحاكم بيلي بأن التعليمات صدرت لرئيس البحرية في بومباي ، بأن يرسل كل ما يمكنه من سفن للخليج بأسرع وقت ، على ان تكون صلاحية استخدامها بالشكل الذي يراه بيلي مناسبا ، شرط ان لا يتم التدخل في العمليات البرية ، التي هي مكلفة سياسيا وبشريا .

وبعد الاستعدادات لمهاجمة القطيف والعقير بشكل حماسي حينما زار بيلي مسقط في اوائل ديسمبر ١٨٦٥ ، وهناك أبلغ الاخير ثويني ، بأن حاكم البحرين عرض عليه التعاون ، فرتب بيلي الأمر على أساس أن يقوم «تركي» ، آخر ثويني ، بالتحرك على رأس الاسطول للقطيف ، على أن يجهز ثويني حملة برية لمهاجمة الوهابيين في البريمي ، ورافق بيلي الاسطول المتوجه الى البحرين .. ولكن حين وصل الاسطول الى هناك ، تراجع محمد بن خليفة ، حاكم البحرين ، فقرر تركي وبيلى العودة الى مسقط (٤) .

في هذه الاثناء «أواخر ديسمبر» ، وصلت سفينة بريطانية لميناء صحار تحمل الكثير من البندق ، هذا ومازال المقيم بيلي مصرا على مهاجمة القطيف ، وزار السفينة في السادس من يناير ١٨٦٦ ، وطلب من قائدتها باسلی «PASLEY» بأن يحمل رسالة الى فيصل يهدده فيها بقصف القطيف ومرفأ الدمام الصغير ، اذا لم يدفعأربعين ألف ريال تعويضا عن المنهوبات ، وطالبه بأن يتهدد بعدم القيام بمهاجمة الاراضي العمانية «كانت سهام قد هوجمت للتو على يد الوهابيين» ، وأن يقدم اعتذارا مكتوبا .. وحدد بيلي مهلة تنتهي في الثاني من فبراير ١٨٦٦ (٥) .

وصل نباء وفاة فيصل بن تركي الى بيلي في الثامن من يناير ١٨٦٦ ، ومع هذا أصر على الهجوم ، وفي الثالث عشر منه ، وصل باسلی الى البحرين ، وأرسل الرسالة الى الامير ، مع قارب محلي الى القطيف وعاد الى ابوظبي .. وفي الثامن والعشرين من يناير واصل باسلی مهمته ، فأبحر الى القطيف ثانية ، وقد وصلها بعد يومين ، فلم يجد جوابا على رسالة بيلي ، وقد أخبره حاكم

القطيف بأنّ عليه الانتظار ١٢ يوماً حتى يحصل على جواب ، ولكنه رفض الانتظار ^(٨) .

وفي الموعد المحدد ، وبعد أن تأخر الجواب ، توجهت السفينة الحربية هاي فلاير «HIGH FLYER» نحو القطيف بقيادة الكابتن باسل ، وأطلقت نيرانها على قلعة صغيرة ودمرتها ، ثم تحركت مجموعة من القوارب بقيادة الملازم «فيليوز» باتجاه الساحل ، ودخلت ميناء القطيف في الثاني من فبراير ١٨٦٦ ، ودمرت الحصن الصغير المعروف باسم «برج أبو الليف» ، كما دمرت سفينة محلية كانت راسية في الميناء - كما يقول لوريمر - اضافة الى عدد من القوارب الصغيرة وسفن صيد اللؤلؤ . ثم تحركت السفينة في اليوم التالي ٣ / ٢ / ١٨٦٦ باتجاه الجنوب الشرقي نحو مرفأ الدمام الصغير ، وحاول البريطانيون إنزال قواتهم هناك ، فووجوا بمعارضة طفيفة .. ولما لم يكن أمر الانزال جاداً ، فقد اكتفت «هاي فلاير» بقصف المرفأ الذي تم بقيادة الملازم يونج ^(٩) .

لم يكن بإمكان السعوديين ردّ بسرعة على تهديدات بيلي وإنذاراته ، لأنَّ فيصل بن تركي كان قد توفي للتو في أواخر ديسمبر ١٨٦٥ ، وكان الحاكم الجديد ، ابنه عبدالله ، مشغولاً بتسلّم كرسي الحكم .. ولم يكن بيلي من جهته ، ي يريد أن يimirّ الحادث دون رد فعل وحفظ ماء الوجه ، فضلاً عن أنَّ المواصلات لم تكن مهيأة ، وإلا فإن عبد الله الفيصل كتب رثا بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٨٦٦ ، وسلمه إلى مبعوثة ليذهب به إلى بوشهر ويقابل المقيم البريطاني هناك .. وكان مستحيلاً أن يصل المبعوث خلال خمسة أيام ، بل أنه احتاج إلى أكثر من شهرين ونصف !! .

شعر الحاكم السعودي الجديد أنه لا يستطيع مواجهة القوة البريطانية ، فأرسل إلى والي بغداد ، نامق باشا ، وفداً يعرض بالنيابة عنه خصوصه للباب العالي ، ويدعوه للتنسيق ضد العدوان المتكرر على ساحل الاحساء ، والعمل على حماية الشاطئ من أيّة عمليات عسكرية أخرى .. وبالفعل توقفت الهجمات البريطانية بعد هذه الاتصالات .

قام نامق باشا بتقديم احتجاج إلى القنصلية البريطانية في بغداد على أفعال بيلي ، وذلك في مارس ١٨٦٦ ، ولكن الانجليز رفضوا الاحتجاج وأبلغوا العثمانيين بأنّ نجداً ليست مقاطعة تركية ، ورفضوا التسلّيم بأنَّ امراء نجد يعترفون بسيادة العثمانيين عليها . وقد أصرّت حكومة الهند بأنَّ حكم السعوديين متواirth ، ولا توجد سلطة عثمانية حقيقة عليها ، رغم الایمان بأنَّ السعوديين يدفعون مبلغاً سنوياً لحكومة الخلافة ^(١٠) .

هذا الجواب البريطاني صحيح ، وقد سبق لهم أن أسمعوا للأثرak عندما احتجوا على ضرب الاسطول البريطاني لمرفأ الدمام عام ١٨٥٩ ، في عهد فيصل بن تركي .. وهذا ما دعا نامق إلى طرح موضوع السيادة المباشرة

لـلـدولـة العـلـيـة عـلـى الـاحـسـاء لـحـمـاـيـتـهـا ، وـقـد رـفـضـ الـوـفـدـ السـعـودـيـ الذـي اـرـسـلـهـ الـامـيرـ عـبـدـ اللـهـ الفـيـصـلـ ذـلـكـ ، وـانتـهـىـ الـأـمـرـ إـلـىـ فـرـقـةـ بـيـنـ الـطـرـفـينـ .. إـذـ تـمـسـكـ كلـ مـنـ نـامـقـ باـشـاـ وـعـبـدـ اللـهـ بـحـقـهـ فـيـ اـدـارـةـ أـمـورـ الـاحـسـاءـ .. وـكـانـتـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ أحـدـ الدـوـافـعـ التـيـ جـعـلـتـ الـحـاـكـمـ السـعـودـيـ يـسـارـعـ لـاستـرـضـاءـ الـبـرـيـطـانـيـينـ بـاـرـسـالـ «ـالـمـانـعـ»ـ إـلـىـ بوـشـهـرـ لـمـقـابـلـةـ بـيـلـيـ ، وـتـقـيمـ تـعـهـدـ سـعـودـيـ بـعـدـ التـعـرـضـ لـاـمـارـاتـ السـاحـلـ الـخـاصـعـةـ لـلـنـفـوذـ وـالـسـيـطـرـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ (ـ١ـ)ـ .

كانـ مـنـ أـوـلـ الـاعـمـالـ التـيـ قـامـ بـهـاـ الـحـاـكـمـ السـعـودـيـ الجـدـيدـ «ـعـبـدـ اللـهـ الفـيـصـلـ»ـ ، هوـ اـرـسـالـ مـنـدـوبـ عـنـهـ يـدـعـيـ مـحـمـدـ بـنـ اـبـرـاهـيـمـ بـنـ مـانـعـ ، إـلـىـ بوـشـهـرـ ، وـالـتـيـ وـصـلـ إـلـيـهاـ وـقـابـلـ بـيـلـيـ فـيـ الـحـادـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ اـبـرـيلـ ١٨٦٦ـ ، وـسـلـمـهـ رـسـالـةـ الـامـيرـ السـعـودـيـ .. وـهـنـاكـ تـعـهـدـ الـمـنـدـوبـ السـعـودـيـ نـيـابـةـ عـنـ الـحـاـكـمـ فـيـ الـرـيـاضـ بـالـتـالـيـ :

«ـأـقـرـ أـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـانـعـ ، بـالـنـقـاطـ التـالـيـةـ وـأـؤـكـدـهـاـ :

١ـ - خـوـلـنـيـ الـإـمـامـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ فـيـصـلـ ، أـنـ أـطـلـبـ إـلـىـ الصـاحـبـ المـقـيمـ فـيـ الـخـلـيـجـ لـيـكـونـ وـسـيـطـ الـصـادـقـةـ بـيـنـ الـامـيرـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ فـيـصـلـ وـالـحـكـومـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ .

٢ـ - أـؤـكـدـ لـلـمـقـيمـ فـيـ الـخـلـيـجـ نـيـابـةـ عـنـ الـأـمـامـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ فـيـصـلـ ، أـنـ الـإـمـامـ لـنـ يـلـحـقـ الـأـذـىـ أوـ الضـرـرـ بـالـرـعـاـيـاـ الـبـرـيـطـانـيـيـنـ الـمـقـيـمـيـنـ فـيـ الـأـرـاضـيـ الـوـاقـعـةـ تـحـتـ سـيـطـرـةـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ فـيـصـلـ .

٣ـ - أـؤـكـدـ لـلـمـقـيمـ فـيـ الـخـلـيـجـ نـيـابـةـ عـنـ الـأـمـامـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ فـيـصـلـ ، أـنـ الـإـمـامـ لـنـ يـهـاجـمـ أوـ يـلـحـقـ الـأـذـىـ بـأـرـاضـيـ الـقـبـائـلـ الـمـتـحـالـفـةـ مـعـ الـحـكـومـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ ، وـلـاـ سـيـمـاـ تـلـكـ الـمـقـيـمـةـ فـيـ مـلـكـةـ مـسـقـطـ ، وـذـلـكـ باـسـتـثـنـاءـ تـلـقـيـ الزـكـاـةـ الـمـأـلوـفـةـ مـنـذـ أـمـدـ بـعـيدـ .

كـتـبـتـ هـذـاـ بـيـديـ فـيـ بوـشـهـرـ ، يـوـمـ السـبـتـ الـخـامـسـ مـنـ ذـيـ الـحـجـةـ سـنـةـ ١٤٢٠ـ .

محمدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـانـعـ»ـ (ـ١ـ)ـ ..

أـبـرـقـ بـيـلـيـ لـحـكـومـتـهـ مـُطـلـعاـ إـيـاهـاـ عـلـىـ التـعـهـدـ السـعـودـيـ فـوـافـقـتـ عـلـيـهـ ، وـخـوـلـتـهـ تـسـوـيـةـ الـأـمـورـ بـيـنـ مـسـقـطـ وـالـرـيـاضـ .ـ كـمـاـ طـلـبـ الـحـاـكـمـ السـعـودـيـ .ـ شـرـطـ أـنـ لـاـ تـوـقـعـ اـتـفـاقـيـةـ إـلـاـ بـعـدـ عـرـضـهـاـ عـلـىـ الـحـكـومـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ .. وـقـدـ اـطـلـعـ بـيـلـيـ الـمـبـعـوثـ الـوـهـابـيـ عـلـىـ رـدـ حـكـومـتـهـ فـيـ الـأـوـلـ مـنـ مـاـيـوـ ١٨٦٦ـ (ـ٢ـ)ـ .

الحرب الأهلية السعودية

كانت الحرب الأهلية بين سعود الفيصل وأخية عبد الله ، مقدمة للاستيلاء التركي على الاحساء ، ولزيادة التدخل البريطاني لبسط النفوذ على ما تبقى من الشريط الساحلي الممتد من الكويت وحتى عمان ، ونعني به شريط الاحساء الساحلي .

كان يمكن أن نعدّ الحرب بين الأخوين حرباً عائلية صرفة ، لو لا أنَّ القوى الشعبية من قبائل ومدن ومناطق شاركت فيها بكلِّ ثقلها في بداية الأمر فأخرجتها ذلك عن كونها حرباً عائلية ، لأنَّ السكان سواءً كانوا في الاحساء أو في نجد ، كانوا «حطب» الصراع الذي أحرقته منافسات الأخوين لتنسم العرش . وما يخصنا في هذا الموضوع بالتحديد ، أنَّ الاحساء كانت إحدى أهمَّ بؤر الحرب والصراع ، ولاقت من الأذى أكثر من أيِّ منطقة أخرى ، وكان التقاتل للحصول عليها والاستئثار بخيراتها قد تعدى حدود طرف النزاع ، ونقصد بهما ابني فيصل بن تركي .. إلى اطراف دولية كالعثمانيين والإنجليز .. من هنا كانت أهمية التعرض لموضوع الحرب ومؤثراته الاقتصادية والسياسية ، ونتائجها التي رسمتها سنين الحرب العجاف .

فبعد سنة واحدة فقط من حكم عبد الله الفيصل ، ثار عليه أخيه سعود ، طالباً الزعامة ، فخرج من الرياض إلى أمراء آل عائض في نواحي عسير طالباً النصرة .. فكتب عبد الله كتابين أحدهما لابن عائض يحذره من مساعدته ، والأخر إلى أخيه سعود يمثيه ويغريه بالعودة إلى الرياض «ليعطيه ما يرغب فيه من المخصصات» (١٤) . ولكن سعوداً أبي وجمع قوة من بدو نجران وأبها ، ووفد عليه رؤساء قبيلة العجمان الكارهون لعبد الله بسبب المجازر التي أطلقها بهم في وقتٍ «ملح» و«الطبع» ، ووفد عليه آل مرة برئاسة فيصل المرضف ، ودعمه أمير السليل من الدواسر ، وأعانه أيضاً بدو من آل شامر ، وعطف عليه أمير نجران بولديه ، وسار الأمير سعود متوجهًا بالجmount إلى نجد فواجهته

قوات عبد الله بقيادة أخيه محمد ، والتقوى الجمعان في مكان يدعى «المعتلى» ، وهناك أُلْحِقَت بسعود هزيمة ساحقة ، وأُصْبِيَت بعده جروح ، وقتل من جنده الكثيرون منهم ابنًا أمير نجران .. ففُرِّ سَعْود مع آل مَرَّةَ إلى أن بُرِئَت جراحه بعد أن مَرَّةَ إلى جهة الاحسأ ، وهناك بقي مع آل مَرَّةَ إلى أن بُرِئَت جراحه بعد أن أمضى وقتاً في البابية ، ثم توجه إلى البريمي في ضيافة تركي بن أحمد السديري الذي مال إليه ضد عبد الله^(١٥).

هنا بدأت عملية الحرب الأهلية تأخذ طابعها الواضح والصریح :

أولاً - فقد انشقَّ البيت السعودي على نفسه ، حيث تحالف عبد الرحمن الفيصل مع أخيه سعود ، بينما تحالف محمد الفيصل مع أخيه عبد الله .. وانقسمت الأسرة بين مؤيد لها الطرف أو ذاك .

ثانياً - ثم انقسم الولاة في المناطق ، سواء من الأسرة السعودية أو من خارجها ، فالاحسأ وتوابعها كالبريمي ، والتي يحكمها السديريون ، انضمت إلى سعود الفيصل ، وكذلك انضم بعض رؤساء الجنوب .. بينما بقيت نجد في أغليها - عدا القصيم - مع عبد الله ، خاصة حائل .

ثالثاً - وانقسمت القبائل في الولاء أيضاً ، فالجمان دعموا سعوداً ، في موطنهم الاحسأ ، وكان من دواعي دعمهم له ، أن أم سعود الفيصل عجمانية ، وكذلك أحدي زوجاته ، وإن عبدالله قاتلهم وعاملهم بقسوة في عهد أبيه فيصل بن تركي .. كما انضم الدواسر وآل مَرَّةَ إلى سعود ، في حين انضمت قحطان إلى عبد الله^(١٦) .

رابعاً - وسارع سعود لعقد حلف مع الانجليز وامراء البحرين وعمان من ورائهم ، كما سارع الانجليز لنصرته من أجل «الاحسأ» ، فلم يكن أمام عبد الله إلا الالتجاء للدولة العثمانية وواليها في بغداد .

خامساً - وانشقَّ رجال الدين الوهابيون فيما بعد ، بعضهم أيدَ طلب عبد الله العون من دولة الخلافة ، وبعضهم وصفه بالالحاد ! .

سادساً - والأطرف من ذلك كله ، أن المؤرخين السعوديين انقسموا فيما بينهم ، بين مؤيد لعبد الله الفيصل ، الحاكم الشرعي بزعمهم ، ضد «الخارج» سعود «حليف الانجليز» .. وبين معارض لعبد الله الذي اعتبره الملك عبد العزيز أنه أحمق لأنَّه تحالف مع الاتراك .

وفوق هذا كان هناك تباين في شخصية الأخوين .. يقول بلجريف ، أنَّ عبد الله الفيصل كان صارماً قاسياً ، الأمر الذي يروق لسكان المدن المحافظين .. أما سعود ، فكان صريحاً سخياً يحب الفخفة ، الأمر الذي يروق للبدو^(١٧) . ويقول آخر ، إنَّ عبد الله كان متعصباً في أمور الدين ، بعكس سعود ، الذي كان يميل إلى التسامح والاعتدال ، وإنَّ عبد الله أُسندَ الادارة في المقاطعات إلى ولاة قساة^(١٨) .

ووصف مؤرخ سعودي الأخوين قائلًا بأن «عبد الله يوصف بالكرم والتقى، مع تشدد في أمور الدين»، وأما سعود فهو «أميل إلى التسامح في أمور الدين من عبد الله»، ولم يفت القول بأنهما كانا «متناقضين من أيام أبيهما، معروفاً بذلك عندهما»^(١٩).

ومهما يكن من أمر فقد أوضحت معركة «المعتلى» خارطة التحالفات في شبه الجزيرة العربية، وبيّنت فيما بعد خارطة مواقف القوى الدولية .. أما سعود الفيصل، فإنه ومن البريمي، وبتشجيع من أمراء عمان والبحرين والإنجليز «بدأ يخطط من أجل فصل المنطقة الشرقية - الاحساء - عن أخيه، لكي تفقد الرياض جزء حيوياً ومنفذًا هاماً على الخليج، معتقداً هناك على مساعدة المقيم البريطاني في الخليج» .. كما رأى سعود «أن يضرب مراكز المقاومة في قطر والمؤيدة لعبد الله، وكذلك الاحساء ، القلعة السعودية في منطقة الشرق ، والقطيف التي يرى فيها مؤيدين له»^(٢٠).

موقف الانجليز

منذ وفاة الأمير فيصل بن تركي ، بدأ البريطانيون بالضغط العنيف على الساحل الاحسائي ، من قاعدهم بالبحرين «المستعمرة» والتي اعتبر السعوديون حكامها مخلب قط للإنجليز ، وفي عام ١٨٧٠ تطورت الأمور إلى حد أن حاصرت سفن البحرين القطيف بدفع وتشجيع من المعتمد البريطاني هناك ، بل أن نشاط شيخ أبو ظبي يومئذ وصل القطيف أيضًا .. ويومها هدد عبد الله الفيصل باحتلال البحرين ، فأمرت السلطات البريطانية الشیخ عیسی آل خلیفة برفع الحصار ، وهكذا كان .

ولما كان الغرض ، هو السيطرة على ساحل الاحساء ، وإبعاد عبد الله الفيصل الذي بدأ ينسق مواقفه مع الاتراك ، فقد وجد الإنجلزي أفضل .. ففي ذلك الحين كان النزاع محتملاً بين الأخوين ، وقد وجد سعود الفيصل في شيخ البحرين والإنجليز أقوى مؤيد لمشروعاته .. حيث تغاضى بيلي - المقيم البريطاني في بوشهر - عن مساعدات شيخ البحرين المقدمة لسعود «إذ كان من صميم قلبه يريد أن ينتصر سعود على عبد الله .. وكان بيلي يردد دائمًا في مكاتباته مع حكومته ، بأن سعوداً خيراً للإنجليز من أخيه»^(٢١)

وأجرت اتصالات عديدة بين سعود وشيخ البحرين ، ترتب على أثرها انتقال الأول من البريمي «وقيل عمان» إلى البحرين ليتخذها قاعدة للانطلاق ، وكان ذلك في سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ ، وهناك أكرم آل خلیفة ، والمعتمد البريطاني وفادته ، ودعموه بشتى الامكانات^(٢٢) .. ولعل أبلغ وصف للمساعدة البريطانية

في البحرين والتي تلقاها سعود، والتي مكنته فيما بعد من السيطرة على الاحسأء، ما نقله أحد أتباعه .. من أن سعوداً كان يكرر دائمًا «بأنه لن ينسى العطف الذي لقيه من المسؤولين البريطانيين أثناء إقامته في البحرين»^(٢٣). والحقيقة، فإن سعوداً عمل على كسب الانجليز وشيخ البحرين إلى صفه حتى ولو أدى ذلك إلى أن يضع الانجليز أقدامهم على الساحل الشرقي لشبة الجزيرة العربية .. فقد جاء في كتاب موجه من سعود إلى الشيخ عيسى أنه في حاجة لمساعدته .. وأكَّد أن الساحل سيعتبر تحت الحماية الانجليزية إذا ما قدم الانجليز المساعدات له^(٢٤).

على أن الانجليز لم يدخلوا بالمساعدة، فقد كان حصار القطيف يصب في صالح سعود، لأن ذلك قد أدى إلى انقطاع المؤن والامدادات عن عبد الله .. غير أنهم لم يكونوا على استعداد لأن يتسع النزاع بين الأخوين ليصل إلى البحرين، ولهذا أمر الانجليز - بعد تهديد عبدالله بمحاجمة البحرين - الشيخ عيسى بأن يفك الحصار مُبِقِياً على قنوات الدعم والتشجيع لسعود^(٢٥). وفعلاً بدأ المنكور بالاتصال بالقبائل البدوية في الاحسأء تمهدًا للاستيلاء عليها .. ووفد عليه العديد من رؤسائها وأفرادها ووعدهم بالغنائم .. ومن جملة من كتابهم، رakan بن حثيل المشهور بالشجاعة وزعيم قبيلة العجمان^(٢٦)، «ومناه سعود بحكم المنطقة الشرقية - الاحسأء والقطيف»^(٢٧).

كان واضحًا لدى الجميع أن سعود الفيصل يتلقى الدعم من الانجليز، ويبدو أن ذلك لم يشكل أية معضلة له في تحالفاته مع القبائل أو مع الحضر .. وقد اعتبر عبد الله أخاه «مخلب قط للبحرين التي تقف وراءها الدولة البريطانية»، في حين كان الشائع في الدوائر العثمانية في بغداد «أن سعوداً ماهو الا عميل للقنصل البريطاني»، ولهذا رأى مدحت باشا، والمي بغداد، أن تولى سعود لنجد مضيعة لهذه البلاد وإلقاء بها في يد الأجانب^(٢٨).

وكتب عبد الله الفيصل لوالي مصر، الخديوي اسماعيل، مُعرضًا باتصالات أخيه بالانجليز، فقال: «و قبل هذا بمدة، وصل إلى طرفنا بنجد بيلى، قنصلوصن الانجليز بخليج بحر فارس ومعه هدية، وقد فهمنا موجب قدومه أن مرامه ان نعطيه مركز في ساحل البحر إما البحرين أو الدمام أو بعض القطع غيرها، وقد تعذرناه ورجعنا هديته عليه، حيث أن هذه الاماكن التي في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة إلى خليفة رسول الله السلطان نصره الرحمن، وقد رجع منا مأيوس مكدر لعدم جر إيجاب مطلوبه».

وأضاف عبدالله: «وكان أخيانا سعود ولد سفيه وجاهل .. واستجلبه القنصلوصن المومأ إليه فأفسده وأغراه بتحريكات المفاسد، وأمدده بما يقتضي له من الذخيرة والمهمات، وجمع له حربية من الأشقياء، ولازلتنا نردعه ونكسر شوكته، والقنصلوصن المومأ إليه كلما دمرناه عمره بالذخيرة والنقود بواسطة

أهل البحرين ...» (٢٩).

وحدث أثناء تواجد سعود في البحرين، أن أرسل أخوه عبد الله سريّة لقتال قواه التي يقودها ابن عمّه «محمد بن عبد الله بن ثنيان»، ووقعت معركة قرب قطر، هزمت فيها قوات سعود، وقتل فيها قائد، إلا أن ذلك لم يفت في عضده، بل واصل مشروعه الأساسي، وهو الانطلاق من البحرين لاحتلال الأحساء، لأن القطيف كانت شبه خاضعة له بعد أن تحالف معه زعيم الشيعة الشيخ أحمد مهدي بن نصر الله، كما سنرى.

وجاءت اللحظة الحاسمة، حينما انطلق سعود الفيصل بقواته من البحرين مستخدماً سفن شيخها، ومصطفحها معه عدداً من آل خليفة، منهم «أحمد بن الغتم» في عدة رجال، وحط الجميع رحالهم على شاطئ العقير واستولوا عليه، وهناك انضم إليه - حسب الاتفاق - العجمان وأل مرّة، وتوجه بهم نحو حاضرة الأحساء، فكان أول ما صادفهم قرية «الجفر» حيث يسكنها أخلاق من الشيعة والسنّة، فدخلها سعود عنوة وانتهياً الجند (٣٠).

ثم قصدوا قرية «الطرف» (٣١)، فصالحهم أميرها وسلمت وأطاعت، فمشى جيش سعود إلى الهدف، فما كان من أمير الأحساء إلا أن خرج لمواجهةه ومعه جماعة قليلة من العجمان وأل مرّة، فيهم رakan بن حثين، الذي أقسم للوالى على الوفاء والصدق، والتقوى الجيشان في «الوجاج» بين الهدف والقرى الشرقية، وحينها ظهرت الخيانة من رؤساء العجمان، «فعطفوا على أهل الهدف يقتلون ويسلبون، وأنهزم الأمير ناصر بن جبر بالناس ... ثم زحف سعود حتى وصل الأحساء وحاصرها أربعين يوماً، وأمعن العجمان في الافساد في البلاد، بالنهب وقطع الثمار، فذهب أهل المبرز وصالحوا الأمير سعود ليسلم بلادهم، حماية لهم من الفساد .. لكن العجمان استبدوا بالامر لأن الشوكة لهم، وأذاقوا الناس عذاب الهون، وكانوا لا يرقبون في مومن إلا ولا نمة»، كما يقول صاحب التحفة! (٣٢).

وقد أخذ سعود من الأهالي الكثير من الأموال التي فرضها عليهم، واستولى على بيت المال، وزرع المنهوبات على جنده، وأطلق العنان لقواته أن تعبث بالزرع والنخيل التي يملك معظمها الشيعة العاملون بالفلاحة، وما كان أحد يستطيع أن يشكوا أو يتّمر .. واستمر الإهالي قابعين في منازلهم خوف البطش، وأهملوا زراعاتهم التي هي رأس مالهم الأول، لأن عاقبة الذهاب إلى بساتين النخيل قد تكفل الإنسان حياته .. خاصة وإن البدو التابعين للأمير سعود قد خيموا في النخيل، وتركوا دوابهم ترعى في الحقول وتفسد الزرع .. وقد قُتل مجموعة من المزارعين الساكنين في نخيلهم، وفتح جنود سعود بآخرين في الشوارع والطرقات، بل إن كثيراً من البيوت والقرى انتهت .. هذا ولا زالت الهدف محاصرة، فأرسل عبدالله الفيصل جيشاً لحرب أخيه،

واستخلاص الأحساء ، ووضع على الجندي محمد الفيصل .. فلما علم سعود بذلك فك الحصار عن الهفوف ، وانطلق نحو بئر (جودة) حيث التقى بأخيه محمد الفيصل ، وذلك في السابع والعشرين من رمضان ١٢٨٧ هـ ، الموافق للأول من ديسمبر ١٨٧٠ ، وهزمه شر هزيمه ، وأسره ثم بعث به فيما بعد إلى سجن القطيف ووضعه تحت المراقبة .

وقيل ان عدد القتلى في المعركة بلغ ٢٠٠٠ رجل ، أكثرهم من نجد ، فكانت ضربة قاسمة لم تقم لعبد الله بعدها قائمة ، وأدت هزيمته في «جودة» إلى امتعاض وحنق النجبيين ، خاصة وأن الهزيمة تمت قبل العيد بأيام معدودة (٣٣) . وترتب على نتائج المعركة ان سقطت الهفوف واستسلمت ، فقد كتب سعود بعد انتصاره في «جودة» إلى رؤساء الاحساء يأمرهم بالقدوم إليه ومبايعته ، ثم دخل الهفوف وسلب أموالاً كثيرة من أهلها ، وفرقها على حلفائه من العجمان والجند الذين كانوا معه (٣٤) .

ومهما يكن من أمر ، فقد قام البريطانيون ، عن طريقشيخ البحرين وحاكم مسقط ، بدور بالغ الاثر في الصراع الذي دار بين اقطاب الحكم السعودي .. والهدف من ذلك كان تدعيم سيطرة سعود الفيصل على الاحساء - بدرجة اساس - ليتاح لهم في مرحلة متقدمة تنفيذ السيطرة المباشرة عليها ، خدمة لاهداف الامبراطورية البريطانية ، والتي كان من رأيها - كما كان رأي بيلى - ان انتصار سعود سيؤدي إلى استقرار الامور في الخليج لصالحها (٣٥) .

موقف مشايخ الوهابية من الصراع

وقف المشايخ حينما نشب الصراع بين الاخوين ، مع عبد الله الفيصل ، باعتباره إماماً شرعياً ، ونصحوا سعوداً بعدم إثارة الفتنة ، كما كاتبوا شيخ نجران في بداية الامر ، بعدم دعمه وتحريضه .. لكن حينما هزم عبدالله في «جودة» ، وولى هارباً ، نصحه آل الشيخ - زعماء المذهب الوهابي - بعدم الاستعانة بالدولة «الخاسرة» ، وهي دولة الخلافة العثمانية ، وذلك حينما رأوا بوادر تحرك إمامهم بهذا الاتجاه .. ولكن هؤلاء المشايخ خضعوا فيما بعد لامامة المنتصر سعود ، رغم نعتهم إياه بالفجور والفسق ، واعتبروا إمامته شرعية ، مادام وصل إلى الحكم عن طريق القوة او غيرها .

وأوضح هذا الموقف زعيم المذهب الوهابي يومئذ ، الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣٦) ، في رسالة أوضح فيها موقفه لانصاره ، جاء فيها :

«... القصد بيان ما أشكل على الخواص المنسبين من طريقتي في هذه الفتنة

العمياء الصماء . فأول ذلك مفارقة سعود لجماعة المسلمين وخروجه على أخيه ، وقد صدر منا الرد عليه وتسويقه رأيه ، ونصيحة ولد عاينه وأمثاله من الرؤساء عن متابعته والاصفاء إليه ونصرته ، وذكرناه ما ورد من الآيات القرآنية والآثار النبوية ، بتحريم ما فعل والتغليظ على من نصره ، ولم نزل على ذلك إلى أن حصلت وقعة جودة ، فثل عرش الولاية ، وانتشر نظامها وحبس محمد بن فيصل ، وخرج الإمام عبد الله شاردا ، وفارقه أقاربه وأنصاره . وعند داعمه أوصيته بالاعتصام بالله وطلب النصر منه وحده ، وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة - يعني الدولة العثمانية - . (٣٧) .

لم يأمل عبد الله الفيصل بالبقاء في حكم الرياض بعد سقوط الاحساء ، لأنَّ الاخيرة تعتبر قلب نجد الاقتصادي والتجاري والمالي ، وبسيطرة سعود عليها ، تم خنق نجد اقتصاديا .. وقد توافق في ذلك العام أن أجدب الأرض بسبب قلة المياه ، وجاء سعود ليغلق على سكان نجد اتصالهم بساحل الخليج ، وليمنعهم من خيرات الاحساء ، مما فاقم النقمَة على الحاكم عبد الله . ثم أنَّ النجذيبين الذين فقدوا الكثير من رجالهم - والدماء لما تجف بعد - أصبحوا بالغي السخط عليه ، وبالتالي لم يأمل بأي دعم منهم ، في آية حملة قادمة . وهكذا بادر عبد الله فور سماعه أخبار الهزيمة ، بالخروج من الرياض ، بعد أن أخذ ماله الوفير وعياله وحرميته وخدامه ، وتوجه بهم إلى حائل حيث حاكمها محمد بن عبد الله بن علي الرشيد .. والمعلوم أن عبد الله الفيصل تزوج لطيفة بنت عبيد الرشيد إلى أن مات ، فتزوجت أخاه محمد الفيصل بعده ، ولكنَّه مات سريعا أيضا .. على أن ابن الرشيد لم يقدم لعبد الله دعما يذكر منتهزا هو الآخر الفرصة للسيطرة على كامل نجد .

لم يُغامر سعود الفيصل بغزو نجد واحتلال الرياض قبل أن يدعم موقعه في الاحساء ، رغم أن الرياض كانت خالية من حاكمها ، ولكنه لم يتأنَّر أيضا .. ففي ذي القعدة ١٢٨٧هـ ، عاد عبدالله الفيصل إلى الرياض بعد أن تحالف مع القحطانيين بزعامة محمد بن هادي بن قرمصة (٣٨) ، وفي محرم ١٢٨٨هـ ، تجهَّز سعود من الاحساء وخرج إلى الرياض تاركا أمرها بيد وإليه الجديد فرحان بن خير الله .

وفي موقع يقال له «الجزعة» التقى سعود بسرية لأخيه فأفيناها ، وغنم جميع ما عندها من المال والسلاح ، وتقديم باتجاه الرياض ، ففر منها عبد الله ومحمد بن قرمصة والتجأ إلى قبائل قحطان في الجنوب ، ودخل سعود المدينة بدون قتال ، فأعمل فيها النهب والسلب ل موقفها العدائِي منه .. وجاءه زعماؤها يعلنون ولائهم التقليدي (٣٩) .

ويصوَّر لنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ، الوضع في الرياض قبل سيطرة سعود عليها ، قائلا : «ثم قدم علينا سعود بمن معه من العجمان والدواسر وأهل

الفرع وأهل الحرير وأهل الأفلاج وأهل الوادي - الدواسر -، ونحن في قلة وضعف ، وليس في بلدنا من يبلغ الأربعين مقاتلا ، وخرجت إليه وبذلت جهدي ... خشية استباحته البلدة ، ومعه من الاشرار وفجّار القرى ، من يحثه على ذلك ، ويتفوه بتکفير بعض رؤساء بلدتنا ، وبعض الأعراب يطلقه بانتسابهم إلى عبد الله الفيصل»(٤٠).

«فوقى الله شر تلك الفتنة .. ودخلها - سعود - بعد صلح وعقد ، وما جرى من المظالم والنكث شيء دون ما كنا نتوقعه .. وصارت له ولاية بالغة والقهر ، تنفذ بها أحكامه ، وتجب طاعته في المعروف .. وما قيل في تکفيره لم يثبت لدى» .

تالت المشاكل في واحة الاحساء الى ان جاء الاتراك واستخلصوها من سعود ، ثم ما لبث ان قدم عبد الله الى الاحساء ، وهناك وجد أن الرأي العام المحلي ناقم على السعوديين ، وبرزت بوادر ضغط على الاتراك بعدم تسليم البلاد لعبد الله ، فما كان من الأخير الا ان هرب منها مع اخيه محمد الفيصل ، والذي أطلق العثمانيون سراحه من سجن القطييف .

في هذه المرحلة استطاع عبد الله العودة الى الرياض ، بعد ان اصطفاها له أعونه ، فدعمه آل الشيخ - والمؤسسة الدينية بقوة - على أن يُظهر «التوبة والاستغفار» من إستقدامه للاتراك باعتبارهم مشركين لا يجوز الاستعانة بهم على المسلمين ، «ومنهم اخوه سعود الذي استعان بالانجليز» . وتمت السيطرة على عبد الله على الرياض ، فيما سيطر الاتراك على الاحساء ، وبقي سعود في البادية بين نجد و الاحساء ومعه فلول آل مرة والعجمان ، ولكنه في النهاية عاد وسيطر على الرياض - بعد محاولات فاشلة في احتلال الاحساء ..

وهنا وقف آل الشيخ نفس الموقف الاول : وهو القبول بحكم سعود ، طالما أنّ له الغلبة والقهر ، وقبل هذا طلب المشايخ الأمان لأهالي الرياض وعدم استباحة بلدتهم .. «وأما عبد الله الفيصل ، فقد نصحت له كما تقدم أشد النصح ، وبعد مجئه - لما أخرج شيعة عبد الله سعودا ، وقدم الى الاحساء - ذكرته في النصيحة ، والتبعاد عن أعدائه وأعداء بيته ، أهل التعطيل والشرك والكفر البوح - اي العثمانيين - وأظهر التوبة والندم ، واضمحل أمر سعود ، وصار مع شرذمة من البادية حول آل مرة والعجمان ، وصار لعبد الله غلة ثبتت بها ولائيته .. ثم ابتلينا بسعود ، وقدم علينا مرة ثانية ، وجرى - ما بلغكم - من الهزيمة على عبد الله وجنته ، ومر بالبلدة منهزمًا لا يلوى على أحد ، وخشيته من البادية ، وعجلت الى سعود كتابا في طلب الأمان لأهل البلدة ، وكف البادية عنهم ... فدخل سعود البلدة واتجه عبد الله الى الشمال ، وصارت الغلبة لسعود ..»(٤١).

مضت فترة غير طويلة وأصاب المرض سعودا ومات ، فخلفه أبناءه في

الصراع ، ودخل عبد الرحمن الفيصل بقوة في المعمعة ، مع بقية أخوته حتى سيطر على الرياض وحكمها مدة ليست طويلة ، هذا والصراع قائم على أشده ، وعبد الله يتحفظ ويجمع البوادي للعودة ، فكان أن أقنع الشيخ عبد الطيف آل الشيخ ، الأمير عبد الرحمن الفيصل بالتنازل لأخيه عبد الله ، فجاء الآخر ومعه البوادي ، فأظهر العbos ، وكان البوادي يستأنونه في نهب التخيل ، إلا أنه فيما بعد أظهر اللين «وتحقق عندي دعوه التوبة ، وأظهر لدى الاستغفار والندم ، وبأياعته على كتاب الله وسنة رسوله» .. كما يقول زعيم الوهابيين يومئذ .

ويشرح مؤلف «مشاهير علماء نجد» : «وقوله : أظهر الاستغفار والندم ، يريده بذلك الإمام عبد الله الفيصل ، وسبب استغفاره وندمه وتوبيته أنه استعن بالدولة العثمانية على قتال أخيه سعود ، وهذا لا يجوز ، لأنَّه حرام في الشرع الاستعنة بالمشرك على قتال المسلم ، ومعلوم أنَّ الدولة العثمانية كانت وثنية تدين بالشرك والبدع»^(٤٢) ! .

هذا مع العلم أنَّ سعوداً كان متواطئاً مع الانجليز ، ولكنَّه لم ينزل معشار ما نال عبد الله على فعلته ، لأنَّ الدولة العثمانية أشدَّ كفراً . عند علماء الوهابية من الانجليز ، وقد سُجلت ذات الملاحظة حينما انحاز الوهابيون إلى صف البريطانيين في الحرب العالمية الأولى ضد دولة الخلافة .

واعتبر الملك عبد العزيز ما فعله عمَّه حماقة .. قال لشكسبير . المعتمد السياسي البريطاني في الكويت - في لقاء معه عام ١٩١١ ، اي قبل احتلال الانحساء وتخلصها من الاتراك ، أنَّ عمَّه عبد الله «رغم أنه حافظ في باديء الأمر على علاقات الصداقة السابقة مع الحكومة البريطانية ، فإنه بلغ به الحمق حدَّ دفعه إلى القيام بمبادرات لإقامة علاقات مع الاتراك»^(٤٣) .. وعلق الزركلي على طلب عبد الله النصرة من الاتراك بقوله : «ويالها من زلة»^(٤٤) .

غريب حقاً أنَّ يثير تعامل عبد الله الفيصل مع الاتراك زوبعة بين الوهابيين ، بينما لا يثير تعامل سعود الفيصل وأخيه عبد الرحمن وابن الآخر «الملك عبد العزيز» مع الانجليز أي اعتراض أو استياء ، وهي ملاحظة مهمة جدّة بالالتفات ، فقد علق الدكتور صلاح العقاد على توقيع ابن سعود معاهدة الحماية مع الانجليز عام ١٩١٥ بالقول : «كيف يثير إعلان التبعية للعثمانيين ضجة عند الوهابيين في عهد عبد الله الفيصل في القرن التاسع عشر ، بينما لا نكاد نسمع عن اعتراض واحد على معاهدة دارلين التي وضعَت الدولة السعودية في مصاف إمارات الخليج الواقعة تحت الحماية البريطانية؟»^(٤٥) .

وانعكس موقف الوهابيين النجديين تجاه الصراع على شعرهم ، فهذا أحمد بن عيسى يطلق صرخته داعياً آل فيصل لنبذ الخلاف ومواجهة العدو ، فيقول :

متى ينجلِي هذا الْدَجْنِي والدِياجِرُ؟
متى ينتهض للحق منكم عساكيْرُ؟
.. فحتى متى هذا التوانِي عن الغلَى
كائِنُوكُم مَمَن حوتَةُ المقايرُ؟ (٤٦)

والشيخ عبد اللطيف آل الشيخ قصيّتان صور فيها الحرب الأهلية و موقفه منها .. واضح انّهما قد قيلتا بعد سيطرة الاتراك على الأحساء ، وبعد انتهاء الحكم السعودي .. يوضح هذا تعرّضه للحكم التركي في الاحساء بالشتم ، اضافة الى تحللها من القيود السياسية السعودية ، فجاء موقفه صريحاً معتبراً أولى قصائده نونية ، قالها معرضًا بعده الله الفيصل ، واصفاً استنصاره بدولة الخلافة ، بأنه استنصار بالشيطان ، كما ندد بالعلماء الذين رأوا أن بيته باقية في الأعناق (٤٧) :

يارب واحكم بيننا في عصبة
هدوا ركائبهم الى الشيطان
سلوا سيف البغي من أغمادها
وسعوا بها في ذلة وهوان
صرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها
وسعوا بها في زمرة العميان
وقضوا بأن العهد باق للذى
ولي الولاية شيعة الشيطان
وقضوا له - بالجزم - أن متابه
قد هدما أعلى من البنيان
أما قصidته الثانية فهى رائية يذم فيها أولاد فیصل المثاريين ،
فقول (٤٨) :

وَجَرَ زَعِيمُ الْقَوْمِ لِلْحَرْبِ دُولَةً
عَلَى مَلَهُ الْاسْلَامِ فَعَلَ الْمَكَابِرِ^(٤٩)
وَوَازِرَهُ فِي رَأْيِهِ كُلَّ جَاهِلٍ
يَرْوَحُ وَيَفْدُو أَثْمَا غَيْرَ شَاكِرٍ
وَآخِرُ يَبْتَاعُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى
وَيَخْتَالُ فِي ثُوبِهِ مِنَ الْكَبَرِ وَافِرٍ^(٥٠)
وَثَالِثُهُمْ لَا يَعْبُأُ الدَّهَرَ بِالَّتِي
تَبِيَّدُ مِنَ الْاسْلَامِ عَزْمُ الْمَذَاكِرِ^(٥١)
ثُمَّ يَذَكُّ الشَّاعِرُ أَلْ سَعْوَدُ بِأَنَّهُمْ انتَصَرُوا بِجَهَدِ الْمَشَايخِ، وَاسْتَطَاعُوا بِنَاءَ
دُولَتِهِمْ بِفَضْلِهِمْ، وَلَكِنْ :
فَلَمَّا أَتَاهُمْ نَصْرًا ذِي الْعَرْشِ وَاحْتَوَى

أكابرهم كنز اللهى والذخائر
 سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم
 مشائخهم واستتصروا كل داعر
 وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم
 وجاءوا بهم مع كل علج وفاجر^(٤٢)
 ومذ أرسلوها أرسلاها ذميمة
 تهدم من رباع الهدى كل عامر
 وباءوا من الخسran بالصفقة التي
 يبوء بها في دهره كل خاسر
 .. فقل للغوي المستجير بظاهرهم
 ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
 ويكشف للمرتاب أي بضاعة
 أضعاف وهل ينجو مجير أم عامر

موقف الشيعة من الصراع

تعيش في القطيف والاحساء وضواحيهما، اغلبية شيعية ساحقة منذ قرون عديدة ولا تزال، غير انه بقي في هاتين الواحتتين الغنيتين اعداد قليلة من أتباع المذاهب الاسلامية الاخرى، ازدادت بعد الاحتلال السعوديين لها في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، بينما قطنت اعداد غفيرة من النجديين الاحساء، وبقيت الاغلبية الغالبة للسكان في ذلك الاقليم بمدنه وقراه تعتق المذهب الشيعي الإثني عشرى حتى هذا اليوم، رغم وفود اعداد غير قليلة من أبناء القبائل او من المناطق الاخرى للاستيطان والعمل بعد تفجر ينابيع النفط.

من هنا فان حساسية المنطقة، نابعة من حيث اكثريه السكان الشيعية، وسيطرتهم على موارد المنطقة الاقتصادية، فكانوا أول من يتاثر بالاوضاع غير المستقرة واختلال الأمن .. ولما شب لهيب الصراع بين افراد الاسرة السعودية الحاكمة، واصبحت الاحساء ساحة لذلك الصراع، كانت أهم قوتين يحسب لهما الحساب هما، «القبائل البدوية وسكنة الحواضر».

□القبائل البدوية غير المستقرة، والتي تعيش في بادية الاحساء من اطراف الكويت وال العراق شمالاً، حتى واحة يبرين جنوباً .. ومن اطراف حاضرة الاحساء والقطيف حتى الحدود النجدية وسط الجزيرة العربية .. وأهم هذه القبائل «العجمان» والتي لم يمض على استيطان افرادها في بادية الاحساء اكثر من ثلاثة عقود من السنين، ويأتي في المرتبة الثانية بنو هاجر، وآل مرة،

والعوازم ، وبنو خالد .

وقد استطاع سعود الفيصل أن يجتذب هذه القبائل إلى صفه وأطمئنها بالاغراءات والمغافن .. وكان للعديد من هذه القبائل احقاد وضغائن ضد الحاكم عبد الله الفيصل كالعمجمان وأل مرة ، ولم يكن لأى منها دافع ديني أو وطني ، بعكس الوهابيين والشيعة ، وإنما كان هدفها السلب والنهب والتحرر من آثار الخبط الشديد الذي مارسته وفرضته الدولة المركزية .. ولذا فقد كان موقف القبائل منسجما مع أعرافها وخصوصياته وطبيعتها ! .

□ سكناً الحواضر في القطيف والهفوف وقراهما ، وهم الشيعة ، عدا قليل من السنة ، وهؤلاء يقوم عماد الاقتصاد عليهم ، حيث الزراعة والتجارة والصناعات المحلية .. ولا شك أن موقف الشيعة بأغلبتهم الساحقة مؤثر على نتيجة الصراع .. إلا أننا نستطيع ان نلحظ فارقا في الموقف بين سكان الاحساء وسكان القطيف .. فالشيعة في الاحساء اتخذوا موقف الحياد ، بينما إنضم شيعة القطيف الى سعود الفيصل ، ولكل من الفريقين أسبابه وظروفه ودوافعه .

ومن بين أهم الاسباب التي دفعت بشيعة الاحساء لاتخاذ موقف الحياد : اولاً - مبادرة سعود بمحاجمة القرى والارياف « وهي شيعية في الغالب » ، وذلك قبل ان يسيطر عليها عملياً بحوالي ثلاثة سنوات ، ويومها سمح لاتباعه بنهب تلك القرى وتخريبها ، وقتل الأمنيين فيها ، مما عزّز قناعة الشيعة هناك بأن الدخول في الصراع لن يغير من النتيجة التي هي اضطهادهم أنّى كان الفائز في المعركة .

في عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م ، تعرض الشيعة في الاحساء لاضطهاد أتباع سعود ، حيث كان العجمان يعيثون فسادا في الضواحي ، ويتلدون الزرع والتخيل وينهبون الماشي ، ويقتلون الاهالي .. ولم يكن الأمير هناك ، محمد بن أحمد السديري ، مؤيداً للعبد الله ، وأصاباته الحيرة إذ لم يرَ أن من مصلحته أن يرمي بكامل ثقله الى جانب سعود ، فتفاوضى عن ممارسات أتباعه .. ثم ما لبث أن ارسل عبد الله الفيصل سرية من أهل الرياض ونواحيها بقيادة عمّه عبدالله بن تركي لتأديب العجمان وأل مرة .. فطردهم من تلك التواхи ، وقبض على عدد منهم وقتلهم شرّ قتلة ، وحرق بيوت المتعاونين معهم ، وأجرى اعمالاً انتقامية كهدم المنازل لعدد من مؤيدي سعود^(٥٣) .

ثانياً - لقد عانى الشيعة في فترات الحكم السعودي الأولى من الضعف ، حيث جزدوا من قواهم السياسية والعسكرية والاقتصادية - الى حد كبير .. ، مما جعلهم غير قادرين على التعاطي مع المستجدات بكافأة وفاعلية - خاصة في الاحساء .. حيث أن واقعهم يومها تنقصه الوحدة والانسجام ، والأهم من ذلك القيادة السياسية المبادرة والكافحة التي تدرس الخيارات التي تحقق للطائفة الشيعية الغالبة سكانيا ، بعض المكاسب بحيث ترتفعهم الى مستوى متوازن مع

بقيّة المواطنين ، وتضع حدًا لما تعانيه من اضطهاد وتفرقـة .. ولعل أهـم أسبابـ الضـعـفـ هـذـاـ ، هوـ أنـ القـوـىـ الـاجـتمـاعـيـةـ والـسـيـاسـيـةـ والـدـينـيـةـ الـمـحـلـيـةـ قـضـيـ علىـ عـظـمـهـاـ قـتـلاـ وـتـشـرـيدـاـ ، خـاصـةـ فـيـ الـاحـسـاءـ الـتـيـ تـتـمـتـ بـأـهـمـيـةـ أـكـبـرـ مـنـ القـطـيفـ مـنـ النـاحـيـةـ الـاقـتصـادـيـةـ ، وـالـتـيـ كـانـتـ تـمـثـلـ التـحـديـ الـأـهـمـ بـالـنـسـبـةـ لـلـحـربـ الـمـذـهـبـيـةـ الـتـيـ شـنـهـاـ الـوـهـابـيـونـ طـوـالـ حـكـمـهـمـ .

ثـالـثـاـ - انـ طـبـيـعـةـ الـشـخـصـيـةـ الـاـحـسـائـيـةـ تـمـيلـ إـلـىـ السـلـمـ وـالـموـادـعـةـ وـالـصـبـرـ وـتـحـمـلـ الـاـذـىـ ، وـهـيـ أـقـلـ مـيـلـاـ إـلـىـ التـدـخـلـ فـيـ الـامـورـ السـيـاسـيـةـ ، وـأـكـثـرـ اـهـتـمـاماـ بـأـمـورـ الـمـعـاشـ وـتـهـيـئـةـ أـسـبـابـ .

وـمـعـ هـذـاـ فـانـ الـمـوـقـفـ الـحـيـادـيـ لـمـ يـنـجـ شـيـعـةـ الـاـحـسـاءـ ، مـنـ دـفـعـ ثـمـنـ باـهـظـ جـدـاـ فـيـ الـاـقـتصـادـ وـفـيـ الـأـنـفـسـ الـتـيـ شـرـدـتـ أوـ قـتـلـتـ ، حـيـنـماـ سـيـطـرـ سـعـودـ عـلـيـهاـ ، وـأـفـسـحـ الـمـجـالـ لـأـتـبـاعـهـ بـسـلـبـهاـ وـنـهـبـهاـ .. فـأـصـبـحـ الـاـحـسـاءـ إـقـطـاعـيـةـ دـوـنـ مـحـاـمـيـنـ تـكـونـ الـضـحـيـةـ أـمـامـ الـمـنـتـصـرـ أـيـاـ كـانـ ، فـيـقـعـ بـهـاـ وـبـأـهـلـهـ ماـ يـشـاءـ .
أـمـاـ مـوـقـفـ الـشـيـعـةـ فـيـ الـقـطـيفـ ، فـقـدـ رـأـيـ زـعـيمـهـ السـيـاسـيـ السـيـخـ اـحـمـدـ بـنـ مـهـدـيـ بـنـ نـصـرـ اللـهـ ، أـنـ يـتـحـالـفـ مـعـ سـعـودـ الـفـيـصـلـ ، وـرـتـبـ اـتـفـاقـاـ مـعـ يـقـضـيـ بـدـعـمـهـ عـلـىـ أـسـاسـ صـيـانـةـ حـقـوقـ الـأـهـالـيـ الـدـينـيـةـ وـعـدـمـ التـعـرـضـ لـمـمـتـكـاتـهـ ..
وـأـصـبـحـ الـقـطـيفـ تـابـعـةـ لـسـعـودـ ، وـمـحـطـاـ لـرـجـالـهـ ، وـمـصـدـرـاـ لـتـموـيلـهـ .. وـوـاـضـحـ انـ الـقـطـيفـ لـمـ تـسـقـطـ بـالـقـوـةـ وـأـنـمـاـ بـالـتـحـالـفـ ، وـقـدـ سـجـنـ فـيـهـاـ بـعـدـئـ مـحـمـدـ الـفـيـصـلـ بـعـدـ هـزـيـمـتـهـ فـيـ جـوـدـةـ .

وـالـسـبـبـ فـيـ اـتـخـازـ الـقـطـيفـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ ، هوـ مـمارـسـةـ زـعـمـائـهـ لـنـشـاطـهـمـ السـيـاسـيـ ، إـذـ لـمـ تـرـزـلـ لـهـمـ يـوـمـهـاـ بـقـيـةـ تـنـفـسـ وـتـنـفـسـ وـتـقـاعـلـ مـعـ الـاوـضـاعـ وـتـسـتـجـيبـ لـلـتـحـديـاتـ .. كـمـاـ أـنـ الشـيـخـ أـحـمـدـ بـنـ نـصـرـ اللـهـ رـأـيـ بـبـصـيرـتـهـ أـنـ قـوـاتـ عـبـدـ اللـهـ سـتـنـدـحـرـ ، إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـ سـعـودـاـ عـرـفـ عـنـ التـحرـرـ الـمـذـهـبـيـ ، وـلـاـ يـقـيـمـ السـكـانـ عـلـىـ أـسـاسـ الـاـنـتـمـاءـ الـمـذـهـبـيـ ، وـهـذـاـ - بـنـظـرـنـاـ - هوـ أـهـمـ سـبـبـ لـانـدـفـاعـ الـشـيـعـةـ فـيـ الـقـطـيفـ إـلـىـ دـعـمـهـ .

قالـ أـحـدـ الـمـؤـرـخـينـ بـصـرـيـعـ الـعـبـارـةـ ، أـنـ سـعـودـاـ «ـلـقـيـ تـأـيـداـ كـبـيراـ مـنـ الـشـيـعـةـ فـيـ الـقـطـيفـ ، إـذـ كـانـواـ عـلـىـ اـسـتـعـادـ لـمـنـاـصـرـتـهـ لـمـاـ عـرـفـ عـنـهـ مـنـ تـحرـرـ مـذـهـبـيـ ، عـلـىـ النـقـيـضـ مـنـ سـيـاسـةـ أـخـيـهـ عـبـدـ اللـهـ الـتـعـصـبـيـ»^(٥٤) . وـقـالـ الـإـسـتـاذـ عـبـدـ الـعـزيـزـ نـوـارـ حـولـ مـوـقـفـ الـشـيـعـةـ مـنـ الـصـرـاعـ . وـقـدـ خـلـطـ بـيـنـ الـاـحـسـاءـ وـالـقـطـيفـ ، أـوـ لـعـلـهـ غـلـبـ اـسـمـ الـاـحـسـاءـ عـلـىـ شـقـيقـتـهـ بـاـعـتـبـارـ الـأـخـيـرـةـ جـزـءـاـ مـنـهـاـ . قـالـ : «ـكـانـتـ الـاـحـسـاءـ مـنـذـ الـبـدـاـيـةـ مـنـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ قـاـوـمـتـ الـحـرـكـةـ الـوـهـابـيـةـ باـسـتـمرـارـ ، فـالـمـؤـثـرـاتـ الـشـيـعـيـةـ فـيـهـاـ قـوـيـةـ .. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـمـجـهـوـدـاتـ الـوـهـابـيـةـ الـمـتـتـالـيـةـ ، ظـلـتـ الـاـحـسـاءـ أـقـلـ الـجـهـاتـ مـيـلـاـ لـلـحـرـكـةـ الـوـهـابـيـةـ ، وـلـذـكـ كـانـتـ أـكـثـرـ مـيـلـاـ إـلـىـ سـعـودـ لـمـاـ عـرـفـ عـنـهـ مـنـ كـراـهـيـةـ لـلـتـعـصـبـ الـمـذـهـبـيـ»^(٥٥) .

ويـسـتـأـنـسـ مـنـ هـذـاـ القـوـلـ أـهـمـ دـوـافـعـ الـشـيـعـةـ فـيـ مـعـادـةـ الـحـكـمـ السـعـودـيـ ،

انتهاجه سياسة التمييز والاضطهاد الطائفي .. ومسألة دعم سعود الفيصل ، هي احدى المرات القليلة التي قام بها الشيعة حفاظا على هويتهم المذهبية ، وطمئنا في المساواة .. ولا ننعدى الواقع ون جانب الحقيقة إذا قلنا بأن الاضطرابات والتحركات السياسية التي شهدتها الاحساء والقطيف في الدولة السعودية الاولى والثانية ، وفي الدولة السعودية الحالية حتى اليوم ، انما ترجع في جذرها الى عامل الاحتقار والاضطهاد الطائفي الذي يمارس بحق الاغلبية الشيعية .

وبتحالف القطيف سلمت من الأذى الى حد كبير ، حتى نقض سعود الفيصل عهده مع الأهالي ، واضطهد زعيم الشيعة هناك ونهب أمواله وأملاكه ، وحاول قتله مما اضطره الى الهرب ، ودفعه الى مكاتبية العثمانيين ودعوتهم لاستخلاص المنطقة من أيدي آل سعود (٥٦) .

هوامش

- ١٠ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليه ، الرياض . ١٩٨٦ ، ص ١٣١ .
- انظر ايضاً ، الخليج العربي ، دراسة للتاريخ الاماراتي العربي « ١٨٤٠ - ١٩١٤ » ، الجزء الأول ، للاستاذ جمال زكريا قاسم ، مطبعة جامعة عين شمس ، ص ٧٩ .
- ٢٠ المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
- ٣٠ من تقرير بيلي ، انظر المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
- ٤٠ قيام العرش السعودي ، دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية ، ناصر الفرج ، لندن ١٩٨٨ . ص ٢٢ .
- وانظر ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ١٨٥٢ - ١٩١٤ ، جزء ٢ ، د . فؤاد سعيد العابد ، منشورات ذات السلسل ، الكويت ١٤٠٤ هـ ، الصفحتان ٤٥ - ٤٦ .
- ٥٠ وايضاً ، الخليج العربي ، الجزء الأول ، ص ٨٠ .
- ٦٠ العابد ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٤٦ - ٤٧ .
- ٧٠ الحدود الشرقية للجزيرة العربية ، جي . بي . كيلي ، تعريب خيري حماد ، ص ١٢٩ .
- وانظر العابد ، جزء ٢ ، ص ٤٨ .
- ٨٠ العابد ، جزء ٢ ، ص ٤٨ .
- ٩٠ انظر ، فصول من تاريخ السعودية ، اليكسي فاسيليف ، لندن ١٩٨٨ . ص ١٨٧ .
- وايضاً ، ناصر الفرج ، مصدر سابق ، ص ١٤ .
- و كيلي ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .
- ١٠ محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ .
- و الدولة السعودية الثانية ١٩٢٥ - ١٩٣٠ هـ ، للدكتور عبد الفتاح أبو عليه ، ص ٢٠٢ .
- ١١ جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ١٧٣ .
- ١٢ تاریخ العراق الحديث ، عبد العزيز سليمان نوار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة . ١٩٦٨ . ص ٤٠٢ .
- وانظر ايضاً ، د . محمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٣٠ .
- والدولة السعودية الثانية ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢ .
- وناصر الفرج ، مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
- ١٣ العابد ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠ .
- ١٤ تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، محمد بن عبد الله آل عبد القادر . ط ٢ . ١٩٨٢ . ص ١٦٧ .
- ١٥ المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

- وانتظر ايضاً، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٠ - ١٦١ .
- وايضاً، خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط ٣ بيروت، ص ٤٧ .
- وصراع الاجنحة في العائلة السعودية المالكة، فهد القحطاني، ط ١ لندن ١٩٨٨، ص ١٦ .
- ١٦٠، فاسيلييف، مصدر سابق، ص ١٨٥ .
- ١٧٦، المصدر السابق، ص ١٨٥ .
- ١٨٨، الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٧ : ١٥٨ .
- ١٩٠، الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٧ . وانتظر حول تباين الشخصيتين، تاريخ الاحساء السياسي، مصدر سابق، ص ١٢٧ - ١٣٩ .
- ٢٠٠، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٠ - ١٦١ .
- ٢١٠، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٧ .
- وانظر الدكتور محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٠ .
- ٢٢٠، الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٧ .
- ٢٢١، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٣ .
- ٢٤٤، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٠٩ .
- ٢٥٠، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤١ .
- ٢٦٠، العجمان ينتسبون إلى منكر بن يام من ممنان، هاجروا من نجران إلى جهات الاحساء حديثاً سنة ١٢٦٠هـ، أيام حكم فيصل بن تركي، ويتميزون بالشجاعة والجرأة حتى لقد ألقبوا بالمان العرب .. انظر صفحات من تاريخ الاحساء، عبد الله احمد شباط، الدار الوطنية ١٩٨٩، ص ٩٧ .
- ٢٧٠، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- ٢٨٠، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١٢ - ٤١٣ .
- ٢٩٠، جمال زكريا قاسم، الجزء الأول .
- ٣٠٠، آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٦٨ .
- ٣١٠، قال الاستاذ حمد الجاسر، إنها سميت بـ «الطرف» لوقعها في طرف واحدة الاحساء من الناحية الجنوبية، ويسكنها اضافة إلى الشيعة عدد من السنة .. انظر معجم المنطقة الشرقية، حمد الجاسر، جزء ٢، ص ١٠٢٥ .
- ٣٢٠، آل عبد القادر، ص ١٦٨ - ١٦٩ . وانتظر الدولة السعودية الثانية، ص ٦٢ .
- ٣٢١، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٢ ، وانتظر الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٨ ، وايضاً، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٢ .
- ٣٤٠، الخليج العربي، الجزء الأول، ص ١١٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ . وانتظر آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٠ .
- ٣٥٠، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١٠ .
- ٣٦٠، ولد الشيخ عبد اللطيف عام ١٢٢٥هـ، وتوفي عام ١٢٩٣هـ، بعثه فيصل بن تركي ، الحاكم السعودي، إلى الاحساء لنشر الدعوة الوهابية، لقناع علماء السنة في الاحساء باعتناقها، وذلك عام ١٢٦٤هـ، حيث بقي هناك مدة عامين . وبعد اللطيف وأبوه عبد الرحمن أخيه الدعوة الوهابية بعد خدمتها نتيجة حملة محمد على باشا، وقد سوّغها من الناحية العملية حكم فيصل بن تركي، وقبله تركي بن عبد الله، بالشرعية اللازمة .
- انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم، لمولفه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليقادة للبحث والترجمة، الرياض ط ١، ١٩٧٢، ص ٧١ - ٧٢ .
- ٣٧٠، عبد الرحمن آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٨١ ، ٨٢ ، والرسالة موجهة إلى زيد بن محمد صالح بن محمد الشثري، ويبعد أنها من التجذيبين القاطنين يومئذ في الاحساء .. والواضح أن الرسالة كتبت بعد سيطرة دول الخلافة على الاحساء، وبعد ضياع الحكم السعودي، لهذا ترى أن الرسالة متحررة من القيود التي تفرضها الاستقطابات والمحاور . نص الرسالة من ص ٨١ إلى ص ٨٧ .
- ٣٨٠، جاء محمد بن هادي بن قرمطة إلى الاحساء في شوال ١٢٨٧هـ، للتحالف مع سعود الفيصل، إلا أن الأخير لم يكرمه ، وكان - كما يبدو - مستكيناً بقوة العجمان الذين علا شأنهم بعد احتلال الاحساء والسيطرة على القطيف .

وتتجدر الاشارة الى ان العجمان كانوا على خلاف مع محمد بن قرملة، احد زعماء القحطانيين ، ولعله سعودا لم يستطع ان يحل الخلاف بين الطرفين ويضعهما تحت قيادته ،ولهذا ضحى بالقططانيين مؤثرا العجمان المسيطرین على بالية الاحسأ . وهكذا عاد محمد بن قرملة الى نجد وتحالف مع عبد الله الفيصل الهارب من الرياض ، وطلب اليه العودة اليها ، ورجع معه في ذي القعدة سنة ١٢٨٧هـ .

٤٩٠ آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ . وانظر ، الدولة السعودية الثانية ، ص ١٦٤ . وايضا انظر الزركلي ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

٤٤٠ علق مؤلف كتاب مشاهير علماء نجد على مسألة تكبير أتباع سعود لأخيه عبد الله واتباعه ، بأن السبب هو استنصرال الاخير بـ«الدولة العثمانية» ، فاستغل اعداؤه المعاولون لأنخيه سعود هذه الغطة والزلة فنفثوه بها وكفروا انصاره .. وذلك كله أغراض سياسية ، فالامام عبد الله معروف تمسّكه بشرائع الدين ، وقد جوّز له هذه الاستعانتة وافتاه بها رجل من علماء وقته ، رد عليه الشيخ عبد اللطيف آل الشیخ في عدّة رسائل » . انظر مشاهير علماء نجد ص ٨٣ .

ويبدو ان الاستعانتة بالانجليز لدى الوهابيين اخف بكثير من الاستعانتة بـ«الدولة الخلافة» ، فكما ان الاستعانتة عبد الله بالاخيرة شائعة ، فكذلك معونة الانجليز لـ«سعود شائعة ايضاً» ، ولكننا لا نجد احداً انتقد سعوداً في ذلك ، بل والغريب ان سعوداً واتباعه استقروا كره النجاشيين لـ«الدولة الخلافة» «الملاحة بنظرهم» فاثاروهم على عبد الله ، بينما لم يقم الفريق الآخر بالشيء ذاته بالنسبة لـ«سعود والانجليز» ، لأن الحساسية ضد الاخرين قليلة او معدومة .

وهنا تجد من يرد على المشايخ الذين اجازوا عبد الله شرعاً الاستنصرال بـ«الدولة الخلافة» ، ولا تجد في المقابل أي صوت يعارض استنصرال سعود بالبريطانيين .

٤٥٠ رسالة عبد اللطيف آل الشیخ السابقة ، مشاهير علماء نجد ، ص ٨٤ .
٤٦٠ المصدر السابق ، ص ٨٤ .

٤٢٠ وثيقة رقم 20868 E ، رسالة من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت «الکابتن شکسبیر» الى الميجور بيرسي كوكس ، العقيم البريطاني في بوشهر ، مورخة في الثامن من ابريل ١٩١١ .

٤٤٠ الزركلي ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

٤٥٠ التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية ، د . صلاح العقاد ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٤٦٠ الشعر في الجزيرة العربية ، نجد والمحاجز والاحسأ والقطيف ، خلال قرنين ١١٥٠هـ - ١٣٥٠هـ ، الدكتور عبد الله الحامد العلي ، دار الكتاب السعودي ط ١٩٨٦ ، ص ١٢٨ . تجدر الاشارة الى ان هذه الطبعة سجلت على أساس أنها الطبعة الاولى ، بينما هناك طبعة «اولى» سبقتها عام ١٩٨١ - ١٤٠٢هـ .
٤٧٠ المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

٤٨٠ عبد الرحمن آل الشیخ ، مصدر سابق ، ص ٩٠ ، ٨٩ .

٤٩٠ المقصود بزعيم القوم ، عبد الله الفيصل ، الذي استعان بالاتراك ، والبيت الذي يليه تشنيع بالمشايخ الذين آذروه وآفتوه بطلب الاستعانتة .

٥٠٠ المقصود هنا هو سعود الفيصل .

٥١٠ المقصود بالثالث ، محمد الفيصل . على الاقرب .. وليس عبد الرحمن الفيصل .

٥٢٠ الاتراك هم المعنيون بأهل الشرك في هذا البيت .

٥٣٠ آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ . والدولة السعودية الثانية ، ص ١٦١ . وانظر ايضاً ، الدكتور محمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٤٠ .

وبعد هذه الاعمال عزل عبد الله واليه السديري ، وعين مكانه ناصر بن جابر الخالدي لاستقطاب ولاء الخوالد وحتى عام ١٢٨٧هـ كانت الاحسأ بيد عبد الله الفيصل ، والذي دعم حامياته فيها ، وأرسل اليها عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩ ، سرية برئاسة فهد الدغيش ، اصطدمت فيما بعد بقوات سعود المحتشدة بالقرب من قطر فهزمتها .

٥٤٠ الخليج العربي ، الجزء الأول ، ص ١٧٨ .

٥٥٠ عبد العزيز نوار ، مصدر سابق ، ص ٤١ . وانظر . محمد عرابي نخلة ، ص ١٤١ .

٥٦٠ أنوار البدرين ، المرحوم الشيخ على البلادي القديحي ، ص ١١٨ .

٤

حملة مدت باشا

الاحتلال الاحساء والقطيف (١٨٧٦م)

لما رأى عبد الله الفيصل أن ليس باستطاعته صد أخيه المدعوم من المقيم البريطاني في الخليج، لم يكن أمامه سوى الالتجاء إلى دولة الخلافة للاستعانة بها، ولا شك أنه فكر في عواقب إقدامه على هذا الأمر، وما قد يثيره من غضب واستياء لدى الوهابيين وزعمائهم الدينيين في نجد. ولا بد أنه قد إحتمل أن يصطفي الاتراك المنطقة لأنفسهم، خاصة وأن هذا الموضوع قد طرق في عهد نامق باشا في بداية حكم عبد الله. إذ أن العثمانيين حاولوا مراراً إقناع الحكام السعوديين بأنهم طالما غير قادرين على حماية الاحسأء التي تخضع اسمياً للسلطان العثماني، فليفسحوا أذن المجال لهم لمواجهة الطامعين.

وقد أحدث إنتصار عبد الله بدولة الخلافة بلبلة في صفوف النجذيبين. كما رأينا. وأثارهم ضد حاكمهم، رغم محاولاته إسباغ الشرعية الدينية «من وجهة النظر الوهابية» على تحركه، حينما طلب من بعض مشايخ المؤسسة الدينية من الدرجة الثانية. إجازته بفتوى تخله طلب المعونة من الاتراك، وقد فعلوا.

وكتب عبد الله الفيصل ثلاث رسائل إلى العراق بيد رسوله عبد العزيز باطرين، وأرفقها بالهدايا، إحداها إلى محدث باشا والتي بغداد الجديد «ابتدأت ولاليته سنة ١٨٦٩»، والثانية إلى خليل بك والتي البصرة، والثالثة إلى محمد الرفاعي نقيب أشراف البصرة، استحثهم فيها على نصرته، وأعلن فيها ولاءه للدولة العليّة، وأنه رهن إشارتها.

في تلك الأثناء كانت الدولة العثمانية بصد انتهاج سياسة جديدة تحدوها الرغبة في وقف تسلل الغزو البريطاني المتزايد في الخليج، فها هي عمان ومشيخات الخليج تسقط تباعاً، وهاهي البحرين تغدو مستعمرة متقدمة للنفوذ الأجنبي في شبه الجزيرة العربية، وهاهي الكويت لم يبق فيها للدولة العثمانية سوى العلم العثماني الذي يرفع على سفن صيد الأسماك واللؤلؤ.

وهكذا رأى السلطان العثماني عبد العزيز أن ينتهي سياسة حازمة تجاه كل ذلك ، فعمل على تقوية الحاميات العثمانية في العديد من الولايات ، وعین مدحت باشا واليا على العراق ، فكان الرجل المناسب في المكان المناسب ، من أجل إعادة النفوذ والوجود العثماني إلى الخليج .. وأصبح الاستيلاء على الاحساء والقطيف بمناً أساسياً في استراتيجية الدولة العثمانية .

على أن أوضاع الدولة العثمانية الداخلية كانت مساعدًا لتجهيز حملة تسيطر على الاحساء ، فالجيش العثماني أصبح جيشاً نظامياً مجهزاً بالأسلحة الحديثة ، ولما عُين مدحت باشا واليا على العراق تهيئ لها أكثر من أي وقت أن تضع خططها موضع التنفيذ .. فمدحت يؤمن ببسط نفوذ الأستانة على المناطق التابعة لها إسمياً تعويضاً عن الخسائر التي تعرضت لها في البلقان ، وكان يرى أن تحقيق الانتعاش الداخلي للدولة لا يتم إلا بضم ممتلكات جديدة إليها . وفوق هذا كانت لدى مدحت رغبة شديدة في مناولة مركز الانجليز في الخليج ، وقد دأبت صحيفته التي أسسها «الزوراء» على التأكيد بسيادة العثمانيين على الساحل العماني ، وكل الخليج وamarاته .. الواقع أن مدحت باشا ومنذ توليه بغداد كان دؤوباً في وضع الخطط للاستيلاء على الكويت والبحرين وقطر والاحساء والقطيف ونجد^(١) .

من الطبيعي والحال هذه ، أن يتخذ العثمانيون موقفاً متشددًا ضد سعود الفيصل ، حيث رأى مدحت أن تولييه أمر نجد مضيعة لها وإلقاء بها في يد الآجانب ، وأن من الواجب عليه شخصياً أن ينقذ هذه البلاد مما ستتردى فيه ، خاصة مع ادراك مدى الخطورة التي تتهدد العراق من التوارد الكثيف للبريطانيين^(٢) .

مسألة مهمة أخرى تطرح في هذا الصدد ، وهي أن الأجزاء العامة في الاحساء والقطيف كانت مهيئة لقبول الحملة العثمانية ، بل ودعوتها والتعاون معها ، فقد ذاق الاهالي في هاتين الواحتين مرارة الظلم اقتصادياً ومذهبياً وأمنياً على يد البوادي التي مالت مع سعود ، وكانت شرسة في مهاجمة المدن والقرى الاحسائية والقطيفية من القطيفية من أجل نهبها .. الامر الذي هيأ الاهالي من الناحية النفسية والعملية لاستبدال الحكم السعودي ، وقد دفع ذلك بالزعيم أحمد مهدى بن نصر الله لتشجيع الاتراك في الاستيلاء على المنطقة ، وتخلصن الاهالي من محنتهم ، حيث منعهم حميتهم الدينية من التعامل مع الانجليز باعتبارهم «كفاراً» ، وما كانوا بأنفسهم قادرين على مواجهة السعوديين والانفراد بحكم انفسهم ، خاصة بعد أن طالت سني الحرب الاهلية ، وشردت الآلاف من السكان قاذفة بهم إلى الامارات المجاورة وقضت على سبل المعاش ، كما أن الحياة الاقتصادية عامّة أصابها انكماش مرير بسبب الاحتلال الأمني . وحتى نجد نفسها أنهكتها الحرب الاهلية ، عدا المناطق الشمالية «حائل» ،

ولم يكن الحكم السعودي يومها يلقي التعاطف ، في وقت بدأ فيه نجم الشمربيين بالبزوج والمعان ، مما سهل فيما بعد تمددهم جنوباً بمبركة الأهالي انفسهم . هنا انتهت مدحت باشا دعوة عبد الله الفيصل للاستنصار ، وراح يعد العدة لاحتلال الأحساء ثم الانطلاق منها نحو نجد ، وبادر لأخذ الاذن من استانبول ، فباركت الأخيرة تجريد الحملة من بغداد بالتأييد ، الا أنّ مدحت لم يشأ إرسال جنده إلى بلاد مجهولة ، فأسرع بارسال بعض الموظفين في مهمة استطلاعية واشتري لهم سلعاً وأرسلهم إلى القطيف والاحساء في زي التجار ، فاقاموا هناك مدة شهرين ، وقفوا خلالها على قوة سعود الفيصل الحربية ، وقلّاعه ورجاله ، وحالة الأهالي وأرائهم ، وعرف هؤلاء التجار الأماكن التي يمكن للسفن الكبيرة أن تقترب ، حيث قرروا أن أفضل موقع هو «رأس تنورة» الذي يبعد عن القطيف حوالي عشرين كيلومتراً ^(٣) .

وأصل مدحت إعداد حملته ، وأجرى التحالفات معبني خالد حكام الاحساء السابقين ورتب اتفاقاً للاستعانة بناصر باشا السعدون ، رئيس قبائل المنتفق ، وقد رافق منصور باشا «أخ ناصر» الحملة فيما بعد .. كما طلب مدحت من حكام الكويت الدعم والمعونة ، فتجمعت قوات الحملة بضعة أيام في الكويت ، وأمر حاكمها أخاه مبارك بقيادة بعض القوات ضمن الحملة البرية ، فيما شاركت حوالي ثمانين سفينة صغيرة في نقل المؤمن إلى ساحل القطيف .

اكتمل الاعداد للحملة التي أريد لها ان تكون حملة بحرية / برية في آن واحد تحت قيادة الفريق محمد نافذ باشا ، وهي تتشكل من :

★ ثلاثة آلاف جندي نظامي ، وبين ١٥٠٠ - ٣٠٠٠ مقاتل من قبائل المنتفق وبني خالد وبدو آخرين .

★ جهزت الحملة بتسعة مدافع ميدان ، وحوالي ثمانين سفينة صغيرة تحمل المؤمن ، وزوّدت أيضاً بسفينتين حربيتين هما «نينوى»، وبروسة» ، إضافة إلى سفينة الحراسة خوجة بك ، فيما أسرعت الباحتران العثمانيتان «البنان»، «الاسكندرية» عبر قناة السويس إلى الخليج لتعزيز وجود الأسطول العثماني فيه ، وقد حملت هذه السفن العديد من المقاتلين والرؤساء ، ومن بينهم زعيم القطيف أحمد مهدي بن نصر الله ^(٤) .

تحركت الحملة من بغداد في الحادي والعشرين من ابريل ١٨٧١ ، الموافق للتاسع والعشرين من محرم ١٢٨٨هـ ، وزود مدحت قائدتها نافذ باشا ببيان مطول مؤرخ في يوم إنطلاق الحملة ، من أجل توزيعه على أهالي القطيف . وكان الاتفاق أن تلتقي الجيوش البحرية والبرية عند رأس تنورة ، فكان الانتقاء في السادس والعشرين من شهر مايو ١٨٧١ ، حيث عسكرت هناك مدة أسبوع ، ثم انطلقت باتجاه الهدف الاول ، وهو الاستيلاء على القطيف .. وذلك بعد أن دارت المكاتب والواسطات بين الأهالي من أجل التسلیم ، فتقدمت القوات

البرية باتجاه صفوى واستولت عليها دون مقاومة ، وكذلك العوامية ، أخذت سلما وبترحيب من الأهالى ، ووصلت القوة الى القطيف في المحل المسمى «الخنزير» فسلم زعماؤها ، بعد أن سبق القدوم اليها أحمد مهدي بن نصر الله ، ولم يبق من القطيف سوى القلعة التي تحصن فيها السديرى ، أمير سعود الفيصل عليها ، الا انه استسلم بعد ثلث ساعات من القصف البحري وولى هاربا .. وهكذا سقطت القرى الأخرى تباعا .. الا ان تاروت . كما ينقل عبد العزيز الرشيد . ذهب اليها قسم من الجنود من العريان وبادروا بنهاها ، ولكنهم منعوا عن ذلك (٥) .

وفور سقوط القطيف ونواحيها وزع نافذ باشا بيانا على السكان ، كان قد أعدّ مدحت ، يتضمن شرحا لأهداف الحملة ، ومحظتنا الأهالى على أنفسهم وأموالهم ، كما تضمن إنذارا شديد اللهجة لسعود الفيصل والمعاونين معه ، من القبائل المتمردة الخارجة عن الضبط والقانون ، ومما جاء في البيان المطول : «أيها الناس والعشائر الساكنون في الأحساء والقطيف وجهات نجد كافة .. تحيطون علما هو أنه كما هو معلوم لدى جميعكم أن قطعة النجد وملحقاتها وكافة المحال الداخلة فيها ، هي من الممالك المقدسة الراجعة للدولة العليّة مثل سائر الممالك المقدسة ، كالعراق واليمن ومصر وتونس وطرابلس .. وان حماية هذه الممالك والأراضي وصيانة الناس الساكنين فيها ، داخلة تحت دولة حامي نوى الإسلام» .

واشار الاعلان الى تدهور الحالة في نجد وسيطرة العريان وتعديهم على الاهالى ، مهددا إياهم بالضرب بقوة ، موضحا : «ان سعود الفيصل قد أغري بعض الجهل وأغفلهم وخرج باغيًا على أخيه المنصوب قائمقاما على بقعة نجد من جانب الدولة العليّة ، وجاء الى أطراف الأحساء والقطيف ، وجاس خلال الديار وأخذ الاهالى الموجوين هناك . فهو في هذه الحال قد حصل على ثنيبين كبيرين ، وجرمين خطيرين ، فأمام الذنب الأول ، فهو التجاوز على حقوق حكومة أخيه عبد الله الفيصل المودعة بعهده من طرف ذي الشرف الجليل السلطان . وأمام الذنب الثاني ، فهو تشجيع الملة الإسلامية والتبعية العثمانية على محاربة بعضهم بعضا ، بحيث أن ذلك التشجيع يكون سببا في تفرق القوة الإسلامية . ولما كانت حقوق الحكومة المخولة لعهدة عبد الله الفيصل لازمة ، وأن جميع البلاد والعباد هي وديعة الله تعالى تحت الظل السلطاني الظليل ، وأن ترصيص هذه الحالات وإيقائهما لازم بتسييس أساس مأمورية محكمة الأساس ، بهذه قد عينت الدولة فرق عسكرية كافية من بغداد تحت ادارة صاحب السعادة الفريق نافذ باشا ، ركنا من أركان الأرودي السادس ، وهاهي قد خرجت الى ساحل القطيف مع ذلك المقدار من السفائن النارية .. فالآن يلزم لكل منكم أن يعلم أن حكومة قطعة نجد بأطرافها وأكتانها ، لما كانت مخولة

من طرف حضرة مولانا السلطان أدامه الرحمن، إلى عهدة عبد الله الفيصل، فإنها اليوم أيضاً قد أبقيت بعهده وتقربت . وأن الموماً إليه الآن هو قائم مقام نجد، وراجع إلى ولاية بغداد . وأما المقصد من تعيين العساكر السلطانية، إنما هو محافظة حقوق الحكومة».

«إن سعود الفيصل هو متهم ، فإذا أظهر الندامة وأبدى التوبة من أفعاله، وجاء إلى الفرقة العسكرية، وطلب الدخالة لأجل تحصيل عفو الحضرة السلطانية ومرحمتها السنية، يقتضي أن يرسل إلى بغداد .. وإذا أظهر المخالفة، فإن المعاملة السديدة تجري بحقه مع التأسف ، تطبيقاً للآلية الكريمة : إنما جزاء الذين يسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا او يصليروا .. إلى آخر الآية الشريفة ... وكما قال عز من قائل .. وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بفت أحدهما على الآخر فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله .. وقد صار مفهوماً من منطوق هذه الآية الكريمة أن مآل الباغين مثل سعود وطائفة المتفقين معه على هذا البغي ، اذا لم يرجعوا عن بغيهم من الامور الواجبة شرعاً ، وإذا وجد أحد من الناس معه ، فانما ذنبهم في رقبهم ، كما قال الله تعالى .. من عمل صالحًا فلنفسه ، ومن أساء فعلها ، وما ربك بظلام للعبيد . وإذا كافة الناس الموجودين في الأحساء والقطيف ، والواقفين على ساق الخدمة للفرقة العسكرية والاهالي والعشائر والقبائل ، فإنهم مهما كانوا متى ما لم يقفوا بصدر العسكر ولا بوجه الحكومة ، فانهم تحت راية الرأي والامان ، وكافة أرواحهم وأموالهم وأعراضهم محفوظة ، بموجب أحكام الشريعة المطهرة ، ومضمونة من كافة التجاوز والمدخلات فيها»^(٦) .

آثار الإعلان ارتياح السكان ، وانعكس ذلك على سكان الأحساء ، الذين بادروا إلى التعاون مع الحملة العثمانية ، مما سهل عليها التقدم بسرعة بعد أن رتب نافذ باشا حامية للاتراك في القطيف .. فقد تحركت الحملة جنوباً لمحاجمة مرؤو الدمام الذي يقطن بالقرب منه أعداد من البدو في الخيام أشهر الصيف ، وفي الطريق سيطرت القوات على قلعة عنك ووصلت بعد برهة إلى المرفأ ، فاستولت عليه دون أي مقاومة في الخامس من يونيو حزيران ١٨٧١ ، وهرب من حامية المرفأ المسؤول عنها ، وهو عبد العزيز بن سعود ، وغنممت القوات العثمانية أحد عشر مدفناً وكميات كبيرة من الذخيرة ، جاء القسم الأكبر منها من البحرين .

حتى هذا الوقت لم تصطدم الحملة بقوات سعود الفيصل ، الذي كانت خطته تعتمد على إبعاد القوات التركية عن الشاطيء حتى تطول خطوط اتصالاتهم ، وحينها يهاجمهم البدو ويفنوه قتلاً أو يموتونا عطشاً .. أما الحصون فستستسلم بعد حصار من فيها وتتجويعهم بقطع خطوطهم عن البصرة براً ،

وقد عرض سعود هذه الخطة على بيلي طالبا منه ان يتكلّل بنجاح الاتراك من استخدام البحر ، ولكن بيلي لم يجده ، لأن مواجهة العثمانيين من أجل تحقيق هدف سعودي كان مستحيلا^(٧) .

على أن خطة سعود تحمل عناوين عديدة للضعف ، الذي كان أحد مصاديقه عدم الاصطدام بالقوة الكبيرة التركية ، التي كانت تعتمد على خطة بسيطة هي السيطرة على الشاطئ والمدن والقرى الواقعة بجانبه ، ثم التمدد نحو الاحساء ، ثم التوغل برا لاحتلال الرياض .. نعم لربما كان بإمكان خطوة سعود النجاح لو أن الاحساء والقطيف لا تشرفان على الساحل ، او لو أن الانجليز جازفوا بإعلان حرب بحرية ضد الاتراك ، أو لو كان الآخرون تقدموا نحو الرياض ، فحينها يسهل ضرب خطوط الإمدادات .

لكننا نعلم أن الاحساء والقطيف قريبتان من الساحل ، وحينما سمح سعود للقوات العثمانية بالتقدم لضعفه ، كان ذلك يعني ضياعهما من يديه .. ثم أن الاتراك لم يغامروا بالتقدم نحو الرياض - وإن كانوا قد خططوا لذلك - ، فخلفاء مدحت على ولاية بغداد لم يواصلوا مشروعاته ، ربما لأن حليفهم ابن الرشيد حاكم حائل ، بدأ بالتتمدد جنوبا ، لانهاء السيطرة السعودية على كامل التراب النجدي .

تابعت قوات نافذ باشا مسيرها نحو الاحساء مخلفة وراءها السفن الحربية في القطيف ، واستمرت في تقدمها رغم ما أصابها من ضعف بسبب هلاك حوالي ٤٠٠ جندي في الطريق ، في وقت أنهك المرض وسوء الطقس حامية القطيف والسريرتين اللتين وضعتا في العام (٨) .. ووصلت الحملة إلى القطار شمال بلدة العيون ، وحينها كتب نافذ باشا لوالى الاحساء من قبل سعود الفيصل «المملوك» فرحان بن خير الله ، أن يستسلم ، وإلا فإن الهلاك سيكون مصيره ، كما وزع نافذ منشورا آخر على الأهالى يخبرهم بمقدمه غدا «المنشور مؤرخ في ١٨ / ٤ / ١٢٨٨هـ»^(٩) ، ويدعوهم إلى استقباله بالطاعة ، ويؤمنهم فيه على أنفسهم وأملاكهم ، وينذّرهم بما بلغهم من حسن المعاملة لأهالى القطيف .. جاء في البيان :

«الباعث لتحرير الكتاب ، هو أنه قبل هذا أرسلنا لطرفكم مكاتب مخصوصة ، وملفوقة بطيها إعلانات مطبوعة ، متضمنة أسباب كيفية مأموريتنا ، وخلاصة أفكار صاحب الدولة العلية ، وزبدة ما في ضمير حضرة السلطنة السنوية ، أنها مجرد إرجاع أمن البلاد ليستريح الناس ، ويسصرفوا أوقاتهم في مكاسبهم ، وازدياد ثروتهم ، واستجلاب دعواتهم الخيرية ، لدوام أيام الدولة ، وقد فهمتموه مفصلا ، ولأجل ذلك صرفنا النظر في هذه الدفعة عن الاطناب والاسهاب في بيان ذلك ، واقتصرنا على إخباركم بمجيئنا هذا اليوم ، ووصولنا القطار ، وغدا إن شاء الله نرحل ، ونتوجه إلى الاحساء . فمن

استقبلنا بالطاعة، نقابل بعده الله وأمانه على نفسه وماله، ونبذل دونه الرعاية والحماية، ومن يستقبلنا بالعصيان وعدم الطاعة فسنستحقره بحول الله وقوته بسنابك الخيل، ونجعل داره تدعوه عليه بالثبور والويل، وبناء على ما بلغنا أنكم اليوم في أسوأ حال، من جراء ما لقيتموه من شدائ드 الظلم والوبال، وتمتنعكم سرعة مجيئنا لأجل استخلاصكم من ذلك، سارعننا للمجيء، فإذا أحاط علمكم بذلك، فتوكلا على الله واستقبلونا بالمواجهة، ولكم عهد الله وأمانه، على الأنفس والأموال، وسوف ترون إن شاء الله ما يسركم، ويكتفيكم شاهدا على هذا ما بلغكم من حسن معاملتنا لأهل القطيف وملحقاتها من أهل القرى والعشائر. ليكون معلومكم، ولأجل ذلك بادرنا بتحريره، ثمانية عشر ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف (١٠).

بين سقوط الدمام في ٥ يونيو ١٨٧١، ودخول الأحساء في ٧ يوليو ١٨٧١، شهر كامل أمضته القوة التركية في مقاطعة القطيف، وفي هذه المدة تمت مراسلة أهالي الأحساء وزعمائهم من الشيعة والسنة، للوقوف على رأيهم، فوُجِدَ التشجيع الكافي من الأهالي والأمّال المعلقة على القوة العثمانية في إقرار الأمن. وقد ركز منشور نافذ باشا الموّجه لأهالي الأحساء على قضية الأمن، لأن المشاكل الأخرى تهون دونها، وأوضح أن هدف الحملة هو بسطه وإقراره، وهذا ما كان يريديه الأهالي. وقد لعبت هذه المراسلات والمنشورات دوراً بالغ الآثر في الضغط على والي الأحساء السعودي للفرار، والتسلیم بعدم المقاومة، بعد أن رأى الأهالي غير متّهمسين للقتال معه.

وحين دخل نافذ باشا ورئيس اركانه البكباشي رجب بيك الهاوف، استقبلهما الأعيان والأهالي بالترحاب البالغ، وفر من ساعتهم الانصار القليلون الموالون للحكم السابق .. وهكذا تحقق الانتصار السهل وال سريع للقوات التركية وتكللت أهداف الحملة بالنجاح غير المتوقع.

ويرجع سبب الانتصار السهل والحاصل لقوات الحملة العثمانية إلى سوء أفعال الحكم السعودي، سعود الفيصل، للاهالي وبالخصوص للشيعة، وما قامت به قواته من أفعال مشينة بحقهم، وكما أشار تقرير بريطاني في يوليو ١٨٧١، أنه ما كادت القوات العثمانية تتقدم قرب مقاطعات الأحساء، حتى انتفض السكان ضد قوات سعود ورغموا إلى العثمانيين (١١).

والحقيقة أن أتباع المذاهب السنّية الأخرى، عانوا أيضاً من عدم الاستقرار، وتعرضوا للمضايقات، بل وفر العديد من رجال الدين إلى الإمارات المجاورة، وفي العموم كانت أحوال المواطنين من السوء لدرجة الترحيب بالقوات التركية. وقد أشار الدكتور محمد عربي نخلة، إلى أن سبب عدم المقاومة هو : ان أتباع سعود من العجمان أسلأوا معاملة سكان المدينة «الهاوف»، كما أن قسماً كبيراً من سكان الواحة هم من بنى خالد الذين أعلنوا

انضمائهم للسلطات العثمانية ، فقد لاحت لهم بارقةأمل من جديد بعودة الحكم اليهم ، هذا إضافة الى أن العداء المذهبى بين الوهابيين والشيعة قد ساهم في هزيمة السعوديين (١٢)

موقف الوهابيين من احتلال الأحساء

استاء مشايخ الوهابية من استيلاء الأتراك السهل على الأحساء ، ومما زاد من حنقهم هو قبول الأهالي السنة والشيعة بالحكم التركي .. وكان تشديدهم على أتباع المذاهب السننية أكبر ، خاصة بعد أن عاد الجميع لممارسة معتقداته المذهبية بحرية ، وتبين أن أتباع المذهب الوهابي قلة قليلة جدا ، خرجت من الأحساء ، إلا من تنكر لمذهبها ، وأصرّ على البقاء .. ذلك ان الوهابيين اعتبروا الأحساء بلد كفر وزندقة ، يجب مغادرتها طالما يسيطر عليها الكفرا المشركون !.

وصور الوهابيون الأحساء بمجرد أن استولى عليها الأتراك ، بأنّها مرتع للمفاسد والكفر والزنا وكل المحرمات والموبقات الأخرى ، وغير ذلك من المبالغات . قال أحدهم يصف الحالة وهو قابع في نجد (١٣) :

.. ويبدو بها التعطيل والكفر والزنا
ويعلو من التأذين صوت المزامر
أنّا خ لدinya للضلال شيعة
أبا حوا حمى التوحيد من كل فاجر
ثم يتعرض للذين قبلوا الحكم التركي :
وقابلهم بالسهل والرحب عصبة
على أمّة التوحيد أخبت ثائر
يقولون لكنا رضينا تقية
تعود على أموالنا والذخائر

اما زعيم الوهابية حينها ، الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ، فقد آذاه خضوع الأهالي للحكم العثماني ، فراح يشتم ويقرع ويصفع باليمين وبالشمال .. ويبدي تألمه الشديد ، لأنّه أصبح للشيعة كلمة وحرية في العقيدة :

وصار لأهل الرفض والشرك صولة
وقام بهم سوق الردى والمناكر
وأدّن بالنافق والطبل أهلهـا
ولم يرض بالتّوحيد حزب المزامر (١٤)

ويعد مقرعا للسنة، كيف قبلوا حكم «الصلب العثماني!»، ويصفهم بالضلال:

في أمة ضلت سبيل نبيها
وأشاره يوم اقتحام الكبائر
يعز بكم دين الصليب والله
 وأنتم بهم ما بين راض وامر
ويصل الأمر إلى الدعاء بجهنم وتهديدهم بالنار لأنهم لم يدعموا أهل
الحق «الوهابيين»، ولأنهم كفروا بدين الله، ولأنهم نسوا عهودهم:

هوت بكم نحو الجحيم هوادة
ولذات عيش ناعم غير شاكر
سيبدو لكم من مالك الملك غير ما
تظنو أن لاقى مزير المقابر
يقول لكم ماذا فعلتم بأمسة
على ناهج مثل النجوم الزواهر^(١٥)
سللت سيف البغي منهم وعطلت
مساجدهم من كل داع وذاكر
وواليتموا أهل الجحيم سفاهة
وكنتم بدين الله أول كافر^(١٦)
نسيتم لنا عهدا أتاكم رسولنا
به صارخا فوق الذرى والمنابر^(١٧)
فشل ساكن الاحسأ هل أنت مؤمن
بهذا وما يحوي صحيح الدفاتر؟
.. فقال الشقي المفترى كنت كارها
ضعيفا مضاععا بين تلك العساكر^(١٨)

وإذا كان موقف الشيعة في المنطقة تجاه الأتراك مما يسهل هضمه لدى
الوهابيين، فإنهم لم يتحملوا موالاة أتباع المذاهب الأخرى لهم .. فهذا ابن
سمحان^(١٩)، يحضر الأهالي على الثورة ضد الأتراك، ويطعن مشايخ المذاهب
بأنهم جبناء، وعليهم ان يغادروا الاحسأ بلد الشرك والكفر .. قال موجها
 الحديث للشيخ عبد اللطيف بن عمير^(٢٠):

إذا لم تبادرهم بعييب لدينهم
وتکفیرهم جهرا فقد كنت أوجرا
فرض عليكم واجب أن تهاجروا
كما قد أتي نصا به الله أخبرا

ثم يوضح أنه من غير المفيد التقرب من الأتراك ، ولا يكفي الانزواء عنهم
بخيرهم وشرهم :

**ولكن بتکفیر لهم وبشتمهم
جهاراً وتصریحاً وغایباً ومحضراً !**

ولا يطيب لابن سمحان الاكتفاء بهذا القدر من الدعوة للثورة والتکفیر الذي استخدمه بشكل واسع ، حتى ادخل - بحسب قول الدكتور عبد الله الحامد - بشراً كثيراً في الكفر والزنادقة ، منهم المعاصرون والمتقدمون ، والمحسنون والمسيئون ، مما جعل الدكتور يلتمس له العذر ، قائلاً بأن ابن سمحان يعبر عن حالة نفسية ، وليس عن الدعوة الوهابية ، وأن قضية تکفیر الدولة العثمانية قضية ذات طابع سياسي ، ليس له من الدين مستند ، ومن شعر ابن سمحان المتطرف في التکفیر ، ما يتحدث به ضد أحد خصومة السنة من علماء الاحماء ، معدداً منكرات ليس لها أصل من الصحة الواقع ، ثم ينتهي على الشيعة بصورة تهكمية صارخة ، قائلاً بأن إظهار التشیع شائع لا أحد ينكره :

**واعلم بأنَّ الظُّلْمَ وَالظُّلْمَ التي
قد شادها الاصرار والأصار
في هذه البلد التي أنتم بها
والحكَم بالقانِون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا
والخمر والتباك والمزمار
والرفض عندكم رخيص سعره
إظهاره ما إن له إنكار
والله حرم مكث من هو مسلم
في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهراً
فارباً بنفسك فالمقام شنار (٢٤)**

وقد تصدى علماء السنة لابن سمحان وأضربابه ، وكان شعر هجائهم قوياً شديداً أن منه ابن سمحان وتوجه ، حتى ثارت ثائرته واستعدى عليهم قاسم بن ثاني ، حاكم قطر ليكتبهم ، قال عبد الله بن عبد القادر مهاجماً ابن سمحان (٢٥) :

**يا فَبْحَ اللَّهِ بَدْعَيَا يَحَاوِلُ مِنْ
إِثْبَاتِ بَدْعَتِهِ مَا كَانَ يَنْهَا
أَخْوَهُ هُوَ مَوْلَعُ بِالْحَقِّ يَدْفَعُهُ
لَهُ عَلَى أَهْلِهِ رَدَّ وَأَثْرَ
يَقُولُ هَذِي فَرُوعٌ ضَلَّ أَخْذَهَا**

ولئما هي قرآن وآثار
وضلل الناس في تقليدهم سلفا
هم الهداة الأولى للدين أنصار
يقول قد عبدوا الأحجار واتخذوا
للله ندا فحسب الأربع النار

وحيثما أبدى علماء الاحسأ مأخذهم العديدة على آل سعود وحكمهم
السابق، نرى ابن سمحان يعتذر لآل سعود ويقول ان هزتهم خير من جد
حكامكم :

ففيهم أمر منكرات وفعلها
حرام عليهم لا يسوغ ولا يحل
ولكنهم أولى بكل فضيلة
وأحسن حالا من ذويك ذوي الخطط

ويمكننا تلخيص سبب موقف مشايخ الوهابية العدائى للحكم العثماني فى
الاحسأ، فى النقاط التالية :

اولا - جعلت فكرة التكفير التي اعتمدتها الوهابيون وطبقوها على جميع
المسلمين ممن خالفهم في الرأي، جعلتهم في موقف مضاد للعثمانيين،
باعتبارهم هم والشيعة والسنة في الاحسأ كفرة وزنادقة، بينما وان
للوهابيين ثارات ضد العثمانيين الذين أسقطوا دولتهم الأولى، وهدموا الدرعية
في حملة محمد علي باشا المعروفة.

ثانيا - اعتبر الوهابيون الاحسأ إحدى مقاطعاتهم، كما اعتبروا سيطرتهم
عليها انتصاراً مذهبياً كبيراً لهم، إضافة إلى المكسب السياسي والاقتصادي
والاستراتيجي .. وبالطبع لا يمكن لهم تحمل ضياعها، وان كانت المنطقة قد
خضعت لهم سنوات قليلة مملوءة بالفتنة والاضطرابات .

ثالثا - المسألة المهمة الأخرى، هي كون الوهابيين مندفعين بأقصى قوة
ضد الشيعة، الذين هم أكثر كفراً من الآتراك - ببنظرهم - وكان الشيعة يشكلون
تحدياً مذهبياً حاولوا تطويقه بالقمع والارهاب .. ولشدة المهم رؤية الشيعة
يعودون لممارسة عقائدهم المذهبية بحرية كاملة، فراحوا يصرخون ويعبرون
ويهددون به انكفاءاً يهجون أبناء فيصل بن تركي على صراعهم وتضييعهم
للاحساء .

موقف الانجليز من الحملة العثمانية

قبل ان تنطلق حملة مدحت باشا من بغداد، وحينما كان يجري الاخير استعداداته لها، حاول قدر الامكان أن لا يتسرّب خبرها الى الانجليز، وشدد على موظفيه بأن لا يلتقاوا بأي بريطاني، ولما قرب إكمال الحملة، عرف البريطانيون عن طريق جواسيسهم بأمرها، فأرسلوا للباب العالي مستفسرين عن أهدافها، فأجاب وزير الخارجية التركي مطمئناً بأنّ نجداً وتوابعها من أملاك الدولة، أما الامارات الاخرى فليس لحكومة الأستانة أطماع فيها^(٤٣). لم يكن للبريطانيين من حجة للاعتراض، فهم يعلمون أنّ نجداً والاحساء خاضعتان إسمياً لدولة الخلافة، وكثيراً ما كان فيصل بن تركي، وابنه فيصل يتحدثون مع الانجليز بوصفهم ولاة للعثمانيين، ولكن بريطانياً خشيت من أن يجازف العثمانيون باقلاق مصالحهم في المناطق الاخرى، أو على الأقل أن يهبّ الخاضعون تحت نفوذهم لمعاونة الاتراك المندفعين بقوة.. أي أنهم كانوا خائفين من فقدان هيبيتهم لدى المشايخ الخاضعين لهم، كما حدث فعلًا في الكويت، والتي آثرت الحملة البحرية والبرية.. كما كانوا قلقين من انتقاص سلطتهم الكاملة في مياه الخليج^(٤٤).

عاد مدحت باشا فأزعج الانجليز بتصرحياته، فقال مؤكداً في صحافته بأنّ جداً تعني بالنسبة إليه كل المناطق التي كانت خاضعة لها في يوم من الأيام، كالبحرين وعمان وعموم الساحل المتصالح وقطر، فبادر البريطانيون بدفع عالي الباب العالي عارضين عليه الاتفاقيات المعقودة بينهم وبين شيوخ الامارات المحلية.. فمثلاً، حدث في مارس ١٨٧٠ أن صرّح مدحت بأنّ البحرين تابعة لنجد، وأنّ الأخيرة تابعة بدورها للسلطة العثمانية، فأبرق القنصل البريطاني في بغداد إلى السفير البريطاني في القدسية قائلًا: «يقال أنه لو نجحت حملة نجد، فإنها ستسرّع لاحتلال البحرين ومسقط وساحل الجزيرة العربية».. ولما عرضت هذه المخاوف على الباب العالي، أكد من جانبه أنه لا يعتزم التعرض لتلك البلدان، رغم أنّ البحرين إمارة لا تزال تابعة لدولة الخلافة.

على ان القلق استمرّ مسيطرًا على عقول صناع السياسة البريطانية، من أن تجند الدولة العثمانية نشاطها وتمدّ يدها الى الأطراف البعيدة من أمبراطوريتها، فحاولوا مراراً أن يوقفوا الحملة بالاحتجاج حيناً، وبالانذار

والتهديد حيناً آخر، من أن حملة مدحت «تعكر صفو السلام في المنطقة» .
زاد امتعاض البريطانيين من الانتصارات السهلة التي حققها الأتراك في القطيف والأحساء، وكانوا يؤمنون لو أن الحملة تتوقف عند الأحساء، إلا أن تحول قاسم آل ثاني - ابن حاكم قطر - إلى محالفة العثمانيين أفسد حسابات الانجليز .. فقد أشار قاسم على نافذ باشا بعد استقراره في الهايف، أن يجعل قطر تحت الحماية التركية تخلصاً من عبء الضريبة التي يصرّ البريطانيون عليه أن يؤديها لحاكم البحرين، فخرجت قوة من الأحساء واستقرت في الدوحة وفرضت الحماية عليها، ويومها لم يرّ الشيخ قاسم ، الذي كان قبل ثلاث سنوات «١٨٦٨» قد وقع معاهدة مع بريطانيا ، في وجود الحامية العثمانية تعارضًا مع مركزه واستقلاله كزعيم لقبائل قطر (٢٥) .

صعق الانجليز لجراة مدحت باشا وثقته بقدرته على تصفيية النفوذ البريطاني من كل شاطيء الخليج الغربي، فحين وصل خبر رفع العلم العثماني على الدوحة إلى المقيم في بوشهر، بادر بإرسال السفينة الحربية «HUGH ROSE» إلى قطر في منتصف ١٨٧١ ، للتأكد من الخبر الصاعق .. فجاء التأكيد بأنَّ العلم العثماني يرفرف على الدوحة، وأن سفناً كويتية وعثمانية قد زارتها، فعاد المقيم وأرسل نائب الميجور سميث إلى الدوحة، ليتأكد من الأمر ثانية، فاجتمع الميجور بحاكم قطر محمد آل ثاني ، وعلم منه أنه لم يرد الحماية العثمانية، لكن ولده قاسم أجبره على قبولها، وهو الذي رفع العلم التركي .
أبرق المقيم في بوشهر ، الكولونيل بيلي ، إلى القنصل البريطاني ببغداد يأمره بالاجتماع مع مدحت باشا ، ويستفسر منه عما يجري في قطر .. وقد قابل مدحت الدهاء البريطاني بالمثل ، فقال أنه لا يعلم بأنَّ العلم التركي يرفرف على قطر ، فضلاً عن أنَّ التأكيدات العثمانية لم تشملها .. ثم طعن السلطات البريطانية في الصميم بقوله: إن البحرين تابعة لنجد ، ملماحاً إلى إحتمال ضمها (٢٦) .

بل ها هو مدحت - بجرأته المعهودة - يحاول إقناع شيخ البحرين ، بأنَّ يسمح للعثمانيين بإقامة قاعدة لعملياتهم العسكرية لضرب سعود الفيصل على الاراضي البحرينية ، فأوعز البريطانيون لحاكم البحرين أن يرفض الطلب ، بل ورفض التعاون من الأساس .. مع أن طلب مدحت حمل في طياته تهديداً وإهراجاً للشيخ عيسى ، الذي استمر في دعم سعود الفيصل في مهاجمة القوات التركية ، ملماحاً إلى أنها طرف في النزاع .. ورغم أن مدحت لم يرد أن يحصل على قاعدة عسكرية في البحرين ، وبينظرنا فإنه لم يتوقع ذلك ، فإنه أجبر الانجليز وشيخ البحرين على الانكماش ، وجعلهم يفكرون فيما قد يؤديه تهاديهم في دعم سعود الفيصل .

لقد كانت عين الانجليز مفتوحة على الأحساء باعتبارها الحلقة المفقودة

في سلسلة المقاولات المتناثرة على الخليج ، فحاولوا إعاقة تجريد الحملة من الأساس ، فإذا بمدحت يأخذ قطر ويطرق أبواب البحرين ، ويقضي على التواطؤ .
شيوخ الكويت المعهودة ! .

شعر الانجليز أن مدحت باشا يريد استغلال الدعم البريطاني لسعود الفيصل ، وتورّط البحرين ومسقط في ذلك لتوسيع نفوذ العثمانيين ، وكان مدحت صريحا حينما قال بأن نجد تشمل البحرين وقطر ومسقط وكل الإمارات الأخرى .. ولهذا أبدى البريطانيون الحياد الظاهري في الصراع العثماني السعودي ، وتركوا سعود الفيصل وحيدا حينما رأوا ان القوة التركية عازمة على إنهاء نفوذه . ومن جهته شعر الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين بأن دعمه وصدقته لسعود هي السبب في تهديد العثمانيين له ، وخشي من أن تؤدي به تلك العلاقة إلى خطر انتقام العثمانيين منه .. ومن الملاحظ أن عيسى كان على استعداد لمساعدة سعود ، طالما لم يخرج ذلك عن النطاق المحلي ، أي في علاقته مع غيره من الشيوخ ، ولكن عندما أدرك ما يجره عليه ذلك من تهديد الأتراك بدأ يتراجع عن تأييده ، وكان هذا عين الموقف البريطاني .

فقد أعرب عيسى للميجور سيدني سميث في الاول من نوفمبر ١٨٧١ ، بأنه يرغب في الوقوف على الحياد في الصراع العثماني - السعودي ، وأنه لن يستطيع تقديم المساعدات لسعود الفيصل بعد اليوم ، لأن ذلك يعرض بلاده للخطر ، ولم يلبث أن أكد عيسى حياده بفرض ضرورة مقررة على حمولة من القبح كانت مصدرا من الهند لحساب سعود .. وعاد فكتب مرة أخرى للعمير بيلى بأنه يخشى أن يلتجيء سعود مرة أخرى للبحرين في محاولة لتنظيم صفوفه والبدء بجولة جديدة من المعارك ضد الأتراك ، فاقتنع بيلى أنه ليس من الصالح الوقوف مع سعود في معركة خاسرة إلى الحد الذي يهيج الأتراك بالسماح له بالالتجاء للبحرين ، ونصح بيلى عيسى بأن يكتب لسعود محذرا إياه من اللجوء إليه .

أكثر من هذا .. لما رأى الانجليز الاندفاع التركي للسيطرة على سواحل الخليج كلها ، وإحكام السيطرة على مياه الجزيرة العربية من جهاتها المتعددة ، قدموا احتجاجات متكررة إلى الباب العالي ضد زيادة الاسطول العثماني في الخليج ، مستفيضا من فتح قناة السويس ، وقدوم سفينتين حربيتين لتنضمما إليه .. في الوقت الذي اعترفوا فيه بأن نجدا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وطلبا عدم التدخل في شؤون الإمارات الأخرى ، وهددوا بزيادة السفن البريطانية لاعادة التوازن (٢٨) . ولم تتراجع تركيا عن طموحاتها إلا بعد إبعاد مدحت باشا عن حكم العراق الذي حاول - أثناء زيارته للإحساء وفقد قواته فيها - زعزعة الوجود الاجنبي في البحرين ، فاعتراضته السفن البريطانية

فائدى الى تراجعه عن مخططه . الى حين ..
بقي أن نوضح موقف بريطانيا من سعود الفيصل أثناء تقدم القوات العثمانية
واحتلالها المنطقة .

أول ما يلاحظه الباحث ، هو أن الانجليز كانوا ضدّ الحملة ، وهذا أمرٌ
طبيعي بالنسبة لدولة استعمارية تطمح الى مدّ نفوذها الى أي مكان تستطيعه ،
ولا يحتاج الامر الى ايضاح بأن وجود الأتراك في الأحساء يعيق بشكل كبير
تنفيذ هذه الطموحات ، خاصة وأن تركيا دولة عظمى منافسة ، بحسب ذلك
الزمان .

أما سبب عدم الاصطدام بالقوة التركية فراجع من وجها نظرنا الى الامور
التالية :

أولاً - ان الحرب الكبيرة تكون في الغالب من أجل هدف كبير ، وان المجازفة
بحرب مع الأتراك من أجل الأحساء هي بالحساب البريطاني حرب غير معلومة
النتائج ، وستكون الحرب عالمية شاملة تنتهي بنهاية أحد الطرفين ، ولم تكن
بريطانيا يومها متأكدة من النصر . وكانت سياستها تقوم على اقتطاع اجزاء
من الامبراطورية العثمانية بالتعاون مع الدول الأخرى ، كما حدث في حرب
البلقان ، فضلاً عن أن سياسة بريطانيا كانت قبل مدة وجيزة من الحملة تعتمد
على تقوية الامبراطورية العثمانية ضدّ الامبراطورية القصصية الروسية .

ثانياً - ليست هناك مسوغات قانونية في شن الحرب على أراضي الأحساء
والقطيف وقطر بل وكامل نجد ، وهي أراضٍ سبق لتركيا أن سيطرت عليها
سنوات طويلة ، وكانت بريطانيا هي العنصر الدخيل والطاريء في المعادلة .
ان الانجليز ومنذ البداية حاولوا تحاشي الحرب المباشرة مع الأتراك ،
بالامتناع عن دعم سعود الفيصل ، وان كانوا راغبين في ذلك .. ولعلهم رأوا
أن الحكم السعودي مشرف على نهاية نتيجة الحرب الأهلية من جهة ، وأن
آل سعود لن يكون بمقدورهم - حتى مع الدعم البريطاني - ثني الحملة التركية
عن أهدافها ، هذا إضافة الى ما سيسببه الدعم من تحرش تركي بمناطق النفوذ
البريطاني في البحرين وساحل عمان المتصالح .

ولهذارأينا كيف أن بيلي لم يجب على التماسات سعود الفيصل بتنسيق العمل
لمواجهة الحملة التركية بحراً، بينما يتصدى لها هو من البر ، ورأينا بيلي مرة
أخرى يوافق - إن لم يكن يدفع - باتجاه منع سعود من اللجوء الى البحرين ،
حماية لها ، رغم الاغراءات التي قدمها الأخير .

ومن خلال مطالعتنا للمصادر السعودية ، نجد أن هناك عتاباً للإنجليز ،
وملخص العتاب هو : لماذا سمح الانجليز لهم سادة البحر للحملة العثمانية
البحرية بالقدوم ؟ .. ولماذا لم يكونوا اكثر جدية في تنفيذ تهدياتهم ضدّ
الأتراك ؟ .

يقول أحد السعوديين (٢٩): «إن بريطانيا لم تكن جادة في استخدام القوة عند عدم جدوى الانذارات»، وهذا أمر طبيعي ، فالملحمة البريطانية لم تكن في شن حرب لم تكن متأكدة من الانتصار فيها ، ومن أجل هدف صغير يكون في النهاية ملكاً لل Saudis .

على أن بريطانيا لم تكن بالضرورة ، وفي بداية الأمر ، تريد الأحساء والقطيف لها ، بمقدار ما كانت لا تريده للعثمانيين ، بمعنى أنها كانت تريده لسعود الفيصل لتؤمن المرحلة الأولى حمايتها لمحمياتها ، ومن ثم تبسط نفوذها الكامل على الأحساء نفسها .. لكن سياسة بريطانيا لم تزد عن دعم سعود الفيصل بالسلاح والامكانيات وتهبيط القبائل البدوية التي تطوق الأحساء وواحة القطيف ، ولذا يقول المؤلف السعودي بعد أن بين أن بريطانيا لم تكن تبني استخدام القوة «لذا لجأت إلى أهون الطرق وأسهلها» ، وهي الحرب بالنيابة «حين أخذت تساعد الأمير سعود بن فيصل عن طريق كل من حاكمي مسقط والبحرين» ! .

ولقد أسمع الملك عبد العزيز الكابتن شكسبيير ، المعتمد السياسي في الكويت ، اثناء لقائه به في ابريل ١٩١١ نفس المقالة ، فقد كان الملك يومئذ يريد من البريطانيين منع الأتراك من القدوم إلى الأحساء بحراً ومهاجمتهم ، وهو بإمكانه منازلتهم في البر واحتلال الأحساء والقطيف وتخلصهما من أيدي الأتراك .. وضرب الملك عبد العزيز مثالاً على ذلك من واقع الحرب الأهلية بين أعمامه فقال :

«حين قدم الأتراك إلى الأحساء ، كان جميع افراد عائلة آل سعود في صراع مع بعضهم البعض ، مما مكن الأتراك من الاستيلاء على الأحساء والقطيف بسهولة كبيرة ، إلا انهم لم يتغلوا أبعد من ذلك إلى نجد .. ولم يكن بإمكان الأتراك أبداً أن يأتوا عن طريق البر ، كما لم تكن الحكومة البريطانية مُصيبة بسماحها لهم بالقدوم عن طريق البحر ، لأن السفن الحربية البريطانية كانت دائماً تقوم بحراسة الساحل ، وكانت ترفض السماح لحملات عسكرية بالتحرك بحراً. عرض سعود الفيصل هذا الأمر على المقيم البريطاني في بوشهر ، وارتمنى أمامه طالباً حمايته ، إلا أن الانجليز لم يصغوا إليه» (٣٠) .

وغمي عن القول إن الحملة التي قادها نافذ باشا كانت بحرية وبحرية ، وأن الكثير من القوات وصلت إلى الأحساء براً كما أوضحتنا ، أما أن الانجليز سمحوا للأتراك باستخدام البحر ، فذلك أمر ما كان يمكنهم مواجهته بأكثر من الاحتياج ، وقد فعلوا ذلك كما أسلفنا ، وأما أن يحارب الانجليز الأتراك بالنيابة عن الآخرين ، فما إعتاد هؤلاء أن يدخلوا حرباً بالنيابة عن أحد ، بل العكس من ذلك تماماً .

مقاومة السعوديين للحملة التركية

رأينا كيف انتزع الأتراك القطيف والأحساء بسهولة فائقة ، دون حدوث أية صدامات أو مقاومة سعودية تذكر .. ففي الوقت الذي تمت فيه السيطرة التركية على المنطقة ، تشجع أهالي الرياض في الثورة على سعود الفيصل وأخريوه ، وتولى عمّه عبد الله بن تركي الحكم ، ويومنها كان عبد الله الفيصل قد قدم للأحساء بناء على طلب نافذ باشا ، وهناك التقى أخيه محمد الفيصل الذي أطلق سراحه من سجن القطيف ، وأصبح سعود الفيصل طريد الفيافي والقفار في بادية الأحساء ، يلم شمل القبائل من جديد ليهاجم الأحساء والقطيف والرياض أيضا .

بعد شهرين فقط من استيلاء الترك على المنطقة ، بدأ سعود بتوجيه الإنذارات لهم ويدعوهم للانسحاب ، وفي نفس الوقت أرسل للمقيم البريطاني في بوشهر ، بيلي ، رسالة يذكر فيها أنه قد سيطر على أوضاع نجد تماما ، وأنه يريد أن يحل السلام بين السكان بعد أن سيطر على ما كان في حوزة أخيه الموالي للأتراك .. وأعلن أنه يؤيد بريطانيا في كونها الوحيدة المسؤولة عن حماية منطقة الساحل ، وعرض في الرسالة على بيلي أنه يضع نفسه تحت الحماية البريطانية^(٣١) .

وفي آخر جمادى الآخرة ١٢٨٨ هـ ، أوائل شهر أكتوبر ١٨٧١ ، نزل سعود الفيصل على قبيلة العجمان ووفد إليه آل مرّة ، وحرّضهم على مهاجمة الأحساء ، واجتمع لديه خلق كثير من الطامعين في النهب والسلب ، وجعلوا يغيرون على القرى ، وينهبون المارة ، ويفسدون الزروع والثمار ، فخرج إليهم قائد الجيش التركي ومعه عبد الله الفيصل ، بجميع ما لديهم من الجيوش والمدافع ، ووقع بينهم القتال في الموضع المسمى «الخويراء» ، جنوب الهفوف ، فهُزم جند سعود ، وأمنت البلاد وشملها الاستقرار^(٣٢) .

في هذه الاثناء فر عبد الله الفيصل وأخوه محمد الفيصل من الأحساء إلى نجد ، وتشير المصادر السعودية إلى أن السبب هو خوف عبد الله من الاعتقال ، إذ رأى أن نية الأتراك كانت تميل إلى عدم تسليم الأحساء والقطيف إليه . ولربما كان العثمانيون - وبالخصوص مدحت - يميلون إلى تسليم المنطقة إلى عبد الله الفيصل بعد القضاء على أخيه ، إلا أنهم سرعان ما غيروا رأيهم لسببين :

الاول - إلحاح الاهالي على نافذ باشا ، ثم على مدحت باشا بآلا يسلمها

ال سعوديين الحكم في المنطقة ، لأسباب واضحة ، هي أنهم للتو قد انتعشوا من الأمن الضارب أطنا به ، كما أنهم رأوا أن الحكم العثماني أخف وطأة من حكم السعوديين الذي أثقل الأهالي بالظلم والتعديات في معاشهم ومعتقدهم .

الثاني - شعور الدولة العثمانية بأنّ البيت السعودي الحاكم ضعيف وغير قادر على وضع حد للفوضى السياسية والأمنية ، وحماية قوافلها التجارية المنطلقة من وإلى العراق عبر شمال نجد ، كما لا تستطيع المنطقة في ظل الحكم السعودي من إيقاف الانتشار البريطاني ، أو على الأقل تأجيله ، حفاظاً على ولاياتها في العراق .

ويبدو أن نقاشات ومطالبات عديدة قدّمتها وجهاء وتجار الأحساء والقطيف إلى نافذ باشا ، تدعوه إلى عدم تسليم السلطة لعبد الله الفيصل ، ولاشك أن الأخير كان على إطلاع بما يجري حوله ، وموقف السكان المعارض له ، ولربما كان واضحاً لديه ، أن نافذ باشا قد تأخر في تسليم الحكم له ، ربما يأتي مدحت للأحساء لتقدّم قوات الحملة ، وشعر أن النتيجة لن تكون في صالحه ، وبالتالي فهو معرض لخطر الاعتقال ، فقرر الفرار .

غادر مدحت باشا بغداد متوجهاً لساحل الأحساء في ٢٨ أكتوبر ١٨٧١ ، فوصل إلى ميناء العقير في الأول من نوفمبر ، ولكنه انطلق مباشرةً من هناك إلى القطيف أولاً ، حيث قابله زعماؤها واحتقو بـه ، وألحوا عليه بعدم تسليم الحكم لل سعوديين ، وإنما قاده سعياً إلى سابق عهدهما من الفتنة ، وأقنعواه بأن النتيجة المحتملة هي أن تخسر تركيا نتائج مجاهداتها التي جرت الحملة من أجلها ، وقدّم وجهاء القطيف ، وفي مقدمتهم زعيمها احمد مهدي بن نصر الله ، أشبه ما يكون بوريضة رسمية بهذا الطلب ، وقع عليها زعماء المدن والقرى في الواحة .

وحدث ذات الأمر حينما وصل مدحت إلى الأحساء ، فقد قدم له شيوخها وعلماؤها وتجارها عريضة يطالبون فيها الباب العالي ، بأن يأخذ على عاتقه إدارة المنطقة مباشرةً^(٣) .. وبناءً على هذا الالحاح أصدر مدحت منشوراً وزعه على الأهالي معلناً فيه نهاية الحكم السعودي للأحساء والقطيف ، وتعيينه نافذ باشا كأول متصرف لسنجد نجد .. وأكد مدحت في منشوره أسباب اتخاذ هذا القرار بأنّ الأهالي يرفضون الحكم السعودي الذي يعتمد على القسوة والظلم والاضطهاد^(٤) .

غير أنّ مدحت لم يتخذ هذا القرار إلاّ بعد أن طلب من عبد الله الفيصل أن يأتيه لمقابلته في الأحساء ، وبعد أن رفض الأخير الطلب خوفاً على نفسه ، وقد أشارت «مذكرات مدحت باشا» إلى أن رفض عبد الله القدوم هو الذي أضاع عليه الأحساء !.

لم يكن عبد الله راغباً أو قادرًا على مواجهة الأتراك ، وكتب لمدحت باشا

مبدياً استعداده لدفع ضريبة مقابل إعتراف الباب العالي به حاكماً على الأقليم، وأضاف بأنه «لا يحق للسلطان تجريده من ممتلكات آبائه واجداده، وأن السلطان والموقعين على العريضة التي قدمت له - من الأهالي -، خدعوا بمحفوبياتها وأغراضها، فالسلطان اعتقد أن الموقعين يطالبون بالحكم التركي المباشر، بينما اعتقاد موقع العريضة أنهم كانوا بذلك يطالبون الحماية من الضرائب الزائدة على دخلهم وممتلكاتهم ..»، التي كانت في العهد السعودي السابق (٣٥).

وغمي عن القول أن هذه الحجة السعودية ضعيفة، فالأهلالي بآجمعهم عانوا من الضرائب غير الشرعية التي سنها السعوديون لا بتزarahم، مما دفع بمدحت إلى سن نظام ضرائي جديد، يقوم على أساس الشريعة الإسلامية، وكانت هذه احدى المأخذ التي قدمها الأهالي لتبرير طلبهم بالحكم التركي تخلصاً من الحكم السعودي .

وبالطبع فان عبد الله الفيصل تابع احتجاجاته لدى الباب العالي ولدى مدحت باشا ، ولكن أيّاً منها لم يعرها اهتماماً جاداً، لأن موقف عبد الله بالغ الضعف ، حيث أنه بعد أن سيطر على الرياض عاد أخوه سعود واحتلها من جديد ، ولعل في رسالة عبد الله للخديوي اسماعيل ، والتي مصر ، وطلبه الوساطة منه لدى الباب العالي من أجل إرجاع الاحسأء ، أو الاستفادة بإجراء معاش له منها ، ما يدلّ على الضعف والتذلل ، وسنلاحظ كيف أن هذه الرسالة كتبت بلغة اللغة الاستعطاف والترجي .. يقول عبد الله في الرسالة :

«... سار عسكر تحت رياضة الفريق نافذ باشا وضيّعوا الاحسأء والقطيف ، وخدمكم - يعني نفسه - قد توجهت لخدمة الدولة ، وحضرت عند الفريق المومأ إليه بالاحسأء وملتقى بالخدمة ، وبعد هذا صدر من والي بغداد إعلانات جملة إلى كافة الرعايا بالاعتراض على آل فيصل وعدم استخدامهم ، وهذا خلاف ما كان نأمله من مراحم الدولة وعدالتها ، وصرت مأيوس وظهرت من الاحسأء ، ولا زالت معارضاتي متراوفة على الفريق المومأ إليه والي والي بغداد ، مستجلاً مراحم وتعطفات دولتي وعدالتها التي هي ملجاً كل مسلم ، ولا صدر مني بحق الحكومة ، ولا بحق الرعية ما يوجب الصدود والتغافل عن خادمكم ، فأمام الشقي سعود ، فهو لا يزال على فساده ، ومرتين يتلاقى مع العسكري الشاهانية التي طاعتها فريضة على كل مسلم ، والآن خادمكم جامع حربية من الرعايا والعشائر ، وبحول الله نذمره ونقطع عرق فساده ، حيث ان اليوم كافة أهل نجد والعسكر الذي بالاحسأء والقطيف بغير طمائنة من حركاته وفساده .. فأمامنا نحن أهل هذا البيت غرس المرحوم المبرور محمد على باشا طيب الله ثراه ، وأنجاله المعظمون . فالذي نلتمس من شفقة مراحمكم أن تتظرون خادمكم وتنتقلون بعرض حالى على اعتاب دولتي العليّة ، وستتجلبون وقوع

أنظارها السنّيَّة بتصوّر فرمان يتضمّن وقوع إنتظارها على عبدها، ومع الأنظار تحسن على عبدها بمعاشر من واردات الاحسأ والقطيف، وتستجلبونا بذلك الدعوات الخيريَّة منا ومن كافة الفقراء والرعية، وتخلصن رقاب هذه الأمة من جور هذا الشقي وسفاهته، ولأجل الدخالة على مقامكم العالى والالتجاء إلى فضلكم المتولى، واستجلاب مراحمكم في تسوية الأحوال بما يراه نظركم .. وقد حررنا هذا العرض وشرحنا ما يلزم، ونحن حالاً قريبين من البصرة منتظرين من فضلكم الجواب، وعلى كل حال الأمر لحضرتة من له الأمر، أفنديم».

ختم عبد الله الفيصل
عبدكم
عبد الله الفيصل (٣٦)

سعى سعود من أجل التفاهم مع أخيه عبد الله لمهاجمة الاتراك، وكان من مصلحة الانجليز أن يتم التفاهم والتعاون فتخفف قبضة العثمانيين على الاحسأ، ويقلل تدخلهم في أمور الخليج (٣٧). وقد تعاون الأخوان عسكرياً في الاغارة على القطيف والاحسأ .. ففي ابريل ١٨٧٢ وصل سعود الفيصل ومعه العجمان وألّا مرة بالقرب من القطيف لمهاجمتها، في الوقت الذي حشد فيه عبد الله قوة من الهواجر والدواسر لاحتلال الهافوف، وكان التخطيط لهذا بتقاسم الهجوم يهدف إلى تشتت قوة الاتراك .. ومع أن حالة القوات العثمانية لم تكن جيَّدة بسبب تفشي الأمراض فيها، رغم استبدال أعداد كبيرة من الجنود أثناء زيارة مدحت للاحسأ .. إلا أن القوات استطاعت إنزال الهزيمة بالأخوين، حيث هرب البدو من جيش سعود، وأما جند عبد الله فقد كان منهذماً فاسداً كالعادة (٣٨).

كان هذا آخر هجوم قوي لسعود الفيصل، فقد أصبح يائساً من النصر، خاصة بعد تخلي الانجليز والشيخ عيسى عن دعمه رغم إلحاحه المتواصل (٣٩)، فاتجه نحو حلحلة الخلاف مع الدولة العثمانية بالسلم أكثر من أي وقت مضى .. وكان سعود أثناء وجود مدحت في الأحساء قد حاول التفاهم مع الأخير، وقدم عرضاً وقع عليه عدد من مشايخ نجد يطلبون فيه إسناد حكم نجد إلى سعود في إطار التبعية للدولة العثمانية (٤٠)، ولكن مدحت لم يعره اهتماماً، وعرض سعود مرة أخرى على والي بغداد أن يستعيد الأحساء وتكون تحت إدارته المباشرة، غير أن طلبه لم يلق قبولاً لدى الاتراك، إذ أنهم كانوا مصممين على الاحتفاظ بالأحساء وعدم التعامل مع آل سعود (٤١). مع بداية عام ١٨٧٣ زحف سعود مرة أخرى لاحتلال الرياض، فهزم أخيه عبد الله، وأعاد احتلال المدينة، وفرَّ أخوه إلى بادية الكويت، ومعه جموع

من أعراب قحطان .. وبدأ سعود بالاتصال من جديد مع المقيم البريطاني في بوشهر من أجل الحصول على الدعم والمساعدة، ومنوهاً بالسياسة البريطانية التقليدية التي تمنع استخدام مياه الخليج للاعمال الحربية، ولذلك فهو أهمل ساحل الأحساء لحماية بريطانيا مما أنقذه إياه، وراح يكرر طلب المساعدة البريطانية بصراحة .. لكن بيلي ، وبناء على أوامر حكومته، أبلغه بأنه لم يكن طرفاً في أيّة معايدة بحرية مع بريطانيا ، وأن الأخيرة لم تتعهد - رسمياً - بحمايته ، وبالتالي لا حق له بالعون !، وطلب سعود فيما بعد التدخل من الانجليز لدى السلطات العثمانية من أجل أخيه «عبد الرحمن» مما كان له أثر فعال في عودته من العراق ليبدأ حربه ضد العثمانيين من جديد (٤٢).

ورغم إحجام السلطات الانجليزية من تقديم العون لسعود ، خوفاً أن يستغل الأتراك ذلك كحجّة للتمدد نحو مناطق النفوذ البريطانية ، فإنها لم تتوقف عن الدسائس ، وتشجيع المعارضة ، وكانت تتمتّى أن يلتقي الاخوان ، عبد الله وسعود ، وان يعملا معاً على إضعاف الأتراك في قاعدة نفوذهم «الأحساء» ، وإشغالهم عن التوجّه للمناطق الأخرى (٤٣) .

شجعت بريطانيا المفاوضات بين السعوديين والأتراك حتى تعجل بانهاء الحكم التركي في الأحساء ، بل أنها حاولت التوسط بين الطرفين ، إلا أن الأتراك لم يكونوا راغبين في الوساطة البريطانية ، وإن كان سعود الفيصل يلحّ عليها ، وقد سبق له ان كتب لبيلي يستشيره في الشروط التي عرضها العثمانيون عليه ، ومنها أن يبعث بإثنين من أولاده كرهائن إلى بغداد ، وأن يدفع نفس المبلغ الذي كان أبوه فيصل يدفعه للسلطان ، وقد قدم هذا العرض خليفة مدحت باشا على ولاية بغداد «رؤوف باشا» (٤٤) .

فشل العروض السابقة ، كما فشلت القوات السعودية في تحقيق أيّ مكسب لها في الأحساء ، وكان كلّ ما يطمح اليه سعود هو البقاء في سلطته داخل نجد .. وفي ١٨٧٣ هـ ، طلب سعود من حاكم بندر عباس ، احمد خان ، ان يتوسط لدى رؤوف باشا في الامر ، وكانت السلطات العثمانية تميل إلى الاتفاق معه على أساس أن يدفع الضريبة السنوية مثلما كان الحال في عهد أبيه على أن يقدم رهائن إلى سلطات بغداد لضمان استمرار ولائه .. وقد ذهب أخ سعود ، عبد الرحمن الفيصل - والد الملك عبد العزيز - إلى بغداد عام ١٨٧٣ كرهينة وبقي مدة عام ، وبالتحديد حتى أغسطس ١٨٧٤ (٤٥) .

مع ان الكتاب السعوديين اعتادوا على تضخيم مدةبقاء الأمير عبد الرحمن في بغداد إلى ثلاثة سنوات ، وقالوا أنه كان سجينًا في المعتقل ، وهذا غير صحيح ، لأنّ عبد الرحمن غادر وبسهولة بغداد دون اعتراض .. يقول الملك عبد العزيز لشكسبير ، المعتمد البريطاني في الكويت ، حول هذا الاتفاق ، إنّ عمه سعود ، وبعد أن فشل في الحصول على دعم القنصل بيلي ، حاول «ترتيب

اتفاق مع الأتراك ، الذين وعدوه بالكثير ولكن لم يفعلوا شيئا ، إذ أرادوا أن يروا سعودا يحضر شخصيا إلى بغداد لكي يسجنه ثم يستولوا على نجد بأكملها . وحين وافقوا على أن يذهب أخوه عبد الرحمن بن فيصل مكانه مع وعد بالأمان ، فانهم في الواقع قاموا بسجنه^(٤٦) .

ويجب الالتفات إلى حقيقة مهمة ، وهي أن الاتفاق الأخير لم يكن يتعلق بتسلیم الأحساء لسعود ، وإنما بابقاء حكم الرياض له ، حيث صرف العثمانيون النظر عن متابعة الحملة لاحتلال نجد ، وتم استدعاء مدحت للأستانة في ربيع . ١٨٧٢

محاولة عبد الرحمن في احتلال الأحساء

عانت القوات التركية كثيرا من الأمراض أثناء تواجدها في المنطقة ، خاصة في القطيف الملتصقة بساحل البحر ، مما جعل مدحت يتطلع إلى بناء بلدة جديدة على بعد قليل منها ، وحين غادر الأخير القطيف في الثامن والعشرين من ديسمبر ١٨٧١ ، إصطحب معه الجنود المرضى والمتعبين بعد أن جاء ببدل منهم^(٤٧) .

ومن الواضح أن العثمانيين كانوا عازمين على سحب قواتهم من الأحساء والقطيف ، مع إبقاء عدد قليل من الجنود في الحاميات ، وانتهاج سياسة تتولى من خلالها القوى المحلية دورا في حكم المنطقة ، مع ارتباطها الرسمي بالدولة .. غير أن هجمات السعوديين في العامين اللذين تليا حملة الأحساء على المدن الاحسانية والقطيفية والقرى التابعة لهما ، أجل هذا الانسحاب ، مع أن العثمانيين لم يتأنروا في سحب قواتهم .. فبمجرد أن لاحت لهم الفرصة عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣ سحبوها في الوقت الذي رُتب فيه اتفاق ضمني مع سعود الفيصل ، سافر بموجبه أخوه عبد الرحمن إلى بغداد كرهينة .

ويعزى العديد من المؤرخين أسباب سحب القوات العثمانية ، وانتهاج سياسة محلية إلى ثلاثة أمور :

الأول - ان الحكم المباشر يكلف الدولة نفقات طائلة ، في الوقت الذي لم تقدر تركيا إقتصاديا من الأقلheim ، لأن الحملة أساسا لم يكن من بين أهدافها الافادة الاقتصادية ، بل مواجهة التسلل البريطاني إلى الساحل الاحسانى ، فضلا عن أن الافادة الاقتصادية تقتضي - كما فعل السعوديون - مضايقة الضرائب التي تُجبي من الأهالي ، مع ما في ذلك من محاذير تؤثر على نتائج التنافس البريطاني - التركي في الخليج ، وهو أمر حرص الأتراك على تجنبه منذ البداية .

الثاني - إرتفاع نسبة الوفيات في الجنود ، وتفسّي الامراض بسبب الطقس

الحار والرطب ، في حين أنَّ معظم الجنود جاؤوا من المناطق الشمالية الباردة .
الثالث . سياسة الاصلاح التي بدأ العثمانيون تطبيقها في البلاد العربية ، والقضائية باعتماد رؤساء محليين ، يتولون الادارة والحفاظ على الأمن .

لهذا عهدت دولة الخلافة إلى والي بغداد بسحب القوة التركية ، فعهد بدوره إلى ناصر باشا السعدون ، زعيم المتقىق ، ومتصرف البصرة ، بإدخال نظام قليل التكاليف ، فزار ناصر الأحساء أواخر سنة ١٨٧٣ ، وصدرت الأوامر بسحب أربع كتائب من القوات التركية المعسورة في الأحساء ، وعادت إلى بغداد ، ولم يبق إلا كتيبة من الجندرمة أنيط بها مسؤولية الدفاع عن الجبهة بين الأحساء ونجد .. وقد شجع الانسحاب التركي هذا السعوديين على خلق الاضطرابات والثورات وتهييج القبائل البدوية .. ومن أشهر هذه الثورات تلك التي قادها عبد الرحمن الفيصل ، والآخرى التي نفذها أبناء أخيه سعود الفيصل (٤٨) .

تبع سحب القوات ، ان سُلْمَ متصرف الأحساء فريق باشا الحكم إلى أكبر شيخوخ بنى خالد ، وهو بزيغ بن عريعر ، ابن حاكم الأحساء السابق .. ويستشف من المصادر التاريخية ، أن لناصر باشا السعدون دوراً في تعيينه ، الذي وافق عليه الباب العالي . فبزيغ هذا هو صهر ناصر باشا من جهة ، وهو زعيم قبيلة الخوالد المعروفة بعدائها للحكم السعودي من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة ، فإن بزيغ شارك في حملة الأحساء ، وكأنَّ إعطاءه الحكم ، قد جاء ثمناً لتلك المشاركة .. وبتعيين الخالدي بدأت الخطوة الأولى والهامة بتعديل الادارة في الأحساء ، في حين بدأت القطيف تستعيد شخصيتها ويزر فيها الرعماء السياسيون الذين أداروها بشكل شبه مستقل بالتعاون مع القائمقام العثماني ، وبحراسة عشرات من الجنود (٤٩) .

ويلاحظ أنَّ قوة بنى خالد بدأت بالضعف والضمور شيئاً فشيئاً ، فأصبح حكمهم للإحساء إسمياً ، مع أنَّ تسليمهم السلطة السياسية هو إعتراف بقوتهم ، كما فعل المصريون حين انسحبوا من الأحساء عام ١٨١٨ ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا ، أن بنى خالد قد تحضر القسم الأكبر منهم في ذلك الحين ، وقد تسارع تحضرهم واستيطانهم في واحتي الأحساء والقطيف ببروز قوة العجمان ، وقد كان أحد أسباب ضعف بنى خالد فيما بعد ، هو ذوبانهم في التجمع الحضري ، وقد انهم للحملة العصبية الداخلية التي تجمعهم .

ويبدو أنَّ الانجليز قد ارتأحوا الرحيل القوات العثمانية ، حيث خلا لهم الجو لتعكير صفو الأمن وترتيب أوراق تحالفاتهم للانقضاض على الأحساء ، وقد استمروا في دعم سعود الفيصل وأخيه عبد الرحمن ، وكذلك القبائل التي خسرت إمتيازاتها باستقرار السلطة المنظمة في الأحساء . إلا أنَّ هذا الدعم الذي يجري في أغلبه وراء الستار ، والذي يهدف إلى تقويض سلطة الأتراك ، لم يكن في

البداية سوى عامل إللاق و إشغال للعثمانيين من التفكير في المناطق الأخرى المحتلة من قبل الانجليز ، وكان الآخرون حريصين - ظاهريا على الأقل - على عدم تصعيد الأضطرابات الى الحد الذي يجعل الأتراك يعيدون قواهم وقوتهم العسكرية المنظمة من جديد .

في أغسطس ١٨٧٤ ، أي بعد سحب القوات التركية ببضعة أشهر ، غادر عبد الرحمن الفيصل بغداد بتساهيل من واليها الذي أمن جانبه ، بعد أن رتب أوضاع الأحساء ، فاتجه عبد الرحمن الى البحرين - مركز المعارضة البريطاني - . وهناك حصل على دعم من المعتمد السياسي « واستقبله الشيخ عيسى بحفاوة بالغة ، وأمضى بضعة أسابيع قضتها في الاتصال بشيوخ القبائل في الأحساء ، يحثهم على الوقوف الى جانبه ، فوجد لديهم الاستعداد للموازرة ، وأخذ يعد العدة للثورة حتى أتم استعداداته ، وبادر بالهجوم على الأحساء (٥٠) .

ففي رمضان ١٢٩١ هـ / أو اخر ١٨٧٤ ، توجه عبد الرحمن الى الأحساء والتقي بخلفاء أخيه سعود من العجمان وغيرهم ، حيث أسرع شيوخهم الى الالتفاف حوله وأعلنوا الثورة وال الحرب « وتناشرت الاشاعات عن أنشيخ البحرين والانجليز يقدمون المساعدات لعبد الرحمن» (٥١) .. وفي باديء الامر ، قام أتباعه بحركات معارضة أدت الى اخراج المتصرف الخالدي بتواتر من النجذيبين المقيمين في الهفوف ، مما أدى الى محاصرة القوات النظامية القليلة في الكوت ، وراح العجمان وآل مرّة - كعادتهم - ينكلون بالحضر وينهبونهم ويقتلون من يعرض لهم .

إنضم الأهالي الحضر « سنة وشيعة » الذين حوصل بعضهم في الكوت الى القوات القليلة لمنع سقوط الحامية ، ريثما يأتي المدد من العراق ، وفعلاً استطاعوا الصمود عدة أسابيع ، مما أنقذ الوجود العثماني في الأحساء من نهاية محققة .

وفي الحقيقة ، فإن القوات العثمانية مدينة بصمودها الى موقف الأغلبية الشيعية في الهفوف ، حيث حمل هؤلاء السلاح تحت قيادة زعيم الشيعة في الأحساء ، المجتهد آية الله الشيخ محمد بوخمسين ، الذي وضع خططاً عسكرية عديدة أفشل بها محاولات إخراق قوات عبد الرحمن الفيصل للكوت ، وقد قدر الأتراك للشيخ محمد دوره هذا ، فكان محظوظاً إحترامهم وثقتهم واستشارتهم ، ولمّا توفي سنة ١٣١٩ هـ ، شيع تشيعاً رسمياً ، وحمل جثمانه الى مثواه على مدفنه (٥٢) .

لم يرسل والي بغداد الجيش السادس في العراق لإنقاذ الأحساء نظراً لضعف ذلك الجيش ، فأسنداً أمر إخضاع البدو لناصر باشا السعدون ، فأسرع الأخير في شهر ذي القعده ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ ، على رأس قوة من عشرة آلاف مقاتل ، ومعهم ألف بغير تحمل المؤونة والذخيرة ، والتقي بالعجمان وآل مرّة

بقيادة عبد الرحمن الفيصل على مقربة من الهدف في موقع يقال له «الوزية»، حيث دارت الدائرة على عبد الرحمن، وقتل من جماعته الكثير، وفي اليوم التالي دخل ناصر باشا الهدف، ونكل بالوهابيين المتعاونين مع السعوديين، وفرَّ كثير من المتواطئين إلى البحرين - كالعادة - خوفاً من العقاب، غير أن الشيعة لم يتعرضوا لأي أذى .. ولم ينس مؤلف سعودي أن يقول : «ولم تلقَ الجماعات الشيعية أي أذى»، وقد عرفت هذه السنة بـ«سنة ناصر باشا»^(٥٣) ويُنقل المؤرخون أن العديد من الأفراد والعوائل التي تعاونت مع الأمير عبد الرحمن ، مثل آل ملحم والعمير والنعيم ، لجأوا إلى منزل آية الله الشيخ محمد بوخمسين ، خوفاً من الانتقام .. فأجراهم والجاءهم ، وقد توسط لكثيرين حتى لا تطحنهم آلة الانتقام العثمانية .

أما الملك عبد العزيز ، مؤسس الدولة السعودية الحديثة ، فيقول لشكسبير عن محاولة أبيه لاحتلال الأحساء ، أنَّ العرب - أي البدو - «انضموا لشن هجوم على الأحساء لكي يستعيدوا بالقوة ما عجزوا عن استعادته بالدبلوماسية ، إلا أنَّ سعود كان يخشى القيام بمثل هذه المغامرة ، خوفاً أن يقتل الأتراك أخاه عبد الرحمن في بغداد ، وأيضاً لأنَّ الانجليز لم يحاولوا منع القوات التركية من الوصول إلى الأحساء عن طريق البحر .. وبعد أن تم إطلاق سراح عبد الرحمن من الاعتقال الذي استمر ثلاثة أو أربعة أعوام قضتها في بغداد ، ونزل إلى شاطيء الأحساء ، وجد أنَّ العرب - البدو - يكرهون الأتراك ، وأبدوا استعدادهم للانضمام إليه ضدتهم ، ولأنَّ الأتراك كانوا ضعفاء نتيجة المرض والموت الذي نزل بهم ، فقد هاجم عبد الرحمن قلعة الأحساء ، ولكن قبل أن يتمكّن من تدميرها ، إستدعي الأتراك قوات إضافية ، فما كان منه الا أن غادر الأحساء إلى الرياض»^(٥٤) .

وعلى أثر هذه الحادثة تولى ناصر باشا متصرفية الأحساء مدة قليلة من الزمن لضبطها ، ثم غادرها عام ١٨٧٥ / ١٢٩٢هـ ، بعد أن سلمها لابن بزيغ الخالدي (مزيد) ، وأصبح المتصرف فيما بعد هو الحاكم الفعلي للأحساء ، إذ تقوّضت وضفت سلطة بنى خالد إلى أبعد الحدود .. واهترّت الثقة بإمكاناتهم على مواجهة غاللة الباشية .

ردَّ متصرف الأحساء على دعم الانجليز وحكام البحرين لثورة عبد الرحمن ، بالتحرش بآل خليفة ، وفي شهر سبتمبر ١٨٧٤ طلب من تاجرین هندیین - من ذوي التبعية البريطانية - و كانوا يقيمان في الدوحة ، أن يحضرا للهدف ، فرفضا الامتثال ، إلى أن أجبرهما قاسم آل ثاني على ذلك ، وكان الهدف توجيه إهانة للمقيم البريطاني في بوشهر ، وإخراج تجارة قطر من يد رعایا بريطانيا .

وفي أكتوبر ١٨٧٤ بعث قائم قطيف رسالة إلى الشيخ عيسى حاكم

البحرين، وجَهَ له فيها اللوم والتهديد لاستقباله ودعمه عبد الرحمن الفيصل .
لقد أراد السعوديون إستغلال فرصة خروج القوات التركية ، فهاجموا
الأحساء ، لكن الرد السريع من والي البصرة ، ورفض الشيعة التعاون ، أثبتت
لهم أنه حتى لو أمن لهم الانجليز طريق البحر ، بمنع إبحار السفن الحربية
العثمانية فيه ، فإنَّ الأتراك قادرون على الوصول إليهم وبسرعة عن طريق البر ..
وهكذا غادر عبد الرحمن الفيصل الأحساء إلى الرياض يائساً ليتحقق بأخيه
سعود الذي وافته المنية في شهر ذي الحجة ١٢٩١هـ ، فاستولى عبد الرحمن
على الحكم وانشغل بقتل أخيه عبد الله ، ثم أبناء أخيه سعود ، إلى أن اضطُرَّ
لترك الرياض والالتحاق بأخيه .. ثم سقطت دولة السعوديين على يد ابن
الرشيد .

وهكذا نجد إستماتة واضحة لدى الحكام السعوديين للسيطرة على الأحساء ،
بعكس الحجاز التي سيطروا عليها في عهدهم الأول .. وليس هناك من تفسير
لهذه الاستماتة إلاَّ أهمية الأحساء الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لنجد ..
إذ لا يمكن لحكومة «نجدية» سابقاً ، أو لاحقاً ، أن تستمر ، دون الاعتماد على
الأحساء ومواردها الكبيرة .

ورغم الاعياء الشديد الذي أصاب السعوديين ، ورغم هزائمهم المتكررة ،
وحالة الصراع الداخلي المستمرة ، إلاَّ أنَّ الأحساء لم تغب عن بالهم ، فقد
 أصبحت نجد إمارة مغلقة ، وليس من الممكن تناسي مفتحها وقلبها ، وأسرع
عبد الله إلى التحالف مع إخوته وأبناء أخيه لتجنيد حملة تهاجم القطييف ثم
الأحساء والاستيلاء عليهما .

فقد قام أولاد سعود الفيصل في عام ١٨٧٨ ، ١٢٩٥هـ ، بحملة ضدَّ
القطيف بالتعاون مع العجمان وأَلْ مِرَة ، وضربوا حصاراً حول المدينة التي
استبسَّ أهلها في المقاومة ، واستطاعت السلطات العثمانية فكَّ الحصار
بمساعدة جاءت من الشمال ، وهرب البدو وتخلىوا عن قياداتهم من آل سعود ،
فما كان من أولاد سعود الفيصل إلاَّ أن طلبوا اللجوء السياسي منشيخ البحرين
والسلطات الانجليزية هناك .. لكنَّ الأتراك احتجوا على دعم آل سعود في النهب
والحرب ، وحينها .. ومنعاً للاحتكاك رضخ المعتمد ورفض منح حق اللجوء
لأبناء سعود بحجَّة «عدم اللياقة في حماية أشخاص عُرِفُوا مؤخراً باتصالهم
بأعمال الاضطرابات في أراضي دولة صديقة مجاورة» (٥٥) .
ولم يهدُ السعوديون في المقاومة من أجل استخلاص الأحساء ، حتى انتهى
حكمهم في نجد بالكامل على يد قبيلة شمر وزعمائها آل الرشيد .

هوامش

- ١٤) جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .
- ١٥) عبد العزيز نوار ، مصدر سابق ، ص ٤١٣ . وانظر ، العابد ، جزء ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٢٢ .
- ١٦) منكرات مدحت باشا ، يوسف كمال حناته ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ . وانظر عبد العزيز نوار ، مصدر سابق ، ص ٤١٧ .
- ١٧) « تاريخ الكويت الحديث » ، احمد مصطفى ابو حاكمة ، ص ٢٥١ . والعابد ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣١ . وفاسلييف ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ . ومحمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٦ . وكذلك عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، ط ١٩٧١ ، ص ١٢٢ . تجدر الاشارة الى أن حملة الأحساء تطرق اليها العديد من المؤرخين بالتفصيل ، انظر مثلاً ، جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، مصدر سابق ، من ص ١٧١ الى ص ٢٠٤ .
- ١٨) عبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ . وانظر تاريخ الكويت السياسي ، جزء ٢ ، حسين خلف الشیخ خزلع ، ص ١٣٧ .
- ١٩) جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٦ .
- ٢٠) العابد ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣١ .
- ٢١) « تاريخ الكويت الحديث » ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢ . ومحمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٦٤ .
- ٢٢) يوافق السادس من يوليو ١٨٧١ .
- ٢٣) آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ١٧١ .
- ٢٤) جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ١٦٥ ، ١٨٧ .
- ٢٥) محمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ٨٧ .
- ٢٦) قصيدة لعبد الرحمن بن طوق النجدي ، مشاهير علماء نجد ، مصدر سابق ، ص ٨٧ .
- ٢٧) المقصود أن أهل الأحساء إعتقدوا عقيدة العثمانيين « عقيدة الناقوس المسيحي » ، وأنهم لم يرضوا بدين « التوحيد » الوهابي .
- ٢٨) المقصود بالآمة التي على نهج النجوم الزواهر ، هم الوهابيون ، وكذلك البيت الذي يليه .
- ٢٩) المعنى بأهل الجحيم هم الأتراك .
- ٣٠) الغريب أن قائل هذا الشعر ، كان قد ناقش علماء السنة في الأحساء في عهد فيصل بن تركي ليتحولوا إلى الوهابية ، وقالت المصادر السعودية أنه نجح في مهمته ، ولكن هذه القصيدة تثبت عكس ذلك ، وكما قال الدكتور عبد الله الحامد العلي ، أن الخلاف بين العلماء السنة في الأحساء ، وهم أصحاب مدرسة في الفقة والثقافة ، شانهم في تلك شأن علماء الحجاز ، وبين مشايخ الدعوة الوهابية ، يبدأ صغيراً إلى أن ينتهي إلى الأصول ، ولهذا لم تتجه حتى تلك الحين الدعوة الوهابية بين صفوف السنة في الأقلية .
- ٣١) عبد الرحمن آل الشیخ ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .
- ٣٢) هو سليمان بن سمحان ، ولد سنة ١٢٦٧ هـ ، في قرية (الستقا) قرب أنها ، عاصمة اقليم عسير ، هاجر إلى الرياض سنة ١٢٧٨ هـ ، إثر استيلاء المصريين عليها ، واشتغل معلماً لصغرى آل الشیخ ، وأثناء

- الخلاف بين أولاد فيصل غادر إلى الإفلاج، ثم عاد بعد وفاة سعود الفيصل للرياض، فعيّنه عبد الله الفيصل كاتباً عنه، والملاحظ أنه لم يطرق في شعره إلى الخلاف بين الأخرين، وما تلاه من نكبات، خوفاً على نفسه. توفي عام ١٣٤٩هـ.
- ٢٠، الشیخ عبد اللطیف آل عمر، له صلات قوية بالأتراك، وكان نديماً للوالی على الأحساء أحد عزوة العمرى، وقد كان الأخير شاعراً .. انظر شعراء هجر، من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، للدكتور عبد الفتاح محمد الطو، دار العلوم ١٩٨١، ص ٢٣٧، ٢٢٨.
- ٢١، د. عبد الله الحامد العلي، مصدر سابق، ص ١٥٢، ١٠٨.
- ٢٢، المصدر السابق، ص ٢٩٧.
- ٢٣، «التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية»، الدكتور صلاح العقاد، ص ١٧٦.
- ٢٤، «تاريخ الكويت الحديث»، ص ٢٥٠.
- ٢٥، «العقد»، مصدر سابق، ص ١٧٤، ١٧٧. وانظر الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٩.
- ٢٦، د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٧، ١٦٨.
- ٢٧، جمال زكرياء قاسم، الجزء الأول من ١٨٥، ١٨٦ . د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٨ إلى ص ١٧٠.
- ٢٨، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٨، ١٦٩.
- ٢٩، دراسات في تاريخ الخليج والجزيرة العربية، ص ١١٥.
- ٣٠، الوثيقة البريطانية (E) 20868، رسالة من شكسبير إلى المقيم البريطاني الميجور كوكس بتاريخ الثامن من أبريل ١٩١١.
- ٣١، رسالة من بيلي إلى حكومة الهند في ٢٨ سبتمبر ١٨٧١، انظر : الدولة السعودية الثانية، مصدر سابق، ص ١٧٢.
- ٣٢، آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٢ . و تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢.
- ٣٣، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، من ٢٤٠.
- ٣٤، «تاريخ الكويت الحديث»، ص ٢٥٢ . والدولة السعودية الثانية، ص ١٦٩.
- ٣٥، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، من ٢٤١.
- ٣٦، جمال زكرياء قاسم، الجزء الأول، من ٤٨٧، ٤٨٧، والرسالة غير مورخة.
- ٣٧، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٣٢، ٤٣٣.
- ٣٨، الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٢، ١٧٣.
- ٣٩، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٧٨، ١٩٤.
- ٤٠، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٣٢، ٤٣٣.
- ٤١، العابد، جزء ٢، مصدر سابق، ص ٢٤٤.
- ٤٢، محمد عرابي نخلة، ص ١٩٤.
- ٤٣، المصدر السابق، ص ١٩٤، ١٩٥ . سجل البريطانيون في أغسطس ١٨٧١ شائعات ترددت في القطيف بأن القوات العثمانية على وشك الذهاب إلى الساحل العماني، إلا أن الكولونيل روس الذي سجل هذه الشائعة ونقلها إلى المقيم بيلي، عاد ونفاماً.
- ٤٤، العابد، جزء ٢، مصدر سابق، ص ٢٤٣.
- ٤٥، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٣٤.
- ٤٦، رسالة من شكسبير إلى المقيم البريطاني في بوشهر، السير بيروس كوكس، مورخة في ١٩١١ / ٤ / ٨.
- ٤٧، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٢.
- ٤٨، «تاريخ الكويت الحديث»، ص ٢٥٣ . وجمال زكرياء قاسم، الجزء الأول، ص ١٩٦، ١٩٧ . وانظر أيضاً، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٥.
- ٤٩، الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٥ . وانظر تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٣.
- ٥٠، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٨.
- ٥١، عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٣٤.
- ٥٢، استقيت هذه المعلومات خلال مقابلات عديدة مع وجهاء من الأحساء في صيف ١٩٨٩.

٥٣» الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٥ . وأيضا عبد العزيز نوار ، مصدر سابق ، ٤٣٤ . ومحمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ . وكذلك آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .
٥٤» رسالة شكسبيرو إلى بيرسي كوكس ، في ٨ / ٤ / ١٩١١ .
٥٥» الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٢١ . وانظر ، محمد عرابي نخلة ، مصدر سابق ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .
وأيضا ، جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .
تجدر الاشارة الى ان الأخير نكر بأن سفينة بريطانية «فلتشر» كانت تبحر بالقرب من القطيف لمكافحة القرصنة ، لاحقت السعوديين . والحقيقة ان السفينة لم تقم بأي عمل حربي ، لأن ذلك ضد السياسة البريطانية . وقد كان ظهور السفينة بالقرب من الساحل القطيفي ، قد أوحى للمهاجمين بأنها سفينة عثمانية . بالنظر لدخولها المياه الاقليمية للقطيف ..

٥

السياسة والاقتصاد

في الاحساء والقطيف (١٩١٣ - ١٨٧١)

كانت واحتا الأحساء والقطيف ، أو ما عُرف بسنحق «نجد» ، تشبهان الفتاة المدللة للأب العثماني ! .. وإذا كان الحكم التركي المعروف بسوءه وطغيانه في ديار العراق والشام واليمن ، يبدو واضحاً لكل الباحثين ، فإن الأحساء لم يصبها من ذلك إلا النذر القليل التافه .

ومهما كان تقييم الباحثين لحكم الأتراك في المناطق العربية الأخرى .. فقد كان للأحساء وضعها الخاص في الإدارة والحكم ، وذلك يرجع لأسباب متعلقة بموقع الأحساء الجغرافي ، وخصوصياتها الثقافية والتاريخية ، وتركيتها السكانية ، إضافة إلى وجود الصراع الانجليزي - التركي ، حولها وعليها . حيث كان العثمانيون يحاولون وبشتى الأسباب والوسائل إرضاء الأهالي ، وتحفيظ الضغوط عنهم ، وكان يكفي أن تُرسل عريضة من الأهالي إلى السلطان ، أو إلى والي البصرة ، أو إلى والي بغداد ، حتى يلبّي الطلب ، حتى ولو كان عزل المتصرف .

كل ذلك كان من أجل راحة السكان ، وعدم إعطاء الفرصة للبريطانيين بالتدخل وقلب الأوضاع ، ليس في الأحساء وحدها فحسب ، وإنما في العراق العثماني أيضاً .

لقد كانت حملة مدحت باشا لاحتلال الأحساء جزءاً من سياسة الاصلاح العامة التي اتبعها العثمانيون في بلاد العرب ، وكانوا جادين في تطبيقها ، في المناطق التي استولوا عليها حديثاً في الخليج العربي ، على الأقل^(١) .

كانت هناك حساسية لدى العثمانيين تجاه تزايد النفوذ البريطاني في الخليج ، ولم يغب عن بالهم أنّهم ليسوا وحدهم في هذا المنطقة المتصارع عليهما ، وبالتالي كانوا حريصين على إنتهاج سياسة تفوت على العدو المترقب بهم ما كان يخطط لهم . ولهذا نجت الأحساء والقطيف من سياسة القمع والاستبداد التي إستخدمت بطفيان بشع في المناطق العربية الأخرى .

من هنا كانت سياسة العثمانيين في المنطقة مرضي عنها ، بل كانت في الحقيقة الفترة الذهبية الوحيدة خلال قرنين من الزمان، إبتداء من سيطرة السعوديين الأولى عليها في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، وحتى الوقت الحالي .

أما الكتاب والمؤرخون السعوديون ، فقد تعودوا على تضخيم سلبيات الحكم العثماني ، ليظهروا الحكم الذي خلف الأتراك كمحلاً ومنقذ ، ولاظهروا حجم الانجاز الذي قدمه الحكم الجديد ، أو على الأقل لتخفييف وقع سلبيات حكم السعوديين .

ويمكنا مناقشة وتقدير العهد التركي ، ضمن محورين أساسين ، هما ، المحور السياسي ، والمحور الاقتصادي .

الوضع السياسي

أثناء زيارته للإحساء ، وضع مدحت باشا تشكيلاً إدارياً ، جعل الأحساء بموجبه متصرفية سماها ، سنجد نجد ، يتبع ولاية بغداد ، وقسم السنجد إلى ثلاثة أقضية هي (٢) :

الأول - قضاء الهافور ، وهو مركز السنجد ، ومحل إقامة المتصرف .

الثاني - قضاء القطيف ، ويشمل إضافة إلى القرى المحيطة ، جزر تاروت وجنة والمسلمية والعماير وغيرها . واعتبر قضاء القطيف مركز تمويل الأقضية الثلاثة ، وتتوارد به الادارة المدنية ، ويحكمه قائمقام ، له السلطة العسكرية والمدنية رسمياً ، ويعاونه أحد الرؤساء المحليين « كان الزعيم أحمد مهدي بن نصر الله ، ثم المرحوم منصور بن جمعة يشغل هذا المنصب ».

الثالث - قضاء قطر ، ويحكمه القائمقام قاسم آل ثاني ، يساعده ضابط عثماني يشرف على الحامية العسكرية ، ويمده بالجنود ، وقد أجرى مدحت راتباً سنوياً للقائمقام (٣) .

من جهة أخرى ، عينت السلطة العثمانية - كما يؤكد لورير - عمدة في كل قرية ليكون همزة الوصل بين السكان والسلطة ، وقد أفسح هذا التنظيم للزعامات الحضرية - خاصة الشيعة باعتبارهم أغلب السكان الحضر - بالبروز والنمو ، والتعاطي بالشأن السياسي . في نفس الوقت لم يهمل العثمانيون ، الذين يمثلهم المتصرف ، مشاورة القبائل كالعجمان وأل مرة في شؤون البلاد - كما أكد ذلك زويمر أثناء زيارته للأحساء عام ١٩٠٠ . (٤) .

كما أقام العثمانيون عدة حاميات ومقارز عسكرية للحفاظ على الأمن ولكنهم لم يحاولوا التدخل في شؤون الناس الاجتماعية والاقتصادية .. وكان وجود الحاميات في الأقاليم لمجرد حفظ الأمن (٥) ، حتى أنه لم يكن في العقير

- أهم الموانيء - سوى ضابط واحد مع بضعة أفراد من الشرطة .
ويلاحظ أن عدد الجنود الأتراك كان قليلاً على الدوام ، وإن كان يختلف من سنة لأخرى ، فعقب نهاية حكم مدحت باشا في العراق ، لم يكن في كل قضاء حسب التقارير البريطانية - سوى ثلاثة جندياً «أي أن المجموع ٩٠ جندياً فقط !!» . وفي عام ١٨٨٨ بلغ عدد الجنود ٧٥٠ جندياً .. أما في عام ١٩٠٠ ، أي بعد حوالي عشرين عاماً من الاستيلاء التركي على المنطقة ، فكان عدد الجنود في كامل السنجدق «٩٠٠ جندي فقط» ، ستمائة منهم في الهاوف ، وثلاثمائة في كل من قطر والقطيف ، كما أوضح ذلك زويمر ، بينما كان في الأحساء في ذلك العام (٦) .

وبعد سقوط الأحساء سنة ١٩١٣ لم يكن في كل السنجدق سوى أقل من أربععمائة جندي ، منهم ٩٠ في القطيف .

وابتع العثمانيون في بداية عهدهم سياسة الاعتماد على الولاة المحليين ، فعينوا بزيغ بن محمد العريعر والياً وسحبوا جنودهم ، لكن وكما رأينا ، لم يستطع هذا الوالي الخالدي ، أن يسيطر على الوضع ، حينما تعاون العجمان وأآل مرة مع عبد الرحمن الفيصل في مهاجمة الهاوف سنة ١٢٩١ هـ ، الأمر الذي أدى إلى عزله ، فأعتمد العثمانيون فيما بعد على تعيين ولاة أقوياء من العرب الآخرين ، سواء من العراق أو غيرها ، بالتعاون مع الواجهات المحلية ، والسبب يعود إلى التالي :

أولاً - ان قبيلةبني خالد ضفت كثيراً ، ولم تكن قادرة على النهوض بادارة الأحساء ، ومكافحة غوائل البدو والقبائل الناهبة التي تعنتي على المدن والقرى الاحسائية ، وكان مراد الدولة العثمانية ان تسيطر هذه القبيلة بقواتها العسكرية الذاتية على الحكم ، مع الاشراف الاسمي لها . لكنَّ الخوالد أصحابهم الضعف الشديد ، بل أنهم كانوا ضعفاء منذ أن قوضوا السعوديون سلطانهم في المنطقة وأوقعوا في صفوفهم القتل والتشريد في أوائل القرن التاسع عشر .. وفي نفس الوقت وفدت إلى الأحساء قبائل أقوى وأكثر عدداً وأشد شراسة كالعجمان ، فتضاعلت أهمية الخوالد ، واضمحلت قوتهم ، خاصة وأن الضربات السعودية المتلاحقة التي وجهت إليهم أجبرت العديد منهم على الفرار ، إما إلى جنوب العراق ، أو الكويت أو الاستيطان في المناطق الحضرية .

وفي هذه الفترة - فترة الحكم التركي - كانت الأكثرية من أفرع بنى خالد قد تحضرت واندمجت مع السكان . ولربما يقال - وهو صحيح - أنَّ الدولة العثمانية قد أرادت إعادة القوة لبني خالد ، وهم القوة التقليدية المعادية لل سعوديين ، ولم يكن أمام العثمانيين سواهم ، حيث تجربتهم في الحكم - والتي استمرت مدة قرنين - ، وحيث علاقتهم الوطيدة بالآهالي .. بينما لم تكن الدولة ، ولا الآهالي يؤمنون القبائل العجمانية وغيرها ، المنتشرة في البارية لتسوسيهم

وتثيرهم، وهي قبائل غالب عليها طبع الجفاء ومعاداة الحضور . ثانياً - حينما أراد العثمانيون تسلیم السلطة للقوى المحلية في الأحساء، لم تكن تلك القوى المحلية مهيئة لذلك . عدا القطيف .، فمنطقة الأحساء تعرضت في العهدين السعوديين الأول و الثاني إلى تصفية في قواها المحلية قتلا وإعداماً وتشریداً - بكثیر مما حدث في القطيف .، وقد إعتاد السعوديون طوال مدة حكمهم، وحتى اليوم، على تعین رؤسائے وأمراء وإدارييي من خارج الأحساء، وبهذا فان التهميش المتعمد طوال القرن التاسع عشر، أدى إلى حدوث أمرین خطرين : أحدهما ، عدم بروز قوى محلية تستطيع القيام بادارة الحكم ، وثانیهما : ولد التهميش حالة من العزلة عن مجریات السياسة المحلية ، وهو أمر بلغ من الوضوح حدّا صارخا في الأحساء .

ويكفي شاهدا على ذلك أن الأغلبية السكانية الشيعية ، تولدت لديها حالة من الأبتعد السلبي في مجال تعاطي أمور الحكم والسياسة المحلية ، ولم يكن يوم قدم الأتراك للاحساء ، قوى فاعلة من الشخصيات يمكن الاعتماد عليها، أو لديها مجرد الرغبة والطموح السياسي .. كما لا يبدو أن جو الانفتاح الذي خلقه الحكم التركي ، أثر على الواجهات الشيعية التقليدية ، وإن كان من الصحيح أنه في أواخر الحكم التركي ، بدأت القوى المحلية الاحسانية بالانتعاش ، ولكن هذا الانتعاش ما لبث أن أخذ بمجرد أن سيطر الملك عبد العزيز على الحكم .

لا شك أن شيعة الأحساء لم يستقروا كثيراً من الفرص التي أتيحت لديهم في فترة الحكم التركي بالشكل المطلوب ، في بناء قواهم الذاتية ، والتغلب على مشاكل التهميش السابقة وإبراز واجهاتهم السياسية والاجتماعية .. ورغم أنه حدث أن ظهرت واجهات في العلم والأدب والفقہ وسائر العلوم ، وتطورت الحركة الدينية والثقافية تطوراً ملحوظاً ، إلا أنها لم تتعذر ذلك كثيراً إلى الخوض في المجالات السياسية والإدارية .

وفي الوقت نفسه يلحظ الباحثون والدارسون للعهد التركي في المنطقة ، أن النجذيبين المقيمين في الأحساء ، والذين لم يكن عددهم يصل بأي حال من الأحوال إلى ٥٪ من مجموع السكان ، كان صوتهم السياسي أعلى بكثير من السكان الأصليين ، ونجد أن النجذيبين إنخرطوا في الشأن السياسي المحلي ، ثم تطور بهم الأمر إلى الدخول في تحالفات وعلاقات مع الانجليز . عن طريق المعتمد السياسي البريطاني في البحرين .، كما وثقوا علاقاتهم بالملك عبد العزيز الذي كان قد استولى للتو على الرياض .

لقد كانت هذه الفتنة طموحة جداً من جانب ، وكان إسمها قد ارتفع ومركزها قد تقوى في عهد الاحتلال السعودي الاول والثاني للاحساء .. والغريب أن السعوديين كانوا يدفعون أتباعهم بقوة لتسلق مناصب الحكم .. والتاريخ السعودي مليء بالشواهد ، حيث ترى أن أميراً لقرية نجدية لا يزيد سكانها

عن الألف نسمة يصبح حاكما على كل الأحساء ونواحيها .
غير أن فئة النجذبيين هذه لم تكن مرغوبة لدى الأتراك ، أولا ، لارتباطاتها مع الانجليز ومع آل سعود على حد سواء . وثانيا ، لأن اطروحتها الفكرية والمذهبية كانت تصطدم وبشدة مع الأهالي ومع الحكم التركي نفسه .

ثالثا - بقيت فئة أخرى في مجتمع الأحساء ، وهي الفئة السنوية الثانية التي تتبع المذهب الحنفي أو الشافعي أو المالكي ، وهذه الفئة إنتعشت بقوة نظرا لقربها المذهبية من مذهب الدولة العثمانية ، ولأن الأتراك أنفسهم كانوا يدفعون هذه الفئة بقوة للبروز ، فكانت تُستشار وتُقدر وتحترم في رأيها ، إلا أن قوتها لم تصل إلى حد توليتها شؤون الامارة .. وإن كانت تابعة للحاكم في حقيقة الأمر .

وبصريح العبارة ، فإن الأغلبية الشيعية لم تُعزل من قبل الأتراك عن الحكم وممارسة دور المسؤول في مناطقها ، بقدر ما أن الشيعة أنفسهم لم يكونوا بمستوى المواجهة والاقتدار وفرض الذات .. وكان ابتعادهم عن السياسة وسلبيتهم العامة تجاه الحكومات غير الشرعية من أخطر ما مرّ عليهم من ويلات وآلام ، في الوقت الحاضر ، كما في الماضي . لأن ذلك قد أدى إلى وقوع الحكم في أيدي غير نظيفة سامتهم العسف والحرمان .

رابعا - أما القطيف ، فهي تختلف إلى حد كبير عن الأحساء ، ورغم أن كل سكان القطيف من الشيعة ، وهو أمر يجعل من تركيبتها السكانية شبه مقارب لما هو موجود في الأحساء .. إلا أن الاختلاف واضح بين المنقطتين .

فشيوع القطيف ، إستجابوا - بقدر لا بأس به - للتحدي والحفاظ على هويتهم ، في مواجهة التحدي السعودي في عهده الأول والثاني ، وكان واقعهم واقع ثورات وانتفاضات ، ومارسوا التحالفات مع القوى المحلية فترة من الزمن ، وكانت المنطقة تولد بين الحين والآخر الزعامات الدينية والسياسية التي استجابت للتحدي وخوض المعارك من أجل انتزاع حقوقها .

وفي الوقت الذي رأينا فيه الفعاليات الاحسائية من العلماء الكبار والشعراء والمتقدمين ، وأساتذة الحوزات العلمية ، وهم كثرة كثيرة ، يغادرون بلادهم بفعل الاضطهاد السياسي والمذهبية السعودي ، فاصبحت البلاد مفرغة من القوى الفاعلة .. لم يحدث في منطقة القطيف مثل ذلك ، وإن حدث أمر مشابه له ، لكن الأخيرة سرعان ما أنتجت آخرين . وحتى أولئك الذين شردوا ، مارسوا العمل السياسي والإعلامي وحتى العسكري من مواقعهم ، سواء في العراق العثماني ، أو في البحرين المستمرة الانجليزية .

وحين دخل الأتراك القطيف ، كان معهم الزعيم الكبير احمد بن نصر الله ، وكانت هناك زعامات سياسية في كل مدينة وقرية تقريبا ، فتعامل العثمانيون معها على أساس الأمر الواقع ، وهكذا أصبح نصر الله زعيمًا لواحة القطيف ،

ولما توفي خلفه الحاج منصور بن جمعة، ثم أخوه عبد الحسين بن جمعة، وكانت لهؤلاء صلاحيات الرؤساء والمتصرفين، وكانت السلطات العثمانية تقدر موقعهم .. ولا تصدر أمرا إلا بالرجوع إليهم، وكان هؤلاء الزعماء يتشارون مع الشخصيات الدينية . وهي كثيرة . وكذلك مع عمد القرى والأرياف .

وباختصار كانت سلطة العثمانيين في واحة القطيف ضئيلة جدا، وكانوا أنفسهم راغبين في ذلك، بل أنهم فكروا في تعيين الباشا منصور بن جمعة ليكون والياً على الواحتين . وأكثر من ذلك، ونظراً لنقل القطيف السياسي، أراد الانجليز من منصور أن يتمدد على الادارة العثمانية ليخلق له دولة أو إمارة في مقاطعة القطيف والأحساء معا، ولكنه رفض العرض .

تبقى مسألة، أن ما تعرّض له الاحسائيون من إضطهاد على يد السعوديين وأتباعهم، كان أكبر مما وقع على أهالي القطيف، وهذا ما يعطيهم بعض العذر .. ولقد كانت الأحساء ذات نقل سكاني أكبر، واهتم الوهابيون بتغيير واقعها السكاني، والاقتصادي لصالح القائمين من نجد، ولأنها كانت تمثل التحدى المذهبي الأكبر بالنسبة للوهابيين، فقد جرى على الاحسائيين ما لم يجر على غيرهم من طغيان .

خامساً - وأخيراً، فإن الدولة العثمانية التي كانت سلطتها في منطقة شرق الجزيرة العربية متمركزة في واحة الأحساء، والتي كانت مستهدفة من قبائل الbadia، ولما لم تجد من تعهد إليه بإدارتها، قامت بتعيين المتصرفين بنفسها، وكان المتصرفون في غالبيتهم من عرب العراق، وكانوا على علاقة جيدة مع الأهالي قبل أن يمتد النفوذ السعودي للمنطقة .. بل وكان من بين المتصرفين الشعراً والأدباء، وكانت لهم مساجلات شعرية مع أدباء الأحساء، على نحو ما عنده آل عبد القادر في كتابه (٢) .

وتؤسساً على ذلك، فإن الاعتماد العثماني على القوى المحلية، وإسناد العديد من الصلاحيات الادارية لعمد القرى والأرياف، وفر على العثمانيين الكثير من الجهد، وأطّال مدة حكمهم، ولم يكونوا بحاجة إلى قوات كبيرة للسيطرة على مقاليد الأمور بالقوة والعنف، فبادروا إلى سحب قواتهم ، ورافق تلك الفترة أن تحل حكم السعوديين في نجد بسيطرة ابن رشيد الموالي للأترارك، فأصبحت القبائل بين فكي كماشة ، ورضخت، حيث انتهى التحريرين السعودي لها .. ولكن بعد أن يسيطر آل سعود على الرياض ، تتضاعد وتيرة الاضطرابات في الأحساء، ويحاول الأترارك تدعيم قواتهم وحفظ هيبتهم، إلا أن الانجليز كانوا لهم بالمرصاد، فعملوا على منع وصول الإمدادات .

من هنا يجب الالتفات إلى المبالغات التي يطلقها بعض المؤرخين المعارضين ، والذين يقولون بأن حكم الأترارك كان قائماً على القوة العسكرية ، وعلى إضطهاد القوى المحلية .. في حين لم يكن من الجنود يوم سقوط الأحساء

سوى أقل من ٤٠٠ جندي .. ولا توجد شواهد تدعم هذه الادعاءات ، إذ حتى القبائل البدوية كانت تأخذ مرتباتها من متصرفية الأحساء ، لأن البديل عن ذلك هو زيادة القوة العسكرية ، وهو أمر ما كانت الحكومة العثمانية تريده .

إن من أسباب قبول الأهالي للحكم التركي هو تسامحه في سياساته المحلية .. وليس لدى المعارضين من أدلة تؤكد مزاعم «الاستبداد السياسي التركي» ، وليس صحيحاً «أن الاستراتيجية العثمانية كانت تعتمد على القوة العسكرية» وأن «بقاء استراتيجية مرهون ببقاء قوة عسكرية قوية لها .. لا عن طريق بناء القوة الاجتماعية المحلية» (٨) .

ثم يقدم لنا هؤلاء المعارضون دروساً في مضار ومساوئ الاستبداد : « إن طبيعة الحكم الاستبدادي تكون دائماً من أهم العوامل التي تجلب نقمة الأهالي ضد الحكم ، وهذا ما حدث في منطقة الأحساء ، عندما عممت المنطقة موجة من السخط ضد الاستراتيجية العثمانية ، وصارت أدنى أو أقل حدثاً تحدث في المنطقة ، تثير غضب السكان ضد العثمانيين ، وأصبحت لدى الناس حساسية شديدة من أسلوب الحكم العثماني » ، كما يقول كاتب سعودي (٩) ! .

وقد تنبأ المؤرخ القدير ، الدكتور جمال زكريا قاسم ، إلى المبالغات التي تطلقها المصادر السعودية والبريطانية المعارضة على الحكم التركي في الأحساء ، فقال في تقييمه للوضع السياسي والأداري : « لا يريد تجسيم الاستبداد - العثماني - كما تصوره المصادر البريطانية أو السعودية ... وإن من الانصاف أن نذكر أن الدولة العثمانية حاولت في مرات كثيرة معالجة إدارتها في الأحساء ، إلا أنها لم توفق في بغيتها ، وينبغي أن نتيح للدولة العثمانية شيئاً من العذر ، فان انشغالها في حروبها ، وخصوصاً ضد روسيا عام ١٨٧٧ ، عاقها ولا شك عن تشديد قبضتها أو إصلاح إدارتها » . وأشار إلى أن ضعف الحاميات العثمانية ترك فرصاً كثيرة للقبائل للتمرد (١٠) .

لم يكن الأتراك مع استخدام القوة ، وإن جاؤوا بألاف الجنود ، بل أن مشكلة إدارتهم أنهم لم يستخدموا القوة ، خاصة في المراحل الأخيرة من حكمهم ، حينما كانت القبائل تعتمد وتنبه .. ومن ناحية أخرى لم يكن الأتراك ي يريدون تكرار تجربة السعوديين السياسية والاقتصادية والمذهبية ، والا كانوا سيخسرون الأحساء ، المنطقة الوحيدة التي بين أيديهم .. وهذا ما حتم عليهم قدر جهدهم معاملة السكان معاملة كريمة ، بمقاييس ذلك الزمان .

ويعود المؤلف السعودي نفسه ، فيعترف بأن الدولة العثمانية رأت أن تحدد مصروفاتها فأوكلت حماية أتباعها إلى قوى محلية ، دون أن تلجأ إلى جيشها المنظم ، ويضيف بأن « هذه السياسة الجديدة ، جرت الدولة العثمانية إلى سياسة محلية أخرى ، وهي تعيين زعماء المنطقة المحليين حكامًا عليها ، بدلاً من العثمانيين ، فعينت بزيغ بن عريعر ، ثم من بعده إبنه مزيداً ، وكانت الدولة ترى

من هذا الاجراء أنها ستجنى مجموعة فوائد منها : إقناع الأهالي بأن حكامهم منهم ، وكذلك فإن الدولة تكون قد أرضت الزعماء المحليين المتنفذين في المنطقة ، وتكون أيضا قد ضمنت ولاءهم وسيطرتهم على القبائل البدوية في المنطقة » (١١).

الليست هذه السياسة حكيمة ترضي جميع الأطراف ، الحكومة العثمانية والزعماء المحليين والأهالي ،؟!

اليس ذلك إعترافاً بأن القوى الاجتماعية المحلية أتيحت لها الفرصة في ممارسة الحكم ونالت حظها منه، خلافاً للمزاعم القائلة بأن الآتراك لم يكونوا يعتمدون على القوى الاجتماعية المحلية؟!

ورغم حسن هذه السياسة، إلا أن الكاتب عاد من جديد وقال عنها «إلا أن هذا الأسلوب، كان يمكن أن يكون أكثر فائدة ونفعاً لو كان في وقت غير هذا» !!!

لماذا .. الأسلوب جميل ولكن في غير هذا الوقت؟! .

لقد مارس الأتراك هذه السياسة منذ عام ١٨٧٣ على الأقل، أي بعد عامين من إستيلائهم على الأحساء، وهي سياسة معتدلة، وأقرب إلى روح التسامح والانسانية.

نعم .. ربما كان الكاتب يشير الى أنَّ هذه السياسة «عدم استخدام الجندي والقوة»، لم تكن صالحة بين عامي ١٩٠٢ - ١٩١٣، إذ أنَّ السعوديين استفادوا من ضعف القوات في هذِهِ هيبة الدولة بدفع القبائل البدوية لمحارمة الأحساء والقطيف وقراهما، وكان ينبغي زيادة الجندي، ومواجهة تحركات البدو المدعومين بالسلاح الانجليزي الذي كان يوفره المعتمد السياسي البريطاني في البحرين .. وإذا كان هذا هو ما يقصده المؤلف، فهو محق !.

من هنا يمكننا التأكّي على أنّ السياسة المحليّة في عهد الأتراك كانت تجري على يد الزعماء المحليين في الغالب، وكان لدى الأتراك الاستعداد للقبول بالولاية الاسميّة .. لا عن ضعف، فالإحساء لم تكن بمثيل العراق، ولا اليمن، حيث أخذ فيهما الاستبداد مأخذة .. ولم تكن الإحساء لتعجز الأتراك لو أرادوا استخدام القوة .

ووصل الاستعداد التركي ، لأن يقبلوا عزل واليهم أو متصرّفهم بمجرد أن يشكوه السكان ، كما حدث عام ١٣٢٢ هـ حينما عزل طالب باشا النقيب ، وبمجرد أن يصطدم المتصرّف بالسكان المحليين وبالواجهات المحلية فانهم يعزلونه .. وما أن يقرروا أمراً ويرفضه الأهالي ، إلا وبارروا بالتراجع عنه بأمر من السلطان العثماني نفسه ، الذي كان متأثراً من أن الولاة متعدون على الغطسة ، وهو أمر ما كان يريد للإحساس .

وتدلنا الحرية المتاحة للسكان، كثرة الشكاوى المقدمة لوالى البصرة، أو

للسلطان مباشرةً، بل وحتى إغلاق المتاجر - كإضراب - وهو أمر لم تقبله الحكومة العثمانية في آية منطقة عربية أخرى، ولم ترخص له - على حد علمنا - كما فعلت مع «سنجر نجد المدلل !!».

ويصور المعارضون للحكم التركي، هجوم القبائل البدوية على القرى والمدن الأحسائية بشكل خاص، كثورات مسلحة ضد الحكم التركي، وهي في حقيقة الأمر لا تعود كونها هجمات للنهب بعدم ابن سعود نفسه الذي أقام تحالفًا معها .. وما وجد المعارضون للأتراك شيئاً يعبر عن إمتعاض الأهالي من حكم الأتراك ، سوى اعتبار هجمات البدو أعمالاً «ثورية»، تعبّر عن رأي الأهالي الحاضر ، رغم أن الآخرين هم المكتوون بنارها !، ورغم أن هذهحوادث تمت بعد أكثر من ثلاثين سنة من الحكم العثماني ، ومع ذلك نرى صورة توضيح الموقف السياسي لقبائل البدو في الأحساء.

كانت القبائل البدوية التي تعيش بالقرب من الأحساء والقطيف ، أو تلك البعيدة نسبياً عنها ، هي قبائل العجمان والمناصير وأل مرأة والهواجر وغيرهم .. ومعلوم أن البدو لا يريدون الخضوع للسلطة المدنية المنظمة التي تحدّ من غزوهم ونهبهم ، وهو أمر جربه السعوديون طوال عهدهم الماضي والحاضر .

كانت سياسة الدولة العثمانية تجاه قبائل الأحساء تتركز على وسائل ثلاث :

الأولى - دعمبني خالد ، الذين كانوا يوماً ما سادة الصحراء ، وحكام الأحساء ، إلا أن شأنهم ضعف وتراخي في الوقت الذي صنعت فيه نجم العجمان ، الذين علا شأنهم منذ أواخر الدولة السعودية الثانية ، أثناء صراع سعود وعبد الله أبناء فيصل بن تركي ، كما رأينا ذلك في صفحات سابقة .

الثانية - البقاء على حامية صغيرة العدد ومجهزة لحماية الأهالي من إعتداء البدو ، وكانت هذه القوة رادعة في بداية الأمر - إلى جانب إعطاء المال - حينما تضعضعت وتلاشت قوة السعوديين في نجد ، واضطروا إلى اختيار حياة المنفى في الكويت ، وتسلّم ابن رشيد كامل القوة في نجد . فلم يكن هناك يومها لدى القبائل من خيار سوى الرضوخ ، أما بعد أن سيطر الملك عبد العزيز على الرياض عام ١٩٠٢ ، فقد بدأ يظهر جموح هذه القبائل من جديد ، وراح الملك يعطيها المال والسلاح ويحرضها على زعزعة الأمن .. وحتى مبارك الصباح ، حاكم الكويت ، وصديق العجمان ، كان هذا دأبه ، وبالتالي لم تكن الحامية - قليلة العدد - كافية لدرء المخاطر .

الثالثة - إعطاء القبائل مخصصات مالية تعوضهم عن النهب ، وقد استمر الأتراك في الدفع حتى سقوط الأحساء بيد الملك عبد العزيز ، وذلك ل剋ف شر القبائل ، وللحافظة على طريق البر الموصل بين العراق إلى نجد والأحساء .. إلا أن ظهور ابن سعود أربك هذه السياسة ، وأضطررت الدولة إلى استخدام القوة دون إلغاء الاعنات - إلا أن ذلك لم يكن يجدي كثيراً .

كان أكبر خطأ للأترارك ، هو أنهم لم يدعموا وجودهم السياسي في الأحساء بقوة عسكرية معقولة ، تحفظ الأمن وتردع المعتدي ، وتعيد الهيبة التي بدأت بالاضمحلال ، كلما زادت القبائل في خرق القانون والهجوم على القرى نهبا وحرقا وتخربيا .. كان بإمكان العثمانيين قطع الطريق على العدو من إستغلال القبائل إما بدفع المال أكثر ! ، أو باستخدام القوة ، ولوسوء الحظ فان الأترارك أنفسهم - وفي أواخر حكمهم - إمتنعوا عن زيادة الاعانات المالية ، ولم تكن القوة البديلة موجودة ، وكان المحرّضون جاهزين ، وكان السلاح متوفرا «بركات» الانجليز في البحرين .. فهو جمت القرى وأحرق بعضها ، وعادت الدولة فاتفاقت معه زعماء القبائل من جديد على الراتب ، ولكن من موقف الضعف ! .

وازدادت هجمات البدو القبلية على السكان الحضر ، وأواخر العهد التركي ، وكان الأترارك في الأحساء متبعين لمصدر الإزعاج هذا .. يدلّك على ذلك وثائقهم .. فقد كانوا يعلمون أن ابن سعود وراء التحريض ، وكذلك الانجليز وحليفهم مبارك الصباح .. ولكن لم تكن الدولة العثمانية - وهي تلفظ آخر أنفاسها - قادرة على ممارسة سياسة حازمة وفعالة . وسنعود لمناقشة هذه المسألة في صفحات لاحقة .

لكن ما يجب قوله هنا ، والتأكيد عليه ، هو أن هجمات البدو كانت راجعة إلى العادات القبلية المكتسبة ، ولا يمكن اعتبارها معارضة سياسية .. وإنّ أمكن اعتبار هجمات البدو في عهد تركي بن عبد الله وعهد فيصل بن تركي ، أعمالاً ثورية ضد الحكم السعودي ، وهذا غير صحيح .

إصطدمت القبائل الاحسائية بالأهالي فنهبتهم وقتلتهم ، وقليلًا ما اصطدمت مع الحامية التركية .. ومع ذلك صور الكتاب المعارضون هذه الأفعال بأنها ثورات كبرى ، واعتبروا تتمرّر الحضر من ضعف مواجهة الأترارك للبدو وغاراتهم ، تذمراً من أجل «الحكم العربي السعودي» ! .

وهكذا جمع أحدهم هذه الثورات القبلية «العظمى» ، مع تذمر الأهالي من ضعف الأترارك ، وعدم توفير الأخيرين الحماية الالزمة ، وضرب البدو بيد من حديد .. ليقدم لنا خليطاً غريباً ، فيقول : «إنَّ حالة تذمر أهالي الأحساء وسخطهم على الحكم العثماني ، كان يقابلها تمرُّد بدوي قبلى على السلطة العثمانية هناك . فتظافرت القوتان ، فكانتا من أهم العوامل التي أضفت قواعد الاستراتيجية العثمانية في الأحساء» (١٢) .

المحور الاقتصادي

لم يكن هدف العثمانيين من استيلائهم على إقليم الأحساء.. الافادة الاقتصادية من الإقليم.. رغم ما به من خيرات زراعية واقتصادية وتجارية.. وطوال عهدهم الذي استمر نحو ٤٢ عاماً «١٨٧١ - ١٩١٣» كانت جبائية الزكوات وغيرها لا تكاد تقى بالنفقات التي يصرفونها على الحاميات.. هذا ما يؤكده معظم الباحثين لتاريخ هذه المنطقة.. وإذا ما لاحظنا أن حجم القوات الموجودة في الحاميات كان ضئيلاً، فإن النفقات ستكون ضئيلة أيضاً، وبالتالي فإن ما سيُؤخذ من الأهالي سيكون قليلاً بصورة تلقائية.

إنّ العثمانيون خطوات حاسمة لصلاح الوضع الاقتصادي في سنجق الأحساء:

□ فبادروا بسنّ نظام ضرائيّي جديد يعتمد على قوانين الشريعة، وأبطلوا الضرائب الزائدة المرهقة للسكان، والتي إستُنت في العهد السعودي.

□ وأعيدت الأراضي المغتصبة من قبل الوهابيين إلى أصحابها^(١٣)، إلا إذا كانت مجهولة المالك، أو فرّ مالكها خوفاً على نفسه ولم يعهد بها إلى أحد.. وهذه الأرضي كثيرة جداً خاصة في قرى ومدن الأحساء، بعضها إستولى عليه في فترة قريبة أثناء الحرب الأهلية، وكانت كإقطاعات من سعود الفيصل إلى أتباعه من العجمان وأل مرة.. وبعضها صادره السعوديون بالقوة أثناء حكمهم واستحوذوا عليه لأنفسهم، لهذا كانت إحدى وسائل الضغط التركية على سعود الفيصل، هي مصادره أملاك عائلته في الأحساء^(١٤)، بل أن عبد الله الفيصل طلب من الخديوي إسماعيل أن يتوسط له لدى الأتراك لإجراء معاش له من الأحساء^(١٥).

□ وهُيئت أسباب الأمان بعد سنوات طويلة من الحرب التي أتت على الأخضر واليابس.

ولئن أكد الباحثون على أن الأحساء لم تكن في عهد الأتراك تقدم دخلاً للدولة العثمانية، لأسباب ترجع إلى سياستها التي اعتمدتتها في «إرضاء الأهالي»^(١٦). فانها حاولت إستثمار بعض الأرضي لصالحها، حيث ينقل لوريمر الذي زار الأحساء في مطلع القرن العشرين في معرض حديثه عن «الدائرة السنوية» أنها: «تلعب دوراً هاماً في إقتصاديات العراق التركي، ومنذ ظهورها في الأحساء قبل حوالي عشرين سنة، كانت تملك في واحدة الأحساء زراعات في قرية باب الجفر، وكانت تغلق ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ نخلة من

التمور، وإنما ينبع السُّنُوِي من التمور في القطيف يبلغ حوالي ١٦ ألف قلَّة من التمر . ويبلغ قيمة الانتاج السنوي من تمورها في كلا الواحتين - القطيف والأحساء - حوالي ٣٠٠٠ جنيه إسترليني ، وفي قرى الجبيل ، وجلجلة ، والحليلة ، والمنيزلة ، والمطيرفي ، والمزاوي ، والشقيق ، في واحة الأحساء ، توجد أراضي أرز مملوكة للدائرة السنوية ، تغُلُّ ١٠٠٠ موسمية «الموسمية تعادل ١١ كغم» من الأرض سنويًا . وتملك الدائرة أيضًا حوالي ٢٥ منزلًا في مدينة القطيف ، كانت مملوكة في السابق للشيخ ابن غانم من شيوخ البحارنة^(١٧) . كما يوجد بالأحساء مدير أملاك الدائرة السنوية ، ولكن بصورة غير دائمة ، وكذلك رئيس الجندرمة في الهفوف ، وواحة القطيف لا تزال منحصرة في حاجي منصور باشا ابن جمعة^(١٨) .

وبسيطرة ابن سعود على الأحساء ، استولى على أملاك الدائرة السنوية ، وزع أهمها على أبناء أسرته ورجاله الذين ساعدوه في احتلالها ، وعهد بالنزر البسير إلى إدارة مالية منطقة الأحساء للاعتناء بها كأرض وأملاك حكومية^(١٩) .

الصراييف

لما وصل مدحت باشا إلى الأحساء بعد شهرٍ من نجاح حملته التي أعدّها ، وزع منشوراً على الأهالي حوى إعلاناً موقعاً من جانبِه ، جاء فيه :

«.... قد أسلقنا الرسومات التي تؤخذ من الأهالي باسم الجهاد ، وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة ، والزيادة في الخرص المخالف للحاكم الشرعي ، ومراد الدولة العلية ترقية أحوال التبعية وزيادة ثروتهم ، وأمرنا بالغائزها وعدم أخذها ، ونبهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي . والذي يتبيّن منه أنه إرتكب ذلك فقد أودعناه بالجازة الشديدة ، ولاعلام كافة الأهالي وتبشيرهم ، حررنا هذا الاعلام نسخاً متعددة ، وأمرنا بتوزيعها على المدن والقرى ، ليكون معلوم الجميع ، ليبتلهوا بالدعوات الخيرية ، ببقاء أيام الدولة العلية ، ويستغلوا بتعمير أملاكهم ، وتوسيع دائرة محاصيلهم وتجارتهم ، وأن يكونوا أمنين مطمئنين ، ليكون معلوم الجميع ، في جمادى الآخرة ، سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف»^(٢٠) .

من الواضح من خلال البيان المنكر أعلاه ، وأيضاً من خلال إعلان مدحت باشا الذي وزعه نافذ باشا على أهالي القطيف ، والذي إستعرضنا فصوله في صفحات سابقة ، أن الدولة العثمانية لم تكن لها النية بالافادة من منطقة

الأحساء إقتصادياً، وكان الجانب الاقتصادي أحد سببين كانا مثار نقصة الأهالي ضد الحكم السعودي .. أما السبب الآخر، فهو القمع والتمييز الطائفيين المطبقين بحق الشيعة، ولا زال هذان السببان مدار إحتكاك مع الحكم السعودي الحالي منذ أن إحتل الأحساء عام ١٩١٣ .

ومدحت باشا - مُعد البيانات - يدرك حجم المعاناة، لهذا سارع وأسقط كل الرسوم والضرائب غير الشرعية .. وما قاله منشور مدحت، هو في الواقع إدانة صارخة لممارسات الحكم السابق، وحين يُبطل العثمانيون أمراً كان جارياً، فإنه يقصد بذلك فترة الحكم السعودي.

والعلوم أن إحدى حجج الأهالي والعلمانيين في عدم تسليم الأحساء لعبد الله الفيصل، هو الارهاق الاقتصادي الذي يشكو منه الناس، بل أن عرائض وجهاء الأحساء والقطيف، والتي قدمت لمدحت باشا، والمطالبة بعدم تسليم البلاد للسعوديين، كانت تستند إلى هذا الأمر بالتحديد . وقد إعترف الحاكم السعودي «عبد الله الفيصل» بزيادة الضرائب، حين فسر توقيع الأهالي لعريضة إقصائه، بأن «السلطان إعتقد أن الموقعين يطالبون بالحكم التركي المباشر، بينما إعتقد موقعي العريضة أنهم كانوا بذلك يطالبون الحماية من الضرائب - السعودية بالطبع - على دخلهم وممتلكاتهم»^(٢١).

أما الضرائب التي أسقطها مدحت فهي كثيرة، خذ مثلاً ضريبة «الجهاد» والتي أشار إليها الإعلان، وهي ضريبة يتبعها السعوديون، وطبقت على الشيعة وحدهم، وقد إستثنى الضريبة هذه، في عهد الدولة السعودية الأولى، وصدرت فيما بعد إلى البحرين أثناء إحتلال السعوديين القصير لها، ولكن آل خليفة لم يلغوها، وكانت مطبقة حتى الثلاثينيات الميلادية من القرن الحالي، وعلى الشيعة وحدهم وهم الذين يشكلون الغالبية العظمى من سكان الجزيرة .. وتسمى الضريبة أحياناً بـ«الروسيّة» نسبة إلى الرئيس، حيث كانت مفروضة على كل شخص صغيراً كان أم كبيراً، رجلاً أو إمراة .. وفي البحرين كانت تسمى «رقبيّة».

ولما جاء الحكم العثماني الغى هذه الضريبة في الأحساء، ثم عادت بعودة حكم السعوديين فيما بعد واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية . إن ضريبة الجهاد هذه، تشبه إلى حد بعيد «الجزية» في الإسلام ، التي تؤخذ من الكفار نظير حمايتهم .. بل أن عدداً من الكتاب السعوديين كان يسميها الجزية، على اعتبار أنها تطبق بحق «الشيعة» الذين يعتبرون كفاراً بنظر أتباع المذهب الوهابي وأساطينه .

وبالنسبة للسعوديين، فقد كانت الضريبة إحدى الوسائل الفعالة في إيتزاز الأهالي، وكانت تؤخذ أكثر من مرة في العام، قد تصل إلى خمس مرات، ولهذا عُرف في عهد آل سعود الأخير «الجهاد المطبوق»، و «الجهاد

المريوع».. وكانت هذه الضريبة الغريبة تموّل خزانة الحكم السعودي، وبالتالي كان لها دور أساسي في تمويل المعارك السعودية.

لقد وجد السعوديون أنّ من غير الممكن لهم الاعتماد على الشيعة في القتال معهم، إذ كيف يقاتل الكافر - بزعمهم - إلى جانب المسلمين؟، وطالما إستغفروا عن خدمات الشيعة في هذا المجال، فلا بدّ إذن من إرهاقهم بالبديل من المال .. والضريبة هذه لم تحدّ قيمتها ومقدارها، بل أن ذلك متوكّل للحاكم السعودي نفسه، وكانت في كل الأحيان باهظة، وأكثر من ذلك أن ضريبة الجهاد لم تلغّ أخذ الزكاة من الشيعة، بإعتبارهم مسلمين !.. بمعنى أنّهم كانوا يدفعون الجزية كالكافر، والزكاة كالمسلمين، إضافة إلى الضرائب الأخرى.. ويعرف السعوديون في معظم مراجعهم بضريبة الجهاد وإجهاد السكان في إقليم الأحساء والقطيف بها، تحت أسماء ومبررات مختلفة.. قال أحدهم : «أخذت الحكومات المحلية - السعودية - ضرائب سنوية من الشيعة في الأحساء لعدم دخولهم في الخدمة العسكرية، حيث ألغوا من الجندي الإجبارية مقابل دفع ضريبة مالية سنوية، يمكن القول عنها أنها ضريبة البديل عن الخدمة العسكرية» وهناك «ضرائب إضافية تؤخذ من - بعض - السكان الحضريّة (الشيعة)، وكانت تأتي لهم بالمتاعب الاقتصادية، التي تؤثّر بدورها على أوضاعهم الاجتماعية» (٢٤).

من جهة أخرى، نلاحظ أن منشور مدحت باشا - أو إعلانه - سارع ولغي ضريبة الجهاد، واعتبرها من الضرائب غير الشرعية، كما سارع ولغي رسوم ورشوات جامعي الزكاة .. لأنّ هؤلاء في العهد السعودي كانوا لا يستلمون رواتبهم من الزكاة نفسها، وإنما من الأهالي المجبورين على دفعها .. وأنّ الأهالي - وهو في غالبيتهم من المزارعين في حقول وبساتين النخيل - فأنّ السعوديين اعتادوا تقدير الزكاة قبل أن يحين وقت جنى الثمار، مما جعل التقديرات «الخرص» تعتمد على شهوات «الخراسين» التابعين للحكومة، وكان هؤلاء، وبسبب الأحقاد الطائفية العميماء، قد فتحوا أبواباً واسعة من الظلم، وراحوا يقدرون الثمار قبل نضوجها بأكثر من حجمها، وبالتالي فان الزكاة تكون أكبر، ولم يكن أمام الأهالي إلا التسلّم، أو ارضاء «الخراسين» ورشوته !.. وفي كلا الحالتين يقع الظلم .. ولذلك بادر مدحت إلى إلغاء الزيادة في الخرص، وحلّف المسؤولين على جمع الزكاة بالالتزام، وإلا فإن العقاب شديد .. وهذه الأمور مجتمعة كانت تنقل كاهل الأهالي .. وتثير لديهم الأذى والحنق على الحاكمين وأعوانهم.

الغريب أن المقربين من الحكم السعودي من زعماء الوهابيين في الأحساء، تألموا من الخرص بعد أن أصابهم منه النزر القليل، فراحوا يشكّون، يقول الشاعر الشيخ أحمد بن مشرف شاكيا لدى فيصل بن تركي ما أصابه :

إليك شدث العيس أشكو ظلامتي
فقد رام خسفي حاسد وظاوم
وجار على العاملون بخرصهم
وظلم الورى يوم الحساب وخيم !

لقد حدد الأتراك ما سيأخذونه من رعاياهم في القطيف والأحساء بالزكاة والأعشار الشرعية، وأسقطوا كافة الضرائب غير الشرعية التي سنها السعوديون خلال حكمهم الماضي .. وقد قوبل هذا الأمر بالارتياح، ليس لأن ذلك كان وعداً وهماً، وإنما كان حقيقة ملموسة، إلا أنه في أواخر عهدهم - ونظراً للأزمات المتلاحقة - التي كان الجنود يعانون منها، وباجتهاد شخصي من بعض المسؤولين، أرادوا زيادة بعض الضرائب، وصادف أن بعض المتصرفين كانوا فاسدين، وبعضهم كان متواطئاً مع ابن سعود، وكانت قبضة الدولة قد تراخت، ففرضوا ضريبة على التمر لتفطية نفقات الحامية، فرفض الآهالي ذلك، وسرعان ما استجابت الدولة إلى مطالبهم.

والسؤال كم هو مقدار الضرائب العثمانية، وكم كانت المصروفات؟ .

يشير المستشرق السوفيaticي، إيلكسي فاسيلييف، إلى أن «عائدات الأقاليم في عهد الادارة العثمانية تعادل ٣٧ ألف ليرة - عثمانية - سنوياً. بينما بلغت نفقات الحامية والإدارة ٥٢ ألفاً .. ويمكن زيادة عائدات الأحساء، وهذا ما عزم عليه عبد العزيز السعود .. حيث فرض ضريبة بنسبة ٨٪ على كل الواردات التي تصل إلى الأقاليم الشرقي من جهة البحر» (٢٣).

ويبدو أن هذا التقدير كان أواخر القرن التاسع عشر ، أما في بدايات القرن العشرين ، فيقدر لوريمر واردات الأقاليم بستين ألف ليرة عثمانية ، ينفق على الجنود والموظفين ٤٥ ألفاً منها .. وعاد لوريمر فاكمد بأنه حدث في إحدى السنوات «١٩٠٧» أن إنقطع حبل الأمن ، فتدهرت تجارة التمور وانخفضت أسعاره من ٧ دولارات للمن الواحد (٢٤) ، إلى أربعة دولارات ، وتبع ذلك انخفاض في الضرائب إلى أقل من ٤٥ ألف جنيه ، أي أقل من المصاروفات (٢٥).

وتشير مذكرات مدحت باشا (٢٦) ، إلى أن إيرادات منطقة الأحساء والقطيف كانت تكفي مرتبات الموظفين والعساكر والضباط ، ويبيّن منها جانب لخزينة الحكومة . ولكن الذين خلفوا مدحت أعادوا الجنود إلى بغداد ، وأقاموا مقامهم طائفة من الأكراد والعربان ، وأرسلوا إليها رجالاً من أشراف الآهالي لا يعرف قوانين الحكومة ولا نظامها إسمه عبد الرحمن (٢٧) .. وكانت الحكومة قد وعدت الآهالي بإعفائهم من كل شيء عدا الزكاة والأعشار ، فأراد المشردون الاكتار من الإيراد ، ووضعوا الضرائب وأحدثوا رسوماً جمركية مما أدى إلى إستياء الآهالي وطرد موظفي الحكومة .

كما أشارت المذكرات السالفة إلى أن الحكومة التركية جمعت الزكوات والأعشار الشرعية بعد الاستيلاء المباشر على الأحساء بكل سهولة، وبلغت واردات الحكومة في سبعة أشهر ثلاثين مليونا وسبعمائة ألف من القرش، وكان متوقعاً أنه إذا تمت الإصلاحات وزادت ثروة الأهالي واستتب الأمن، إزداد إيراد الحكومة (٢٨).

وواجهت الحكومة التركية أول مشكلة بالنسبة للزكوات مع البدو البعيدين عن مركز الدولة، فعقد المجتمع حضره زعماء البدو، وإتفق علىأخذ ريال عن حمل كل بعير يرد إلى القرى، وانفضن المشكل (٢٩).

وجاءت تقديرات لوريمر في بدايات القرن العشرين لما يأخذه الأتراك من المنطقة على المحاصيل الزراعية من زكوات وأعشار شرعية كالتالي :

تمور الأحساء	٢٦٦٠٠ روبيه
تمور القطيف	٨٠٠٠ روبيه
قمح الأحساء	٦٧٢٠ روبيه
أرز الأحساء	١٣٤٤٠ روبيه

المجموع ٣٦٦١٦٠ روبيه (٣٠)

تجدر الاشارة إلى أن المجموع هذا، يساوي حوالي ٧٨٥٠ ليرة عثمانية ذهبية .. مما يعزّز الشكوك القائلة بأن دخل العثمانيين من المنطقة لم يتجاوز في أي عام ثلاثين ألف ليرة .. إذ يلحظ هنا أن أهم الزكوات على المحاصيل لم تتجاوز سدس المصروفات البالغة، حوالي ستين ألف ليرة ذهباً.

وهناك ضرائب تافهة تؤخذ من صيادي اللؤلؤ، مقدارها نصف ليرة ذهبية تركية عن كل سفينة صيد مهما كان حجمها، وذلك في أول موسم الغوص. وأشار لوريمر إلى أن عدد السفن العاملة في الأقليم حوالي ١٦٧ سفينة، ويعمل بها ٣٤٤ رجلاً .. وبكلمة، فإن الضريبة لن تصل إلى «٩٠» ليرة ذهباً، وهو مبلغ لا يستحق الذكر والتسجيل !.

أمام هذه الحقائق، يمكن القول أن الضرائب العثمانية كانت قليلة، وقد حاول بعض الكتاب الالتفاف على ذلك بالقول أن الضرائب تستهلكها الحاميات - رغم قلة عددها - ولا يتوفّر منها شيء للخدمات .. وفي هذا القول إهمال لحقيقة أنه لم تكن هناك دولة أو إمارة في الخليج أو نجد أو الحجاز تضع في إهتمامها مسألة الخدمات، بل أن دولة السعوديين الأولى والثانية، ورغم ضخامة الامكانيات المادية التي استوفيت من السكان، لم يكن لديها بند للمصاريف على الخدمات إطلاقاً، ذلك أن أسس الدولة المنظمة والحديثة لم تقم بعد، وكان الحكم على سوء أو حسن أي نظام يتم من منظار ما يأخذه من السكان من ضرائب .

فضلاً عن ذلك فإن الأحساء شهدت في وقت مبكر المدارس الحكومية التي أسسها العثمانيون، سنة ١٩٠٢، وسبقت بذلك كل مناطق الخليج بدون إستثناء، في حين لم يدخل التعليم النظامي في العهد السعودي إلا بعد ٢٥ عاماً من سقوط الأحساء، وبعد ٣٨ عاماً من إحتلال القطيف !!.

ولم تتأخر الأحساء والقطيف في مجال الخدمات البلدية والبريد وغيرها .. فقد أسس العثمانيون أواخر ١٩٠٢ بلدية في الأحساء وعينوا أحد الوجهاء رئيساً لها، ثم طالب الأعيان بترئيس محمد أحمد الشعيببي، فتم لهم ذلك .. وبقي الشعيببي رئيساً حتى سقوط الأحساء ١٩١٣، فالّغى ابن سعود مهام البلدية، ولم تؤسس بلدية جديدة، إلا بعد خمسة عشر عاماً، أي في عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م.

وكانت هناك بلدية في القطيف أسست في ذات الفترة ولتؤدي نفس المهام (٣١).

وفوق هذا عرفت المنطقة في العهد العثماني الاتصالات البريدية، حيث أوجد الأتراك مكاتب بريدية في كل من القطيف والهفوف والجبيل، وأدت خدماتها حتى إحتلال ابن سعود للأحساء، فتوقف البريد مدة إثنى عشر عاماً على الأقل، أي إلى ما بعد سقوط الحجاز سنة ١٩٢٥ ، وحينها إعتمد المواطنون - بدرجة رئيسية - على المسافرين في إيصال رسائلهم (٣٢) .

النشاط الاقتصادي

مارس سكان الأقليم مجموعة من النشاطات الاقتصادية جعلت من الأقليم أغنى أقاليم الجزيرة العربية، فإلى جانب الزراعة عمل السكان في مجال الغوص لصيد اللؤلؤ ، كما مارسوا مهنة صيد الأسماك ، وتربية المواشي ، والصناعات المحلية العديدة ، والتجارة ، وغيرها .

الزراعة

وكانت تعتبر المورد الرئيسي للسكان الذين هم في أغلبهم فلاحون ، وقد ساعد على نمو الزراعة عبر العصور غزارة المياه ، والأرض الخصبة وتشبّث الأهالي بأرضهم وزراعتهم .

أما أهم المزروعات ، فهي النخيل التي إشتهرت بها المنطقة منذ عهود ما قبل الإسلام ، وضرب بها المثل «كناقل التمر إلى هجر» . ويعتبر التمر يومها الغذاء الرئيسي للسكان بدون مزاحم ، ليس فقط في الجزيرة العربية ، بل وفي

مناطق أخرى من العالم ، قبل أن يزاحمه القمح والأرز التمر على الموائد . وإضافة إلى زراعة التمر ، نمت في الأحساء ، وبعض مناطق القطيف ، زراعة الأرز المشهورة ، والمعلوم أن الأرز يحتاج إلى الكثير من الماء ، وبررت أيضاً . كما تذكر مدحت باشا - زراعة القمح ، بعد نجاح حملته في الاستيلاء على الأحساء ، وكان أول عهد السكان بزراعة القمح هو في تلك السنين الخواли . كما زرعوا الذرة والذخن والسمسم واللوبيا والشعير وعباد الشمس وغيرها .

وزرعت في القطيف والأحساء الخضار بأنواعها والفواكه مثل الرمان والتين والعنب والخوخ والحوامض ، واللوز والموز والتوت والنبق وتتمر الهند والليمون والمشمش واللوببي وغيرها .

وبالنسبة للتمور ، قدر لوريمر إنتاجها في الأحساء عام ١٩٠٧ بـ «٥١» ألف طن سنويًا ، وفي القطيف «٣٤» ألف طن سنويًا ، وكان هذا الناتج الضخم يسد حاجات السكان ومعظم حاجات شرق ووسط الجزيرة ، حيث أصبحت القرافل تهفو نحو الأحساء والقطيف ، لتعود محملة بالتمور والأغذية ، وقدرت المساحات المزروعة بحوالى أربعين ألف هكتاراً ، تحوي ما بين ٤ - ٥ ملايين نخلة ، في الأحساء وحدها . أما في القطيف فقدرت المساحة المزروعة في العهد العثماني بـ ١٧ ألف هكتاراً ، وبها حوالى مليوني نخلة .

وحدد لوريمر صادرات التمور من المنطقة على النحو الذي يوضحه الجدول التالي :

□ ٣٠٠ طن تصدر إلى جدة عن طريق ميناء العقير .
□ ١٠٠ طن تصدر إلى جدة عن طريق ميناء البحرين .
□ ٥٠٠ طن تصدر إلى البحرين .
□ ٢٠٠ طن تصدر إلى قطر .
□ ٤٠٠٠ طن للاستهلاك المحلي ولتصدير إلى الكويت ونجد (٣٣) .
وقدّر فاييل «Vidal» صاحب مؤلف واحات الأحساء قيمة التمور المنتجة بحوالى مليار وخمسين مليون جنيه ، وهو مبلغ بالغ الصخامة يومئذ .
وأشتهرت القطيف بتصدير الدبس «عسل التمر» المستخرج من رطب الخنزيري الذي إشتهرت به الواحة ، هذا إضافة إلى تصدير السلوق «الرطب بعد أن يُغلّ . ويُجفّف» إلى الهند قبل أن تصدر الأخيرة قانوناً يعيق الاستيراد .
أما الأرز الأحسائي ، فقد طفت شهرته على كل الأنواع ، وكان سعره من أغلى الأسعار ، وقد توسيع الأهالي في زراعته أبان العهد العثماني ، وقدّر الانتاج السنوي بـ «١٤ مليون رطل» . في حين بلغ إنتاج القمح في الموسم الجيد ما يقارب «ألف مليون رطل» (٣٤) .

صيد الأسماك واللؤلؤ

واشتهرت به منطقة القطيف وتوابعها كسيهات وصفوى وتاروت ، وكانت هذه الحرفة مصدر ثراء كبير لمنطقة .. وقدر لوريمر عدد السفن التي تنطلق للغوص في سنة ١٩٠٧ بحوالي ١٦٧ سفينة يعمل بها ٣٤٤ رجلا .. ويبدو من خلال المقارنة بأحداث الطاعنين في السن ، ممن عمل بالغوص أنَّ عدد السفن والعاملين يفوق تقديرات لوريمر بكثير .

لقد إشتهرت منطقة ساحل القطيف «الخط» على مر العصور بأن بحارها تحوي أجود أنواع اللؤلؤ وأكثرها ، حيث انخرط المواطنون في سلك الغواصين ، إضافة إلى القيام بالزراعة وغيرها بعد إنتهاء الموسم ، بل أن بعض المراجع أشارت إلى أن جميع أهل القطيف غواصون ، إما لأنفسهم ، أو بأجرة للغير (٣٥) .. وتشير التقديرات إلى أن واردات الغوص تصل إلى مائة مليون روبيه فضية هندية .

وهكذا نشأت طبقة من المواطنين تقوم بالمتاجرة باللؤلؤ ، فتبיעه في البحرين أو الهند وغيرها .. وعادة ما تزدهر الحياة الاقتصادية في المنطقة بعد إنتهاء كل موسم ، وتزداد حركة التجارة بشكل كبير .

من جهة أخرى ، أعطت سواحل الخليج كميات هائلة من الأسماك ، فالخليج بمياهه الدافئة وملوحته الزائدة ، جعل منه ملذاً للأسماك ، واحترف الأهالي صيده ببراعة ، وابتدعوا وسائله ، مما وفر غذاء جيداً ورخيصاً ، وصاروا مع تقادم السنين خباء في أماكن صيده وتوقيته .. ولو لا المضائق الحكومية الحالية ، لغطى إنتاج المنطقة كثيراً من بلاد العالم .

وبلا شك فإن الأهالي ، ما كانوا يستهلكون كامل الانتاج ، بل يصدرون الفائض إلى الأحساء - التي لم يزاول سكانها هذه المهنة - وإلى الرياض ومدن نجد الأخرى .. في حين تحفظ الأنواع الرئيسية من الأسماك كطعام للأبقار ، أو كأسمة للزراعة (٣٦) .

الصناعات المحلية

وهي عديدة ومتعددة ، وقد برع فيها الشيعة الأحسائيون بوجه خاص ، ذلك أنَّ البدو كانوا يأنفون من مزاولة الحرف لأنَّها تحطّ من مقامهم - كما يرون وفق العادات القبلية - بعكس الحضر .

فقام الحدادون والصفارون والنجاسون بتأمين الاحتياجات المحلية من أوان وقدور ودلال القهوة والهاونات التي إستوردوا النحاس من الخارج لصناعتها، وينذر زويمر أن الأحساء إشتهرت بصناعة الأواني النحاسية من مختلف الأشكال، وكانت تصدر إلى مختلف أجزاء شبه الجزيرة العربية^(٣٧).

وصنع الحدادون مستلزمات الزراعة والبناء، كالفوؤس والمحاريث، والسلالس، والمناقيش .. ونشطت صناعة دباغة الجلود والأحذية والحقائب والقرب، وحافظات التمر، والأحزمة، وغمد السيوف وسائر الأمتعة الجلدية. ومن الفخار قامت صناعة أواني الطبخ والصحون، وبالخصوص أووعية حفظ المياه وتبریدها كالزير والحب والمصخنة والخرس، والتنور والذي يصنع فيه الخبز. ومن النخيل قامت صناعة الحبال، والحصر والاقفاص، والمراوح اليدوية، وسفر الطعام، وقلال التمر «الخصف»، والزنابيل وأسرة الأطفال، واستخدمت الجنواع للسقوف، وبرع النجارون في صناعة الأبواب والنوافذ ونقشها.

وكانت هناك صناعة النسيج، كالأزر، والغتر المحلية، والطواقي الصيفية والشتوية، والجوارب الصوفية والقطنية .. إضافة إلى صناعات أخرى كالفرش والوسائد والمساند والأردية^(٣٨).

وأهم من هذا كله تميزت الأحساء بشهرة عريقة في صناعة العبي والمصالح المشهورة حتى اليوم في كل أنحاء الخليج والجزيرة العربية، وعددها زويمر واحدة من أهم صناعتين تميزت بهما الأحساء، وكانت تصدر العباءات إلى البلدان المجاورة، ويوصي الحكم والأمراء بصنعها لهم بخيوط فضية وذهبية. وقد مارست الجاليات الأحسائية في كل مناطق الخليج هذه الصنعة العريقة.

ويضاف إلى هذا كله، صناعة الحلبي الذهبية والفضية، التي أشار إليها لوريمر، حيث إكتسبت المصوغات والحلبي والمجوهرات التي يتم صقلها وتصميمها في الأحساء - بوجه خاص - شهرة واسعة.

وكل هذه الحرف - كما أشرنا - كانت تعتمد على الشيعة^(٣٩) تماماً مثلما هي الزراعة وصيد الأسماك واللؤلؤ - الذي انخرط فيه أعداد من البدو المتحضرين .. والسبب في إستنكاف الآخرين عن ممارسة هذه المهن، أنهم عدوها منها وضيقها تتنافي مع طبيعة البدوي - والمتحضر حديثاً - الذي يرى في ممارستها إهانة له.

ومع وضوح هذه الصورة الاجتماعية، إلا أن أحد الكتاب يعتبر أن «المذهب له أثر في تحديد نوعية العمل الذي يمارسه السكان السنة والشيعة^(٤٠). وفي هذا تجاهل للخصائص والطبيعة البدوية .. وإيحاء بأن المهن الوضيعة - بالمنظار البدوي - لا يمارسها إلا الشيعة!

التجارة

واحتلت المرتبة الثالثة بعد الزراعة والغوص ، وقد إزدهرت التجارة في العهد العثماني ، رغم المعوقات البريطانية . وكان إنتعاش البحرين بالخصوص مرهوناً بحركتها التجارية مع مينائي القطيف والعقير . لهذا ازدهرت التجارة بين هذين المينائين ، وبين البحرين والهند «إضافة إلى تعامل محدود مع العراق والكويت وعمان وأيران» ، رغم أن الانجليز أشاروا على الشيخ عيسى ، وبمجرد أن سيطر الأتراك على الأحساء ، بأن يُضاعف الضريبة على البضائع المصدرة لمينائي القطيف والعقير بغية إيداع العثمانيين ، فرفعها من ٥٪ إلى ١٠٪ ، ولم تخفض هذه الضريبة إلا بعد إحتلال ابن سعود للأحساء ، أو قيل فور إحتلاله لها ، فأعادها عيسى إلى ٥٪ بعد أن استمرت لمدة تزيد على أربعين عاماً ، والسبب كما قال شيخ البحرين ، أنه جعلها ٥٪ «مساعدة منه لابن سعود» ، لأنه بدأ يفرض ضريبة مماثلة في موانئه (٤) .

كانت القطيف والأحساء ، مركز التجارة ، حيث يعتمد على ما يعرض في أسواقهما عشرات الآلاف من البدو والحضر ، ويكتفي أن تدخل موانئ المنطقة يزيد على مائة ألف روبية شهرياً يوم إحتل ابن سعود المنطقة (٥) .

ويعتبر ميناء العقير أكثر نشاطاً من ميناء القطيف ، وكان يغادره ما بين ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ جمل إسبوعياً محملًا بالبضائع (٦) .

أما صادرات المنطقة فهي : التمور وسعف النخيل ، العباءات ، والجلود ، وخطب الوقود ، والحلبي الذهبية ، اللولو ، والخيول ، والحمير الحساوية ذات الشهرة العالمية لقوتها وسرعتها وحجمها ، وكان الطلب عليها كبيراً في العراق وأيران والبحرين ومصر .. ومن الصادرات السلوق والدبس ، والأوانى النحاسية وغيرها من الصناعات اليدوية .

في حين كانت الواردات تشمل ، الخيوط الملونة والأقمشة ، الشاي ، القهوة ، الهيل ، وأخر صرعات السلاح المهرّب من البحرين ومسقط وقطر ، والتوابل ، والأخشاب .

وهكذا إنتعشت الموانئ في العهد التركي ، وإزدهرت التجارة ، وذلك بفعل عاملين :

- ١- إستباب الأمن أكثر من ثلاثين عاماً متواصلة ١٨٧١ - ١٩٠٢ .
- ٢- إنخفاض الضرائب ، قياساً للعهد السعودي السابق واللاحق ، وقياساً للمناطق الأخرى الرازحة تحت الاحتلال البريطاني . وقد رأينا أن مشايخ هذه الدول يفخرون أحياناً - حينما يقومون بتحفيض الضرائب - فيقولون أنها وصلت إلى ما يقارب حجم الضريبة المفروضة في القطيف والأحساء .

تربيـة الحـيوـانـات وـالـدواـجـن

حيث لم يكن يخلو منزل في المدن والقرى من حظيرة ل التربية الأبقار أو الأغنام أو الدواجن أو الطيور، إضافة إلى مستودع لتخزين التمر والمواد الغذائية الأخرى .. وكان من عادة السكان أن يخزنوا التمر والأرز والحنطة والسمك المجفف والحبوب داخل منازلهم، بما يكفي لاحتياجاتهم لعام كامل تقريباً (٤٤).

واعتمد الأهالي بشكل كبير على منتجات الأبقار بشكل خاص من حليب ولبن وأجبان وسمن وغير ذلك، وكان هناك إكتفاء ذاتي من البيض، وقام تبادل بين منتجات البدو وما ينتجه الحضر.

وبشكل عام بدأت ملامح الثراء تبرز في المنطقة بعيد إستيلاء دولة الخلافة عليها، لأنها تحمل مقومات الإزدهار والنمو .. فكثرت الخيول والبيوت، وانبثقت شريحة واسعة من التجار والملاكين، ولم يقتصر الغنى والثراء على منطقة دون أخرى، إلا أن الهنوف والقطيف تركزت فيها الشخصيات والثروات، وأضيفت للعديد من الأغنياء لقب «شاه» كدلالة على الغنى.

وأشار البريطانيون في مصادرهم عن تلك المرحلة إلى تزايد أعداد الزنوج العاملين بالزراعة، وهي إحدى علامات الثراء، بل أن بعض البدو - وهذا أمر غريب - كان لديهم عبيد يعملون في الرعي مع أن تجارة الرقيق في المنطقة كانت قليلة جداً بسبب مراقبة السلطات البريطانية، وإستنكاف الأهالي عن ممارسة «النخasse»، ومع ذلك كان الرقيق كثيراً في الأقليم، وكان لدى الأغنياء أكثر من واحد .. في حين أن تجارة الرقيق في «نجد» كانت مزدهرة بسبب ما يُجلب إلى أسواقها من رقيق محمل من أفريقيا، وأصبحت الرياض مركزاً من مراكز بيع الرقيق (٤٥).

ومن علامات الثراء، أن إقليم الأحساء، كان له عملته الخاصة به، وهي «الطوبلة»، إضافة إلى استخدام العملات العثمانية «البارزة، القرش، الليرة»، وشاع استخدام الروبية الهندية لكثرة التعامل مع الهند، ولكونها العملة الرئيسية في البحرين والكويت، وإضافة إلى ذلك يستخدم الدولار النمساوي «دولار ماريا تريزا» ويسميه الأهالي «بالريال الفرنساوي، الفرنسي»، وكان من الفضة، وقد سُكَ في فيينا سنة ١٧٨٠ ، ويحمل صورة إمبراطورة النمسا والمجر، وبقيت هذه العملات مستخدمة إلى أن تم ضرب الريال السعودي سنة ١٩٢٨ هـ - ١٣٤٧، في بيرمنغهام (٤٦).

لقد عرفت المنطقة الثراء في العهد العثماني بصورة لم تعهدنا من قبل، ولو لم يكن بها إلا التمر الذي إشتهرت به في القديم والحديث لكتفى به ثروة

في عصر كان أهل نجد يأكلون القد الملوى، والأخضر واليابس .. وقد أثرت هذه البيئة المترفة على شعراء الأحساء السنة، فاختفت رنة الحزن والبكاء، فما أقل ما يبكون وما يحزنون، وما أضعف رثاءهم وش��واهم، وحتى غزلهم وما فيه من شکوى قليلة ضعيفة .. بالرغم من أن هؤلاء الشعراء إختلطوا ببيئة التشيع التي أجادت شعر البكاء والرثاء، بصورة لا تراها في شعر الغابرين أو المعاصررين .. وحتى الشاعر ابن مشرف رغم حماسه للدعوة الوهابية، وبعد أن إستوطن الأحساء، لم يقل شيئاً ذا بال يمكن أن يوازي شاعريته في نكات الدرعية والرياض، وذلك بسبب عيشه المترف في الأحساء (٤٧).

ويذكر الألوسي أن ثمن المنزل في الأحساء كان ألف ليرة عثمانية، وأن أجرة الدكان كانت ٤٤ ريالاً في الشهر في الأحوال العادية، وانما جاءت القوافل بلغت أجرة الدكان في اليوم أربعة أمثال الأجرة العادية، وتلك أرقام تدل على ثراء واسع وكبير، إذا علمنا أن قيمة الجمل في ذلك الحين تبلغ من ريالين إلى خمسة ريالات (٤٨).

والآن لنستعرض الرواية السعودية تجاه الوضع الاقتصادي في العهد التركي في الأقليل.

يقول أحد الكتاب (٤٩) تحت عنوان : « موقف أهالي الأحساء من الاستراتيجية العثمانية »، أن الواقع الاجتماعي في الأحساء أثبت أن هذه الاستراتيجية - القاضية بتدعم الوجود العثماني في الجزيرة العربية - غير موفقة، لسببين هما : «أن الدولة العثمانية لم تف بالوعود التي منت بها الأهالي، فكان هذا سبباً في فقدان القاعدة الشعبية والتأييد السكاني في المنطقة» .. أما السبب الثاني فهو : «إسناد الاستراتيجية العثمانية على القوة العسكرية، وأن هذا الاسلوب يفتقر إلى تأييد الناس له دائماً» .. وقد ناقشتنا بطalan هذا السبب في صفحات سابقة .

أما عن الأول، فيتحدث المؤلف عما جاء في منشورات مدحت ونافذ باشا حول تخفييف الضرائب وإزالة الكثير وغير الشرعي منها، إلا أنه يقول بأن هذه الوعود لم تكن حقيقة «فازدادت الضرائب المفروضة على كاهل السكان، وسادت المنطقة حالة من التذمر والسطخ، كانت حصيلته الانفجار الشعبي الذي عبر عنه أهالي الهفوف حين استنفروا وتجمعوا عند مقر حكومة متصرفية نجد، بحجة أن السعر الذي سعرته الحكومة للتتمر زائد ومضر، فأغلقت الدكاكين مدة ما، ولكن تدابير الحكومة أدت إلى تسكين الأهالي».

واعتبر الكاتب هذه الحادثة «من بوادر التذمر الجماعي المنظم في الأحساء ضد الاستراتيجية العثمانية»، وأنها تدل على «عدم إنسجام الأهالي مع أسلوب الحكم العثماني»، وهو إيحاء عنصري كريه، مع أن الأهالي، والأغلبية الساحقة من السكان العرب ما كانوا ينظرون إلى الأتراك كمحليين، بل

اعتبروهم مسلمين ، ولم تكن البضاعة القومية المصنعة في بريطانيا وفرنسا قد غزت يومئذ إلا بعض العقول اليهودية واليسوعية في ديار الشام ومصر ، بينما لم يفهم الأهالي العرب ما هي القومية ؟ .

لقد استخدمت هذه الحادثة لتكون دليلاً ضد الأتراك ، ليس في مجال الاقتصاد فحسب ، بل وفي مجال السياسة ، وليس لدى المعارضين أدلة تؤيدهم ، إذ لحسن الحظ أن معظم المعلومات المتوفرة ، ومن بينها المعلومات الواردة في الوثائق التركية والإنجليزية ، والتي عادة ما يقتبس منها المعارضون ما يريدون فتصبح مشوهة .. مع هذا فالمعلومات عن الحقبة التركية في معظمها تفتّد أقوال هؤلاء الباحثين .

وحادثة تسعير التمر ، رغم ما نُفخ فيها ، لم تكشف سوى محاسن الحكم التركي .. فالحادثة وقعت أولاً في عام ١٣٢٢هـ ، أي أواخر عهد الدولة السعودية ، وبعد حكم للإحساء دام ٣٤ عاماً ، فلا تصلح أن تكون دليلاً على الفترة السابقة .. والملحوظ أن الباحثين السعوديين ، لا يقيمون الوضع الاقتصادي من أساسه وبدايته ، وإذا ما أرادوا الحديث فإنهم يبدأون من عام ١٣٢٢هـ ، لأنه من ذلك العام أو قبله بقليل بدأ الاضطرابات الأمنية تجتاح المنطقة ، بفعل تحريض الملك عبد العزيز لقبائل الباردة .

والحادثة المشار إليها لا نعرف تفاصيلها ، لكن صاحب كتاب تحفة المستفيد يقول عنها التالي :

«في أيام أبي سهيل - الوالي التركي - قتل في بلد المبرز رجل من عسكر النظام ، يسمى محمود كردي ، فقبض أبو سهيل على مشايخ المحلات وسجنهما ، وطلب منهم أن يأتوا بقاتل الرجل .. فكتب له العلماء في إطلاقهم لعدم علمهم بالقاتل ، فلم يلتفت لقولهم ، فأوزعوا للأهالي بالاضراب عن البيع والشراء ، وفتح المتاجر وجلب السلع إلى الأسواق إحتجاجاً على عمل أبي سهيل» ، وأخيراً «طلب من العلماء التوسط في القضية ، فأطلق الرؤساء والأعيان ، وأسقط بعض الضرائب ، وخفف في البعض ، وسكنت الفتنة ، والحمد لله» (٥٠)

وهناك جانب من وثيقة تركية من وثائق الباب العالي ، صادرة من الفريق أول سليمان باشا ، قائد الجيش السلطاني السادس في بغداد ، دائرة الأركان الحربية العامة ، الشعبة الرابعة ، مؤرخة في ١٩ ذاول / ١٣٢٢هـ ، وهي برقية تتحدث عن الأوضاع في الأحساء ، وتشرح الحال وتقول «أن الواجب والمصلحة العامة تقضي مضاعفة الجهود لنيل حب الأهالي» .. وإن الآخرين «أغلقوا المتاجر في الهفوف وما حولها من قرى ... وهذا ما دعاني إلى أن أذهب إلى مركز الحكومة المحلية ، وأطلق سراح الموقوفين بعد أن زورتهم بالنصائح المؤثرة» .. ويشير كاتب البرقية ، إلى أن سبب الأزمة هي «أن الحكم بيد

البكباشى محمود بك ، وهو رجل جاہل ، وآلت مصالح المتصرفية الى أنساں غير مؤهلين». وتقول الوثيقة أن محمود بك وجماعته يعاملون الأهالي بقسوة و «يقومون بأعمال تزعج الأهالي وتدفعهم الى النفور منهم ، وهذا بدوره يؤدي الى محانير عظيمة»^(٥١).

ويلاحظ هنا ، أن السياسة العامة للاتراك لا يجريها الولاة كما ينبغي ، وهذا يؤدي الى «محانير عظيمة» ، والمحانير هذه هي سقوط الأحساء بيد الانجليز ، أو بيد حليفهم ابن سعود.

ومن المهم جدا الانتباہ الى أن محمود بك ، وهو مقدم الدرك ، متواطئ مع ابن سعود ، كما تشير الى ذلك وثائق أخرى ، وتنكر الكتب السعودية أنه كان يغري القبائل بمهاجمة الحضر وقطع الطرق ، فكانت النتيجة أن قتله أهالي المبرز ، ففت ذلك في عضد الملك ابن سعود ، كما سترى في الصفحات القادمة . وحول مسألة التمر أيضا ، هناك وثيقة تركية^(٥٢) تقول «أن الحكومة المحلية قد أعدت قيمة للتمر في مركز لواء نجد - الهفوف . - فعد الأفراد أن هذه القيمة زائدة عن القيمة السابقة ، وتسبب ضررا على الناس . فقام هؤلاء التمر من الناس وهجروا الأهالي ضد الحكومة . فأغلقت الحوانين في السوق بعض الوقت . وحالاً للمسألة فقد أجرت الحكومة المحلية ما يقتضي عمله من تدابير» . أما ما هي التدابير فيلخصها مخبر سري للدولة العثمانية في وثيقة تركية^(٥٣) يقوله : «أن المتصرف قدر ضريبة التمر ب ١١ ريالا بدلا من خمسة ريالات ، وأضاف إليها بعض التكاليف الأخرى ، مما سبب نفور الأهالي في الأحساء ، وقدموا الشكاوى في ذلك الى قيادة اللواء التي رفعت أمرهم الى ولاية البصرة ، فرددت الولاية على شكاويمهم وأطلقت سراح مسجونهم» .. أي خفت الضريبة وأطلقت سراح السجناء .

هذه هي السياسة العامة للأتراك .. نراها قائمة على أساس إسترضاء الأهالي ، وإن كان الولاة في الأيام الأخيرة خرجوا عن الخطة المرسومة ، بسبب ضعف الحكم المركزي وانتشار الفساد في جهاز الدولة ، مما أدى الى كثرة تبديلات المتصرفين ، حيث توالي خلال الاثني عشر عاما الأخيرة من الحكم العثماني « ١٣٢٠ - ١٣٢١ هـ » على حكم الأحساء ستة متصرفين .

وقد لاحظنا أن العثمانيين يستجابوا للشكوى وبسرعة ، كما رأينا حرية الحركة لدى الأهالي سواء في الأضراب أو الشكوى ، وهو أمر لم يحصلوا عليه حتى يومنا هذا . وفوق ذلك أن الحادثة . وهو المهم . لم تكن الا في الأيام المرضية للاتراك ، وضمن سياق الانفلات العام ، بسبب سقوط هيبة الدولة جراء هجوم البايدية .

واعترف الكاتب السعودي الذي نفح في «ثورة التمر !» ، فقال أن الأهالي يرفعون الشكاوى الى متصرف الأحساء «وفي حالة عدم إستجابة مطالبهم ،

كانوا يرتفعون الشكاوى إلى والي البصرة ... وأن الدولة كثيرة ما كانت ترضخ لقبول مطالبهم، فتصدر الأوامر بتحفيض ضريبة التمر والعمل على تحسين أحوال السكان في المنطقة» .. واستشهد بوثيقة تركية مؤرخة في الحادي والعشرين من شعبان ١٣٢٢ هـ (٥٤).

للعلم ، فإن أرجح شيء في الأحساء كان التمر ، وأن الأهالي إعتمدوا على إنشاع وضعهم الاقتصادي من خلال بيعه وتصديره .

إننا لا نقبل التفسيرات التي تأخذ من حادثة التمر دليلاً على إنقال كاهل الناس بالضرائب ، وأنها من دلالات السخط العام على الأتراك ، فقد أشارت إحدى الوثائق التركية إلى أن هناك جهة محرضة إتخذت من حادثة التمر ، وغيرها فيما بعد حجة لاظهار العصيان وتقريب السكان للحكم السعودي الوليد في نجد .

ومن التفسيرات التي لا تنتمي بالموضوعية ، أن يقيّم عهد الأتراك في السنوات العشر الأخيرة ، ليكون حجّة على الثلاثين سنة التي سبقتها .. وفي هذا تجنّ على الحقائق .

أو أن يعتمد على المصادر السعودية كدليل على سوء الأوضاع الاقتصادية .. وطبعي فإن المصادر الرسمية ليست طرفاً محايدها ، بل هي خصم للعثمانيين .. انظر قول مصدر حكومي الذي هو عرض الحكومة السعودية لقضيتها حول البريمي ، وفقد جاء فيه «لقد بدأت علامات التذمر في المنطقة من حكم الأتراك لكثرة الضرائب الباهظة التي فرضت على الشعب ، مما جعلهم يفكرون في الثورة على حكم الأتراك وعودة الحكم السعودي» !.

وبيت القصيد ، هو في «عودة الحكم السعودي» .

أو أن يعتمد على كتاب «تحفة الالباء في تاريخ الأحساء» ، وكتابه سليمان الدخيل ، الذي تزوج ابن سعود أخته ، والكتاب مقتبس ضعيف السبك ، قليل المعلومات ، ولا يحوي قيمة علمية ذات معنى ، وقد تعرض له علامة الجزيرة الأستاذ حمد الجاسر بالنقد .. فضلاً عن أن الدخيل كان واسطة جيدة لنقل المعلومات للإنجليز في بغداد عن أحوال نجد والأحساء وشيعة حائل (٥٥) . ومصدر كهذا لا يعتمد به أساساً ، خاصة إذا اعتمد على أقاويل ومسلمات دون إبراز الدليل .

وكانت إشارة أن بلن特 في كتابها « رحلة إلى نجد » « Plegramige to Nejd » ، وهي منكرياتها عن رحلتها إلى حائل ابن حكم الرشيديين لها ، صادقة ، فقد قالت «أن منطقة الأحساء تضيّقت من حكم الأتراك لكثرة الثورات القبلية التي أدّت إلى تدهور الناحية التجارية ، وأدّت إلى عودة القرصنة نتيجة لضعف سيادة الترك وحامياتهم في المنطقة (٥٦) وهذا قول صحيح لا غبار عليه ، وهو تقبييم لعهد الأتراك في أواخره .. وأما ثورة البدو فهي من تببير الإنجلiz

والسعوديين ، وسنوضح ذلك في الصفحات التالية .
لقد كان الناس يبحثون عن خلاص ، وكان الأهالي قد تضايقوا - على حد
تعبير آن بلنت - من الحكم التركي ، لأنّه لم يوفر الأمن والطمأنينة
للحضر .. ولكن السكان لم يكونوا ضد الحكم التركي كحكم ، وهو ما ثبت أثناء
تسليم القطيف ، ولو وفر الآتراك الأمان ، لما كان ابن سعود يستطيع أخذ
الأحساء .. ولذا كانت سياسة الأخير تعتمد على إثارة البدية ، وتطفيش الحكم
التركي وإنهاكه ، ودفع الأهالي للقبول بحكمه إنقاذا لهم من المخاطر .. وهو
ما حدث فعلا .

الهوامش

- ١٠ «العقد»، مصدر سابق، ص ١٧٤.
- ١١ «قال لوريمير، وبيدو أنه كان مخطئاً، أن السنحق قسم إلى أربعة أقضية هي: الهاوف، والقطيف، والمبرز، والجفر. في حين أكد عدد من الباحثين أن الكويت كانت تابعة لمتصوفة الأحساء، ورأى آخرون، أنها أصبحت سنحقة مستقلة».
- ١٢ «جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ١٩٢. وانظر، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٧٦.
- ١٣ «المصدر السابق، ص ٢٠٢. وانظر كتاب، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، د. عبد الفتاح أبو علىة، دار المريخ، الرياض ١٩٨٦، ص ٦٩».
- ١٤ «الاصلاح الاجتماعي»، ص ٦٩.
- ١٥ «جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ٢٠٢».
- ١٦ «آل عبد القادر، مصدر سابق، من ص ١٨٠ إلى ص ١٨٦. وانظر الجزء الثاني من الكتاب أيضاً».
- ١٧ «دراسات في تاريخ الجزيرة العربية»، ص ١١٩.
- ١٨ «المصدر السابق، ص ١١٨».
- ١٩ «جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ٢٠٠».
- ٢٠ «دراسات في تاريخ الجزيرة العربية»، ص ١٢١.
- ٢١ «المصدر السابق، ص ١٢٠».
- ٢٢ «مذكرات محدث باشا، ص ١٧٩، ١٨٠».
- ٢٣ «العبد»، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٤.
- ٢٤ «انظر الصفحات السابقة».
- ٢٥ «التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦»، عبد العزيز محمد منصور، ط ٢، ص ١٤١. وقد أشار أحد الكتاب السعوديين إلى أن الأتراك لم يغدوا من الأحساء، أكثر مما كلفهم من مصروفات. انظر الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٤، ١٧٥.
- ٢٦ «آل غانم هم زعماء الشيعة في القطيف وحكامها في عهد الخوالد، وفي عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، وقد فتك بهم السعوديون أكثر من مرة».
- ٢٧ «دليل الخليج، لوريمير، القسم الجغرافي»، ص ١٠٢٥.
- ٢٨ «اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية»، ١٣٥٢-١٣٨٠هـ.
- ٢٩ «آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٢، ١٧٣».
- ٣٠ «العبد»، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٢.
- ٣١ «الاصلاح الاجتماعي»، ص ١٣٣.
- ٣٢ «فالسيليف»، مصدر سابق، ص ٢٤٣.
- ٣٣ «المن»، وحدة وزن يختلف مقدارها بين الأحساء والقطيف، فهي في الأخيرة تساوي ٣٥ رطلاً.

- إنجلترا ١٦ كفم ، وفي الأحساء بين ٥٢٥ و ٦٥٠ رطلا .
- ٢٥ «الإصلاح الاجتماعي»، الصفحات ٦٩، ١٣٠، ١٣١ .
- ٢٦ «يوسف كمال حناته، منكرات محدث باشا»، ص ١٨٢ .
- ٢٧ عبد الرحمن سلمان، نجدي مقيم في الأحساء، تظاهر بالولاء للأتراك، وكان على علاقة قوية مع المعتمد السياسي في البحرين، ثم كانت له ارتباطات قوية مع ابن سعود، الذي بعثه ليقاوض الانجليز بشأن الأحساء، قبل احتلالها من قبل السعوديين، انظر دوره في موقع آخر من الكتاب .
- ٢٨ «يوسف كمال حناته، مصدر سابق»، ص ١٧٩ .
- ٢٩ «المصدر السابق» .
- ٣٠ «لوريمير، جزء ٢، القسم الجغرافي»، ص ٩٩ . وقد أشار لوريمير إلى أن هناك خصائص أخرى على التخيل، وأنها كانت على ثلاثة درجات، الأولى تدفع قرشين ذهبيين عن كل شجرة تخيل، وهذه أجود أنواع التخيل، والثانية ترشا وربع القرش عن كل شجرة، والثالثة تدفع ثلاثة أرباع القرش . مع ملاحظة أن الليرة العثمانية تساوي مائة قرشا .
- ٣١ «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية»، ص ١٧٣ .
- ٣٢ «المصدر السابق»، ص ٢٥٤ .
- ٣٣ «لوريمير، القسم الجغرافي»، جزء ٢، ص ٩٩ .
- ٣٤ «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية»، ص ٧٦ .
- ٣٥ «القطيف وأضواء على شعرها المعاصر»، عبد العلي يوسف آل سيف، ط ١٤٠٦ هـ، ص ٦٤ .
- ٣٦ «تصدر المنطقة في الوقت الحالي أجود أنواع الربيان في العالم، إلى العميد من دول الغرب، خاصة الولايات المتحدة، وقد يحترم أحد أفراد عائلة القصبيي صيد الريبيان، مما تبعه حزمان الأهالي من صيده أغلب أوقات السنة» .
- ٣٧ «جمال زكرييا قاسم، الجزء الأول»، ص ٢٥ . «الإصلاح الاجتماعي»، ص ٦٠ .
- ٣٨ «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية»، ص ١١٧ .
- ٣٩ «andalor أيضاً Saudi Arabia ; Its people ; Culture»، ص ٢٩٢ .
- ٤٠ «الإصلاح الاجتماعي»، ص ٦٠ .
- ٤١ «andalor أيضاً Saudi Arabia ; Its people »، ص ٢٩٢ .
- ٤٢ عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٦٥ .
- ٤٣ «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية»، ص ٩٩ .
- ٤٤ «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية»، ١٣٥٢-١٢٨٠ هـ / ١٩٦٠-١٩٣٣ .
- ٤٥ «الإصلاح الاجتماعي»، ص ٣٦ .
- ٤٦ «المصدر السابق»، ص ٢١٣ إلى ٢١٥ . «إكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية»، ص ١١٤ .
- ٤٧ د. عبد الله العلي الحامد، مصدر سابق، ص ٢٣١ .
- ٤٨ «المصدر السابق»، ص ٤٩ .
- ٤٩ «دراسات في تاريخ الجزيرة العربية»، ص ١١٦ .
- ٥٠ «آل عبد القادر، مصدر سابق»، ص ١٨٩ .
- ٥١ «دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر «مصادر تاريخ البلاد السعودية»»، الدكتور عبد الفتاح أبو علية، دار المريخ، الرياض ١٩٧٩ .
- ٥٢ «صادرة من ولاية البصرة، إلى دائرة الصدارة العظمى، وموರخة في ٢٥ مارس ١٣٢٢ هـ، وموقعة من قبل والي البصرة وقائدتها» . انظر المصدر السابق، ص ٢٠٠ . ويلاحظ أن الأتراك يستخدمون التاريخ الميلادي والهجري معاً .
- ٥٣ «صادرة عن دائرة الاركان الحربية العامة، الشعبة الرابعة، رسالة موجهة إلى قيادة الجيش السلطاني» .

- السادس في بغداد ومورخة في ٢٥ مايو ١٣٢٢ هـ، وهي موقعة من مخبر باسمه محمد عبده، انظر المصدر السابق، ص ٢٠٦، ٢٠٥ .
- ٥٤ «المصدر السابق، ص ١١٨ .
- ٥٥ «انظر الوثيقة رقم FO 371 / 4147 من ضابط البعثة في بغداد إلى حكومة الهند، بتاريخ الثالث من نوفمبر ١٩١٩ .
- ٥٦ « رحلة الى بلاد نجد ، تأليف أن بلنت ، ترجمة محمد انعم غالب ، ط ١ / ١٩٦٧ ، الرياض ، منشورات دار اليمامة .

٦

الوضع المذهبي والثقافي في الاحساء والقطيف (١٨٧١ - ١٩١٣)

من الصعب تحديد مدة زمنية لمراقبة نشاط ثقافي أو فكري ، فالنهوض لا يتأتى طفراً واحدة ، ولا يحمد مفاجأة وبقرار رسمي .. فرغم أن السعوديين حينما استولوا على المنطقة في مطلع القرن الثالث عشر ، وعمدوا إلى كتابة الشيعة وتراثهم ومؤلفاتهم ومساجدهم وحسينياتهم فأحرقوها ودمروها ، وأضطهدوا علماء الشيعة وطردوا الكثير منهم خارج البلاد ، كما اضطروا آخرين إلى الهجرة ، شأن الكثيرين من علماء السنة ، ومنهم حنابلة أيضاً كإبن فيروز المشهور .. ومع أن السعوديين لم يسمحوا للشيعة بممارسة عقائدهم ودروسهم في مدارسهم ، إلا أن الحركة العلمية لم تخمد ، لأن رجالها بقوا أحياء ، وقاموا بنشر المعارف في مناطق أخرى ، وطبعت مؤلفاتهم هناك ، إلى أن هدأت الأوضاع وانتهت الدولة السعودية الأولى بعد حوالي ٢٥ عاماً من إحتلال المنطقة أول مرة ، فعاد المهاجرون والمهجرون إلى ديارهم ، وبدأوا عهداً جديداً ونهضة في كافة العلوم .

ومن أوضح الأمثلة في الأحساء ، على وجه الخصوص : الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي ، صاحب المدرسة الفكرية المشهورة ، وإبنه الشيخ علي ، والشاعر أحمد القاري الأحسائي وغيرهم .. فهو لاء عاشوا مدة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ، ثم عاصروا الدولة السعودية إلى أن إنتهت ، وعادوا إلى أوطانهم وبدأوا نشاطهم من جديد .

لاشك أن الحركة العلمية تباطأت إلا أنها لم تخمد ، ثم ما لبث أن بدأ بالنهوض حتى استولى السعوديون مرة أخرى عليها ، وحدث لها ذات الأمر .. إلى أن جاء الأتراك في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، فكان في البلاد بقية من علم وحركة دينية ، فنمت وتطورت على يد المخضرمين من عاصروا الدولة السعودية الثانية والحكم المصري للمنطقة ، حتى بلغت الذروة قبل الاحتلال السعودي الأخير لها .

لكنها حينما احتلت- ورغم المحاربة الشرسة لكل ما يمت الى مذهب التشيع- فكراً أو أشخاصاً- لم تفقد مكانتها البارزة في مجال العلم، حيث لازلت هناك بقية من العلماء والمجتهدين والمراجع والمفكرين، وما هي إلا ٣٠ عاماً، أي بين العقد السادس والسابع من القرن الرابع عشر الهجري، حتى تخطفت يد المنون أولئك الرجال، واحداً تلو الآخر.. وبقيت القطيف والأحساء بعد جيل الرواد الذين صنعتهم الحركة النشطة إبان العهد العثماني تتدبر حظها وتراثها.. قال الاستاذ الشاعر محمد سعيد الجشي- أحد تلامذة أولئك الرواد- مصوّراً الأحوال:

يا أيها البلد الذي سلب الحمام مفاحرته
أين المجالس زاهيات بالفوائد عامرة
بالآمس كانت للقطيف نجوم فضل سائره
والليوم أصبحت في بياع دامسات عاكره^(١)

للاشاعر قصيدة أخرى يصور فيها القطيف بعد فقد أولئك الغطاحل :
 تلك الأزاهر في الربيع فصوحت مال الخريف على الربيع فصوحت
 تلقى بكل مزمجر ومنفر وطفت رياح الخطب تعصف بالرببي
 من نور فجر للهداية مسفر حتى اكفهر الأفق وانقطع الراجا
 طلعوا شموسا في بياجي الأعصر أين الجهابذة العباقة إلا لى
 والطهر ملء ردائهم والمئزر سحبوا على قم الخلود مطارفا
 ياليتهم يلقون ضوء ساطعا يمحو ظلام عماية وتحير^(٢)
 واضح أنه لم تنتج القطيف والأحساء «شيعة وسنة» علماء أو شعراء
 ومفكرين بمستوى السابقين ولا بعدهم وعطائهم الثقافي والفكري .. وقد
 اعتبر الأستاذ عبد العلي السيف أن العقود الأولى من القرن الهجري الرابع
 عشر، كانت حقبة وعي لدى الشعب في المنطقة بفضل وجود العلماء
 المخضرمين والخطباء .. واضح أنه يتحدث عن حقبة العهد التركي «العقود
 الثلاثة الأولى»، والثلاثة الأخرى السعودية التي هي استمرار للشووط
 السابعة،^(٣)

ذلك الأمر بالنسبة للدكتور السباعي الذي أشار إلى «ظاهر غريبة في حركة التأليف العلمي والأدبى في المنطقة، لا يملك الناظر في تاريخ الحركة الثقافية للمنطقة الشرقية إلا أن يقف عندها طويلاً، وهي ظاهرة نقف عندها مسجلين لها ولافتين نظر مؤرخى الأداب إلى ضرورة دراستها وتفسيرها، وهي إنقطاع الأدباء والمؤلفين فجأة عن مواصلة عطائهم الثقافي في مجالات التأليف، ويمكن التأريخ لهذا الانقطاع المفاجيء بعام ١٣٦٠ هـ، حيث لم يظهر بعد هذا العام مؤلف ذو بال من قبل مشائخ وعلماء المنطقة، مع وجود العلماء وأفراد الأسر العلمية الذي اشتهر أسلافهم بالتأليف، والعطاء المتواصل»^(٤). لا نعتقد أن الأستاذ السباعي، وهو يكتب هذا المقطع كان غافلاً عن السبب،

ولكنه أراد مجرد إثارة الموضوع للنقاش ، فلا شك أنه كتب ذلك وهو يعلم أن الستينيات الهجرية كانت نهاية جيل الرواد ، وأن هذا الجيل لم يخلف في الثلاثين سنة التي تلت الاحتلال السعودي من يرثه ، بعد أن قضى على المدارس المذهبية والفكرية ، وفرض فكر أحادي ومدرسة فقهية محددة لا يمكن الخروج عن حدودها ، فأي حركة علمية يمكن أن تبرز في ظل إضطهاد أتباع المذاهب التي لا تلتقي مع المذهب الرسمي الحاكم ، وقد كانت الأحساء والجaz مرتعا للتعديدية الفكرية والمذهبية؟ .. ومن من العلماء والمفكرين والمؤلفين والشعراء من هو مستعد لتسجيل شيء يمكن أن يعاقب عليه بالاعدام ، في وقت وصل فيه التطرف الطائفي مداه ببروز قوة الاخوان بعد عامي من الاحتلال السعودي للأحساء .

لقد سيطر الفكر الأحادي ، والقمع الفكري والمذهبي ، وكانت يد السلطة قوية وفي عز عنفوانها وبطشها ، يدعهما سلك علماء نجد ، فالالتزام العلماء في الأحساء ثم في الجاز بالصمت ، وانخرط القليل في أجهزة ومؤسسات النظام الرسمي .. وانتهت المدارس الفكرية والأدبية في كل مناطق البلاد ، اللهم سوى نجد التي أفسح المجال فيها . وهذا أمر طبيعي - لدعوة المذهب الرسمي ولأفكاره بالبروز والنمو ، فأفلت شمس النجاز والأحساء والقطيف ، وتقدمت نجد ضمن الاطار المذهبي الرسمي ، الذي أريد لعلمائه وفكرة أن يغطي الساحة وينصب المخالفين .

الحرّيات المذهبية

أن أهم سبب بمنظارنا لتطور المنطقة الثقافي في العهد التركي ، هو الحرّيات المذهبية والفكرية ، وبعد أن لاقى أتباع المذاهب الاسلامية الاٌضطهاد ، توفرت الحرية للجميع ، ولم يفرض العثمانيون مذهبهم «الحنفي» ، ولا إضطهادوا أو منعوا أحداً من ممارسة حرّياته الدينية ، وعاد أتباع المذاهب إلى نشاطهم بمجرد أن سيطر الأتراك على المنطقة وأنهوا حكم السعوديين فيها ، بعد فتنة الحرب الأهلية .

جاء في مذكرات مدحت باشا ، في حديثه عن المنطقة : « وكل أهالي تلك البلاد في القرى وفي بيوت الشعر يدينون بدين الاسلام ، ومذاهبهم خمسة .. ولما دخلت الحسا في قبضة الحكومة ، عاد إليها أصحاب بقية المذاهب ، وكانوا قد فارقوها فراراً من ظلم رجال المذهب الوهابي »^(٥) .

واعترف كاتب سعودي بأن العثمانيين «سمحوا لكل المذاهب السنّية ، وأعطواها الحرية الكاملة لفتح مدارسها ، إلا أنهم لم يكونوا على وفاق مع الشيعة ومع الحنابلة الجدد الذين اعتنقوا السلفية»^(٦) .

إن إشارة المؤلف لحرية المذاهب السنوية في الأحساء، وفتح مدارسها، لدليل على أنها لم تكن تتمتع بالحرية في العهد السعودي السابق، وإلا لما استحقت الاشارة.. أما خلاف الأتراك مع «الحنابلة الجدد الذين اعتنقا السلفية»، فان الحقيقة هي خلافهم مع الوهابية وليس مع أتباع المذهب الحنبلي، ولم يشا الكاتب أن يقول «الوهابيين»، فسمّاهم «حنابلة جدداً» اعتنقا السلفية، والسلفية مرحلة زمنية ليست مذهباً، وان حاول الوهابيون التلتف برداء السلفية المطاطي^(٧).

أما أن الأتراك كانوا على خلاف مع الشيعة، فليس هناك من شاهد واحد يدعم هذا الرأي.. فالحقيقة أن الأتراك راعوا خصوصية المنطقة الطائفية، ولعل تفسير إقحام الشيعة في هذا الموقع هو إبرازهم كنقطة خلاف، بينما الواقع هو أن الوهابيين كانوا مكرهين من مختلف التيارات المذهبية والفكرية، ولعله أراد أيضاً تبرير الاضطهاد المذهبى للسعويين، بل أنه أكد بأن المذاهب كلها توحدت على خلاف الوهابية.. قال :«ان انتشار المذهب الحنبلي السلفي - الوهابي - وما رافقه من تشدد في نشره بين السكان .. أثار حساسيات عند أصحاب المذاهب الأخرى غير الحنبليـة، وكان لهذه الحساسيات أثر في وحدة المجتمعات التي دخلها المذهب الحنبلي السلفي - الوهابي ... وان بعض القبائل والجماعات والأفراد هاجروا تحت ضغط المذهب خارج حدود الأقاليم التي دخلها الحكم السلفي - الوهابي ...»^(٨).

وهذا إعتراف صريح بأن الوهابيين اضطهدوا المذاهب السنوية والمذهب الشيعي في المنطقة الشرقية، مما اضطرهم إلى الهرب، وإلى الاجماع على كرهم، حتى أصبح هذا الكره إحدى وسائل التقارب بين هذه المذاهب.

وحماه المؤلف أن يجعل العثمانيين والوهابيين في جهة مقابلة للشيعة، وهذا في منتهى المغالطة، فهو يقول :«لم تكن علاقة السكان الشيعة في الأقاليم بالعثمانيين والسعويين علاقة طيبة وحسنة، بل كانت تسير في منتهى الحذر والشك والريبة، لأن العثمانيين كانوا على مذهب أهل السنة وكذا السلفيون!»^(٩).

ولا ندري ماذا كانت علاقة الأتراك بالوهابيين ، الم تكن الحرب قائمة بين الطرفين مدة قرن من الزمان ، وكان الأتراك الذين أسقطوا دولة الوهابيين الأولى في حملة محمد علي باشا ، كفاراً وملاحدة بنظر الآخرين .. الم يقل الوهابي ابن مشرف في الأتراك وحكمهم للاحساء :

ويحكم بالدستور بين ظهوركم
وحكم النبي المصطفى ليس يذكر
 فمن لم يكفر كافراً فهو كافر
ومن شَكَ في تكفيه فهو أكفر؟

أو لم يقل ابن سمحان مكفراً الأتراك أيضاً :
ومن لم يكفر كافراً فهو كافر
ومن شك في تكفيه من ذوي الطرد
الم يقل :

وما الرفض للاتراك في غمراتهم
هو الدين يا معتوه لو كنت مبصراً
ولكن بتكيير لهم وبشتمهم
جهاراً وتصريحاً وغيباً ومحضراً !

هكذا أصبحت الدولة الكافرة بنظر الوهابيين حلية لهم ، طالما هي تضطهد الشيعة ، فهذا من أهم حسناتها ، ولكن لا يوجد دليل واحد على إضطهاد الشيعة طائفياً ، بل للحق لم يمر في التاريخ الحديث حقبة ذهبية مثل الحقبة التركية ، اللهم إلا في عهدبني خالد الطويل .

أما مدحت باشا ، الذي قال أن جميع السكان مسلمون ، ومذاهبهم خمسة «أربعة اضافة إلى الشيعة» ، والذي إنهم الوهابيين باضطهاد المذاهب الأخرى «السنية والشيعية» ، فيتعلق على ذلك أبو عليه مضيقاً مغالطات ونكهة طائفية كعادة الغلاة المتطرفين : «ونستخلص من قول مدحت باشا أن الدولة كانت تحترم جميع المذاهب .. ولكن علينا أن نلاحظ أن الأتراك كانوا من أهل السنة والجماعة ، لذا ظل الشيعة نقطة خلاف مع السلفيين والأتراك»^(١٠) .
طبعاً ، الأتراك من أهل السنة والجماعة ! .

لهذا قال ابن سعود ، أن المسيحي الكافر ، أقل كفراً من الأتراك ! ، وأنه لو كان في بيته قطرة دم تميل اليهم لأزوالها .

واعتبر الدكتور الحامد ، أن الوهابيين في آخر عهدهم ، غلبوا عليهم الحدة والعاطفة «فكثرت الفاظ القذف الديني ، واستخدام التكفير مستخداماً واسعاً ، والتشدد في بعض الأمور ، كقضية تحديد من هم المشركون ومن هم الكفار ، وتکفير البدو والصلب ، وتحريم ذبائحهم ، وتکفير الدولة العثمانية ، وتحريم السفر للتجارة إلى ما يسمى بلاد المشركين»^(١١) .

إن القول باضطهاد المذاهب الإسلامية ، وبالأشخاص المذهب الشيعي ، الذي يشكل أتباعه الغالبية من السكان الحضر في القطيف والأحساء ، ينسف الرأي القائل بأن هناك نهوضاً في المنطقة من الأساس ، ذلك أن النهوض الفكري والعلمي ما قام إلا على التعددية والحرفيات المذهبية ، ولأن طبيعة المجتمعات يومئذ كانوا من العلماء والمشايخ وطلاب المدارس الدينية ورواد المجالس الأدبية^(١٢) .

ملامح النهضة الفكرية

كثرت في العهد التركي المدارس الدينية، وزاد عدد الطلاب والوافدين من أجل العلم، ووُجِدَ عشرات الشخصيات النابعة في الشعر والفقه والفلسفة، وألْفَت عشرات الكتب في مختلف العلوم، ونشطت حركة الاتصال العلمي بالمناطق المجاورة، وشارك فقهاء المنطقة في التصدّي للمذهب الوهابي، حيث أَلَّفَ العديد من أتباع المذاهب كتاباً وأنشدوا القصائد المناقضة.

المدارس الدينية: شهدت المنطقة المدارس الدينية منذ وقت طويل، وعمت شهرتها الأفاق في القرن الثاني عشر، حينما كانت المدارس الشيعية والسنوية تستقطب أعداداً كبيرة من أبناء المنطقة الخليجية ونجد.. ويكفي أن زعيم المذهب الوهابي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان قد قضى شطراً من حياته متعلماً في الأحساء على يد الشيخ عبد الله آل عبد اللطيف، والذي كتب رداً على أفكار تلميذه سماه: «تجريد سيف الاجتهاد لمدعى الاجتهاد».

وكانت المدارس يومئذ تعتمد على القواعد المذهبية، وكل مذهب له مدارسه ومعتنقوه ومربيوه وأساتذته، واستهزأ آل عفالق بتخصصهم في المذهب الحنبلـي، حيث نبغ منهم المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، صاحب الرد الشهير على الشيخ محمد بن عبد الوهاب «تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين». وتخصص آل الملا في فقه المذهب الحنفي، ولكثير من علمائهم كتابات وأشعار في الرد على الوهابيين، وكذلك آل عبد القادر تخصصوا في فقه المذهب الشافعي، وهكذا.

وبالنسبة للشيعة، وكانت روابط المذهب تشدهم نحو العراق وايران والبحرين، حيث كانت الأخيرة تقع بالعلماء والمراجع والمجتهدين الكبار، فأُسست المدارس وأُوقفت الأوقاف على طلاب العلم وازداد عدد الشعراء والأدباء، وتتباعـت المؤلفات في مختلف الحقول الدينية، والعلمية، ونبغ العديد من المراجع في الأحساء والقطيف، وظهرت البيوتات العلمية.

كل هذا التراث والمجهود العلمي تعرض للتدمير في مطلع القرن الثالث عشر، حين بدأت الهجمات الوهابية تترى على المنطقة، وباستيلاء السعوديين عليها أضطرت أشهر أسرتين علميتين سنويتين في الأحساء إلى الفرار «آل عفالق الحنابلـة، وأل فيروز» إلى الكويت، ثم إلى جنوب العراق «الزبير».. وكانت هاتان الأسرتان أشد من تصدى فكريـاً لـ«الدعاة المذهب الوهابي».

وتعرضت مدارس مختلف المذاهب إلى المصادرـة والتعطيل، وفرضـت تدرـيس المذهب الوهابي «كتابـ الثلاثة أصول للشيخ محمد بن عبد الوهـاب»،

وأحرق الوهابيون الكثير من الكتب، ونفي المعارضون الذين هم في أغلبهم من رجال الدين.. قال ابن غنام راًداً على قصيدة الشيخ محمد بن فiroز الاحسائي، موضحاً ومادحاً أفعال الوهابيين في الأحساء :

وقد ولـي الأحسـا سعـود فـاسـعدـت مـسـاعـيه أـهـلـالـخـير فـانـتـظـموـاـ سـمـطاـ وأـبـعـدـ أـهـلـالـشـرـكـ عـنـهاـ وـأـبـعـدـ مـذـاهـبـهـمـ فـيـهاـ وـماـ أـبـصـرـواـ غـمـطاـ وأـهـلـالـشـرـكـ،ـ هـمـ كـلـ مـنـ خـالـفـ الـوهـابـيـيـنـ فـيـ أـفـكـارـهـمـ..ـ ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ الشـيـعـةـ فـيـقـولـ مـخـصـصـاـ:

نعم هـدمـتـ لـلـرـفـضـ فـيـهاـ كـنـائـسـ^(١٣)ـ وـكـلـ شـعـارـ الرـفـضـ عنـ أـرـضـهـاـ مـيـطـاـ وـمـاـ كـانـ مـنـ جـورـ وـنـكـثـ وـبـدـعـةـ وـلـهـوـ وـتـابـوتـ بـكـلـ الدـعـاـ مـعـطـىـ وـلـمـ يـنـفـ إـلـاـ كـلـ مـنـ عـلـمـ الرـوـدـ وـمـنـ كـانـ سـبـابـاـ لـمـنـطـقـةـ مـسـدـ^(١٤)ـ

وتتالي الحكام على المنطقة، فمرة تكون بيد المصريين، وأخرى بيد الأتراك، وثالثة في يد الخوالد، ورابعة في يد آل سعود، حتى كانت الحملة التركية، فاستخلصت البلاد من آل سعود.. وعادت المدارس على عهدها السابق، وزداد عددها.

ففي الأحساء كان للشيعة مدارس معروفة تولاها الشيخ المجتهد محمد بوخمسين، ثم من بعده الشيخ المجتهد موسى بوخمسين، وكان يدرس فيها إضافة إلى الفقة والأصول والمنطق.. الحساب والخط وعلوم اللغة العربية. وفي القطيف أفتتح الشيخ محمد بن نمر عدة مدارس في العوامية والقديح والدبابة، وحبس لها من ماله ومن مال المقربين منه بعض الأوقاف، وخرجت مدارس النمر العديد من علماء المنطقة كالشيخ منصور المرهون الذي سجنه الملك ابن سعود هو وإبنيه، لأنه طالب بافتتاح مدرسة دينية!، وكذلك الشيخ رضوان العجبان، والشيخ حسين القبيحي، والشيخ طاهر البدر، والشيخ جعفر بن الشيخ محمد صالح، والشيخ محسن العرب، والشيخ محمد بن أحمد بن محسن الفرج وغيرهم^(١٥).

وأهم من مدارس النمر مدرسة صاحب مؤلف «أنوار البدرين» الشيخ المرحوم علي البلادي القديحي، والتي تخرج منها معظم مجتهدي الشيعة وزعماؤهم مثل: المرجع الشيخ عبد الله المعتوق، والحجة السيد ماجد العوامي، والمجتهد الشيخ محمد النمر، والسيد حسين العوامي وغيرهم كثير. وكانت هناك مدرسة للمرجع الشيخ عبد الله المعتوق في تاروت، كان مقرها منزل الشيخ عيسى السنّي، وتتلذذ فيها على يديه السيد باقر العوامي، والشيخ عيسى السنّي نفسه، والشيخ منصور بن غنام، والمجتهد الشيخ علي بن يحيى^(١٦).

ويضاف إلى هذا عشرات المجالس التي تتخذ صفة المدارس، وإن كانت في أهميتها تضاهي أهمية المدارس نفسها، باعتبار كثرتها، واختلاف

مستوياتها ، حيث تبدأ من العلوم الأولية حتى تصل إلى بحث الخارج الذي هو قمة التدريس حيث يتخرج المجتهدون والمراجع .. وفي الغالب كان لكل رجل دين مجلس يجلس فيه للتدريس ، إما في الفقه ، أو الأصول ، أو المنطق واللغة العربية ، ودراسات القرآن من تفسير وغيره ، أو علم الحديث .

وقد كان المجتهد الحجة أبو الحسن الخنizi يلقي بحث الخارج في مجلسه ، وهو من أجل مظاہر الحركة العلمية في المنطقة ، ومن مظاہر رقى القطيف كثرة المجتهدين والمراجع الذين يرجع لهم العامة في أمور دينهم مثل :

- ١- الشیخ محمد النمر (١٢٧٧-١٣٤٨ھـ).
- ٢- الشیخ حسن علی البدر (١٢٧٨-١٣٣٤ھـ).
- ٣- الشیخ أبو الحسن الخنizi (١٢٩١-١٣٦٣ھـ).
- ٤- آیة الله الشیخ علی أبو عبد الکریم (١٢٨٥-١٣٦٢ھـ).
- ٥- السید ماجد العوامی (١٢٧٦-١٣٧٦ھـ).
- ٦- الشیخ عبد الله المعتوق (١٢٧٤-١٣٦٢ھـ).
- ٧- الشیخ علی الجشی (١٢٧٦-١٣٧٦ھـ) (١٧).

من جهة اخرى انتشرت الكتاتيب في المنطقة حتى أنه ليصعب عدها وحصرها وهي بالعشرات ، وهي تدرس المباديء الأولية ، حيث يتعلم الطالب والطالبة القرآن والحراف الهجائية ومبادئ الكتابة والحساب ، وسيرة الرسول والأخلاق الإسلامية ، وعلوم اخرى .. وكان الكتاب منتشرًا حتى السبعينات الهجرية ، لأن المدارس النظامية لم تبدأ إلا في وقت متاخر جداً .

وكان من الطبيعي أن يكون التدريس سواء في المدارس أو المساجد وفق المذهب الذي تنتهي إليه كل جماعة ، قبل أن يفرض التدريس وفق المذهب الوهابي وحده . بعد الاحتلال السعودي الأخير .. وهكذا رأينا في الأحساء أن آل مبارك يدرsson وفق المذهب المالكي ، وأآل عبد القادر وفق المذهب الشافعی ، وأآل الملا وفق المذهب الحنفی ، والشیعة وفق مذهبهم الجعفری . وكان لاتصال الشیعة بحركة العراق العلمية أثر فعال في تطور الأوضاع في المنطقة ، ذلك أن معظم علماء الشیعة هاجروا إلى العراق ودرسوها فيها على يد كبار علمائها ومجتهديها ، وقلما تجد عالما لم يرحل إلى حواضر الشیعة في النجف وكربلاء وغيرها من أجل تلقي المزيد من العلم ، وقد أسمهم العائدون في تنشيط الحركة العلمية والأدبية ، خاصة وأن تراث المنطقة الأدبي منذ جاهليتها ، وبحكم اتصالها بالأقوام المختلفة ، أهلها لتساير أوضاع البلاد الأخرى المتغيرة علمياً .

وللدلالة على أثر الارتباط الثقافي والمذهبي على المنطقة وشعبها ، أن سكان حاضرة القطيف وغيرها ، كانوا أثناء العهد التركي على مستوى رفيع من الثقافة ولغة العربية ، حتى انه قلما يوجد من يلحن في كلامه ، وعلى

معرفة بالدين وتعاليمه مكنته من أن يعرف حتى أحكامه الخاصة التي لا يلم بها إلا المتخصصون في علم الفقه .. وأما الأدب فيتذوقونه ويحسنون نقده^(١٨)
التعليم النظامي : يدهش الباحث للوضع الثقافي في المنطقة إبان العهد العثماني، حينما يجد أن التعليم الحديث دخلها قبل آية منطقة خليجية أخرى .. ففي عام ١٩٠٠ زار المبشر المسيحي زويمر الأحساء، وذكر أن بها ثلاثة مدارس في الهافوتف التحق بها ٣٥٤ طالباً، وأن عدد سكان الأحساء كان يومها ٢٥٠ ألفاً^(١٩)، وهو رقم مبالغ فيه، فكل السكان الحضر يومها لا يزيدون عن تسعين ألف شخص يشكل الشيعة ثلثيهم على الأقل . وهكذا فإن نسبة الطلاب جيدة، مراعاة لتلك الأوضاع .. كما أن التعليم الحديث في العهد السعودي لم يدخل المنطقة إلا بعد نصف قرن، وكان عدد الملتحقين لا يزيدون عن المائة طالب ، ومع هذا فإليك تجد من المعارضين ، تشنجوا بالأتراك ، لأنهم لم يهتموا بالعلم ، وأن عدد المدارس لم يكن سوى ثلاثة فقط !.

وفي سنة ١٣١٩ هـ، ١٩٠٢ أنشأت الدولة العثمانية مدرسة الرشدية، واختارت لها موقعاً متوسطاً وبنتها على طراز حسن يليق بها كمدرسة، حيث كانت منعزلةً من جميع جهاتها عن البناء، وكان يحيط بها فناءٌ واسعٌ أعد لمزاولة التمارين الرياضية. كما وصفها الشيخ العلامة حمد الجاسر -. أما مواد التعليم، فهي العربية والتاريخ والرياضيات، وغيرها .. إلا أن هذه المدرسة أغلقت وصودرت بعد سيطرة آل سعود، ولم يسمح الآخرون ببناء مدرسة إلا بعد عقدين من الزمان، حيث تبرع الأهالي ببنائها من أموالهم الخاصة (٢٠)، وهناك مدارس شبه نظامية كان للاتراك جهوداً في تأسيسها ورعايتها، ومن بينها :

● مدرسة علي باشا في الكوت ، وعلى باشا هو أحد الولاة العثمانيين ، وقد أسس المدرسة سنة ١٠١٩ هـ، وتدرس الفقه الحنفي، واستمرت حتى السبعينيات الهجرية من القرن الرابع عشر.

● مدرسة مصطفى باشا بن علي باشا.

● مدرسة راشد بن دهنين العماني، أُسست عام ١٢٩٢ هـ.

● مدرسة محمد بن حسن خاطر، شيدت عام ١٢٧٢هـ (٢١)

وعدد الأستاذ السبعي حوالي عشرين مدرسة شبه نظامية يتولاها أصحاب المذاهب، كانت قائمة أثناء الحكم التركي، أو بعده بقليل، إلا أنها ضمرت وماتت مع الزمن، بفعل القمع الحكومي، وفرض المذهب الرسمي.

الشخصيات العلمية والأدبية

[١] العلامة الشيخ محمد النمر «١٢٧٧ - ١٣٤٨هـ» .. هو الشيخ محمد بن ناصر بن علي بن علي بن أحمد بن علي بن حسين بن عبد الله بن نمر بن نمر بن عايد بن عفيفسان ، كان أجداده سكنة نجد «قرية الإسلامية» وتشييعوا منذ عدة قرون .

تلقي علومه الأولى في القطيف على يد أعلامها «الشيخ أحمد صالح آل طعان القطيفي ، والعلامة الشيخ علي البلادي» ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتلقى العلم على يد أساتذته من المجتهدin «الشيخ محمد طه نجف ، والشيخ محمود ذهب ، والملا هادي الطهراني» .. وبرع في الرياضيات والطب فكان طبيبا مشهورا حانقا ، إضافة إلى تفوقه العلمي في الأصول والفقه وعلم الكلام ، رغم أنه كان ضريرا ، ولكنه وجد الوسيلة للتغلب على تلك المشكلة .

نال درجة الاجتياز ، ومن شهد له بذلك مرجع الطائف في عصره الشيخ محمد طه نجف ، والسيد محمد الهندي ، ولما عاد إلى مسقط رأسه تولى الفتيا في أمور الفقه والقضاء ، وأصبح أحد مراجع الشيعة في المنطقة .. وقد أسس مدرسة علمية وحبس لها من ماله الخاص ، وتلتمذ فيها العديد من علماء الطائفة .

له عدة مؤلفات من رسائل وكتب ، فكتب في الفقه والفلسفة والنحو ، والطب ، والحساب ، ونظم عدة قصائد في الأمور النحوية والفقهية والفلسفية ، إضافة إلى قصائد أخرى في الرثاء .

كانت له وفقات مشهورة أثناء حادثة الشريبة سنة ١٩٠٨ ، وقد أشرنا إليها في موقعها .. وفي عام ١٣٤٧هـ ، ثار ضد الملك السعودي وحمل السلاح ، وحاصر مقر الأمارة في القطيف ، متنددا بسياسة التمييز الطائفي ، وكانت العوامية مركز ثقل الثورة ، ولكن الأمور لم تأت وفق رغبته ، فاضطر إلى المصالحة وتسليم السلاح ، فأصابه ألم نفسي ما لبث أن توفاه الله بسيبه .. قال الشيخ سعيد أبو المكارم : «وترحل هذا الفقيد الإسلامي بسبب قهر غاشم من عليه وعلى أمنته ، وغلبة خالفة سيرة أبياته وشممها ، واضطهاد أراد فيه الحفاظ والدفاع للذين يفرضهما الدين والعقيدة الإسلامية ، وقلب الظروف القاسية ذلك المراد الذي رام فيه الاستشهاد الحبيب رأسا على عقب ، فأصيب ذلك الطبيب النطاسي بعقدة نفسية ، وأدركه القضاء بعد ذلك بزمن قصير في التاسع من

شوال سنة ١٣٤٨ هـ، فتأثر الجمهور لفراقه، وكان لصوت ناعييه صدى ورقة
بلغت آفاق القطر»^(٢٢).

والحقيقة فان الألم كان بسبب مخالفة بعض العلماء لمشروعه التغييري،
وركونهم الى مصالحة الملك، وتثبيط الناس عن الثورة.. فهذا هو الذي ألمه
وهذ أركانه.

رثاء ابن أخيه الأديب محمد حسن بن الشيخ حسن النمر فقال :

حكم الزمان وجار في الأحكام
وغيوت نهب مخالب الأيام
اكذا القضاة وعادلة الحكماء
لحدث قيلك قبل يوم حمامي
إلا قطیع شتّ بعد وئام
نحو القبور سيقبرون عصامي
دفت علاها في احبط مقام
ما كان احراما ببل اوام
لم ارن نعشك إذ رفعت امامي
ورثاء المرحوم الشيخ فرج العمران فقال :

غدا مرشدأ لمن استرشدا
وعائق اترابها الخردا
ولا غرو فهو الذي شيدا
واحرق منها الأسى الأكبدا
حملت على النعش ركن الهدى
شققت لنور الهدى ملحدا
دفت المك سارم والسوددا
الم ترى ان الندى الحدا
الا فاك ما عشت طول المدى^(٢٣)
وللشيخ النمر قصائد رثاء، تعكس روحيته الثورية، فأغلب قصائده تدعو
للأخذ بالثار، وتحرض النفوس على الثورة ضد الطغية، يقول في
إحداها^(٢٤):

وامتنعوا للنزال جردا صعبا
تملا الجو ظلمة وعدبا
بني حرب شيبة والشبابا
كأس ذل ذاقتـه ذلا وصابـا
بيضها الهام منكم والرقابـا
قبل يوم الطفوف حتى ثهـا
ام نكولا عن ضربـها وارتـها
عوضـت عن صهـيلـها الـانتخابـا
من العزم ان تشـق الإـهـابـا
كسيـثـ من صـدىـ عـلـيـهاـ تـرابـا

قوموا السـمر هـاشـمـ والـكـعـابـا
وانسـجـوا من طـرـابـها التـرـبـ سـحبـا
عارضـا يـحـمـلـ الحـمـامـ ويـسـقيـهـ
فـلـكـمـ مـنـ اـكـفـهاـ جـزـعـتـكـمـ
وـلـكـمـ اـنـهـلتـ بـرـغمـ المـعالـيـ
ما عـرـفـناـ لـالـ حـرـبـ مـقامـ
افـعـجزـاـ عـنـ حـرـبـهاـ وـلـقاـهاـ
اوـ ماـ حـرـكـتـ إـبـاـكـمـ جـيـادـ
إـيـنـماـ كـرـ ذـكـرـ الـوـغـىـ كـاتـ
هـذـ بـيـضـكـ لـطـولـ بـقاـهاـ

لا يصدر الكماة تلك الحربا
لم تجد من يهُر منها الكعبا
وذ للضرب ان يعذ الضرابا
صبرت فوقها بعاصم شرابا
لو نحي جمعها لولى انقلابا^(١)
وقال في قصيدة أخرى كسابقتها تتحدث عن الثأر المضيغ:

وفي أرضه للجد جسم موزع
ونمت فلا مجد لك اليوم يرفع
كؤوساً ولا كأس بك اليوم تجرع
لأنف الآباء من مجبك اليوم تحذع
بصير العلي من عزك اليوم تقرع
وإلا فإن الكف للنفس انفع
نساء بني حرب من السبي تمنع
مضارب من هام السماسكين ارفع
صربيع وغى عنها يذب ويدفع
فك برقع عنها يماط وينزع
بحيث غدت في وجه عزك تسعف^(٢)

ستين بيتاً يقول فيها:

ومركبها فيه ارتکاب المحارم
سوى جحفل تال لآخر قادم
بان فتى الهيجاء وابن الملاحم
او الحتف لا ينفك ضربة لازم
يضيق بها رحب الفضا والعوالم
وابيضوضاح الجبين وباسم
ابو طالب لا من سلوك ودارم^(٣)

هذه سمرکم رکزتم ولكن
وهذه من لظى تلوت ولكن
..فاحسدو في ضرابها كلّ عصب
واغسلوا من نمائها كلّ ارض
واستفرزوا لجمعها كلّ فرد
لهاشم يوم الطف ثار مضيغ
هجعت فلا ثاز طلبته هاشم
وهذه بنو حرب ادارث لك الردى
وتلك الضبا اللاتي شحنت حداها
وتلك القنا اللاتي اقمت كعباتها
..فنهمضا فلأن العز أن تنهمروا لها
سننتم يوم الفتح صفا فاصبحت
فتلك بها اللاتي اشادت لها الضبا
برغم الهدى أمسث ولا دون خيرها
لقد هجمت حرب عليها خباءها
وكم من خبا أمسى الى النار موددا
وله قصيدة ثلاثة تحوي اكثرا من

..انتك وبئس السائق البغى ساقها
فاصبحت انتي ترسل الطرف لا ترى
وتقطيع جهلاً ان تضام وما درت
اخا المجد رب الفخر قد حالف الإيا
فالحقتها بعد المحجة غارة
قذفت بها من كل شهم شمردل
..وأساد غيل قد نعاها الى العلي

[٢] [الشيخ العلامة حسن علي البدر : من مواليد عام ١٢٧٨ هـ ، عاصر
معظم سنوات العهد التركي في الأحساء ، تلقى تعليمه في النجف الأشرف ،
ووأصله في القطيف على يد الشيخ علي البلادي ، وكان أحد مراجع الشيعة في
المنطقة ، ومن شهدت الأحداث بمواففهم المبدئية .. ألف رسالة «دعوة
الموحدين إلى حماية الدين» ، داعيا المسلمين محاربة الاستعمار الإيطالي للبيضاء
المسلمة ، وحشد فيها فتاوى أهم مراجع الشيعة في العراق ، وقد فرغ من
رسالته في العشرين من شوال سنة ١٣٢٩ هـ .]

بعد احتلال ابن سعود للأحساء ، دعا الشيعة في القطيف للمقاومة ، لئلا
يعيشوا ماضطهدين طائفياً طيلة عمرهم ، وسافر من البلاد في اليوم الذي وطئت
فيه أقدام الأمير السعودي ابن سويم أرض القطيف ، وذلك إلى البحرين ، ثم
إلى العراق .

حمل السلاح الى جانب مراجع الشيعة ، والى جانب العثمانيين في الدفاع عن العراق أمام الهجمة الانجليزية في الحرب العالمية الأولى .. وتألم كثيراً لسقوط البصرة ، حتى اذا ما أقيمت مهرجان للمقاومة في الكاظمية القى كلمته ، ثم لفظ أنفاسه سنة ١٢٣٤ هـ .. وحاله هنا يشبه الى حد كبير الشيخ محمد النمر ، فهما من مدرسة واحدة ، وتوفيا الما وحسرة على ما أصاب الإسلام وأهله .

تتلمذ على يديه عدد من العلماء كالشيخ منصور المرهون ، والشيخ حسين القديحي رحمهما الله .

ومن مؤلفات المرحوم العلامة البدر ما يلي :

١- وسيلة المبتدئين الى فهم عبائر المنطقين ، صنفها للماجد الوجيه الحاج احمد بن الشيخ محمد علي بن مسعود الجشي المتوفى سنة ١٢١٧ هـ ، وقد فرغ من تصنيفها في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ١٣٠٧ هـ .

٢- شرح مبسط غير تام على المنظومة الموسومة بالعمدة ، للعالم الشيخ احمد بن صالح آل طعان .

٣- حاشية على فرائد الأصول ، وضعها لتحليل رسائل المؤسس الانصاري ، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ .

٤- حاشية على تهذيب المنطق .

٥- حاشية على كفاية الأصول ، وضعها لحل غواضخ الكفاية للمحقق الخراساني المتوفى في العشرين من ذي الحجة ١٣٢٩ هـ .

٦- إحقاق الحق وإبطال الباطل ، صنفها جواباً لسؤال الشيخ علي بن محمد بن مهدي آل محسن القطيفي الكويكبي ، وقد فرغ من تصنيفها في العشرين من ذي القعدة سنة ١٢٢٢ هـ .

٧- رسالته العملية ، المسممة روح النجاة وعين الحياة ، وقد طبعت في بغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٧ هـ .

٨- رسالة في أحكام المكاسب والتجارة .

٩- رسالة في قضاء ذوي الأعداء .^(٢٨)

وكان البدر يقول الشعر في المناسبات ، واتخذ ذات المنحى الذي اتخذه الشيخ محمد النمر ، في تحريضه على القتال والأخذ بالثأر من الطغاة .. يقول في إحدى قصائده^(٢٩) :

على غصص فيها قضى كل هاشمي
فترضع حرباً من ضروع اللهانم
على آل حرب تحت اسد ضراغم
كما اوطاوها صر سيد هاشم
من الضرب بالأسيف وجه الضياع
.. قضى وهو حزان الفؤاد من الظما
فما لنزار لا تقوم بثارها
وتملاها خيلاً تسابق طرفها
فتقطيء هاتيك السنابك هامهم
.. هل استبليت باللطم فوق وجهها

دماها بإجراء الدموع السواجم
فهل عرفت كيف السبى ابنة فاطم
كان لم يكن ذاك الخبا خدر هاشم
عليها ففرت كالحمام الحوائمه
وثبى نساكم فوق عجف الرواسم
كما شاعت الأعدا الى شر غاشم
يتامى على والبتولية فاطم
نا خبايا مشاعره، وتنفسر لنا العديد

وهل رضيت عن سفك آل أمية
هباوا القتل فيكم سيرة مستمرة
ـ أهان عليكم هجمة الخيل خدرها
لها الله من مذعورة حين أضرموا
ـ أعيذكم أن يستباح حريمكم
ـ ايرضى إياكم أن تنساق حواسرا
ـ ايرضى إياكم أن تسير في السبا
وله قصيدة أخرى تحريضية تكش
من مواقفه .. يقول :

اباها فلم ينهض بها عتب عاتب
إليها بما يرمي الغيور بثاقب
على السمع من قلب من الوجد ذاتب
تميل بارجاء الجبال الأهاضب
يرف لواها في متون السلاهب
يرى الصارم الهندي أصدق صاحب
مروع حشأ من شدة الخوف ذاتب^(٢٠)
بول:

يجدها أغاليطًا وأضغاث حالم
على أنها مهما تكن طيف نائم
بصورة موجود بقالب دائم
وما يدعى حلواً سوى وهم واهم
فيقرع إن فاتت لها سن نادم
على فائت غير اكتساب المكارم
ولا دار لذاتٍ لغير البهائم
عن الروح واللذات ضرية لازم^(٣)

حمد بن صالح آل طعان حيث يقول:
فَقَمَاءٌ تَذَهَّبُ بِالْحَلَوْمِ
فَاقْعُدِي جَزِعًا وَقَوْمِي
الْعَلَمُ بِالرِّيَاحِ الْعَقِيمِ
بِرَاقِعٍ لِلْلَّيلِ الْبَهِيمِ
فِي دِجَا الْجَهَلِ الْعَجِيمِ^(٣٢)

متى فقدت ابنا لؤي بن غالب
اما قرعت اسماعها حنة النسا
فكم نظمت جمر العتاب قلائداً
وضجّت إليها بالشكایة ضجة
الأسبى ولا فتیان قومي عوابس
بها من بني عدنان كل ابن غابة
كمي يزيد الموت من شزر لحظه
وله في مطلع قصيدة شعر حكمة

وَمَنْ يَنْظُرُ الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ
وَيُوقَظُهُ نَسِيَانُ مَا قَبْلَ يَوْمِهِ
وَلَكُنُّهَا سَحَارَةٌ تَظَهَرُ الْفَنَاءُ
وَلَا فَرْقٌ فِي التَّحْقِيقِ بَيْنَ مَرِيرَاهَا
فَكَيْفَ بَنْعَاهَا يَغْرِي أَخَا حَبِيْبِي
وَهُلْ يَنْبَغِي لِلْعَارِفِينَ نَدَامَةُ
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ اسْتِرَاحَةٍ
عَلَىٰ قَبْرٍ بَعْدِ الْمَرءِ مِنْهَا إِبْتِعَادُهُ

[٣] آية الله الشيخ موسى بوخمسين : ولد سنة ١٢٩٥ هـ في مدينة الهافوف ، وهو من عائلة دينية معروفة تحظى بالاحترام الكبير لدى علماء السنة والشيعة ، فأبوه الحاج عبد الله وجده الشيخ حسين بن الشيخ علي بوخمسين ، وعمه آية الله الشيخ محمد بن الشيخ حسين بوخمسين الذي كان مرجعاً دينياً

في زمانه .

قرأ الشيخ موسى جملة من المقدمات في الاحسأء ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ، حيث التحق بمدرسة المعتمد المعروفة بمدرسة كاشف الغطاء ، وأقام فيها مدة خمسة عشر عاماً يدرس على يد أفاضل علمائها ، مثل الحجة السيد أبو تراب الخونساري ، وأجازه دراسة ورواية ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، وأجازه بالاجتهاد والرواية ، والسيد محمد كاظم اليزدي ، وأجازه بالاجتهاد والرواية ، والميرزا محمد حسين الشهريستاني ، والشيخ ملا حسين الارديكاني ، والميرزا علي الشهريستاني .

ألف الشيخ موسى عدة كتب منها ، كتاب النص الجلي في إثبات الآيات النازلة في الإمام علي «ع» ، وتعليق مستقلة على رسائل الشيخ الانصاري ، وأبحاث استدلالية في أبواب فقهية متفرقة ، وتحقيق الاحكام ، وهو كتاب في الفقه غير تام ، ورسالة عملية في العبادات . كما ألف الشيخ في المنطق وله عدة كراسات ناقصة في مواضيع فقهية .

وقد أقام الشيخ موسى حوزة علمية قصدتها طلاب العلوم الدينية من مختلف المناطق والقرى في الاحسأء ، وكان لها الأثر الكبير في استمرار الحركة العلمية ، وتتلمذ على يده لفيف من العلماء الأفاضل من بينهم : الشيخ عبد الكريم المقطن ، والشيخ حسين الصحاف ، والشيخ كاظم الصحاف ، والشيخ عبد الله الدويل ، والشيخ ابراهيم الخرس ، والشيخ ناصر بو خضر ، والشيخ محمد البقشي ، وغيرهم .

وكان الشيخ موسى يمارس القضاء والقيادة في منطقة الاحسأء ، وقد عانى الكثير من المشاكل بعد سيطرة السعوديين على المنطقة ، رغم انه والسيد ناصر الهاشم ، كانا المفاؤضين الرئيسيين لابن سعود بعد احتلال الاحسأء .

في عام ١٣٥٢ هـ توجه الشيخ موسى إلى ايران لزيارة الامام الرضا عليه السلام ، وفي طريق عودته توفي في خانقين ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ، ودفن هناك في اواخر ربیع الثانی سنة ١٣٥٣ هـ .

وقد خلف رحمه الله ذرية صالحة ، يأتي في مقدمتها نجله العلامة الشيخ باقر بوخمسين ، الذي يتصدى الآن لمهمة القضاء الجعفري في الاحسأء ، ونجله الفاضل الشيخ محمد جواد الذي توفي في عام ١٣٨٩ هـ ، اضافة إلى العديد من حفته ، كالشيخ حسن الشيخ باقر ، والشيخ موسى الحاج عبد الهادي بوخمسين ، والشيخ حسين الحاج عبد الهادي بوخمسين ، والشيخ حسن الحاج عبد الهادي بو خمسين^(٣٣) .

[٤] المرجع الديني آية الله الشيخ عبد الله بن معنوق بن درويش بن معنوق المرهون : ولد سنة ١٢٧٤ هـ ، تلقى علومه الاولية على يد العلامة

الشيخ البلادي ، والعلامة الشيخ احمد آل طعان ، ثم سافر الى النجف حيث درس فيها أكثر من عشرين عاما ، ثم عاد الى مسقط رأسه في جزيرة تاروت ، مرجعاً بيانيا ، وأصبح مقلداً لكتير من أهالي القطيف والأحساء والبحرين .. له الكثير من الآثار العلمية ، من جملتها رسالة في الشك أسمهاها «سفينة المساكين» ، وله ديوان رثاء لأهل البيت ، تجد نماذج من شعره التقليدي في كتاب شعراء القطيف^(٤) .

في طريق عودته الى وطنه في ربيع الاول سنة ١٤٣٧هـ ، اعتقلته القوات
البريطانية في البصرة التي كانت تحتلها آنذاك ، واتهمه قائد الحملة البريطانية
ببيرسي كوكس ، بأنه جاسوس يحمل كتاباً من زعماء النجف الى اهالي البصرة ،
فكتب العديد من علماء العراق رسائل احتجاج ومناشدة اطلاق سراحه ، فأبعده
البريطانيون الى البحرين ، ومنها عاد الى وطنه .

توفاه الله أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ هـ ، بعد أن أدى خدمات جليلة في بث العلوم والمعارف الدينية ، وكان لمدرسته الفضل في تحرير عدد من العلماء والمجتهدين ، أمثال المرحوم المجتهد الشيخ علي بن يحيى .

[٥] **الزعيم** **أحمد بن مهدي بن نصر الله أبو السعود القطيفي** : أشرنا في موقع سابقة من الكتاب الى نشاطه السياسي ووزعمته للمنطقة .. ورغم أنه شغل بالسياسة وال الحرب إلا أنه كان شاعراً مكتراً، وقد ترك ديواناً غير مطبوع في مجلدين .. وله أكثر من مائة قصيدة في رثاء أهل البيت ، وجارى ابن أبي الحديد في قصائده السبع العلويات ، تجدها في كتاب أعيان الشيعة للمرحوم السيد محسن الأمين ، كما جاري المعلمات السبع :

توفي رحمة الله سنة ١٣٠٦هـ، بعد زعامة دامت حوالي العشرين عاماً.
من شعره في مدح الإمام علي، هذه الرائعة^(٣٥):

وله الثنا ونسبة المضبّاك
قرشي والمتحثّن الهشّاك
متداركًا والأسرّ الفكّاك
تعنوا لها الأقدار وهي ركاك
سلاك لم تتحرّك الأفلاك
خضعت لأخمص طولها الأملاك
حتى يجلجل من نداء وشكاك
واليوم ليل والمجال ضنكاك
كف المهاك والشكيم يلاك
انهـ اللهـ منـ بـدـهـ هـلاـك
وعلـىـ اـمـيرـ المؤـمنـينـ تـاهـيـ
الفـارـسـ العـربـيـ وـالـمـتـالـقـ الـ
وـمـسـابـقـ الـأـجـالـ طـعـنـاـ فـيـ العـدـيـ
خـلـقـ أـرـقـ مـنـ النـسـيمـ وـسـطـوـةـ
وـمـنـاطـ باـسـرـ لـوـ الـمـ شـذـاءـ بـالـأـفـ
وـعـلـأـ يـطـوـلـ عـلـىـ الـعـلـىـ وـمـكـارـمـ
وـيـدـ تـمـدـ الغـيـثـ مـنـ جـوـاـهـاـ
اسـدـ يـعـيـرـ الـمـوتـ غـرـةـ وـجـهـهـ
ماـ سـالـمـ السـنـيـاـ وـقـدـ أـلـىـ لـهـ
كـلـاـ وـلـاـ تـرـكـ الضـلـالـ وـلـمـاـ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْحَشَاشَةِ مَصْدَعٌ أَرْقَ يَلْمَ وَظَاعِنٌ لَا يَرْجِعُ
وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَخِلْقَةٌ هَتَّفَتْ عَلَيْكَ بِبُؤْسِهَا
أَمَّا الْأَحْبَةُ فَالْجَنَّةُ بِوْنَهُمْ
جَرِبَتْ مِنْ نَارِ الْهُوَى لَا تَنْطَفِي
وَغَدُوتْ التَّجَعُ الدَّنْوُ كَانْتِي
.. سَبْعَ وَعَشْرَوْنَ اهْتَبَلَنْ لِي الْعَدَا
أَرْعَى مِنْ الْعَهْدِ الْقَيْمِ بِرَوْضَةٍ
وَاضْنَ مِنْ عَصْرِ الصَّبَا بِشَبَبَيْهِ
لَمْ يَتَرَكِ الزَّمْنَ الْلَّجَوْجَ بِمَهْجَتِي
.. مَا لِي أَذْلَّ وَلَا نَزَاعِي رَخْوَةً
فَلَأَقْذَفَنَّ بِكُلِّ حَزْقٍ وَاسْعَ
وَلَأَخْضَمَنَّ إِلَيْهِ كُلَّ شَقِيقَةٍ
وَلَأَحْمَلَنَّ عَلَى الدَّجَّةِ فَتَيَةَ
شَعْنَا يَلْوِثُونَ الْأَكْفَ قَوَابِضَا
ضَرَبُوا عَلَى هَذَا الدَّجَا بِسَرَانِقَ
وَتَمْلَكُوا شَرْقَ الْعَلَاءِ وَغَربَهَا
فَهُمْ نَجَادُ الْمَجْدِ أَيْنَ تَنْجِدُوا
قَذَفُوا بِأَيْدِي الْقَارِعَاتِ تَغْطِرُفَا
وَتَقْنَعُوا سَرَحَ الْعَلَا فَتَفَرَّعُوا
الْمَعْرُونَ الْجَوْدُ وَهُوَ مَغْيَضٌ
أَرْمَى بِهِمْ غَسْقَ الظَّلَامِ وَارْتَقَى
وَالِيْ أمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَحْمَلِيْ

ومن قصائد:

وقيد الحواشى بالأشعة مقطوب
وهاد تجافي بالسرى وأهاصيب
ولا شاقني وافي الرواوف مخضوب
لنا وجناح الليل اسود غريب
بنجد وقلبي بالصباية ملهوب
على الناي ادلاج يطول وتأبيب
على الدهر شيء بالمنية مطلوب
وإن قل عندي الرجال الاصحاب
بان رواق العز في الموت مضروب
وعادت بانكاث المخازى القراصيب
صور عليها للضفائن تكتيب
كان عليه من نرى الشم مخشب
ولكنها تحت العجاجة سرحوب
الى حيث لا تسمو الرعنان الاخاشيب
وفحل المنايا بالشراسة مرکوب

سرى ورواق الليل بالدجن مضروب
وميضم كتلويح الرداء ودونه
فما راعنى عنب المرافت شادن
سرى البارق الملتاح من جانب الحمى
بدا من كثيب عالج فاستفزني
وذكرني من كنت اهوى وبيتنا
تهون المعالى عند قوم وإنها
ساتخذ الظلماء برعا حصينة
اما كان بدر شاهدالذوى العلا
غداة تولى بالمعالى مهذب
وجاءت قريش تمضغ الغضن والعنا
على كل نهد المركلين مطهم
وجراء ما امتنعت عليها جزارة
فلما اشمخرت واشماتت قناتها
سمها على والرماح شوارع

وكأس الردى بين الفوارس معهوب
وللوحوش ولغ القشاعم تخليب
شفاء واشرعن الرماح السلاhibib
ولكنه من خمرة الموت مصحوب
تقبل مثواه العناق اليعبابيب
فاضحى وفيه للردى الحم تقطيب
طعين باطراف الأستة مخضوب
فامسى على المثوى لقى وهو مغلوب
عليه وللأغالل غل وتتكلب
جري وهو للجرد الشوازب مجنوب
وعضب تولى وهو بالغضب مغضوب
عوائده العقبان والنسر والذيب
ولكنه من حارب الله محروم
اذا ارهق الأقوام للبؤس اثعوب

جلا نقعها واليوم باليلوم مسدف
فاضحت وفيها للغوانى نواب
وقد علت البيض القواضب ريهـا
فكـم ضيـغم أعـفى ولـيس بـه كـرى
وكم مـلك يـابـى المـذـلة أصـبحـت
ومـمـتنـقـصـ قدـ كانـ يـسمـوـ إـلـىـ العـلاـ
وكم خـرـ فيهاـ مستـطـيلـ وـدونـهـ
وكم هـانـ مشـبـوحـ النـزـاعـينـ أـغـلبـ
وكم أـسـرـ أـضـحـىـ ولـلـأـسـرـ موـشـقـ
وأـصـيدـ ماـ رـاضـتـ نـوـازـقـ باـسـهـ
وـشـقـشـقةـ قـرـتـ لـمـقـرـمـ مـصـعـبـ
ونـاعـمـ جـسـمـ عـافـرـ الـوـجـهـ شـاحـبـ
هـوـ الـخـطـبـ ماـ كـانـواـ يـظـنـونـ مـثـلـهـ
تفـشـاهـ طـلـاعـ الثـنـايـاـ مشـيـعـ

ومن شعره :

الـاـ مـاـ لـعـيـنـيـ وـالـخـيـالـ الـمـواـزـ
اـفـيـ كـلـ يـوـمـ لـيـ عـلـىـ الـدـهـرـ عـثـرـةـ
وـلـاـ يـسـمـعـ الـدـهـرـ الـغـشـومـ بـصـاحـبـ
وـلـاـ اـقـتـضـيـ مـنـهـ بـيـونـيـ وـيـقـتـضـيـ
فـلـاـ بـلـ كـفـيـ بـالـسـمـاحـ وـلـاـ رـوـتـ
وـلـاـ ذـاقـ بـاسـيـ الـزـائـرـوـنـ وـلـاـ نـمـاـ
وـلـاـ اـقـتـنـصـتـ هـذـيـ الـلـيـالـيـ حـبـائـلـيـ
وـلـاـ جـلـجـلتـ بـالـدـارـ عـيـنـ صـوـاعـقـيـ
وـلـاـ اـغـبـطـتـ بـيـ فـيـ الـورـىـ اـمـ قـسـطـلـ
وـلـاـ اـبـرـقـتـ يـوـمـ النـزـالـ صـوـارـمـيـ
لـعـمـرـيـ لـقـدـ خـانـ الـأـجـيدـعـ رـبـهـ
..ـحـانـيـكـ لـيـسـ الـمـجـدـ إـلـاـ مـنـ السـرـىـ
وـلـاـ مـدـحـ إـلـاـ لـلـوـصـيـ فـانـهـ
لـثـنـ تـاهـ مـدـحـ فـيـهـ اوـ ضـلـ شـاعـرـ
وـلـكـنـ لـفـظـ المـدـحـ فـيـهـ عـلـىـ فـمـيـ
..ـالـيـكـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـدـائـحـيـ
هـلـ المـدـحـ إـلـاـ فـيـ مـعـالـيـكـ رـائـقـ

وبون التداني طول رجع المعابر
تكرر بأعقاب الجدود العواثر
ولا ترجع الأيام مثني بعابر
سوالف من استارها بالغواير
زنادي ولا أم الضيوف مناورى
عيدي على هام العلا والمفاخر
غلابا ولا دارت بهن بوائرى
ولا نصب فوق الأعادى منابرى
ولا انجلفت من سطوتى أم عامر
ولا هتفت يوم الهياج زماجري
وران على المعروف أم المناكر
ولا العز إلا تحت وطئ الحواifer
معاذ لمن أوداه سوء الكبار
فقد يله من كل فضل بباهر
من الفكر منتال بغير الجواهر
وفيك وان لج الواحي بضائرى
وهل راق بالأشعار مثل المأثر

[٦] آية الله الشيخ محمد حسين بو خمسين : ولد في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري ، وقد عاصر دولة السعودية الثانية ، كما عاصر العهد التركي منذ نشأته ، وكان مرجعاً بينيا وزعيمًا سياسياً في منطقة

الاحسأء ، وقد ذكرنا نتفاً عن حياته وموافقه إبان الحرب الأهلية السعودية .
له العديد من المؤلفات والشروحات ، بينها رسالته العملية الكبرى التي
سمّاها «منار العارفين» ، وله الرسالة الصغرى وسماها «مصابح العابدين» ،
توفي رحمه الله سنة ١٣١٦ هـ (٣٦) .

[٧] **الشيخ علي البلادي البحرياني القديحي** : ولد سنة ١٢٧٤ هـ حيث
عاصر العهد العثماني في المنطقة من بدايته إلى نهايته ، تلقى علومه على يد
العلامة الشيخ احمد بن صالح بن طعان ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ، وحضر
عند جملة من فضلائها ، وثلثة من علمائها .. له العديد من المؤلفات أشهرها
«أنوار البدرين في ترجم علماء القطيف والأحساء والبحرين» ، حيث حوى ٨٦
ترجمة لأهم علماء القطيف والأحساء ، والكتاب لا غنى عنه لأي باحث عن تراث
المنطقة .

والمرحوم البلادي يقول الشعر في المناسبات ، وله :

والبس به حلل الأرباء والكرب
هدي السرور مدي الآباء والحقب
سي واسفرت عن محيا كالح غضب
شم العرائين من أهل ومن صحب
نيرانها بسيوف الهند والقضب
كانوا استقبلوا خودا على نجد
هام اللمامة أجابوا السجع بالطرب
ترشفوا من دم الأعداء عن اللهب
فوق الصعيد على الكثبان والهضب (٣٧)

هل المحرّم فاخليع حلّة الطرب
واحرّم وطفّ كعبة الأحزان منتحرا
قامت على ساقها الحرب الضروس ضح
فصامتها ليوث الكرّ من مصر
فكّلما استعرت نار الحروب خبوا
وكلما نكحت أبطالها قدموا
وكلما سجعت ورق السيوف على
 وكلما التهبت أكبادهم عطشا
حتى هموا في عراض الطف قاطبة

[٨] **الشيخ احمد بن الشيخ صالح بن طuan القطيفي** : وهو أحد أبرز
علماء المنطقة ، ونابغة من نوابغها ، تربى على يديه وفي مدارسه العديد من
العلماء المجتهدية وفطاحلة العلم من الرعيل الأول .
له العديد من الكتب والمؤلفات والرسائل ، وطبع له بعد وفاته
«١٠/١٣١٥ هـ» ديوان حمل اسم «المراثي الأحمدية» ضمّ بعض أشعاره
التي قالها في المناسبات .. ومن شعره :

على الطف عرج ولا تعجل لن يجملا
وحلّ وكالمدمع المستفيض
وأجر المسلسل والمراسلا
ورش بها عرصات الطفوف
لتكتسي بها خير وشي حلا
على أن أفضل برّ الرسول
بكاؤك فتلى ربى كربلا
كأنّ الحمام مدام حلام
وكم فعلوا منهن مجعلا
فكم قيدوا للعدي مطلقا

وكم زوجوا البيض سمر القنا
وكان الروس نثار الجلا
فتاق لروض الجنان الجنان
وحل الذي في القضا اجلا
فخرزوا كما انجم قد هوت
عقيب التمام بنت أفلأ(٣٨)

[٩] الشيخ علي ابو عبد الكرييم الخنيزي : وقد كان الزعيم السياسي للطائفة في بداية العهد السعودي الأخير ، بعد رحيل ابن جمعة ، والعلامة البدر ونظرائهم .

هاجر الى النجف الأشرف ، وتلقى دروسه عند الشيخ محمد علي الجشي ، كما درس المغني والحاشية والشمسية عند المرحوم الشيخ النمر ، والمعالم واللمعة والقوانين عند الشيخ حسين بن الشيخ محمد علي آل عبد الجبار ، والرسائل عند الشيخ حسن علي البدر .

كانت له مواقف معروفة في تسهيل مهمة ابن سعود في ضم القطيف للملكة ، وكانت علاقته بابن سعود قوية في كل ما يتعلق بشؤون الشيعة ، إقتصادياً وسياسياً ومذهبياً .. ولا أدل على ذلك رسائل الملك المتتابعة إليه ، خاصة سنتي ١٣٤٧هـ ، و١٣٤٨هـ ، ففي هاتين السنتين قامت إنفاضة العوامية بزعامة المرحوم الشيخ محمد النمر ، وفيهما فرّ حوالي ثلث سكان المنطقة الى البلدان المجاورة نتيجة العسف الاقتصادي .. وكان للمرحوم الشيخ علي مواقف معلومة ، ورسائل مسجلة ، وبمطالعة كتاب «في نظر الزعيم الخنيزي» ، نكتشف الكثير عن شخصيته المحافظة ، وموافقه المعتدلة(٣٩) . ولد رحمة الله سنة ١٢٨٥هـ ، وتوفي سنة ١٣٦٣هـ .

[١٠] الشيخ جعفر بن محمد أبي المكارم العوامي : من نوابع العلماء ، ولد في العوامية في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ ، وهاجر الى النجف الأشرف وهو في سن مبكرة ، ومكث فيها حوالي ١٨ سنة ، وعاد الى بلده مجتهداً مرجعاً كوالده .

من أساندته آية الله المرجع الشيخ أحمد صالح آل طعان القطيفي ، وفي النجف السيد محمد السيد محمود العاملبي ، والامام الشيخ محمد الحسين الأصفهاني ، وغيرهم .

له مواقف عديدة في الدفاع عن عقيدته ، وله مناظرات مع المعارضين . أما كتبه ورسائله فكثيرة تزيد على ٤٤ مؤلفاً ، منها ١٩ في الفقه ، وأربعة في الأصول ، وأربعة في الاستدلال ، منها كتاب «مشكاة الأنوار» ، يناقش فيه رأي الوهابيين الذين كفروا زائري قبور أهل البيت ، وله «درة الصدف» ، وهو كتاب يحوي أجوبة على أسئلة محددة وردته من أحد علماء المذاهب الإسلامية الأخرى .. اضافة الى كتب اخرى عن أئمة أهل البيت ، وديوان شعر سماه «نهاية

الادرار» .

توفي ليلة الاثنين ١٣٤٢ هـ في البحرين، ودفن إلى جانب الشيخ ميثم البحرياني المشهور . فيما يلي استعراض لبعض شعره، كما وردت في كتاب «أعلام العوامية» (٤٠) :

وردت للشيخ جعفر قصيدة من العلامة السيد مهدي الغريفي البحرياني ، وكانت بينهما مراسلات، يشکوه فيها نواب الدهر ، ويقول فيها:

عن المحسن فيها عن جواهره
سكنها عن ثغور من جئاته
الخد المدرج عم دمعي و GAMER
عنيق نمعي جرى نظماً كثائره
بين المحبيطين من هجر وهاجره
عطفا فلا تسلمن صباً لواتره
ولومهم خلف ظهري غير ناظره
يا بارق الخط حث عن نوايره

عن المقاصير عن وادي اليمامة عن
عن العيون عن العين الحسان عن
برق اليمامة لا تضحك السنت ترى
.. إني وإن كنت ناثي الدار مفترباً
«أبا علي» ومن قلبي له سلم
لا تشنمن بي حساداً تركتهم
والقصيدة طويلة رد عليها الشيخ جعفر ، فقال :

عن مهجة قد رست في غمر زاخره
عن نار شوق ورت في قلب ناشره
عن الحريق بنجد عن مفاوره
جمر توقد عن أنفاس ساعره
عن قاطن بحثها عن هواجره
عن الحجيج وبابيه وحاضره
عن سلع عن حرثتها عن مشاعره
عن بابها عرفات عن مجاوره
عن الصفا عن حطيم عن مذابرها
من قد تحير في أكناف حائره
عن الحماء وعن سورا وعابره
من جور نهر بري صيري ببابته
لفت أوائله نبلا بأخره
بعيدة منك يرجو نيل أسره
ما يحل به من غير غالبه
پوريك باطنها أخفى ظواهره
إلا من اشرك في توحيد غافره
يقاد قهرا على عنف لقاهره

نعمي يحيث عن الحاظ ناضره
عن حاملات الأسى في زي ساحرة
عن سانحات الغلبا عن جيد كاظمه
عن الغرام عن القلب المهام وعن
عن بارق الخط عن برق بلعلها
عن سارحات بنفسي في مرتعها
عن طيبة ومني عن خيف محسرها
عن مكة عن اهيل الدار من هجر
عن الحجون وبطحها ومرؤتها
عن نينوى عن نواويس الطفوف وعن
عن الغريبين عن نور بمربعها
جاشت وما جشت إلا على حذر
.. ياسيدا ينتهي للعز عن شرف
انا الأسير حريق القلب شفته
إن كنت مفتربا فالقلب مضطهد
فاربع فنتك نفوس القوم عن كلف
واعلم هيئت بأن الندب مفتر
ان الحسود لما خوذ برمتنه

وكعادة شعراء الشيعة فقد تخصصوا في مراثي ومداائح الرسول وأهل بيته ،

ومن شعر المديح في المصطفى عليه السلام :

.. ياعصمة الناس التي عرفوا بها نهج المدارك
انت السفينة للنجاة، فكل من ناواك هالك

انت الطريق المهيّعى ، لمن غدا للحق سالك
عجز الأنام جميعه ، من ان يدور على مثالك ..
يامر غما انت الضلال ، ولم تزل فينا كذلك
صلى عليك الله ما كشفت شموس الحق حالك^(٤)
اما رثاؤه لمصائب آل النبي فكثير ، منه :

ومعدن الوحي والآيات من مضر
بادي الكابة يعني سادة البشر
واظلام الدهر والأيام بالضرر
وما آتاك به من حادث الغير
وكم أشانوا الى العلياء من اثر
يشكو الى الله ما عاناه من بطر
من الحمام فذاقوها على خطر
ثحصي وجلت عن الأرصاد في الزبر
على الأنام وفضلًا غير منحصر
كما اتي ربّه موسى على قبر^(٤٢)

طال العزاء لفقد السادة الغرر
والقلب أصبح متى في لفلي وجوى
فكنت مهما اناخ الدهر كلّكه
ذكرت مجدهم العالي على علم
..لله درهم كم اعقبوا سننًا
وغوبيروا بين مسموم ومضطهد
لله كم جزعوا صاباً مصبرة
وكم لهم من مزايا في الأنام ابْتَهِ
جباهم الله من بحسانه شرفاً
جاووا الخلافة إذ كانت لهم قبرًا
ومن رثائه للإمام علي قوله :

وتسعى لها بالمربيات قواصمه
غشاشاً فتبعد لل بصير نمائمه
فتظهر منه الخافيات قواصمه
على عرض أفق أريقتها روازمه
عالمه لفما وطننا مناسمه
ومن ملأ للخافقين مكارمه^(٤٣)

ارى الدهر ت نحو للكرام عظامه
يقسم في اهل الحفاظ سهامه
يمد جناحاً قد تابط للبلا
يطير به في عاصفات متى بدت
..بلاء له الصبر الجميل تهافت
..ونلك رزء المرتضى علم الهدى

[١] الإمام الشيخ علي أبو الحسن الخنizi : أحد كبار مجتهدي الطائفة وزعمائها المبرزين في السياسة والأدب ، ولد سنة ١٢٩١هـ ، وقد عده المؤلفون أحد أهم المؤسسين للحركة العلمية الحديثة في المنطقة ، ذلك أن جيل الأباء المشهورين اليوم ، كالمرحوم الشيخ فرج العمران والمرحوم الشيخ ميرزا البريكي والاستاذ محمد سعيد الجشي ومحمد سعيد الخنizi وأضرابهم ، كانوا قد تعلموا على يد مثل أولئك الأفذاذ .

أخذ المقدمات من أساتذته في القطيف ، كالشيخ عبد الله آل نصر الله ، والشيخ ناصر آل نصر الله ، والشيخ حسين آل عبد الجبار ، والشيخ منصور الجشي .. وإضافة إلى تدرسيه لعلوم الفقه واللغة العربية والأصول ، كان مجلس الخنizi ملتقى لطلاب العلم ورواد الأدب ، وكان رحمة الله لا يدخل بوقته في التدريس والتوجيه لكل من لديه استعداد للعلم والمعرفة ، فاهتم بالفئة الشابة ورعايتها ، وكان كثيراً ما يزور منازل الأباء الشباب ويحثّهم ويوجهم . وللامام المرحوم ولدان من كبار علماء الطائفة ، هما : الشيخ عبد الحميد

الخطي ، قاضي الشيعة في القطيف ، وهو شاعر مبدع مشهور . والآخر الشيخ عبد الله الخنizi ، صاحب كتاب «أبو طالب مؤمن فريش» ، والذي أثبت فيه إيمان أبي طالب ، فاعتقلته السلطة ، وحكم عليه الوهابيون بالاعدام ، ولم يتراجع عن الحكم إلا بعد وساطة شخصيات سياسية ودينية من كافة أنحاء العالم الإسلامي .. وللشيخ عبد الله عدة مؤلفات مطبوعة ، وجذت طباعة اكثراها ، كما ظهرت له في السنوات الأخيرة عدة مؤلفات .

توفي الإمام الخنizi سنة ١٣٦٣ هـ ، ويصوّر الاستاذ عبد الله الجشي في رثائه اللوعة والحسرة بفقدنه ، فيقول :

ونجت شعباً للتحرر واثبا
فخلقت فيه كفاءة وموهباً
منهم لإسعاد البلاد كتائباً
كالهيم توريها المعين تعاقباً
تدفع عن الحق الصراح اجانباً
ولأنّت اجراً للطغاة مغالباً
وصفت صفح الأكرمين مجانباً
واحطم علىَّ فما عهنتك غاضباً
وتفرقت بعد الوئام مذاهباً
والشعب شبعك حين يلقى عاتباً
ومصالحاً ومباناً وعواقباً
فحلالتها وكشفت كربلاً لازياً^(٤))

٢٥
ورثاه خالد الفرج ، شاعر الخليج المشهور ، والذي سكن القطيف مدة عاماً ، وتوثقت علاقته بعلماء المنطقة وشعرائها ، فقال في قصيدة طويلة :

شيخاً يعزّ على الجميع
في غامض الليل المريع
مضت على الجسم الصريح
عليه أو هلع الهلوع
على الفدا هل من شفيع؟
ومشي على هام الجموع
يكاد يطفو في الدموع
في معهم مثل الشموع
غاب الدليل بلا رجوع
من كان في حال طبيعى
س كفتك الداء المريع
ه كابة قبل الدروع
هي مسوى بك جزوع
قد غصَّ لحدّ من ضجيع
ت لن تعود إلى طلوع

جذت عهداً للمعارف ذاهباً
ودابت جهدك للشباب موجهاً
وجمعت شمل المخلصين مؤلفاً
وأخذت تفعهم لباب ملوكهم
وعدلت لم تجح الذي قربى ولم
وخفضت للعافي جناحك رحمة
وصبرت صبر المصلحين على الأذى
.. إيه أباً الحسن استمع لمقاليتي
هذي بلادك قد أضاعت رسالها
القوم قومك إذ تهان سراتهم
ولأنّت منهم في الصميم أرومها
.. أباً الحسين ، وكم دعيت لأزمة
ورثاه خالد الفرج ، شاعر الخليج المشهور ، والذي سكن القطيف مدة عاماً ، وتوثقت علاقته بعلماء المنطقة وشعرائها ، فقال في قصيدة طويلة :

بكوا بدموع أو نجيء
وتتصوروا البدر اختفاء
وكانه روح الحياة
أواه لو يغنى البكاء
هل من زعيم بالرجوع
.. أودى فشيه نعش
نشعش نداعله الأكف
سالت عليه نفوسه
يمشون دون هدى وقد
تالله لم أشهد بهم
والحزن يفتك بالنفس
نشر السواد على الوجوه
ومحا الوقار فلا ترى في
غضن الفضاء بهم كما
يبكون شمس الفضل غابـ

فَ فِمْنَ لِمَصْفُرِ الزَّرْوَعِ؟
 رَفْ فِي سَجْدَةِ أَوْ رَكْوَعٍ
 كَالخَلْطَ فِي طَلْلِ الرِّبْعَوْعِ
 كَمِنْ فَطِيمَ أَوْ رَضِيعَ؟
 سَاءَ مِنْ عَرِي وَجْهَوْعَ؟
 يَفَكَ بِالْحَلِ السَّرِيعَ؟
 بِمَثَلِ مَظَهُورِكَ الْبَدِيعَ؟
 مَثَلَ ازْهَارِ الرَّبِيعَ؟
 أَكَ بِالْتَّمَّاعِ الْهَمَّوْعَ
 وَأَنْتَ فِي الْمَلَأِ الرَّفِيعَ
 فِي نُورِ باهْرَةِ السَّطْوَعِ
 يَفِ: كَانَهُ بِعَضُ الْبَقِيعِ^(٤٥)

قصيدة رثاء لأبي الحسن الخنizi(^(٤٤)) :
 مِنْ بَعْدِ فَقْدِ الْمَرْشِدِ؟
 وَلَا هَا عَلَيَّ تَقْتِدِي؟
 يَقْضِي بِشَرْعَةِ احْمَدِ؟
 يَئِءُ بِنْسُورَهُ الْمُتَوَقَّدِ
 حَذَا بِجَنِ الْكَلِيلِ أَسْوَدِ
 وَغَابَ نُورُ الْمَهْتَدِي
 مِنْ كَانَ خَيْرُ مَقْدَدِ
 فِي الْضَّعِيفِ الْمَجْتَدِي
 نَـاـ بَعْدـهـ مـنـ مـسـعـدـ
 بـعـدـهـ وـالـمسـجـدـ؟
 هـ وـغـلـتـيـ لـاـ تـبـردـ
 يـاـ اـنـعـمـيـ لـاـ تـجمـدـ
 اـحـيـاءـ بـيـنـ مـمـدـ
 مـوتـ الزـعـيمـ الـأـوـحـدـ
 فـيـ قـلـبـ كـلـ مـوـحـدـ

يَبْكِونَ نَهَرُ الْعِلْمِ جـ
 فَالخَلْطُ اصْبَحَ دَارِسـاـ
 يـاـ شـيـخـ كـمـ اـيـمـتـ بـعـدـ
 وَلـكـمـ تـشـكـىـ بـعـدـ الـبـوـ
 مـنـ لـلـعـوـيـصـ مـنـ الـأـمـوـرـ
 مـنـ لـلـنـزـوـادـيـ إـذـ تـرـازـانـ
 هـذـاـ الـذـيـ نـبـكـيـهـ مـنـ ذـكـرـ
 إـشـاـ تـسـوـدـعـ بـالـبـكـاءـ
 تـلـفـ مـنـ حـلـ الـرـضاـ
 قـدـ صـارـ قـبـرـكـ فـيـ الـقـطـ
 وـلـلـعـاصـامـيـ أـحـمـدـ بـنـ سـلـمـانـ الـكـوـفـيـ
 بـمـنـ الـحـيـارـيـ تـهـتـدـيـ
 وـبـمـنـ تـرـاهـاـ بـعـدـ مـ
 مـنـ ذـاـ يـقـومـ مـقـامـهـ ،ـ
 قـدـ كـنـتـ بـسـدـرـاـ نـسـتـخـدـ
 وـالـيـوـمـ عـلـادـ الصـبـ
 لـمـاـ اـبـوـ حـسـنـ قـضـيـ
 وـاحـسـتـاهـ عـلـيـكـ يـاـ
 وـالـهـفـتـاهـ لـضـيـعـةـ الـعـاـ
 وـاضـيـعـتـاهـ فـمـاـ إـلـيـ
 مـنـ لـلـصـلـاـةـ وـلـلـمـصـلـاـ
 يـاـ قـلـبـ فـبـ جـزـعـاـ عـلـيـ
 يـاـ مـقـاتـيـ سـخـيـ لـمـاـ
 فـلـقـدـ قـضـيـ مـنـ هـمـهـ
 فـدـفـتـ فـيـ اـعـصـابـنـاـ
 وـلـهـبـ جـمـرـةـ فـقـدـهـ

[١٢] [السيد هاشم السيد أحمد الاحسائي : كان أحد كبار علماء الطائفة في الاحساء ، تلقى علومه في النجف الأشرف ، وأصبح أحد مراجع التقليد .. له مجلد ضخم في اصول الفقه ، وله رسالة عملية كبرى في الطهارة والصلاة ، ورسالة صغرى ، وكتب أخرى في العقائد .

عاصر كامل العهد التركي ، وتوفي سنة ١٣٣٩ هـ .

وخلف ابنا فاضلا سار على نهجه وهو السيد ناصر الذي فاوض الملك عبد العزيز بعد احتلال الاحساء ، وقد كانت له وقفة مشهورة مع الجلاد ابن جلوى تجدها في موقع آخر من الكتاب^(٤٧) .

[١٣] سلمان بن صالح بن أحمد آل إبراهيم الصفواني : ولد في مدينة صفوى ، أواخر القرن التاسع عشر ، وتوفي في السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ في بغداد .

لما ناهز العشرين من عمره هاجر إلى مدينة النجف الأشرف للتلقى العلوم في مدارسها . وقد أصبح الاستاذ الصفواني أحد رموز الحركة الثقافية في العراق ، لأنّه لم يعد إلى وطنه ، بل فضل العيش في العراق وشارك في صنع أحداثه السياسية ، وقد سبق له أن اشتراك في ثورة العشرين الإسلامية التي قادها مراجع الدين في النجف . وينظر المرحوم في سيرة حياته التي نشرها في جريدة الهاتف العراقي في عدده الصادر في الخامس عشر من حزيران سنة ١٩٥٢ ما نصه : «فلما نشبّت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، اضطررتني ظروف في الخاصة بعد الثورة إلى النزوح إلى الكاظمية ، وكان ثقل الحركة الوطنية قد انتقل إليها ، وتولى الشيخ مهدي الخالصي قيادة الحركة ، وكانت قد التحقت به ، كما كنت من أقرب طلاب مدرسته إليه» .

وأضاف في مقالته : «في تلك الأونة عزم الاستاذ محمد الهاشمي وشقيقه المرحوم رشيد الهاشمي على اصدار مجلة باسم اليقين ، فاتصل المرحوم الهاشمي بالشيخ الخالصي ورجا منه ان يرشح له من شبابه الطلاب من يتعاون معه في تحرير المجلة . وكانت الوحدة الوطنية شعار الجميع ، وكانت مؤهلاً من قبل فوق الاختيار على» .

وبسبب اشتراكه في الثورة فقد كان من ضمن المنفيين إلى خارج العراق على يد المستعمرين البريطانيين ، إلى جانب استاذه الخالصي أكثر من سنة ، وبعد ذلك سمح له بالعودة إلى العراق ، ومارس العمل الصحافي كمهنة ، فأصدر لأول مرة جريدة «اليقظة» ، ومع اشراقة صباح يوم الجمعة المصادر للخامس من سبتمبر ١٩٢٤ - الخامس من صفر ١٣٤٣ هـ ، صدر أول عدد منها .

وقد شهد له الكثيرون انه أحد رواد الصحافة العراقية «انظر تاريخ الصحافة في الكاظمية للعلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الصادر في حزيران ١٩٦٩» .

وبعد صدور العدد الثالث عشر ، أغلقت جريدة من قبل مديرية المطبوعات ، فأصدر بدلها جريدة «الرأي العام» ، وهي جريدة أسبوعية ، صدر عددها الأول في العشرين من ديسمبر ١٩٢٥ ، في مدينة الكاظمية ، وقد عطلتها السلطات البريطانية بعد صدور عددها الثاني عشر ، فاستأنف اصدار جريدة أخرى باسم صاحب الامتياز هذه المرة ، وبقي محررها ومديرها المسؤول ، وهي صحيفة أسبوعية جامعة صدرت بأربع صفحات ، ومن العدد الثاني أصبح الصفواني صاحبها ومديرها المسؤول ، كان ذلك في شهر سبتمبر ١٩٢٦ ، وقد عطلت الصحيفة أيضاً بعد صدور عددها الثاني عشر .

وبنهاية العام ١٩٢٦ ، انتقل الى بغداد عاماً بصحافتها ، وفي العام ١٩٣٦ تعيين موظفاً في الدولة واختير سكرتيراً لوزير المواصلات والأشغال يومذاك ، المرحوم السيد علوان الياسري - أحد قادة ثورة العشرين الإسلامية - ، وبعد فترة استقال وعاد للعمل بالصحافة .

ومن يونيو حتى سبتمبر من عام ١٩٣٦ ، سجن الصفواني وحكم عليه بالحبس الشديد سبع سنوات ، ثم قيد بسلسل الحديد وزوج وراء ابواب مغلقة بتهمة اشتراكه في ثورة العشائر التي حدثت في الديوانية على عهد وزارة ياسين الهاشمي ، وقد كتب المرحوم مذكراته عن تلك الفترة على شكل رسائل بعث بها من السجن الى زوجته ، وقد جمعها بعدئذ في كتاب مستقل بعنوان «محكمتي» طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٧ ، ونشر بعض مقتطفاتها .

في عام ١٩٤١ اشترك في الثورة ، وكانت له مواقف معروفة لمعاصريه ، وقد انيط به منصب مدير الاذاعة ، وفي عام ١٩٤٦ ، وبعد انتهاء فترة الحرب العالمية الثانية ، وجازة الاحزاب والصحف ، كان الصفواني من مؤسسي حزب الاستقلال ، وكان عضواً بارزاً في هيئة العليا ، ومنح امتيازاً باستثناف جريدة «البيضة» اليومية السياسية الشهيرة ، التي ظلت تصدر بانتظام حتى شهر مارس من عام ١٩٥٩ ، ثم ما لبث ان تعرضت صحفته بعد فشل ثورة الشواف في الموصل الى الهجوم ، وتم تدمير وحرق مكاتبها الواقعة في شارع الرشيد ، والتجأ الصفواني الى القاهرة ولم يعد لبغداد الا بعد ثلاثة سنوات .

في العام ١٩٦٥ استوزر الصفواني لشؤون الصحافة ، واثر سقوط الوزارة انصرف الى كتابة مذكراته عن الاحداث التي عاصرها او اسهم فيها ، وقد نشر فصولاً منها في بعض المناسبات في الصحف والمجلات ، كمجلة «افق عربية» وجريدة الاتحاد وغيرهما^(٤٨) .

المدهش ان صلات الصفواني بأخيه المرحوم حسين في مسقط رأسه ، في مدينة صفوى بالمنطقة الشرقية من السعودية كانت مستمرة ودائمة ، ولا زال خلف المرحوم الصفواني يعيشون في العراق ، ويحملون الجنسية العراقية .

[٤] [الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله آل عياثان الاحسائي : درس في النجف الاشرف واشتغل في التعليم والتعلم مدة تقارب من ثلاثين سنة ، ثم قفل عائداً إلى الاحساء ، بعد وفاة والده .. من مصنفاته رسالة في معانٍ الحروف ، وله شرح رضاعية السيد مهدي القزويني ، وله رسالة عملية في الطهارة والصلاوة ، وغيرها .

وقد توفي رحمة الله في نفس العام الذي احتلت فيه الاحساء ١٣٣١ هـ^(٤٩) .

[١٥] **الشيخ المجتهد محمد بن الشيخ عبد الله بن الشیخ احمد العوامی**: ولد سنة ١٢٥٥ھـ، وتوفي في السابع والعشرين من محرم ١٣١٨ھـ بالمدينة المنورة، ودفن في البقيع.. أطراه العلامة الشيخ احمد بن صالح آل طعان، وكانت بينهما مناظرات ومحاورات علمية، جمعت في كتاب لم يطبع باسمه «الخلافية بالاستدلال». وللمرحوم عدة مؤلفات في الفقة والنحو والأدب.. وله أيضاً منظومات شعرية في العقائد وأصول الدين.. ومن شعره:

يكتبني قولاً ويرمقني شزراً
يضيق بها من لا يطيق له حسراً
إله، ولكن في الورى قد علا قبرنا
فهذا اعتقادى قد كشفت له ستراً
حياة وموتاً، لمت لو لم الم نشراً
بما بعده في الناس قد قطع العذراً^(٥٠)

.. وعلَّ امرأً لا يقبل النصح جاهلاً
وينسب قوله للمجاوزة التي
فحسبك إثني ما اعتقدت بأنه
فما لم تشا فاترك وما شئت فاعتقد
وداد أمير المؤمنين سجيتي
وحسيبي بـ «خم» نصْنَ أَحْمَدْ جهْرَة
وله أيضاً :

وإن تعاظم قدرًا أو علا رتبًا
يُومًا إذا قُلَّ أو انزلته وصباً
ما دمت حيَا وإن جلَّ الذي نهباً
يُومًا وإن كثرت من عظمها النوباً
مني قواي وسامنتي به العطباً^(٥١)

لا تبك ما عشت يوماً خاشيا سبباً
ورب قائلة في المال تعنفي
مهلاً عداكِ البلى لا تظهري جرعاً
فانتنى لم ترعنى قط نائبة
نعم نوابِ آل الله كم فصمت
ومن شعره :

وأين سكانك الساقون قد حان؟
أين الأنبياء ومن أعلوك ببنياناً؟
والملبسون الهدى والتين تيجاناً؟
لا يطلبون لدى الهيجاء أعواناً؟
للسيف والنبل والخطي قرباناً^(٥٢)

بكم المعاهد ماذا فيك قد حانا
وقفت فيها أنا يها وأسالها
أين البدور المشيدون على شرفاً
أين الأسود التي تحمى الثغور بهم
نادت بهم لعبت أيدي النوى فغروا

[١٦] **الشيخ عبد الله بن رمضان**: كان أحد كبار العلماء، ويعد من فحول الشعراء، له قصيدة طويلة أوصى فيها ابنه، مطلعها:

هي الدار دار العنا والمحن ودار الفناء ودار الفتنة
وله ابن اسمه علي، يعد من الابباء والعلماء المعروفين، وله يد قوية في الشعر،
وقد قتل شهيداً على يد الوهابيين^(٥٣)

[١٧] **الشيخ عبد الله بن علي الاحسائي**: وهو من العلماء الاخيار، وشاعر مكثر، له ديوان شعر في مجلدين، وله القصيدة الهائلة الكبيرة التي جاري بها المرحوم الشيخ كاظم الأزرى في قصيده المشهورة بالalfiyah وهي: لمن الشمس في قباب قباهـا شـف جـسم الدـجا بـرـوج ضـياها

[١٨] **الشيخ علي الشيخ جعفر العوامي** : أحد مجتهدي الشيعة وشعرائهم، ولد سنة ١٣١٢ هـ، وعاش في ظل العهد التركي ثمانية عشر عاماً، وقد ألف كتابه الأول سنة ١٣٣٠ هـ، وهو «اللولو المنظوم».

تلقى الشيخ على أكثر علومه على يدي أبيه، ثم رحل إلى النجف الأشرف، وتلتمذ على يد ثلاثة من أعلامها المشهورين، وبعد وفاة أبيه هاجر إلى البحرين فعيّن قاضياً هناك ثم عاد وتوفي في سيهات في ١٣٦٤هـ، له ثلاثة عشر مؤلفاً منها «دعوة السلام» وهي رسالة عملية في العبادات والمعاملات، و«الكبير» جامع في الفقه، و«علية الوعظ» الذي حوى خطبه في الجمعة والأعياد، واشتمل على مواعظ تدعو إلى لم الشمل والوحدة بين أتباع المذاهب الإسلامية لمواجهة المخاطر التي تهدد المسلمين، وأضافة إلى ذلك ديوان شعره.

من نماذج شعره رثاوه لآبيه (٥٤):

أصبت بني الأيمان في فقرة الظهر
وهدمت اركان الهدى حيث لم تر
ففقدانه قد فلّ مثا عرى الصبر
فيديناك بالأموال والولد والعمر
يتاماك أمسكت الحشا من جوى الصدر
ومن عجب هلا تسير على النسر
لحود وتبقى في مغيب الى الحشر
فمن ذا رأى رضوى بمحبوبة القبر
تغيب وتخفي في الثرى هالة المير

أيا نهر لا ترمي سهامك من وتر
رميت عماد الدين بالسهم صائبًا
فلا صوت الناعي بفقدان جعفر
أيا جعفر لو كنت بالبلد تفتدى
أيا جعفر لو انك اليوم ناظر
فوا عجباً تسرى على النعش راحلاً
ومن عجب أن النجوم تضمهَا
ومن عجب رضوى العلوم مددك
ومن عجب أن المنيرة في البحى

[١٩] **الملا علي الزاهري العوامي**: ولد سنة ١٢٩٨هـ، وتوفي سنة ١٣٥٥هـ،
له ديوان شعر، ومنه (٥٥) :

سرعوا الخيل يا ليوث وغاها
واشحذوا من سيفكم أمضاها
انتم في النزال قطب رحاما
طبق الأرض نعيه وسمها
الاتكم الغر عدوة طلقها؟
ما سوى اخذ ثارها من عدتها
وشرعتم إلى الأباء إباها
لرزايها لهاكهم أدهاما
فمنهن هذ طود علاها
حيث آل الرسول سال بماها
ان على العالمين عم ضياما
للت عن المياد قد غاض ماهما

ياليوث الحروب من آل طه
وامتطوا قب ظهرها وابعثوها
يا بنى هاشم ويَا آل فهر
يابنِي هاشم نهيت بزرء
اعلتم جذت انوف رجـ
ليس يشفى جوى القلب اعتذار
انتم شلتُم الى المجد بيتا
رجت الأرض بالنياحة رجـا
والسموات كدن ان يتزلزلـ
اسبلت دمعها بما باكيات
وعرى الشمس طلعة بعدما كـ
ذبح السبط من قفاه لهـا

[٢٠] آية الله العلامة الشيخ علي بن حسن الجشّي : ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، ودرس العلوم الدينية عند مجتهدي القطيف و مراجعها ، كالشيخ علي أبي الحسن الخنizi ، والسيد ماجد العوامي ، والشيخ علي أبي عبد الكريـم .. ثم ترحل إلى النجف وتابع دراسته الدينية ، وعاد مجتهداً يتصدى للفتـيا .. له أثار عديدة منها : منظومة في أصول الفقـة ، وكتاب الأنوار في العقائد ، ومنظومة أخرى في التوحـيد ، وكتاب الشواهد المنبرية ، طبع سنة ١٢٦٠ هـ ، إضافة إلى ديوانه المطبـوع سنة ١٣٨٢ هـ ، والذي احتوى على ثمانية آلاف بيت من القصـيد . توفي بالقطيف في منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ هـ^(٥٦) .

[٢١] الحاج محمد بن أحمد البراهيم : توفي سنة ١٢٣٥ هـ في مسقط رأسه بمدينة صفوـى ، ومن شعره في الاعتداد بالنفس والاستهانـ: لا رضعت نفسي ضروع العلى
في معركـ الحرب إذا حشرـت
فقد اعنـاها باسيافـنا
يا صاحبـ العصر اصـبرا وفي
آخـلت أمـي منـكم بورـكم
ضـيقـت الأرض علىـ لكم
فـانـهـضـ فـيـنـاكـ فـماـ فـيـ عـسـيـ
واطلـ بـثـارـاتـ الآـنـىـ قدـ غـدتـ
إنـ لمـ اـرـبـيـ قـضـبـهاـ وـالـقـنـاـ
نـفـسـ كـمـيـ الـقـومـ وـاسـتـجـبـنـاـ
واـحـدـةـ لـكـنـ سـمـاـ فـوقـنـاـ
دـوـرـكـمـ صـاحـ غـرـابـ الـفـنـاـ
وـأـوـحـشـتـ مـنـكـمـ رـبـوـعـ الـهـنـاـ
فـلـمـ تـدـعـ فـيـهـاـ لـكـمـ مـامـنـاـ
أـوـ سـوـفـ أـوـ عـلـ بـلـوـغـ الـعـنـىـ
اجـسـاـهـمـ طـعـمـ الضـبـاـ وـالـقـنـاـ^(٥٧)

[٢٢] الشيخ حبيب شعبـانـ «تـ ١٣١٠ هـ»: أحدـ الشـعـراءـ وـالـأـدـباءـ
المـعـدوـدـينـ .. منـ جـيدـ شـعـرهـ فيـ مدـيـحـ الزـهـراءـ ، وـهـ يـقـدـمـ الغـزلـ كـعاـدةـ الشـعـراءـ
الـسـابـقـينـ ، يـقـولـ :

هيـ الغـيدـ تـسـقـيـ منـ لـواـحـظـهاـ خـمـراـ
ضـعـائـفـ لـاـ تـقـويـ قـلـوبـ ذـوـيـ الثـئـيـ
وـمـاـ آـنـاـ مـقـنـ يـسـتـلـيـنـ فـؤـادـهـ
وـلـاـ بـالـذـيـ يـشـجـيـهـ دـارـسـ مـرـبـعـ.
الـكـيـ لـرـسـمـ دـارـسـ حـكـمـ الـبـلـاـ
وـأـصـفـيـ وـدـادـيـ لـلـبـيـارـ وـاهـلـهـاـ
وـقـدـ فـرـضـ الرـحـمـنـ فـيـ الذـكـرـ وـهـاـ

لـنـكـ لـاـ تـنـفـكـ عـشـاقـهـاـ سـكـراـ
عـلـىـ هـجـرـهاـ حـتـىـ تـمـوتـ بـهـ صـبـراـ
وـتـفـتـنـهـ الـأـلـحـاظـ فـيـ عـقـلـهـ سـحـراـ
فـيـسـقـيـهـ مـنـ اـجـفـانـهاـ اـمـعـاـ حـمـراـ
عـلـيـهـ وـدارـ بـعـدـ سـكـانـهـ قـفـراـ؟
فـيـسـلـوـ فـوـادـيـ وـذـ فـاطـمـةـ الـزـهـراـ؟
وـلـمـ مـصـطـفـيـ كـانـتـ مـوـنـتهاـ اـجـراـ^(٥٨)

[٢٣] الشيخ حـسـينـ عـلـيـ بـنـ حـسـنـ الـبـلـادـيـ الـقـيـحـيـ : اـبـنـ مـوـلـفـ «أـنـوارـ
الـبـلـادـينـ» ، ولـدـ سـنـةـ ١٣٠٢ـ هـ ، وـدـرـسـ عـلـىـ يـدـ وـالـدـهـ مـدـدـةـ مـنـ الزـمـنـ ، ثـمـ تـرـحـلـ
إـلـىـ النـجـفـ وـتـتـلـمـذـ عـلـىـ يـدـ عـلـمـائـهـاـ .. لـهـ مـوـلـفـاتـ: كـنزـ الدـرـرـ ، رـيـاضـ المـدـحـ
وـرـثـاءـ ، مـجـمـعـ الـفـوـادـ ، نـزـهـةـ النـاظـرـ ، معـادـ الدـارـيـنـ ، الـمـجـمـوعـةـ الـحـسـينـيـةـ ،
وـغـيـرـهـاـ .. اـضـافـةـ إـلـىـ شـعـرهـ .. تـوـفـيـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ الثـالـثـ عـشـرـ مـنـ ذـيـ الـقـعـدـةـ
سـنـةـ ١٣٨٧ـ هـ^(٥٩)

[٤] **الشيخ رضي ابراهيم المحروس** : عاصر العهد التركي في معظممه ، تلقى مباديء العلوم في القطيف ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ، وبقي فيها ١٦ عاما ، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ ، له ديوان شعر في شتى المواضيع ، وله كتاب عن الزهراء عليها السلام ، وعدد آخر من المؤلفات .. وكان الشيخ ذا شعبية كبيرة يدل عليها التشبيع الضخم لجثمانه .

ومن شعره في الرثاء هذه الآيات من قصيدة المؤشرة المشحونة بالألم ، والتي جارى فيها قصيدة الرثاء الشهيرة للسيد حيدر الحلي التي مطلعها :

الله يا حامي الشريعة
بك تستغفِّر بيت وقلبهما
تدعوا وجرد الخيل مصفيّة
قال المحروس رحمة الله :

الله يا حامي الشريعة
قد هدمتها آل حرب
ما جاءك العلم المشوم
..مَاذَا يهيجك والحسين
مَاذا يهيجك والخيول
من بعد ما قطعوا الكريم
مَاذا يهيجك والعليل
من بعد ما هتكوا الخيام
فانهض على خيولك
..ودعوا بثار رئيسك
يسري بها الحادي على
أعلمت قد حملت حرائـ

[٥] **ال حاج يوش بن حسين البحارنة** «ت. ١٣٠٣هـ» : أحد الأدباء والشعراء المرموقين ، من شعره في الغزل :

فارج الرابع منها نفحة العطر
وعذبت أعين العشاق بالسهر
سهما به حتف من تغشاه بالنظر
إذا تبلغ منها التغر بالسفر
ل جاء يسعى إليها سعي معتذر
تبدي العتاب فلم تبق ولم تذر
ما بين روضر على بسط من الزهر
عين الرقيب ، وعين الغفر والنسر^(١)

[٦] **الملا عبد الله بن علي المادح** : من الخطباء المعدودين ، عاصر كامل العهد التركي ، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ ، له كتاب «سلوة الأخلاء» وديوان شعر ،

منه :

يا صاحب الكرة الغراء أرقها
تقرّر مثنا عيون طالما قنست
اشكوا إليك رعاك الله نار جوى
يرضيك أن العلى صرعى ضياغها
ألت صوارمنا الا نجردها
نفوسنا وموالينا وما ملكت
أيدي الخطوب اقسى عننا فقد بلغت
النصر يقدمها والبشر يعقبها
وأنفس طال في الدنيا تغربها
قد كاد يأتي على الدنيا تلهبها
ونذمة الغي يرعى النجم أكلبها
إلاً أمامك أو ينفلّ مضربها
فهاهي اليوم قربانا نقربها
مثنا الشكایة نتبّا لا يخيبها^(٦٢)

[٢٧] [الشيخ محمد الزهيري «توفي في ١٣٢٩هـ»: ولد في قرية «الملاحة»، وتوفي والده بعد ولادته بفترة قصيرة، فتكفل به جده، وبعدها تولى أموره الحاج محمد عبد العزيز البيات. كان رحمه الله ينظم الشعر، وقد قطن مدةً من الزمن في البصرة ثم الكاظمية إلى أن توفي فيها.. له ديوان شعر جمعه العلامة الشيخ عبد الحميد الخطّي، مع مقدمة ضافية عن حياة الشاعر^(٦٣).]

من شعره :

يا عين جودي بانسكاب
وحشاي ذوببي باحتراق
وفؤادي المضئي اقم
وعليهم عنّي إنّني
للمصاب آل أبي تراب
واضطـرامـرامـ واضطـرابـ
ما عشت دهرك في اكتئاب
يانفس حزنا بالذهبـ

[٢٨] [الحجّة السيد ماجد السيد علي السيد هاشم العوامي : أحد مراجع الشيعة المقلدين ، وأخر بقية العهد الزاهر ، ألت إليه زعامة المنطقة في القضاء والفتيا والسياسة .]

ولد رحمه الله سنة ١٢٧٩هـ ، وهاجر للنجف الأشرف طالبا العلم سنة ١٣٠٢هـ ، وتعلم على يد الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد العزيز آل سيف القطيفي ، والمرجع الشیخ عبد الله المعتوق ، حيث قرأ عندهما المقدمات من العربية والفقه والأصول .. كما تعلم عند العلامة الشیخ محمد بن عیثان الأحسائی ، وحضر بحث الخارج لدى آیة الله محمد طه نجف والمحقق السيد أبي تراب الخونساري ، الذي شهد له بالاجتهاد .

وممن شهد له بالاجتهاد شیخ الشريعة الخونساري ، والمرجع الأعلى للشيعة السيد محمد کاظم الطباطبائی وغيرهم .

حجّ رحمه الله سنة ١٣٦٦هـ ، ورافقه بحجه جمّور كثير ، ثم توجه مباشرة إلى العراق ، وهناك وافته المنية سنة ١٣٦٧هـ ، ودفن بجوار الإمام الكاظم ، موسى بن جعفر عليه السلام .

وكان لوفاته رثة ألم وحزن منقطعة النظير ، إذ كان آخر المراجع الذين وفاهم الحمام ، فبقيت البلاد تدب مجدها الضائع ، ولعل استعراض بعض ما

رُثي به الحَجَّةُ السِّيدُ ماجدُ، لِيُسْ يَكْشِفُ جَانِبَ الْأَسْىِ وَالْلَّتِيَاعَ لِفَقْدِهِ، وَأَنَّمَا
أيضاً مَكَانَتِهِ الْعَظِيمَةُ فِي الْمَنْطَقَةِ .^(٦٤)

للشاعر خالد الفرج قصيدة ترثيانة، إحداها في أربعينيته، وكان
المرحوم خالد الفرج على صلة وثيقة بالسيد المرحوم وغيره، وقد شارك في
مختلف المناسبات بقصائده الرنانة التي لم يعهد لها النقاد له من قبل.. ولعل
مراثيه تؤكّد ما يرويه بعض المعاصرین من أنه اعتنق المذهب الشيعي .

قصيدة خالد الفرج الأولى^(٦٥) :

طَفَّيِ الْأَوَارِ مِنَ الْغَلَيلِ
الْأَذَاءِ اَثْنَاتِ الْعَالَمِ
الْأَشْجَانِ بِالصَّبَرِ الْجَمِيلِ
لَيْسَ يَغْنِي مِنْ فَتْيَلِ
لِلْعَزَّا هَلْ مِنْ سَبَيلِ
عَلَيَّ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
رَدَّهُ كَالْمُسْتَدِ
الْأَرْزَاءِ لَا بَرْقَ الْمُخَبِيلِ
فِمَخَائِلِ الدَّمَعِ الْهَطَّالِ
حِيَالَ دَارِسَةِ الْطَّالِ
فَالصَّاعِ مَلَانِ الْمَكِيلِ
بِالْكَثِيرِ أَوِ الْقَلِيلِ
بِالْقَصِيرِ أَوِ الطَّوَيلِ
بِالْحَقِيرِ أَوِ الْجَلِيلِ
الْبَاعِ أَوِ اعْمَاقِ مَيِيلِ
مَاتِ النَّبِيلِ إِبْنِ النَّبِيلِ
نَفْوَهُمْ قَبْلَ الْكَهَّالِ
تَرْضَى الْمَنَابِيَا بِالْبَنِيلِ
الْشَّعْبُ الْمَضَاعِ بِلَا كَفِيلِ
بِلَا وَصِيَ أَوِ وَكِيلِ
مِنْ لَأْبَنَاءِ السَّبَيلِ
فِي الْفَرَوْعَ وَفِي الْأَصْوَلِ
عَمِتْ بِغَاشِيَةِ الْذَّهَالِ
قَدْ غَابَ عَنِ عَيْنِ الدَّلِيلِ
مُضِيَّةً بَعْدَ الْأَفْوَلِ
غَابَتْ عَنِ الْجَسْمِ النَّحِيلِ
سَدَادٌ مِنْ خَيْرِ الْأَصْوَلِ
رَرَّ الْمُضَيَّةَ وَالْجَهَولِ
يَوْمَ مَشْهُدِكَ الْمَهَوَلِ
بِنَظَرَةِ قَبْلِ الرَّحِيلِ

هَلْ بِالْبَكَاءِ أَوِ الْعَوَيلِ
كَلَّا وَهَلْ تَشْفَى عَصَى
أَمْ هَلْ تَخَفَّفَ لَوَاعِجَ
هِيَهَاتِ أَنِ الصَّبَرَ أَجْمَعِ
يَا وَيْلَنَا هَلْ مِنْ سَبَيلِ
فَالْخَطْبُ أَهْمَى أَنْ يَهُونَ
لَكَنْهُ الْأَمْرُ الْمُحَمَّدِ
يَابْرُقَ بِرْقَ صَوَاعِقَ
إِذَا تَكَوَّنَ مِنْخَائِلَ
إِنْبَعَ كَمَا نَعْبَ الغَرَابِ
وَقَلْ الْذِي قَدْ قَلَّتْهُ
أَنِ الْمَصَابِ لَا تَعْدَدِ
إِنِ الرِّزَيَا لَا تَحْدَدِ
فَالْبَحْرُ يَفْرَقُ مِنْهُ عَمَقَ
مَاتِ ابْنِ هَاشِمِ ماجدِ
شَخْصٌ يَفْدِيَهُ الشَّبَابِ
كُلَّ النَّفَوسِ تَوَدُّ لَوْ
مَاتَ الْأَبُ الْحَانِي عَلَى
شَعْبِ غَداً مِثْلَ الْيَتَمِ
مِنْ لِلْأَرَاملِ وَالْيَتَامَى
مِنْ لِلْمَسَاجِدِ وَالْفَتاوَى
يَا هُولَهَا مِنْ سَاعَةِ
أَرَأَيْتَمِ النَّجَمَ الَّذِي
وَالشَّمْسُ غَابَتْ لَنْ تَعُودِ
هِيَ تَكِمُ الرُّوحَ الَّتِي
يَا ماجدَ الْأَبَاءِ وَالْأَجَاءِ
الْهَاشَمِيِّ وَمِنْ ذُويِ الْفَ
يَا لِيَتَنَا كَثَّا شَهَدْنَا
يَا لِيَتَنَا فَزَنَا هَنَاكِ

في أربعينية الحجة العوامي (٦٦) :
في القلب لا في أديم الأرض محفور
نشر يضوع بلا مسك وكافور
باق على صفحات القلب مسطور
وهل تعد بتفليل وتکثیر؟
نکراه في كل تهليل وتکثیر
يصفی لاحکام آیات وتفسیر
ذاك المھیا صفات ذات تاثیر
اذ الشوارع غصنت بالجمahir
فشيء وہ بتقبیل وتوقيیر
علماء من الغیب عنهم غير مستور
کانھا صدرت عن فعل تخیر
خیر الوجوه بتوفیق وتبییر
حج الوداع على هدی وتقصیر
في الكاظمية بين الولد والجور
من الأئمة في الجل المشاهير
اذ مت عنها بعيداً غير منظور

وقال خالد الفرج في قصيده الثلث
إكليل شعر على قبر من النور
مضمنخ بعبير الذكريات له
يضم جثمان فضل لا حدود له
والذكريات ومن هذا يعندها
في المسجد الجامع الزاهي بطلعته
في مجلس الأربع والجمع محتشد
في تلكم الطلة الغرّا تفيفض على
ويالذكراء في يوم الوداع ضحى
كانهم اشقووا من طول غيبته
وللمحبين إحسانٌ كان لهم
من السعادة إيتان العقابير
قدست يا من أتم الواجبات على
فزرت أجدادك الاطهار بعد قضا
واخترت مثواك في ارض زكت تربا
منثراً بالتقى والفضل مدرعاً
وبالهول مصاب الخط مزبوجاً

روحًا وريحان أيام الأعاصير من بعد أفحى تشيع وتقدير تنسى رفات عظيم القبر مشهور فيه المبارك من هدي وتنوير معنى تعاقب إشراق وتغوار ما الفرق إلا بتقدير وتأخير تلك الشهادة من ظلم وتحسیر كالنار تخرج من أعماق تثور وما النياحة منا غير تعبير فاصبح الجمع فيها جمع تكسير من داخل السور او من خارج السور ففر سكانها خوفاً من الدور وقع العجائب من فعل التقابير غدوا يهيمون فيها دون تفكير والشعر يعجز عن وصف وتصوير لما تحمل عباء الحزن كالطور مطهرون متى احتجتم لتطهير وما سواهن يصفو بعد تكبير إلا على كفن في القبر مزروع وكلكم ما بين مبرور ومحجور من بالكويت الى الأحساء الى صور نصائح بين منظوم ومنثور

يا ماجد الاسم والأفعال كنت لها فليتها اودعت في الأرض فلنتها بدموع من تراب الخط ساربة يشع منك على الأوطان نور هدى الأربعون، وهل في الأربعين سوى افي جمادى مقام اليوم أم صفر رزء الحفيد كرزة الجد لو سلمت حزن يجند في الأجساد لاعجه تکاد تتطلق الأكباد من الم يا يومها إذ نعى الناعون ماجدها مثل السكارى حيary في ازقتها هل هرت البلد المنكوب زلزلة لا إنها نكبة كبرى يهولها فما هناك سوى باكٍ وباكية قد لا يصدقني من لا يشاهدهم لولا ابن آدم قاسر في مرونته يا آل هاشم ماذا المع إنكم وهل مصابكم لا تنقضي أبداً لا تخعون سواداً من ثيابكم أهل القطيف لقد قمت بواجبكم حملتم الصدمة الكبرى ونازلوها تتنى بها سيرة بيضاء طاهرة

ويضاف الى هذه الشخصيات الدينية والأدبية، عدد آخر كبير منهم، بعضهم كان صاحب مؤلفات، والبعض الآخر كان من الخطباء أو العلماء الذين امتهنوا الوعظ والتدريس.. ومن هؤلاء الشيخ منصور بن علي المرهون «١٢٩٤هـ - ١٣٦٢هـ» الذي عاصر العهد التركي، ورأى النهضة العلمية وساهم فيها، وفي أواخر أيامه، وبعد أن رأى الانحدار الثقافي بسبب الضغوط الحكومية حاول تأسيس مدرسة دينية، فأمر ابن سعود باعتقاله هو وأبنه الشيخ علي المرهون، وأرسل إلى الرياض ليحقق الملك عبد العزيز معهما شخصياً، وأمضيا هناك مدة في السجن، ولم يطلقا إلا بالواسطات وبعد أخذ التعهادات، وقد تأثر رحمه الله بالحادثة ومات بعد مدة غير طويلة^(٦٧).
 ومن شخصيات المنطقة الملا حسن بن عبد الله الربيع، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، ولد في قرية «الربيعية» في تاروت، وكان صديقاً للشيخ منصور المرهون، وله ديوان معروف بـ«الزهور الربيعية»، طبع عام ١٣٦١هـ.
 ومنهم الحاج منصور بن محمد علي الجشي «ت. ١٣٦٠هـ» وله ديوان غير مطبوع.. ومنهم السيد حسن العوامي «أخ السيد ماجد» ولد سنة ١٢٧٨هـ،

وتوفي سنة ١٣٥٨هـ، وقد تلّمذ على يد العلامة البلادي، ثم هاجر للنجف وتلّمذ على يد مجتهديها، الذين كان من بينهم المجتهد الشيخ عبدالله بن الشيخ عبد العزيز القطيفي، وللسيد حسن شروحات وحواشی في المنطق والتوحيد والفقه، وتعليق على شرح منظومة السبزواری في الحکمة.

ومنهم السيد محفوظ العوامی، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، وهو أيضاً أخ للحجة السيد ماجد، وله شروحات في اللغة والأصول، كما أن له شعراً كثيراً في المديح والمراثی.

ومنهم الملا محمد آل نتیف، من أهالی قرية الخویلیدیة، توفي في البحرين سنة ١٣٧٢هـ، له دیوان مطبوع سماه «عبرة المؤمنین».

ومنهم الشیخ سلیمان عبد الجبار، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، وكان رحمه الله من العلماء الابرار والفقهاء الاخیار، تلّمذ على جماعة من فضلاء القطیف، کالمحقق الشیخ محمد بن عبد الجبار، والشیخ مبارک آل حمیدان الجارودی. له مصنفات كثیرة منها «النجم الزاهرۃ فی أحكام العترة الطاہرة»^(٦٨).

ومنهم الحاج حسین بن شبیب، المتوفى سنة ١٣٦٩هـ، له دیوان شعر في جزئین، طبعاً فی النجف الأشرف سنة ١٣٧٤هـ^(٦٩).

ومنهم العلامة الشیخ محمد صالح بن الشیخ احمد آل طعان «١٢٨١-١٢٣٣هـ»، له العدید من المصنفات، منها منظومة في الأصول الخمسة، وله كتاب سماه «ذرائع الامال فيما يخص السنة من الاعمال»، وله دیوان شعر مخطوط^(٧٠).

ومنهم الشیخ احمد الشیخ صالح القطیفی «ت. ١٣٤٦هـ»، له مصنفات تربی على الأربعین، منها رسالة «جامع الشتات فی أحكام الاموات»^(٧١) .. الخ.

وهكذا ترى من الواضح القفزات العلمیة للشیعة فی العهد الترکی، سواء من خلال إستعراض اسماء العشرات من المؤلفات، أو من خلال كثرة الأسماء المتخصصة فی مختلف العلوم والمعارف .. ولا يمكن لأحد أن يقارن ذلك العهد بالعهد السعودی الحالی، قیاساً الى هذین المؤشرین الواضھین.

وبالنسبة لعلماء السنة فی الأحساء، فإن قراءة سريعة لكتاب شعراء هجر، تکفى لتبيیان مستوى السمو العلمی وريادة المنطقة شعراً وفقها وأدباً.

هو امش

- ١٠، القطيف وأضواء على شعرها المعاصر، عبد العلي السيف، ص ١٠١.
- ١١، المصدر السابق، ص ١٠١.
- ١٢، المصدر السابق، ص ٥٥.
- ١٣، الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، الدكتور عبدالله السبيسي، ص ١٢٣.
- ١٤، منكرات محدث باشا، ص ١٧٩.
- ١٥، الاصلاح الاجتماعي، مصدر سابق، ص ٧١.
- ١٦، مصدر مؤخراً ١٩٨٨، كتاب «السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي»، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- ١٧، الاصلاح الاجتماعي، مصدر سابق، ص ١٢٢.
- ١٨، المصدر السابق، ص ٤٨.
- ١٩، المصدر السابق، ص ٦٥.
- ٢٠، الدكتور عبد الله الحامد، مصدر سابق، ص ٧٠، ٧١.
- ٢١، اعتبر الاستاذ جمال زكي يا قاسم، أن هجمات البادية على المدن دلالة على عدم وفاق السنة والشيعة في الأقليم، وهذا بالطبع غير صحيح، لأن البدو لا يحركهم الوتر المذهبى، ولقد تعرضت أمالك السنة إلى التلف والتعطّب، وقتل العديد من الشخصيات السنّية في الاحسإ على يدهم دون تمييز.
- ٢٢، يسفي الوهابيون مساجد الشيعة بـ«الكنائس» !!.
- ٢٣، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص ١٥٤، ١٥٥.
- ٢٤، عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٥٠.
- ٢٥، المصدر السابق، ص ٥١.
- ٢٦، المصدر السابق، ص ٥٢.
- ٢٧، المصدر السابق، ص ٩٢.
- ٢٨، الاصلاح الاجتماعي، ص ٦٤، وانظر الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ، ص ٤٦.
- ٢٩، الحياة العلمية والثقافية ، مصدر سابق، ص ٤٦.
- ٣٠، المصدر السابق، ص ٣٧.
- ٣١، أعلام العوامية، سعيد الشیخ علی آل أبي المکارم، مطبعة النجف ١٣٨١هـ، الجزء الثاني، ص ٣٧ . وانظر شعراء القطيف من الماضين، ص ٢١٦ ، وأيضاً الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، المرحوم الشيخ فرج العمران، الجزء الثالث ص ٧٤ . وانظر أيضاً أنوار البدرين، للعلامة البلادي، ص ٣٧٨ .
- ٣٢، آل أبي المکارم، ص ٣٩-٣٧ . والازهار ، الجزء الثالث، ص ٧٤ .
- ٣٣، ثائر من أجل الدين ، ملامح من حياة العلامة المجاهد الشیخ محمد بن ناصر النمر ، محمد العوامي ، ط ١٤٠٧ -لندن ، ص ٦٦-٧٣ .

- ٦١٠ المصادر السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ . وانظر الأزهار ، جزء ٦ ص ١١٥ .
- ٦٢٠ المصادر السابق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٣ .
- ٦٣٠ الأزهار الجزاء : ٢ من ص ١١٨ إلى ص ١٣٩ . ٤ ص ١٣٣ . والجزء العاشر ص ١٧٦ .
- ٦٤٠ الأزهار جزء ٢ من ص ٤٠ إلى ص ٦٨ ، وأعلام العوامدة جزء ٢ من ص ١١١ إلى ص ١١٩ .
- ٦٥٠ ذكرى حجة الاسلام الامام السيد ماجد العوامي ، للسيد محمد حسن الشخص ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ١٣٦٩ هـ . وآل أبي المكارم ، ص ١١٦ - ١١٨ .
- ٦٦٠ المصادر السابق ، ص ٥١ - ٤٩ ، وانظر ايضا عبد العلي السيف ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ - ١٠٨ .
- ٦٧٠ ذكرى النور في حياة العلامة الشيخ منصور ، الاستاذ محمد منصور المرهون . وانظر الأزهار ، وشعراء القطيف من المعاصرین ، ص ٢٤٣ .
- ٦٨٠ الأزهار ، الجزء السادس ص ١٣٨ ، ومن ص ١٦٣ إلى ص ١٧٣ . وانظر أنوار البدرين ، مصدر سابق ، ص ٢٢٣ .
- ٦٩٠ الأزهار ، جزء ٥ ، ص ١٦١ . وشعراء القطيف من المعاصرین ، ص ٢٦١ .
- ٧٠٠ أنوار البدرين ، ص ٢٦٩ . والأزهار ، جزء ٥ ، ص ٧٩ .
- ٧١٠ أنوار البدرين ، ص ٢٢٦ . والأزهار ، الجزء ١١ ، ص ١٧٧ .

٧

الامن في الاحساد

والقطيف (١٩١٣ - ١٨٧١)

قضية الأمن شغلت أهالي هذه المنطقة منذ زمن بعيد، فقد كان لتناثر الأماكن الحضرية في صحراء قاحلة مترامية الأطراف، يرتادها الأعراب من كل جانب، بسبب وفرة المراعي، ولقربها من الواحات الفنية التي تلبى احتياجاتهم المعيشية.. كان لهذا أثر كبير في بروز مشكلة إنفلات الأمن، وطبع القبائل البدوية في السيطرة على هذه الواحات الفنية.

وكانت بادية الأحساء، كما المراكز الحضرية الأخرى، مركز إستقطاب للقبائل البدوية، أفراداً وجماعات، وإذا ما وجدت هذه القبائل الفرصة، فإنها تسيطر وتحكم المناطق الحضرية، أو على الأقل تنبهها، وتهدد إستقرارها.. ذلك أن قوة البدوية ليست قليلة، فمن حيث العدد كان البدو في تلك النواحي أكثر عدداً من السكان الحضري إلى مطلع الثلاثينيات الميلادية من هذا القرن.. ثم كانت للقبائل القابلية للسيطرة، بسبب وجود اللحمة والعصبية بين أفرادها، مما يوفر لهم قوة كبيرة، بعكس المناطق الحضرية التي تضعف فيها العصبيات.. ولذا لا تسلم المناطق الحضرية إلا بوجود سلطة قوية ومنظمة بشكل كبير، بحيث تكون قادرة على التعاطي مع الانفلات القبلي بحزم.

وقد رأينا أن بنى خالد سيطروا على الحكم في المنطقة سنة ١٠٨٠ هـ، إلى أن أزالهم الحكم الوهابي السعودي سنة ١٢٠٨ هـ، بعد أن حكموا أكثر من قرن وربع القرن.. وكان الحكم السعودي هو بداية الحكم الحضري المنظم في نجد والأحساء، ولم يسبقهم في ذلك إلا الأتراك أثناء تواجدهم في المنطقة آبان صرائهم مع الاستعمار البرتغالي.

وفي الدولة السعودية الثانية، لم يستطع السعوديون كبح جماح هذه القبائل البدوية، وتعتبر الفترة الممتدة بين ١٢٤٠ - ١٢٨٨ هـ وهي السنة التي بدأ فيها الحكم السعودي الثاني، وبين سنة ١٢٨٨ هـ وهي السنة التي احتل فيها الأتراك المنطقة للمرة الثانية بعد الحرب الأهلية السعودية، تعتبر هذه الفترة الزمنية

من أسوء الفترات التي تحكمت فيها الbadia بالمنطقة .

ففي هذه السنوات جاء العجمان إليها ، وعاشوا فيها فسادا طوال الحكم السعودي ، حتى أن بعض المؤرخين يلغى من الأساس وجود عهد سعودي ثان ، لأن فترة حكم السعوديون يومها كانت قصيرة جداً ومزعزعة ، رغم ما اشتهر به الحكم السعوديون من شدة وغلظة في مواجهة القوى البدوية .. ويكتفي دليلاً على هذا أن الأمير فيصل بن تركي الذي يعد أقوى حاكم في ذلك العهد ، والذي وصف المؤرخون قسوته بأنها لا تعرف الحدود ، لم يتمكن من القضاء على العجمان وأل مرة ، رغم النجاح والتقتل المستمر والغارات المتكررة على مضاربهم .

ولعل أحمد بن مشرف ، وهو أحد مشايخ الوهابية في الأحساء ، والذي كان على علاقة وثيقة مع السعوديين ، كشف في ديوانه وقصائده كم كان الأمن مهدداً في تلك السنوات .. فأكثر قصائد الديوان تضم التهاني والتحريض ، تهاني بالانتصار على البدو ، وتحريضاً على إفانائهم .

وهنا يهمنا الالتفات إلى حقيقة أن السعوديين ، يعتبرون توفير الأمن أحد أهم مبررات حكمهم ، في الماضي والحاضر ، بل واعتبروا إنفلات الأمن في الأحساء مبرراً لاحتلالها واستخلاصها من الأتراك .

وستنقطف هنا بعض الأبيات الشعرية من قصائد ابن مشرف للتوضيح للأوضاع الأمنية في عهد السعوديين قبل مجيء الأتراك .

في سنة ١٢٧٥ هـ قال ابن مشرف مستنهضاً فيصل بن تركي آل سعود لقتال الأعراب ، قال على لسان حبيبته النجدية التي قطعت علاقتها به ، وقالت أنه في بلد مخوف :

أنا في ربى نجد وآنت ببلدة
أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يفغرون في أطرافها وسرورها
جواراً ولا يخشون سوطاً لضارب
فكם قعدوا لل المسلمين بمراصد
وكم أفسدوا في سلها بالنهائب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهاية
على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وإن سفكوا فيها الدماء فإنها
لكم هدر لا تحذروا من معاقب
.. فقل لامام المسلمين ويسز له
بنفسك أو بلغمه منع كل راكي
وأنشدك إن أحسست منه شacula
إذا لم يسلامك الزمان فحارب

وشنَّ على الأعراب غارة مُخنق
 وأنهُلهم صاب الرَّدَى بالمسانِبِ
 ومرق جماعاتِ الضلالِ وحزينهِ
 بريح سوم من لظى الحرب حاصلِ
 وجراً عليهم جفلاً بعد جحفلِ
 وضيق عليهم أرضهم بالمقانِبِ
 .. فإنْ أنت سالمت العدو مخافتهِ
 فأيسر ما تلقاه بقول التَّعالَى^(١)

وقال قصيدة أخرى في يصل سنة ١٢٧٨هـ، يمتدحه :

إذا أفسد الأعراب في أي موطن
 أغمار عليهم بالجيوش وأنجداً
 فلما بعثت حرب على الناس واعتدوا
 رماهم بحرب منهم الشمل بذداً
 وولوا سراعاً هاربين كأنهم
 نعيم تراهم في المفاوز شرداً
 فحسبك من أيام نصر تتباينت
 على يده ذلك بها سائر العدى
 وكفت بها الأعراب عن سوء فعلهم
 ودان بها وانقاد من قد تمرداً
 فكم قد أخافوا السبل من قبل غزوه
 وكيم رئيس منهم أغمار وأفسداً
 فأضحوا عن المال النفيس أفعنةٌ
 ولو نظروا في الطرق ذراً وعسجاً^(٢)

وله قصيدة ثالثة يهنيء فيصل بن تركي على إنتصار ابنه عبد الله على الأعراب سنة ١٢٧٥هـ، فقال :

.. قد سرنا ما جاءنا من بشارة
 فزالت هموم النفس وانشرح الصدرُ
 .. فصبح قوماً بالصبيحة اعتدوا
 وقد لهم للبغي مَنْ شائِهُ الغدرُ
 فرُوى خدود المرهفات من التما
 كما قد روت منها المثلقة السمرُ
 فقادر قتلى يعصي الطير حولها
 ويُشبئ منها النسر والذيب والنمرُ
 قبائل عجمان ومنهم شوامر
 ومن لحسين ينتمون وما برؤوا
 وطائفية مزيَّة غير عذيبة
 خلائقها بل كل أفعالها ممزوجة
 أساواها جميعاً في الامام ظنونهم

قالوا ضعيف الجندي في حزمه حصر
 نغير على بلاده ونخيفها
 ليعرفنا الوالي وينمو لنا الوفر
 فإن لم تصب ما قد أردنا فإنه
 صفح عن الجاني ومن طبعه الصبر
 وقد قسموا الأحساء جهلاً بزعمهم
 لعجمانها شطر وللخالدي شطر
 كذبتم فهجر سورها الخيل والقتا
 ومن دونها ضرب القماد والأسر
 فقل للبواطي قد نكثتم عهودكم
 ونقتم وبالنكث وانكشف الأمر
 ولا تبن للأعراب مجدًا فإنهم
 كما قبل أوثان لها الهدم والكسر
 إذا أودعوا الثعماء لم يشكروا لها
 وإن رمت نفعاً منهم أبداً ضروا^(٣)
 وقال ابن مشرف بعد معارك أخرى مع الأعراب، مادحًا فيصل سنة

١٢٧٧هـ :

نقول لاعداء بنا قد تربصوا
 عليكم أديرت سينات الذوانير
 لم تنتظروا ما أوقع الله ربنا
 بعجمانكم أهل الجدد العوائز
 بأول هذا العام ثم بعجزه
 بأيام شهر الصوم إحدى الفواقر
 .. إذا وردوا الأحساء يرعون خصبهما
 وفي بريها نبت الرياض الزواهر
 وكمن أحسن الوالي إليهم ببذلته
 وبالصالح عنهم في السنين الغوابر
 وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة
 ولكن أسدى إلى غير شاكر
 ومن يصنع المعروف في غير أهله
 يلاقى كما لاقي مجير أم عامر
 فمدوا يد الآمال للملك واقتفيوا
 لكل خبيث ناكت العهد غادر
 هموا حاولوا الأحساء ومن دون نيلها
 زوال الطلى ضرباً وقطع الحناجر

.. فوافق في الوفري جموعاً توافرت
 من البدو أمثال البخار الزواخر
 سيعاً وجيشاً من مطير عمراماً

ومن آل قحطان جموع الهواجر .. فصبح أصحاب المفاسد والخنا
بسمر القنا والمرهفات البواتر .. فولى العدا الأدباء إذ عاينوا الرذى
بطعن وضرب والظبا والخناجر⁽⁴⁾

وبعد غارات بدوية سنة ١٢٧٦هـ، كتب ابن مشرف قصيدة إستنهاضر لفيصل جاء فيها:

فَوْمُ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ جَهَلِهِمْ
قَدْ خَرَقُوا الدِّينَ وَدَسَتِ الْكَمَامَ
وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَعَاثَوْا بِهَا
وَحَلَّوْا سُفَكَ الدَّمَاءِ الْحَرَامَ
عَادَاتِ سَوْءَ رَضَعُوا ثَدِيَهَا
فَاسْتَصْبَعُوا بَعْدَ الرَّضَاعِ الْفَطَامَ
وَالثَّئِبَ قَدْ يَعْدُونَ عَلَى غَرَةِ
فِي غَنْمِ الرَّاعِي لَهَا إِذْ يَنَامُ
.. يَا رَاكِبًا مِنْ أَرْضِ هَجَرِ ضَحْيَ
إِنْ رَمْتَ نَجَدًا فَالرِّياضُ الْأَمَامَ
أَنْجَعُ قَلْوَصِيكَ لِدِي قَصْرَهَا
وَيَلْغَى الْوَالِيَّ أَتَّهَمَ السَّلَامَ
وَقَلْ لَهُ أَنْ جَهَادَ الْعَدَا
فِي ضَمْنَهِ الْعَزَّ وَنَيلَ الْمَرَامَ
مَا جَرَدَ الصَّمْصَامَ ذُو هَمَّةَ
عَنْدَ اعْوَاجِ الْأَمْرِ إِلَّا اتَّقَامَ
فِي الْأَمَانِي لَا يَنْتَالُ الْمُنَامَ
لَا تَشْبَهُ حَلَمَ الْمُنَامَ
وَالْمَجْدُ لَا يَدْرِكُهُ مَوْلَعٌ
بِلَثْمَةِ الْحَسَنَاءِ ذَاتِ الْثَّيَامَ
فَثَبَ وَثُوبَ الْلَّيْثِ نَحْوَ الْعَلَامَ
وَبَادَرَ الْخَصْمَ بِسَلَ الْحَسَامَ
وَحَكَمَ السَّيْفَ بِمَنْ قَدْ عَنَّا
يَنْقَادُ لِلْحَقِّ أَلَّا الْخَصَامُ⁽⁵⁾

وهناك قصائد أخرى كثيرة نكتفي بما نقلناه منها.

والسؤال هو، إذا كان الحكم السعويون، ومع ما اشتهروا به من قسوة وقمع للبدو، لم يتمكنوا من إنهاء غوائلهم، فكيف بحكم الأتراك الذي لم يكن يعتمد على القوة العسكرية، وإنما على هيبة موهومة ثبت من خلال الاحتكاك أنها تخفي وراءها قصوراً وضعف؟.

بل حتى ابن سعود نفسه لم يأمن شرور البدية، إلا بعد توطينها، وكان

العجمان آخر من توطنوا. أو أرغموا على الاستيطان في الهجر ..، ومع ذلك قاموا بثوراتهم إبان ثورة الاخوان وكانوا عmad قوتها، وكانت نهاية الباية الحقيقة في يناير ١٩٣٠ ، بينما تمت تصفيه الجيش السعودي (الاخوان) إلى الأبد.

وقد حاول العجمان تتمير الحكم السعودي في الأحساء، بعد سنتين من سيطرة ابن سعود عليها، فقاتلوا الأخير وقتلوا أخيه سعدا، وجرحوه شخصياً، بل وحاصروه عدة أشهر في الهفوف .. ولذا لا يعتبر إنفلات الأمن في الأحساء أواخر العهد التركي، سبباً عار للأتراك، ولا مبرراً لحكم السعوديين، بل يجب الثناء على الأتراك لأنهم استطاعوا مدة ثلاثين عاماً .. حفظ الأمن، دون اللجوء إلى زيادة القوة العسكرية .. ولو لا تدخلات ابن سعود والإنجليز، لما لختل الأمن في المنطقة، حتى في نهاية الحكم التركي، وسنوضح ذلك في الصفحات التالية .

الأمن في الأحساء ١٨٧١ - ١٩٠٢

وهي مدة ٣١ عاماً، نعمت المنطقة خلالها بالأمن والسلام، فانعكس ذلك على رخائها الاقتصادي، وانتشرت الحركة الثقافية والعلمية والأدبية فيها إلى حد كبير ومذهل .. ولم تكن هناك حوادث ذات أهمية تخل بالأمن والنظام ، رغم أن الانجليز سعوا طوال تلك السنين إلى خلق المشاكل والتعرض لهيبة الدولة العثمانية، إذ أن أطماعهم في السيطرة على الأحساء والقطيف قديمة .

ففي عام ١٨٢٣ ، كان لمقيميه بوشهر مقيم وطني في القطيف ، وفي سنة ١٨٦٤ إفتتحت أول وكالة تجارية تابعة لمواطني الهند - البريطانية - فيها ، وقد تم ذلك في عهد السعوديين أنفسهم .. وحاول تجار الهند البريطانية في البحرين وبإصرار تعزيز مراكزهم في القطيف بشكل خاص ، وطالبوa بتعيين وكيل قنصلي بريطاني فيها .. ولما استولى العثمانيون على الأحساء شرع البريطانيون في عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٤ ، بمسح سواحل الأحساء، حيث أرسلت السفينة (كونستافس) لأجل تنفيذ مهمة استعمارية بالدرجة الأساس^(١) لقد بادر الأنجلير إلى ممارسة شتى الضغوط على القوات التركية في الأحساء، سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً .. وقد رأينا كيف أنهم قاموا بمضاعفة الضرائب على البضائع المصدرة من البحرين إلى مينائي القطيف والعقير .. وحينما حاولت القبائل التعرّض للنظام ووجهت بيد قامعة، سيما وأنها قد خرجت للتوجيه من الحرب إلى جانب السعوديين الذين انتهوا شأنهم، وقد ساعد في التخفيف من غلوائهم، الأعطيات التركية التي تعوضهم إلى حد ما عن النهب .

لها اتجهت هذه القبائل فيما بعد لمهاجمة رعایا الانجليز من البحرينيين بوجه خاص، فبين عامي ١٨٧٨ - ١٨٨٠ ، لمع إسم زيد بن محمد من قبيلة الهواجر كقرصان خطر، حيث استولى على القوارب والسفن التجارية، وأخذ يروع بأعماله العدوانية الآمنين، وكان نشاطه متركزاً قبالة سواحل القطيف، معتمداً في ذلك على أتباعه من بني هاجر، وألّ مرّة، وبعض أفراد قبيلة العجمان، بزعامة (منصور بن منيخر)، الأمر الذي سبب في تأزيم العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية، لأنّ معظم السفن المنهوبة تخصل البحرين، أو رعایا آخرين للإنجليز^(٧).

ويبدو أنّ الأتراك لم يكونوا مهتمين بالأمر ، طالما أنّ القرصنة يوجّهون إعتداءاتهم ضدّ الرعایا لهم، ولعلّهم رأوا أنّ هذه الأفعال تصبّ في صالحهم من حيث أنها تسبّب المشاكل لأعدائهم، وتشغلهم عن التفكير في إلقاء المنطقة الأحسانية. لهذا كان التجاهل التركي للطلبات المتكررة بایقاف القرصنة عند حدّهم واضحًا .. ووصل الأمر أن رفضه والي البصرة - عبد الله باشا - العرض البريطاني بتزويد السلطات العثمانية في الأحساء بقوّات نظامية تقضي على قطاع الطرق !

تبع هذا أنّ قامت السفن البريطانية بين عامي ١٨٧٨ - ١٨٧٩ بالاقتراب من موانئ الأحساء والقطيف، وإزعاج الاهالي العاملين في صيد اللؤلؤ .. وفي عام ١٨٧٩ أسرت سفينة بريطانية سفينة أهلية، ثمّ ما لبث أن أصدرت السلطات البريطانية في عام ١٨٨١ لقائد بحريتها في الخليج بدخول مياه القطيف، وتعقب السفن الأهلية، وأن لا يتقدّم بمسألة السيادة العثمانية عليها^(٨).

وفي العامين ١٨٨٧ - ١٨٨٨ ، وحينما نشطت أعمال القرصنة، وتعرّضت لسفن أهلية، قام قارب عثماني بتوجيه إنذار للمتمردين، وقامت الدولة العثمانية بإنشاء قاعدة عسكرية صغيرة في رأس تنورة لمراقبة الوضع، فتوقفت أعمال القرصنة، إلا تلك الموجّهة لرعایا الانجليز .. وفي العام التالي ١٨٨٩ ، أعطت السلطات البريطانية الضوء الأخضر لزياد بن خليفة، حاكم أبوظبي، ليغير على ميناء العقير بالاشتراك مع بعض أفراد قبيلة المرّة^(٩) ، إلا أنّ الهجوم فشل ، ولقنّ الأتراك المهاجمين دروساً قاسية.

في هذه الأثناء، كان الصراع بين آل خليفة في البحرين أثره في تأجيج القرصنة ضدّ الرعایا البريطانيين .. فقد خلف أحمد بن سلمان آل خليفة، وهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة، وأمه من بني هاجر ، خلف القرصان زيد بن محمد ، وحشد جماعات من قبيلة أمّه لمهاجمة سفن البحرين نكاشة بخصوصه السياسيين ، وقد إحتاجت بريطانيا على ذلك ، واضطُررت في فترات لاحقة المعتمد البريطاني في البحرين (الكابتن بريدو) أن يقوم برحلتين شراعيتين ، إستغرقت

كل واحدة أربعة أيام في عرض البحر، بحثا عن ذلك القرصان، الذي حكم عليه العثمانيون غيابيا بالسجن مدة ١٥ عاماً ونلّك عام ١٨٩٣ .. ثم زار بريدو القطيف، وقدم للقائمقام العثماني إحتجاجه على أعمال القرصنة . وبيدو أن السلطات البريطانية لم تكن مقتنعة بجديّة الأتراك في القبض عليه، خاصة إذا علمنا أنهم قبضوا عليه، ولكنّه إدعوا بأنه هرب من أيديهم (١٠).

وفي عام ١٨٩٦ جرت أحداث مقلقة في الكويت، إنعكس منها القليل على الأحساء .. ففي ذلك العام قام مبارك الصباح بقتل أخيه، حاكم الكويت محمد، والأخر جراح، واستولى على السلطة . وكانت اليد البريطانية ظاهرة واضحة في عملية الاغتيال، ذلك أن الحاكم محمد رفض مرارا عروض التحالف البريطانيّة لمنع تمدد النفوذ الألماني إلى الخليج عبر الخط الحديدي الذي كان مزمعاً إنشاؤه ، وقد عرضت بريطانيا على حاكم الكويت سنة ١٨٩٥ التحالف، إلا أنه كان صادق الولاء للعثمانيين، مما أدى إلى مقتله (١١).

ورغم إرتياح الأتراك في أن عملية وصول مبارك إلى الحكم كانت إنجلizية ، إلا أنّهم ظاهروا بالحياد، وأصدروا فرماناً بتعيين مبارك قائمقاماً على الكويت ، خوفاً من أن تكون مواجهتها له دافعاً لارتمائه أكثر في الأحضان الانجليزية . لكن مبارك لم يبحث عن مبرر ، ولم يهتم بالتملق العثماني ، وراح يجري اتصالاته الصريحة مع غرماء الأتراك ، وكانت عيون الآخرين ترقبه من البصرة ، فلّوحوا له ببعض التهديد ، وحينها إحتضنه الانجليز ، وهياوأ أنفسهم لمساعدته ، وأرسلت تركيا سفينة حربية لتهديده ، فما كان منه إلا أن وقع إتفاقية حماية في يناير ١٨٩٩ ، وحسم الصراع لصالح الانجليز (١٢).

ترتب على عملية إغتيال أمير الكويت وأخيه ، أن قاد يوسف الإبراهيم «شهر المقتولين» وبدعم من أبناء المقتولين ، المعارضة ضد حكم مبارك ، حيث خرج الجميع من الكويت لقيادة تلك المعارضة من البصرة حيناً ، ومن حائل والهند حيناً آخر ، ومن قطر حيناً ثالثاً.

ففي ١٢٩ / ١ / ١٣١٥ - ١٨٩٧ ، ذهب يوسف الإبراهيم والشيخ خالد بن الشيخ محمد الصباح إلى قطر للاستنجاد بالشيخ قاسم الذي يحمل عداء لمبارك ، فقام الأخير بإعداد حملة بحرية لمحاجة حاكم الكويت ، فعلم الأخير بالأمر ، وكتب إلى صديقه متصرف الأحساء سعيد باشا - شارحاً الأمر ومقدماً الهدايا . وقد أرسل سعيد باشا إلى متسلم البصرة محسن باشا - والذي أصبح صديقاً حميمًا لمبارك - يوضح له نوايا قاسم من إثارة الفتنة ضد مبارك ، حيث وصف الأخير بأنه مطيع للدولة !

لهذا سير محسن باشا قوة عسكرية حملتها الباخرة زحاف ، ومعها السيد رجب النقيب ، ومدير الأموال السنّية محمد علي ، بفرض تهدئة قاسم ، وقد

نحوًا في ذلك .. ولما علم يوسف الأبراهيم أن متصرف الأحساء سعيد باشا هو الذي أفشل الخطة، دعا إليه رجلًا من أهالي الجنوب، يقال له «عبد الرحمن بن سلامة»، وأعطاه أربعين بندقية، وخمسين كيساً من الأرز، ومقداراً من النقود، وطلب إليه إثارة قبائل المرة والعمان وبني هاجر ضد المتصرف^(١٢) فعلاً أثارت هذه القبائل الفتنة واعتادت على إحدى القوافل، فأدّبها سعيد باشا بحرز.

بعده، قام يوسف الأبراهيم بإعداد مصبيتين وقعهما رؤساء جميع القبائل المحيطة بالاحساء، يشكون فيها جور المتصرف، ويعزون فيها أسباب إخلالهم بالأمن إلى تعسف سعيد باشا وظلمه، وقد أرسل يوسف الأبراهيم نسخة من المصبات إلى مشير بغداد والأخرى إلى محمد أنيس باشا في البصرة، غير أن مبارك يستطيع مصادرة المصبيتين قبل وصولهما، وكتب إلى سعيد باشا يشرح له المكيدة مع أصل المصبيتين، فشكّر سعيد على يقظته، وكان ذلك في صفر ١٤١٥ـ هـ ١٨٩٧ـ مـ^(١٤)

وبعد أن وقع مبارك معايدة الحماية مع بريطانيا في ١٨٩٩، إستاء السلطان عبد الحميد كثيراً، وكتب متحجاً في سبتمبر ١٨٩٩ إلى السفير البريطاني في عاصمته، بأنه لن يتنازل لأحد عن البصرة أو الكويت أو البحرين أو القطيف^(١٥)

ومعلوم أنه في نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت السلطة البريطانية معززة قوية.. ففي البحرين كان آل خليفة يفقدون تدريجياً صلاحياتهم، حتى في الشؤون الداخلية، عدا مسألة إعلان الحرب ضد الأغلبية الشيعية في الجزيرة-السكان الأصليين..، وقد سبق أن وقعت البحرين معايدة حماية مع بريطانيا في عام ١٨٨٠، وفي عام ١٨٩٢ لحقت كل من أبو ظبي، ودبى، ورأس الخيمة، والشارقة، وعجمان، وأم القوين، بالركب.. وقبلهم جميعاً إلى حاكم مسقط، وبعدهم الحق حاكم الكويت.. وفي عربستان كان هناك الشيخ خزعل، حامي الأملاك البريطانية.. وفي البصرة يوجد آل النقيب «رجب»، ثم طالب «أصدقاء الانجليز» الذين سهلوا فيما بعد إحتلال البصرة رسمياً! أما قطر، فقد كان الشيخ قاسم في نهاية القرن التاسع عشر أكثر قرباً من الناحية العملية-للإنجليز منه إلى الأتراك- أصحاب السيادة الأساسية.. وهكذا لم تبق إلا الأحساء والقطيف، بعيدة عن متناولهم، فدفعوا بالقبائل لازعاجهم.

في عام ١٨٩٩ إستولى بدو الهواجر على أموال تجار الأحساء، مما جعل سعيد باشا-المتصرف-يهتم كثيراً للامر هذه المرة-خلافاً للمرات السابقة- فأرسل قواته لمحاكمة الهواجر، واستولى على إيلهم وأسر عدداً من شيوخهم، ثم قام بدفع تعويضات لتجار الأحساء المتضررين، ولكنه لم يعوض تجار البحرين، الأمر الذي أدى إلى إحتجاج البريطانيين^(١٦).

وفي أواخر عام ١٩٠٠ قام أفراد من قبيلة المرّة بقتل الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة، بالقرب من مدينة القطيف، ونهب المهاجمون ممتلكاته.. ويبدو أن السلطات العثمانية لم تأبه للأمر، باعتبار أن آل خليفة أعادوها.. وبيومها طلب الانجليز من الأتراك التحقيق في الأمر ومعاقبة القاتلة ودفع الفدية، وحاولوا في السنوات الأربع اللاحقة الاستفادة من الحادث لصالح سياساتهم الرامية إلى التدخل في شؤون الأحساء.

من جانبها، منعت الحكومة البريطانية شيخ البحرين من إتخاذ خطوات شخصية للحصول على الفدية، وحثته على انتظار نتائج التحقيق، وكان هدفها الرئيسي عدم إثارة مسألة السيادة على المناطق التي نقطنها قبائل بني مرّة. وحين طرح «راتسلو» القنصل البريطاني في البصرة الأمر على والي البصرة، سمع منه نفس الأعذار التي كان يبديها متصرف الأحساء. وقال الوالي أن لديه: «أوامر دائمة وثابتة تقضي باعتبار البحرين من الممتلكات التركية، وأن يتتجاهل حق الممثلين البريطانيين التحدث باسم شيخ البحرين»^(١٧).

وفي أغسطس ١٩٠١، كتب المقيم السياسي البريطاني في بوشهر «كمبال» رسالة إلى حكومة الهند، يقول فيها:

«لقد مضى ما يقارب من الثمانية أشهر على وقوع الجريمة، ومهما لا شك فيه أنه كان بإمكان السلطات التركية في الأحساء.. لو أرادت.. أن تحل هذه القضية حلاً كلياً أو جزئياً.. ولذلك أقترح إرسال سفينة حربية إلى القطيف في أسرع وقت ممكن، وأن يؤمن قائدها بإبلاغ المسؤول التركي هناك بأنه جاء للاستفسار عن الخطوات التي تتخذ لمعاقبة مرتكبي الجريمة.. جريمة مقتل سلمان بن دعيج آل خليفة.. فإذا أجاب المسؤول بأنه لا يعلم شيئاً عن الموضوع، فيطلب منه أن يحيّل القضية إلى متصرف الأحساء، الذي يتوجّب على قائد السفينة إنتظار جواب منه»^(١٨).

والهدف بالطبع من إرسال السفينة، هو إستعراض العضلات، لهذا يتتابع المقيم قائلاً:

«علمت أنه لم تزر سفينة حربية بريطانية القطيف منذ عدة سنوات، وأن زيارة تقوم بها سفينة في هذا الوقت، ربما يكون لها أثر جيد»^(١٩)!. وحتى أوائل عام ١٩٠٤ كانت السلطات البريطانية تستغل جاهدة الحادثة للتدخل، وربما لم يهدا لها بال إلا بعد أن أبلغ وزير الداخلية التركي بريطانيا بأن القاتلة قتلوا في تصدام مع القوات الحكومية العثمانية في الأحساء، وبعد أن طلب من بريطانيا اعتبار الموضوع منتهياً.

فقد أرسل السفير البريطاني في القدسنطينية إلى وزير الخارجية في فبراير ١٩٠٤، معلقاً على حادثة مقتل الشيخ سلمان دعيج آل خليفة: «أن وزير

الداخلية العثمانية يجد نفسه مضطراً للتصريح بأنه من المستحيل في الظروف الحالية أن تتمكن السلطات الحصول من القبيلة التي ينتمي إليها القتلة على البالغ التي يطالب بها شيخ البحرين دية، أو على قيمة الأموال المنهوبة.. فالقبيلة إنسحب إلى داخل الصحراء بعيداً عن متناول السلطات».. وتابع السفير قوله أنه «طبقاً لكلام وزير الداخلية، فإن قتالاً وقع بين القوات التركية، وبين ابن مكياره Ben Mekiarie «ورفاقه، وجميعهم يتبعون إلى القبيلة المذكورة، ويعتقد إعتقد جازماً بأن جميع القتلة المفترض إشتراكهم في قتل الشيف، قد لاقوا حتفهم في ذلك القتال. ثم طلب الوزير من حكومة صاحب الجلالة أن تعتبر هذا الموضوع بحكم المنتهي»^(١٩).

وهكذا نرى أن الأخلاص بالأمن في المرافق الأولى من حكم العثمانيين للأحساء، كان محدوداً وخارج الحواضر، والأهم من ذلك أنه كان موجهاً للسلطات البريطانية ورعاياها.. لكن الأمور تغيرت بعد سيطرة ابن سعود على الرياض عام ١٩٠٢.

عودة السعوديين إلى الحكم

كانت وقعة «المليداء» سنة ١٣٠٨هـ، بين محمد بن عبد الله الرشيد وبين عبد الرحمن الفيصل، آخر معركة فاصلة وحاسمة للحرب الأهلية السعودية في نجد، حيث إستولى ابن رشيد على الرياض، بعد أن قتل من الجنود السعودي حوالي ألف رجل، مما أثار سخطاً كبيراً لدى النجاشيين خصوصاً أهالي القصيم، وكانت المعركة قد نشب بسبب محاولة عبد الرحمن الفيصل التمدد خارج أسوار الرياض، للسيطرة على مناطق ابن الرشيد، رغم العهود والمواثيق الموقعة بين الطرفين.

وهرب عبد الرحمن الفيصل متوجهًا شرقاً، وأراد الاقامة في الأحساء أو في جوارها، ولكن عاكف باشا متصرف الأحساء، رفض ذلك^(٢٠)، فأراد عبد الرحمن البقاء مع العجمان، إلا أن الآخرين رفضوا ذلك، لأن لجوءه إليهم يعد إستقراراً للعثمانيين.

واتصل عبد الرحمن بحاكم الكويت، ولكن الأخير أبى أن يقيم عنده، فارتحل بعد أن أرسل إلى البحرين عائلته، إلى قبيلة مرّة، ثم كتب لشيخ قطر قبل أن يقيم معه لاجئاً، ثم ما لبث أن أمرت الدولة العثمانية الشيخ قاسم بإعادته، وأخيراً كتب متصرف الأحساء للأمير السعودي يستدعيه، فبقى في الأحساء وعيشه على الكويت، وبعد لأي طويل، وافق الآتراك على ترحيله إلى الكويت، وأن يعيش على راتب من الدولة العثمانية قيل أنه ٣٣ ليرة، أو ٦٠ ليرة سنوياً، وأوعزت الحكومة إلى ابن صباح بالموافقة فوافق^(٢١).

وتدعى بعض المصادر السعودية، أنَّ متصرف الأحساء عرض عليه إماراة الرياض، وأن يدفع للدولة العثمانية ألف ليرة سنوياً، ولكنه رفض لأنَّه لا يقبل وصاية الأتراك ! ، ولكن هؤلاء يتناسون الراتب الذي راح يقبضه من العثمانيين بعد أن لجأ إلى الكويت ، وظل يسلم ذلك الراتب حتى بعد إحتلال ابنه للأحساء ، أي حتى نهاية عهد الامبراطورية العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى .

غير أنَّ جلال كشك يقدم تفسيراً صحيحاً هو أنَّ الأهالي والقبائل لم يكونوا يقبلونه ، وقال عبد الرحمن أنَّ «القبائل صارت خائنة» (٢٢).

على أية حال بقي آل سعود في الكويت حتى عام ١٩٠٢ ، وفي عام ١٩٠١ تعاونوا مع مبارك في قتال ابن الرشيد ، فووقدت معركة الصريف التي هزم فيها الجندي الكويتي هزيمة نكراء ، ولم يوقف ابن الرشيد عن إحتلال الكويت سوى نزول المدافع البريطانية عند الساحل الكويتي ، وسوى أوامر والي البصرة محسن باشا الذي أصر على ابن الرشيد بالعودة .

في الكويت تعرف عبد العزيز وأبوه عبد الرحمن على الانجليز ووثقا صلتهما بهم ، وكان مبارك قد قضى للتو على أخيه الحاكمين وقتلهم ، ثم راح يغري السعوديين بالقيام باعمال ضد ابن الرشيد ، مستفيداً من وجود السعوديين في ضيافته ، وذلك لتحقيق طموحه في حكم الجزيرة العربية ، فاتفق السعوديون في الكويت مع قبائل المنتفق وقبائل أخرى مقيدة شمالي الكويت بغزو أراضٍ تابعة لابن الرشيد ، وكانت كل الدلائل تشير بوضوح إلى أنَّ الحاكم السعودي يرتكب تلك الأعمال متواطئاً مع شيخ الكويت (٢٣) .

ومن المعلوم أنَّ مبارك كانت تربطه علاقة شخصية مع عبد العزيز ، حيث يتفق المؤرخون أنَّ مبارك علم ابن السعودية فن السياسة ، وأنَّ الكويت كانت له مدرسة (٤) ، ولا شك أنَّ عبد العزيز ، ومنذ ذلك الحين ، كان على علاقة مع الانجليز ، سواء عن طريق المقيم البريطاني في بوشهر ، أو عن طريق مبارك الصباح نفسه ، الذي كان يعتبر ابن سعود ولده ، فيكتب إلى «ولدي» ، بينما يرد عليه الولد إلى «والدي» !! .

في نوفمبر ١٩٠١ ترك ابن سعود الكويت بعد أن تجهز منها ومعه أربعون رجلاً - كما ينقل المؤرخون السعوديون - إلى الجنوب حيث الأحساء ، وفي الطريق إجتذب عدداً من البدو الذين يميلون إلى النهب ، واستطاع أن يغير على عدد من القبائل ، وصارت بادية الأحساء مركزاً لتحرکه للتشويش على الأتراك وابن رشيد معاً ، ثم لحق به طلاب الكسب ، وذاع الخبر بأنَّ ابن سعود يغزو ، وأقبلت جماعات آل مرّة وبسيم والسهول يحدو أكثرها الطمع بمحاصيل الغزو .

أغار عبد العزيز - ابن سعود - بهؤلاء على أبيات لقططان من أعون ابن رشيد

فغم وعاد الى اطراف الأحساء، وفيها المتصرف، فتمون وقصد جماعة آخرين من قحطان، وهاجم فريقا من مطير فساق بعض مواشיהם أمامه.. وتسامع البدو بخبر الغزو وتسارعوا يتبعون الظافر على عادتهم ، فزاد عدد الغزاة مئات ، ومركز الاستقرار والتمويل جنوب الأحساء وداخلها .^(٢٥) كانت خطة مبارك الصباح تعتمد تشتت قوة ابن رشيد ، حتى لا يتفرغ له وحده ، وكانت الخطة إشغاله ، فما كان منه إلا أن ضيق على حاكم الكويت ، وطلب من والي البصرة بإبعاد ابن سعود عن بادية الأحساء ، وشكى الى الدولة العثمانية تراخي قبضتها على الأحساء .. كما طلب ابن الرشيد من ابن ثاني الكف عن دعم عبد العزيز . واستجابت الدولة لطلبه ، وأصدرت أوامرها لمتصرف الأحساء بمنع ابن سعود من الامتياز ، وهددت بقطع راتب أبيه عبد الرحمن الفيصل .. وحين سمع الناز أن الدولة أعلنت عداءها لابن سعود ، خافت وتفرقت عنه خشية أن تتعرض لسخط الدولة ، وأثرت السلامة ، وانفضت عنه مسرعة ، وكتب عبد الرحمن لابنه بالعودة الى الكويت ، وكذلك فعل مبارك .^(٢٦)

غادر عبد العزيز بادية الأحساء واتجه جنوبا الى واحدة ييرين ، وهناك قرر القيام بانقلاب في الرياض واحتلالها .. وهكذا تم له الأمر في يناير ١٩٠٢ ، لتبدأ مرحلة حرجية من تاريخ الأحساء بعد فترة وجيزة .

كانت بريطانيا على علم مبكر بخروج ابن سعود من الكويت ، وبرغم إعلان الحياد المصطنع ، فإن إنتصارات عبد العزيز كانت ستتصبح مستحيلة بدون ضمان بريطانيا لسلامة الكويت^(٢٧) ، وبدون دعم مبارك الصباح لعبد العزيز . وقد شهدت وثيقة بريطانية لمبارك الصباح بالدور الذي كان يفعله فقالت : «أما مبارك الصباح فهو يدعم ابن سعود ويحرّضه بلوء ، ولم يكن الأخير ليستطيع عمل أي شيء تقريرا دون مساعدته»^(٢٨).

وكان أول عمل قام به ابن سعود بعد إحتلال الرياض ، إرسال ناصر بن سعود الى الكويت بشرا وطالبا المدد ، فأرسلوا له مائة رجل وكمية من الذخائر .. ودرك قيمة الذخيرة اذا علمنا أن ابن سعود كسب خلال استيلائه على قلعة الرياض على مائتي بندقية فقط .^(٢٩)

بل أن مبارك الصباح تبرّع من نفسه ليكون ممثلا لأبن سعود لدى الانجليز ولدى العثمانيين ، فهو يقول للإنجليز أن ابن سعود صاحبكم فادعموه ، ويكتب لوالي البصرة أن يرسل للباب العالي طالبا منه الاعتراف بالأمر الواقع ، وفي نفس الوقت يحاول طمأنة الدولة العثمانية من ناحية ولاء ابن سعود لها ، ليكسب دعمها أو حيادها على الأقل .^(٣٠)

ومن ناحيته أعلن عبد العزيز ، كما أبوه عبد الرحمن بأنه سيحكم الرياض بإسم السلطان ، وأنه خادم للدولة العلية . وكتب عبد الرحمن الى رجب النقيب ، والد طالب النقيب : «ونحن في كل مكان وحال من الأحوال لا نزال بحول الله

نُؤدي الخدمات لحضرت أمير المؤمنين، بانلين الجذ والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، متقددين إلى أوامر الدولة العلية ..»^(٣١)

والحقيقة فان آل سعود أعجبوا بطريقة مبارك في إدارة تحالفاته الخارجية، وخاصة مع الانجليز، وقد لمس ابن سعود بنفسه مدى التفود البريطاني وتفوقه على الدولة العثمانية، مما جعله يتوجه مبكراً إلى الاستعانة بالتأييد البريطاني^(٣٢).

على أن السعوديين فكروا بالاستعانة بالإنجليز حتى قبل أن يصطدموا بالعثمانيين، وأمامنا رسالة عبد الرحمن الفيصل التي بعث بها من الكويت إلى العقيم البريطاني في بوشهر المستر «كمبال»، وقد تسلم الأخير الرسالة كما يقول هو في ١٢/٥/١٩٠٢، أما تاريخ كتابتها فهو ٥/٢/١٢٢٠هـ .. تقول الرسالة نصاً :

«بعد التحيّات .. لا رغبة لي في التطلع إلى أحد سواك ، وذلك بسبب أفضالك وحمايتك التي تشمل بها كل أولئك الذين يضعون أنفسهم تحت أنظاركم ، وإنني أتمنى أن تبقى عيون حكومتكم دائمة النظر إلى ..»

أود أن أخبرك عن القنصل الروسي في بوشهر ، الذي أتى إلى حيث أقيمت في الوقت الحالي ، وأتى إلى وطلب مني أن أكتب له رسالة تصف سوء المعاملة التي تلقيتها على يد الأتراك^(٣٣)، والمساعدات التي قدموها إلى ابن رشيد للعمل ضدي . ولم أجد من المناسب أن أتوجه إلى غير حكومتكم .. وإنني أرجو من حكومتكم الكريمة أن تعتبرني واحداً من محسوبينكم»^(٣٤).. وشرح كمال لحكومة الهند معنى «محسوبينكم» التي كتبها بحروف لاتينية ، بأنها تعنى المشمولين بحماية الحكومة البريطانية .

الوضع الأمني في الأحساء والقطيف «١٩٠٢ - ١٩١٣»

ترکز وجهة النظر السعودية على مسألة إضطراب الأمن في الأحساء ، وكيف أن البدو ينهبون المارة ويقتلون الأمنين ، بل ويبيعون منهوباتهم على الأهالي المنهوبين وأمام أعينهم .

ثم تتحدث الروايات السعودية ، عن شکوى الأهالي من إضطراب الأمن إلى المتصرف في الأحساء ، أو الوالي في البصرة ، ولكن الحكومة التركية لم تستطع إيقاف الأضطراب ، وهذا صحيح .

بعد ذلك تشير تلك الروايات ، إلى دور «المنقذ» ابن سعود ، وكيف أن الأهالي هم الذين طلبوا منه أن ينقذهم مما هم فيه ، وليعيد إليهم الأمن المسلوب . وهكذا فالروايات محبوكة بصورة جيدة ، ولكن علينا أن نجيب على سؤالين هامين ، هما ، من الذي كان يشجع على إنفلات الأمن في المنطقة ، ثم من الذي

دعا ابن سعود من أهالي الأحساء؟

إننا نلاحظ أن القاعدة التي اعتمدت عليها الروايات السعودية هي «اضطراب الأمن»، فلنبحث عن دور ابن سعود والإنجليز في إشعال ذلك الاضطراب، أما المسائل الأخرى فسنجيب عليها في موقع آخر.

جهتان كانتا وراء الفتنة والأخلاق بالأمن، الإنجلiz وابن سعود.. وكان الطرفان يدعمان القبائل البدوية ويعيناهما على اشعال الفتنة، وكان لكلا الطرفين جواسيسه ومخبروه من النجبيين المقيمين في الأحساء، وكلاهما كان يرقب الوضع السياسي والأمني في المنطقة لاستثماره.

وكان العجمان -طفاء ابن سعود وأبيه عبد الرحمن وعمه سعود- وكذلك آل مرّة، يسعون للنهب، ولم يكونوا يريدون غيره، كما لم يفهموا كاملاً المخطط إلا بعد إحتلال الأحساء، وحينها وقفوا معارضين لابن سعود، فصفاهم بشكل دموي.

فور إحتلاله للرياض، وثق الحاكم السعودي تحالفه مع القبائل البدوية في المنطقة، وشجعها على مهاجمة القرى والحواضر ونهبها وحرقها، لتحقيق هدفين أساسيين:

□ الأول - إضعاف هيبة الأتراك لدى الأهالي.

□ الثاني - دفع الأهالي لقبول حكمه والتعاون معه في طرد الأتراك.

ولئن حقق ابن سعود هدفه الأول، فإن هدفه الثاني لم يحصل عليه، رغم إلحاح مجموعة النجبيين المقيمين في محلتي الرفعة والنعاثل بالهفوف، حيث أخذت ترسل في الخفاء الرسائل السرية لابن سعود تخبره فيها عن الأوضاع الداخلية، وعن مدى استعدادات الأتراك هناك، وعن مدى إمكانية نجاحه إذا حاول إسترداد المنطقة، كما يقول كاتب سعودي^(٣٥).

وهذا إعتراف واضح بأن النجبيين -رغم قتلهم- كانوا أداة للتجلّس والتحريض. ونقول النجبيين، لأن العوائل التي دعمت ابن سعود وراسلته ودعنته للاحتلال، هي عوائل نجدية الأصل، وهابية المذهب -في الغلب-.

ويرى الكاتب السعودي المنكور، أن من مقدمات إحتلال ابن سعود للأحساء: «أنه استطاع كسب جماعة من قبائل العجمان التي أخذت تهاجم القوات العثمانية^(٣٦) في الأحساء بين الحين والآخر، وهذه الغزوات^(٣٧) أحدثت ببلة وفوضى في المنطقة، زادت الطين بلة بالنسبة للاستراتيجية العثمانية^(٣٨).

وأشار المؤلف إلى أن بريطانيا كانت توزع السلاح على القبائل البدوية هبة مجانية لتعمل على مناهضة الحكم العثماني وخرابطة الأمن «وبهذا الاسلوب، فإن بريطانيا كانت تعمل على إثارة الفتنة، وأعمال الشغب والاضطراب في المناطق الخليجية الواقعة تحت السيادة العثمانية -أي الأحساء والقطيف-. وهذا

الاجراء كان عاملًا من العوامل التي أضفت مركز الاستراتيجية العثمانية في الأحساء، وكان هم بريطانيا أن تخرج الدولة العثمانية من مناطق الخليج وال العراق»^(٣٩).

وأشار المؤلف في بحث آخر، بأن بريطانيا والقوى الوطنية المجاورة «ويقصد ابن سعود» قامت بمحاولات تشويش وتشجيع القبائل على الثورة ضد الأتراك، وأن شيوخ القبائل كانوا يقاضون أموالاً من الانجليز، أصحاب السلطة في الخليج، ومن العثمانيين أيضًا^(٤٠).. ومعلوم لدينا أن عطایا الأتراك كان لضمان هدوء القبائل، أما عطایا الانجليز فتهدف عكس ذلك.

وهكذا رأت القبائل البدوية، كم هي فرصة ثمينة للنهب، خاصة وأن السلاح يُدفع بالمجان، فبادرت بالهجوم وتهديد القوافل التجارية، ونهب السكان غير مرة، بل ومحاصرة القطيف أكثر من ستة أشهر، وحرق قرى بأكملها، وغير ذلك من الأفعال .. هذه هي الأفعال التي سماها الكتاب السعوديون بـ«الحركات الاجتماعية»، وهذا هو «الكافح المسلح! لأهالي الأحساء ضد دولة الخلافة!». لقد وعى الأتراك، وابن رشيد، والحاج منصور باشا بن جمعة -زعيم شيعة القطيف-، وعوا مبكراً ما تفعله الأيدي المحرّكة للاضطرابات، لكن ضعف الأتراك العام، وسد الانجليز الطريق أمامهم لم يمكنهم من ترتيب أوضاعهم إزاء الأخطار الجديدة الناشئة.

تنبه ابن رشيد في وقت مبكر إلى محاولات التسلل البريطاني للأحساء، والذي ترافق وتناسق مع محاولات ابن سعود في إثارة القبائل البدوية .. وكل الوثائق التي بين أيدينا تشير إلى أن ابن سعود وبعد أقل من شهرين من إحتلاله للرياض، بدأ يظهر أطماءه في الأحساء.

كان ابن رشيد -حاكم حائل وأغلب مدن نجد- أول من تنبه إلى خطوات ابن سعود، فأرسل إلى الوالي التركي في الأحساء يبلغه ويهذره من الثلاثي «الإنجليز- مبارك الصباح- ابن سعود» .. ثم ما لبث أن أرسل إلى السلطان العثماني رسالة يشرح فيها الأخطار المحدقة بالأحساء، وأن الانجليز يستعدون لاحتلالها .. إلا أنه لم يلق التجاوب المطلوب، لعجز وقصور في السلطة العثمانية نفسها، والتي وافتها أخبار أخرى تؤكد المسألة.

إعتماداً على الوثائق البريطانية، فإن ابن رشيد تنبه إلى أن ابن سعود بدأ بتوطيد علاقاته مع الأقلية النجية الوهابية المقيمة في الأحساء، وأنه يستخدمهم لتثليل السكان والرأي العام المحلي ضد الأتراك، ورأى من جهة أخرى أنه قد عقد تحالفات جديدة مع العجمان والمرة، وأخذ يدفعهم لمحارمة الحضر، ليكون اختلال الأمن الحجة والمبرر للاحتلال.

أرسل ابن رشيد مبعوثاً للوالي التركي في الأحساء إسمه «سعد الحازمي» ليطلع على الأوضاع هناك، فعاد هذا الأخير وأبلغ ابن رشيد بأفعال الجماعة

النجدية ، واقتراح اعتقال مجموعة من المتعاونين مع ابن سعود ، كان ذلك بعد شهرين من إحتلال الرياض فقط ، أي في أواخر فبراير - أو بداية مارس - أما الاشخاص الذين نصح باعتقالهم فهو :

«محمد بن عبد الله حسين ، ابراهيم بن طوق ، مساعد بن عبد المحسن السويلم ، وابراهيم بن سيف» .. ولم ينس الانجليزي ان يشير اليهم بالقول : «وكلهم من مواطنى الرياض المقيمين فى الاحساء ، ومن اشد المتحمسين والمرتبطين بعائلة آل سعود»^(٤١).

ولما كان من الصعب على والي الاحساء قبول رأي ابن رشيد «فقد كتب الامير - ابن رشيد - الى والي البصرة حول الموضوع ، وبناء على ذلك أصدر هذا الوالي الى متصرف الاحساء ، بأن ينفذ رغبة سعد الحازمي .. وهكذا تم القبض على ثلاثة منهم مؤخرا - مارس ١٩٠٢ - بينما تمكن ابراهيم بن سيف من الهرب بمساعدة احمد بن عبد الله بن ملحم ، وهو أحد أبناء الاحساء^(٤٢) . حيث رافقته مجموعة حماية الى مكان أمين . وكانت المجموعة مؤلفة من ١٦ رجلاً من رجال قبيلة المرءة ، حيث أوصلوه بأمان الى منطقة الحسين ، الواقعة على بعد ثمانية أميال جنوبى القطيف ، ومن هناك قدم الى البحرين يوم ٢٦ مارس ، على ظهر قارب أرسله له خصيصاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي أخبر بموعده اقترابه عن طريق احمد عبد الله الملحم ، حيث طلب الأخير من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يهئه الترتيبات اللازمة لنقله سالماً الى البحرين» .

وما كاد ابراهيم بن سيف يصل الى البحرين ، حتى أعد له لقاء مع المعتمد السياسي البريطاني هناك ، ليعرف منه آخر الأخبار ، وقد أبلغ ابراهيم المعتمد بسيطرة ابن سعود على جنوب نجد - وهو غير صحيح يومئذ - ، وأضاف بأن البدو انضموا لأبن سعود . ومن الاخبار التي نقلها للمعتمد ، أنه «وبناء على طلب من عبد العزيز آل سعود ، فقد نفذ البدو عملية اغتيال لعبد الله بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، والذي كان والده أحد كبار موظفي الامير - ابن رشيد - ، حيث كان ذلك الشخص موجوداً بين البدو لشراء الاغنام والماعز»^(٤٣) .

في ذات الفترة - مارس ١٩٠٢ - أرسل ابن الرشيد رسالة الى رئيس الوزراء العثماني في ٢١ ذي القعدة ١٣١٩ هـ ، أي بعد شهر ونصف من إحتلال الرياض .. يشرح له الاحوال السياسية ببراعة ، ولكن رُسل ابن الرشيد أطلاعوا أحد الموظفين الانجليز عليها ، قبل أن يسلموها الى «الصدر الاعظم !!!»^(٤٤) .

نضع أمام القاريء نص الرسالة المترجم من الانجليزية لأهميته :

«٢١ ذي القعدة ١٣١٩ ، ١ مارس ١٩٠٢ .

الى الوزير الأعظم .

بعد السلام والدعاء للسلطان بالتوفيق .

تعلمون سموكم بالقضية التي أخبرناكم بأساسها ، ولا يخفى عليكم ما حدث

نتيجةً موَاءِرات ودسائس ذلك الوغد النذل مبارك الصباح بالاشتراك مع الحكومة البريطانية، وانقضاض هذه الاختيارات على الكويت^(٤٥).

كما تعلمون أن الكويت نقطة هامة ، فهي مفتاح العراق ، وحتى جزيرة العرب كلها ، وقد تكون نتائج وعواقب سيطرة بريطانيا على الكويت فادحة الخطورة على الأمة الإسلامية ، لأن الحكومة البريطانية نفذت مخططاتها ، وقد حفقت بعض المكاسب الهامة ، والكثير من مخططاتها أصبحت مكشوفة ، ونياتها مفضوحة تهدف إلى الاستيلاء على تلك الأجزاء من الساحل والتي تشرف على الأحساء ، وكذلك السيطرة على الأحساء والقطيف ، كما وتهدف إلى إقامة علاقة وثيقة مع العرب عن طريق مبارك وابن سعود .

ولقد حذرت الحكومة الامبراطورية «العثمانية» بأن هذه المسألة قد يكون لها عواقبها الخطيرة والوخيمة ، وتنطلب الحذر والانتباه .

أنتم تعلمون كيف بدأت هذه القضية ، فلقد خُدِعَ محسن باشا وغُرِّر به .. وإننا لم نتوقف عن التنبية إلى خطورة هذه المسألة خوفاً من العواقب .. وإنني إذ أسمح لنفسي بوضع هذه القضية أمامكم وإطلعكم عليها ، لأعلم علم اليقين بأنكم الناصح والمستشار الأمين للامبراطورية وللامة ، وأنكم ستحيطون جلاة السلطان علماً بها ، حفظه الله وقواته ونصره على أمم الكفار ، وأعانتنا به ، وأعانتنا بشوربة ونصيحة ورأي سموكم ، وإنني أدعو الله بأن لا تننسونا ، وأن تهتموا بأمرنا .

صديقكم / عبد العزيز الرشيد
«أمير نجد»^(٤٦)

إنَّ محتوى الرسالة وتوقيتها ، يدلُّ - كما قلنا - على وعيٍ مبكرٍ بمجريات السياسة البريطانية في الخليج ، ومحاولاتها احتلال ما تبقى من الشريط الساحلي العربي . ولم يكن ابن رشيد يعْدَ ما جرى من احتلال الرياض عملية منفصلة عن المخطط البريطاني الكبير ، حيث التحالف الثلاثي ، بريطانيا - مبارك - ابن سعود ، والهادف إلى تمزيق التفowz العثماني وانهائه بشكل مباشر ، كما جرى في عمان والبحرين وغيرهما ، أو عن طريق واجهات محلية ، كabin صباح وابن سعود . والشيخ خزعيل .

وابن رشيد ركز في حربه الإعلامية مع ابن سعود على أن الأخير عميل للكفار ، وأن قوته ليست ذاتية وإنما تأتيه من مبارك الصباح والإنجليز ، لذا كان بحاجة إلى إضعاف ركيزة الانجليز بالتعاون مع الدولة العثمانية ، والأفان الخطير الذي يتهدد حكمه سيتصاعد .

وقد كتب القنصل البريطاني في البصرة في الحادي والثلاثين من يونيو ١٩٠٢ ، إلى السفير البريطاني في القدسية «أوكنور» ، أن ابن رشيد «حاول عزل واستئصال بعض القبائل التي انضمت إلى ابن سعود ، وذلك بإعلان أن هذا

الأخير ما هو إلا أداء في أيدي الكفار الانجليز ، وان من واجب كل مسلم صادق أن يتخلّى عنه».

بالنسبة للاتراك فانهم بدأوا وبعد استيلاء ابن سعود على الرياض بتدعم حامياتهم في المنطقة خوفاً عليها ، في حين كان الانجليز يرقبون الوضع من خلال مخبرיהם .. وتنتقل وثيقة بريطانية صورة عن وضع القوات التركية في الأحساء وقطر والقطيف بعد شهرين من احتلال ابن سعود للرياض ، عبر ما كتبه ج . س . فاسكن ، مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ، إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر س . أ . كمبال ، اعتماداً على أقوال مخبر سري وصله يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٠٢ قال « ان قائد الحامية التركية في البيضا «بقطر» قال في حديث أمام جمع كان المخبر أحدهم ، بأن السلطات التركية تتوى زبادة أفراد الحامية الموجودة هناك في فترة قريبة .. وأن مناشدة القائد لاهالي البصرة والأحساء للتبرع بالأموال لسداد نفقات رواتب وإعاشة القوات الموجودة تحت إمرته لم تلق أي تجاوب ، وأنه اضطر أن يأخذ قرضاً بمبلغ أربعة آلاف دولار استرالي من الشيخ أحمد بن ثانى ليرضى قواته به ، وأنه كحل آخر أرسل أمين صندوق الحامية إلى الأحساء لجمع الأموال من أهلها» .

ولم تكن محاولة الأتراك في زيادة أفراد حامياتهم ، ناشئة من فراغ ، فهم يشعرون بضغط التدخل الأجنبي ، كما لم يكن صعباً عليهم زيادة جندهم ، فالمشاكل لم تتضخم بعد ، كما حدث بعد سنوات واضطروا إلى سحب العديد من قواتهم - رغم ضعفها وقتلها - لمواجهة الطليان الذين احتلوا ليبيا عام ١٩١٢ ، وقبلها لمواجهة اضطرابات البلقان عام ١٩١١ .

لكن ما تميّز به الحكم التركي من فساد في الادارة ، المُرافق للضعف العسكري والمالي ، هو الذي يجعل امبراطورية بحجم الدولة العثمانية عاجزة عن سداد رواتب بعض مئات من جنودها - على أكثر تقدير .. والملاحظ أنه في نفس الفترة ، أي عام ١٩٠٢ ، عينت الدولة طالب النقيب متصرفًا على الأحساء ، وذلك بهدف إخضاع العشائر والفتنه والثورات التي كانت تهدف إلى سلخ الأحساء من جسم الدولة .

أما ابن جمعة «منصور باشا» ، فله مواقف مشرفة في مجابهة الأطماع الأجنبية البريطانية ، حينما حاولت بريطانيا تكوين إمارة محلية في القطيف والأحساء تحت رئاسته .. وكانت الخطوة الأولى تشجيعه على الانفصال ، ليتم فيما بعد تقديم الحماية للأماراة الوليدة ، وبسط الهيمنة عليها .

والمعلوم أن عروضاً من هذا القبيل كانت قد تمت قبل نهاية القرن التاسع عشر .. ففي عام ١٨٩٩ ، مثلاً ، زار المعتمد السياسي في البحرين ، الباشا منصور بن جمعة ، وعرض عليه المساعدة على الاستقلال ، وتقديم الحماية ضد

أي إجراء عسكري ، قد تتخذه تركيا «ولكن منصور باشا ، وبوازع من الحمية الدينية ، ووفاء للدولة الإسلامية ، رفض العرض البريطاني جملة وتفصيلا . وقد نمى إلى علم السلطان عبد الحميد أمر هذه المحاولة ورفض ابن جمعة قبولها ، فأنعم عليه برتية الباشوية»^(٤٧) .

وحاول ابن جمعة من جانب آخر تقوية الحاميات التركية في المنطقة ، واللح في طلب زيادة الأفراد ، حيث بدأت الحكومة يومئذ بإرسال بعض منها تحت ضغط الالاحاج ، وذلك في النصف الأول من عام ١٩٠٢ ، مع أن الانجليز احتجوا على ذلك ، وحاولوا منع وصول التدعيمات .

وهكذا أرسل العثمانيون بعض الأفراد إلى جزيرة بوبيان ، وأم قصر وغيرهما ، وأرسلوا آخرين عن طريق البحر إلى القطيف والعقير والدوحة ، كما دعم الوجود العثماني في جزيرة العماير في خليج المسلمين ، شمال القطيف بنحو سبعين ميلا .. وكتب مبارك الصباح إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر المستر كمبال ، في العاشر من محرم ١٣٢٠ ، الموافق للناسع عشر من أبريل ١٩٠٢ ، يخبره بأمر القوات التركية .. يقول في جانب من رسالته : «.. في هذه الأيام بعث الأتراك من القطيف ، ثلاثين جنديا برفقة بن جمعة إلى جزيرة العماير ، لأجل أن يبقى الجنود هناك ، ولكن السكان لم يسمحوا لهم بالبقاء»^(٤٨) ، لذلك عاد الجنود إلى القطيف ، وبعدئذ أقاموا مع ابن وهب في دارين»^(٤٩) .

وأخبر ابن صباح المستر كمبال ، بأن الجنود الأتراك حاولوا إثارة القبائل ضدّه هو ، ولكنها لم تفعل شيئا .. وقال أن الجنود المزعوم لإرسالهم جنوبا ، لا يزالون في بوبيان وصفوان وأم قصر ، وأن أحد رجال ابن رشيد معهم في صفوان .

وسجل كمبال في مذكراته أن الأتراك وضعوا قواتهم في العماير في الأسبوع المنتهي في الرابع عشر من أبريل ١٩٠٢ ، وقد بعث بهذه المعلومة لحكومة الهند ضمن رسالة بتاريخ ٢٦ / ٤ / ١٩٠٢^(٥٠) .

وفي عام ١٩٠٥ ، قامت بريطانيا بمحاولة أخرى لاقناع ابن جمعة وزعماء الشيعة الآخرين بتكون إمارة خاصة لهم تحت الحماية البريطانية ، وقدم العرض هذه المرة إلى المرحوم حسين بن نصر ، عمدة مدينة سيهات ، ولكنه رفض العرض البريطاني ، وأحاله إلى زعيم القطيف الكبير بن جمعة ، والذي أكد رفضه للمرة الثانية ولذات الأسباب التي رفض فيها العرض السابق»^(٥١) .

ومرة ثالثة في سنة ١٩٠٧ ، تولى المحاولة المقيم البريطاني في الخليج نفسه ، السير بيarsi كوكس ، والذي نزل ضيفا على منصور بن جمعة في قصره المسمى بقصر الدرويشية بالقطيف ، وطلب منه الموافقة على مساعدة

بريطانيا له للاستقلال بالاحسأ والقطيف، دون التقى بمعاهدة حماية بريطانية، ولكن منصور أصر على أن شعوره الديني وحده، يمنعه من التناحر للدولة الإسلامية، وليس الحاجة للمعونة العسكرية أو الحماية^(٥٢).

ما كان ابن جمعة وأهله ليحصل على استقلال دون حماية، فالاستقلال يعني محاربة دولة الخلافة، ومحاربة دولة الخلافة تعنى الحاجة إلى استناد إلى طيف قوي في المنطقة، وليس هناك غير الانجليز.. وقد نظر رجال الدين وأبن جمعة إلى الأمر من زاوية الاختيار بين حكم فاسد، وبين حكم فاسد وكافر أيضاً، وتعنى به حكم الانجليز، فاختار الشيعة الأول، واختار آخرون الانجليز، كما حدث بالنسبة لابن سعود ولو جهاء البصرة من آل النقيب، وكما حدث لامراء الكويت وغيرهم.

ولئن كان مبارك الصباح، وأشياهه قد قبلوا حكم الانجليز ورفضوا حكم الأتراك، فإن الشيعة في القطيف لم يقبلوا ذلك إنطلاقاً من القاعدة الدينية التي توجب الدفاع عن حرمة ديار الاسلام.. وليس الدفاع عن الحكم التركي.. ولو قبل الشيعة يومها الحماية الانجليزية، لكان بيدهم اليوم أغنى دولة في العالم، ولكن على حساب الدين والمبدأ!

قد يقال أن الشيعة في المنطقة كانت تقصهم المعرفة والوعي السياسيين، وأن رفضهم العروض الانجليزية دليل على ذلك.. إذ لو قبلوا لما عاشوا بعد ذلك والى يومهم هذا في محن سوداء يتربى بعضها بعضاً.. ولما كانوا مواطنين من الدرجة الثانية، ولما كانوا.. رغم أن بلادهم مصدر الخير والعطاء في الزراعة والنفط. أفق السكان، ولما انتهكت حقوقهم كمسلمين وبشر!

نعم.. قد يكون ذلك صحيحاً، فاللاأعيوب السياسية لم يكن الشيعة بالأمس، ولا اليوم يهونها، ليس في الأحساء والقطيف فحسب، بل وفي كل مكان. وهم رغم ثوراتهم التي لا تعرف الكل والمثل ضد الأنظمة الفاسدة، يعرفون هذه اللاأعيوب، ولكنهم يأنفون من ممارستها، لذلك فإن ثوراتهم تسرق في كل مكان، لا لجهلـ في الغالب .. وإنما ترقعاً عم ممارسات مناقضة للشرع.

غير أن هذا لا ينبغي أن ينسينا بأن زعماء الشيعة في المنطقة ضيّعوا فرصاً كبيرة في تسلم زمام أمورهم بأنفسهم، وكانت الأوضاع الدولية مهيأة لذلك، فلم يستثمروها، أو يعدوا أنفسهم لاستثمارها، دون الخروج عن إطار الشرعية الدينية.

مهما يكن من أمر، فقد أعيت بريطانيا الحيلة في الحصول على واجهة وطنية تبرر تدخلها المباشر في ساحل الأحساء، فأرسلت سفينة حربية عام ١٩٠٨ / ١٣٢٧هـ، ورست في رأس تنورة، وأقامت فوقه العلم البريطاني، ثم تقدّمت إلى رؤساء البلاد بعروضها لحمايتهم من عبث البدو، الذين كانت

تهيّجهم وتسلّحهم ضد الأهالي، غير أن أهل الحل والعقد رفضوا عروضها باعتبارها دولة غير مسلمة لا يجوز لها التدخل في شؤون المسلمين وقاوموا عروضها بشدة.. وبادر أهالي صفوى^(٥٣) إلى إزالة العلم البريطاني وتمزيقه وتحطيم ساريته مما ترك شعوراً بالرّأيّاس لدى المسؤولين البريطانيين في الخليج، وحملهم على التفاوض المباشر مع ابن سعود، وتسهيل مهمته في إحتلال الأحساء نيابة عنهم، وطرد النفوذ التركي من الخليج كله والى الأبد^(٥٤).

بداية المشكلة

بدأ الامتحان الصعب للأمن في المنطقة، بعد وصول ابن سعود للسلطة في الرياض، وتحريضه القبائل على الثورة.. فقد طلب زعماء آل مرة وبني هاجر زيادة مرتباتهم التي قررتها الدولة لزعماء الباشية، فرفض المتصرف طلبهم، وحرضهم ابن سعود على مهاجمة قوافل التجارة المتوجهة بين ميناء العقير والهفوف، فكانت الحادثة الأولى التي اذهبت هيبة الدولة، حينما هجم البدو على قافلة تجارية يحرسها جنود نظاميون، في موقع يقال له «قهedia»، وذلك في عام ١٢٢٠هـ / ١٩٠٢، حيث إنتهبوا القافلة، وقتلوا خمسين من رجال العسكر، وقدر لوريمير الخسارة المادية بعشرة آلاف ريال، وستمائة جمل، وثلاثمائة حمار، ومنذ ذلك زالت هيبة «عسكر من قلوب الناس»، وكان ذلك إيذاناً بعهد مأساوي مضطرب.

ومن المعلوم أن العقير، هو ميناء الأحساء، الذي تصدر من خلاله التمور وغيرها، وترد إليه البضائع من البحرين والبصرة وعمان وفارس والهند، ويبعد الميناء عن العاصمة مسيرة يوم وليلة.. وحينما استولى الأتراك على الأحساء، ولما كانت القوافل معرضة على الدوام لنهب البوادي، قررت الدولة إخراج قوة عسكرية من النظام والهجانة في يوم واحد في الأسبوع هو «الاثنين» فاستقر الأمن في الطريق، وكانت عساكر الدولة مرهوبة الجانب في نفوس الحاضرة والبادية إلى أن وقعت هذه الحادثة^(٥٥).

وي حين بلغ خبر المقتلة إلى والي بغداد، عزل والي الأحساء موسى كاظم، وعيّن بدلاً منه السيد طالب النقّيب، فجاء تصحّبه قوة عسكرية، لتأديب البدو، وقد مدحه أثناء قدومه الشيخ عبد العزيز العلجي^(٥٦) في قصيدة جاء فيها:

ديار لوا نجد أتها سعادها
وعاد لها بالأروع الشهم عدهما
همام أتى الأحساء وهي مريضة
يظنّ بها أن الشفا لا يعودها
فعاد شفاهما مُذ أتها وأصبحت

منعهم بـٌ غيظاً حسودها
 وصارت شياطين اللوا من مخافته
 أجل منها أن ثزد قيودها
 .. فشكراً بعد الله فرما متوجهاً
 أياديه بأو كل يوم جديدها
 إمام الهدى عبد الحميد الذي به
 وصواته الكفار بات جنودها
 خليفة بين الله آئان يمتد
 عساكرة بالله تعلو حدودها
 إماماً يوالى أمة أحمدية
 ظلاً تقىها أو غياضاً يوجدها

ثم يوجه الحديث لطالب النقيب محرضاً إيه على الفتك بالبدو بقسوة :

فجرذ سيف البأس واجعل غدامها
 لناما طفى من طول أمن عندها
 قبائل سوء بالاهانة غردوها
 وقد طال عن لقى الهوان عهودها
 وغرهم الأكرام منك وهذا
 يجوز باكرام الكرام عبيدها
 وظنوا بأن الملك ليس لرعنه
 أسود ولا يحوي رجالاً تسودها
 فهان ولئي الأمر فيهم وقدرة
 ولم يحترمه وغدماً ورشدهما^(٥٧)
 وقادوا إليه كل يوم بلية
 قواقل تسبيها وقتلوا تقدوها
 وما ردتهم عهذا وثيق ولا يذ
 عليهم من الانعام يرجى مزيدها
 .. فلا يذ فيهم من عظيم نكارة
 تذوب احتراقاً من لظاها صددها
 سحابة جذو صبحتهم بصحة
 ولم وبنوها عادها وشودها
 ولا ترضف منهم باليسير تعطفها
 واعفوا فإن العفو مما يزيدها
 وألجم بهذى الدار ناراً عظيمة
 من الحرب أشلاء الأعادى وقوتها
 وأخر جبان القلب إن لرأيه
 منهاج سوداً لفسد الملك سودها
 .. فإن كنت حقاً مرسلًا فكتاباً
 بروغ الأعادى بأسها وحديدها

وَهُذَا مَا يَأْدِيهِمْ وَأَجْرٌ دِمَاءُهُمْ
فِي طَالِمَا أَجْرِى النَّمَاءُ شَدِيدُهُمْ
وَأَبْقَى لَهُمْ مِنْهُمْ مَوَاعِظَ يَنْتَهُ
بِهَا عَنْ فَسَادِ كَوْلَهَا وَوَلِيَّهَا^(٥٨)

وعلى أثر القصيدة، كما يقول الرواية، خرج طالب بالعساكر والمدافعين، وصبح فريقاً من آل مرة وهم على ماء يسمى «الزرنوقة»، فأخذ مواشיהם وعاد بها إلى الأحساء ليشاهدها الناس، فقويت نفوسهم، وأطمأنوا وعادت الأمور كما كانت سابقاً^(٥٩).

ومن الثابت أن طالب النقيب كان فتاكاً عنيناً، فخشيه البدو وأمنت السبل، وصور العجي في قصائده التي مدح بها طالب النقيب حالة البوادي بقوله:

ما سيفك المسلول الا الموت قد
أردى الکھمَةَ وَإِنَّمَا الْبَثَارَ
صَقَعَ الْبَغَاءَ فَأَصْبَحَتْ فَرَسَانَهُمْ
صَرْعَى كَمَزْرَعَ صَابَرَةَ إِعْصَارَ
وَأَطْاعَكَ الْجَمْعُ الْغَفِيرُ مَخَافَةَ
وَتَبَاعَدَتْ عَنْ خَطَنَهَا الْأَشْرَارَ
ووصفت الأحساء في قصيدة مدح لطالب:
لَقَدْ عَفَتِ الْأَحْسَاءُ حَتَّى أَعْدَتْهَا
بِرَأْيِ وَعِزْمٍ مِنْكَ لَيْسَ بِخَوَارِ
وَشَرَفَهَا مِنْ بَعْدِ طَولِ خَوْلَهَا
وَخَلَصَتْهَا مِنْ وَصْمَةِ الدُّلُّ وَالْعَارِ
وَمَا عَلَاهَا مِنْ وَقَارِ وَهِيَّأَ
أَعْيَدَتْ عَوَادِيهَا نَوَاسِنَ أَبْصَارَ^(٦٠)

لم يبق طالب في منصبه سوى عامين، من شهر ربيع الأول ١٣٢٠ هـ حتى ربيع الأول ١٣٢٢ هـ الموافق لشهر يونيو / حزيران ١٩٠٤ .. ففي هذا الشهر قدم استقالته، بسبب «دواعي صحيحة»^(٦١)، أو كما تشير بعض المصادر إلى أنه أُجبر على الاستقالة لخلافه مع المرحوم منصور بن جمعة الذي استصدر أمراً بإقالته من السلطان عبد الحميد^(٦٢)، وقد سافر طالب إلى عاصمة الخلافة ليقدم تقريراً عن مهمته (وصلت للإنجليز نسخة من التقرير عبر طالب نفسه)، ويحيوي التقرير اقتراحات لمحاربة حركة التشيع وانتشاره بين القبائل العراقية^(٦٣).

تجدر الإشارة إلى أنه وفي عهد طالب النقيب، أرسل ابن سعود في نوفمبر ١٩٠٣ مبعوثاً نجدياً مقيناً في الأحساء لمقابلة الإنجلiz في البحرين، وذلك لجسّ نبضهم حول إمكانية مساعدته في احتلال الأحساء واستخلاصها من يد الاتراك.

وتوضح وثيقة بريطانية مؤرخة في السابع من نوفمبر ١٩٠٣

«١٧ / ٨ / ١٢٢١ هـ» أن أحد أصدقاء الانجليز من النجذيبين المقيمين في الأحساء بإسمه عبد الرحمن سلمان، قابل المعتمد السياسي في البحرين في دار المعتمد، وكانت له علاقة بالمعتمدية قديمة، فعبد الرحمن هذا «هو الذي حمل رسالة المتصرف التركي لإقليم الأحساء في أغسطس ١٨٩٥ إلى دار المعتمد»^(٦٤).

قال عبد الرحمن للمعتمد أن «هناك رغبة قوية في الانفصال عن الحكم التركي .. والعرب الآن مسلحون جيدا وبأسلحة حديثة، ويستشعرون قوتهم، وما عادوا يخافون الأتراك» .. ويمضي عبد الرحمن قائلاً «أنه عندما يقضى آل سعود على آل رشيد، سيحاولون طبعاً إستعادة الأحساء من الترك، وسينجحون في ذلك، إذا استمرت الظروف الحالية»، وقال أن الأتراك تمكّنوا من الاستيلاء على الأحساء بتعاونهم مع رؤساء الكويت وعرب المنتفق، ولكن الأوضاع تغيرت الآن. وسأل عبد الرحمن المعتمد عن امكانية الاعتماد على الحماية البريطانية في حالة الثورة على الأتراك .. ولكن المعتمد لم يعط جواباً يأخذ صفة التامر على الدولة العثمانية، قال «ليس من سياسة الحكومة البريطانية التامر مع رعایا حکومة صدیقة» !، فقال عبد الرحمن «أرجو أن تعتبر ما دار بيننا سراً، وأن تسمع لي بالكتابة إليك مرة ثانية» .. فرد المعتمد «يسعدني دائماً أن ألتلقى أنباء من الداخل»^(٦٥) !.

إلا أن أميراً سعودياً اعترف بأن عبد الرحمن سلمان هذا، وهو من أصل نجدي ، أرسل كمندوب لابن سعود بهدف «جسّ نبض البريطانيين حول التفكير في إعادة الأحساء ، وذلك في عام ١٩٠٣ ، ومدى تقبّلهم لتلك الفكرة ، ومقدار المساعدة التي يمكنهم تقديمها .. وقد قابل السيد فاسكن وأخبره بأن هناك تنمراً من قبل المواطنين في المنطقة» .. وقال الأمير «أن حکومة الهند البريطانية أبدت اهتماماً بالغاً بتلك الخطوة وأوصت بمساندة الأمير عبد العزيز ، إلا أن حکومة لندن كانت ترى أن مصالح بريطانيا لا تتعدّى الخليج وسواحله»^(٦٦) ورأىت حکومة الهند بعد وصول معلومات عبد الرحمن سلمان هذا ، أن ترسل رجل مخابرات بريطاني الأصل إلى الأحساء ، ليستطلع «أوضاع الداخل» !، وحين استشير المقيم السياسي في بوشهر الكولونيل كمبال ، قال : «من الناحية العملية ، أعتقد أنه من المستحيل على انجليزي غير متذكر أن يشق طريقه .. ، وأبدى استعداده لترتيب الأمر عن طريق الكويت ، رغم أنه لا يربح بذلك في الوقت الحاضر .

وكان الرأي الحاسم لوزارة الخارجية التي أرسلت رسالة في السادس من فبراير ١٩٠٤ إلى وزارة شؤون الهند ، يذكر فيها معاون وزير الخارجية انه عرض على الوزير نتائج الزيارة التي قام بها الشيخ عبد الرحمن بن سلمان إلى مساعد المعتمد السياسي في البحرين ، والمحادثات التي جرت بينهما بهدف

يرتبط الشيخ المنذور بعلاقات أوثق مع الحكومة البريطانية . وفي هذه الرسالة يأمر وزير شؤون الهند حكومة الهند بالامتناع عن اتخاذ آية خطوات لارسال معتمدين بريطانيين الى سنجق نجد «الاحساء» ، بهدف الدخول في علاقات أوثق مع قبائلها ، بدون موافقة الحكومة البريطانية ، وتضييف بأن الوزير يشك في جدوى وحمة الدخول حاليا في مفاوضات مع القبائل موضع البحث ، ولكنه قبل إعطاء ردّه النهائي على الموضوع ، يريد ان يتشاور مع السفير البريطاني في القدسية(١٧) ، وكان الرد النهائي بالنفي . ومضت سبعة أشهر بعد إقالة او استقالة طالب النقيب ، كانت فيها متصرفية الأحساء شاغرة «من ربيع الأول ١٣٢٢ هـ حتى شوال ١٣٢٢ هـ .. والسبب في تأخير تعيين الوالي الجديد ، يرجع في جانب منه الى أن الدولة العثمانية لم تكن تزيد تسليم الأقليم الى شخص غير مؤهل . حسبما تذكر الوثائق» ، اذ تشير وثيقة مورخة في الحادي عشر من رمضان ١٣٢٢ هـ ، صادرة عن هيئة المدينيين ، ووجهة الى نظارة الداخلية ، الى الصفات التي يجب توافرها في المرشح لمنصب متصرفية نجد . من هذه الصفات ، أن يكون ممتلكا بالحنكة السياسية ، ولديه لباقه وأهلية ، فمتصرفية نجد «الاحساء» متaramية الأطراف ، وذات موقع مهم ، وإدارتها صعبة ، وهي بعيدة ، لذا فإن كل هذه الأمور تحد من رغبة الأشخاص المعروفين بادارتهم في قبول هذا المركز ، خاصة وأن راتب المتصرف لا يتجاوز «٦٧٥٠ قرشاً عثمانياً» ، واقتصرت الهيئة ثلاثة أشخاص لمنصب متصرفية الأحساء هم :

□ عبد السلام أفندي ، المنفصل عن متصرفية فزان .

□ ونجيب بيك، المعزول عن متصرفة إيلبسان في اليونان.

□ وشوكت باشا، المنفصل عن وظيفة كاتب بغداد.

وقد رشحت هيئة المأمورين المدنيين نجيب بيك ، لمعرفته بأحوال العرب ، وقد نال موافقة الأكثريّة في الهيئة .

وقد وافق الصدر الاعظم على ترشيح نجيب بيك، وكتب الي الباب العالي في العشرين من رمضان ١٣٢٢هـ يبلغه بذلك، موضحاً الأسباب، فوافق السلطان العثماني على الأمر في ٢١ شوال ١٣٢٢هـ، الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٠٤م^(٦٨).

حوالي سبعة أشهر والمنصب شاغر !! .

وَجْلَةُ السُّلْطَانِ نَفْسَهُ يَتَأْخِرُ مَدَةً شَهْرٍ كَامِلٍ حَتَّى يَوْمَ يُؤْكَلُ وَيَوْمَ يُؤْقَلُ عَلَى الْفَرْمَانِ.

ومهما تكن تبريرات التأخير ، فإنه كان بالغ السوء على الأوضاع الأمنية ، وقد ألحَّ والي البصرة ووالي بغداد على سرعة تعيين متصرف «إذ لا يجوز أن يبقى هذا المنصب شاغراً ، لأنَّ هذا يُؤدي إلى أمور غير محمودة في

والأمور غير المحمودة هي تدخل الانجليز وابن سعود، وإشعال الأضطرابات، وهو الذي حدث بالفعل .. إذ تسلم نجيب بيك منصبه في ظروف بالغةسوء، حيث لم يأت إلا والاضطرابات قد تفاقمت إلى حد بعيد.

في الثاني من كانون الثاني - يناير ، ١٣٢٢هـ، كتب القائد العام في الأحساء إلى الصدارة العظمى : «أن وكلاء الانجليز في بندر بوشهر وجزيرة البحرين يحرّكون مشايخ العشائر في سواحل نجد - الأحساء - ويبعيون أنواع الأسلحة والمعدات الحربية في كل بقعة من تلك السواحل، تسلیحاً لقبائل هذه الجهات إيتفاء الفساد» .. وتشير الوثيقة إلى أن القيادة العامة قد إتخذت الترتيبات اللازمة لافساد ما يقوم به الانجليز في المنطقة^(٧٠).

ومن ناحية ابن سعود، فإنه استطاع خلال عهد نجيب بيك أبو سهيل ، والذي كان ضعيفاً، أن يخترق الإدارة التركية ، وأن يقنع محمود بيك بأن يتآمر مع العجمان وعشائر أخرى موالية لابن سعود لقتل الناس ونهبهم ، فتحولت مهمته من حفظ الأمن إلى الأخلال به.

كتب مخبر للحكومة العثمانية^(٧١) عن أسباب تضييق أهالي الأحساء . «أن محمد نجيب بيك ، متصرف الأحساء ، كان قد ترك أمر اللوا وكافة شؤونه في يد بكباشي / مقدم الدرك ، صاحب الدفعة محمود بيك ، ولأن محمود بيك هذا وابن سعود صحبة ، وبينهما إتفاق سري ، فإن المقدم محمود بيك سلط عشرة ابن سعود على الأحساء ، حيث تجرأت على قتل الناس ، ونهب الأموال وغير ذلك من الأمور غير المرخصية ، وقد وجه الأهالي والعسكر عدة شكايات ضد هذه الأعمال إلى المتصرف» .. وقال المخبر العثماني : «أن محمود بيك عندما توجه إلى البصرة ، كان قد ترك خاله رشيد بيك وأخاه هناك في الأحساء ، وكان من رشيد بيك ومن ابن أخيه حرّكات فاسدة بقصد الإخلال في أمن اللواء ، ليقال أن غياب محمود بيك أدى إلى مثل هذا الخلل في المنطقة .. وأن أقارب محمود بيك جاؤوا إلى المبرز ونهبوا الأموال من الأهالي وساقوا معهم ثلاثة شخصاً من رؤساء المنطقة ، كل هذا الاجراء بسبب قتل أحد رجال الدرك في المبرز»^(٧٢).

ويتحدث المخبر أن عشرة من العجمان المؤيدين لابن سعود قتلوا رئيس قبائل آل مرة راشد بن شريم ، والذي أعطته السلطات التركية الامان ، وذلك في الأحساء بالقرب من القصر المسمى «حميدي» ، ولأن المتصرف غير موجود ، ولما لم يعالج الأمر ، لذا كثرت تعديات العجمان على قبائل آل مرة ، التي وجدت نفسها ضعف الحكومة ، فراحت تهاجم القوافل التجارية.

وفوق هذا كلّه يقول المخبر ، أن هناك «اتصالات سرية بين وكيل القائمقام في القطيف - أحمد أفندي - ، وهو من أهالي البصرة ، وبين معتمد ابن سعود

في البحرين . كما أن هناك اتصالات سرية تتم بين وكييل القائممقام ، وبعض أهالي القصيم وعشائره . وقد وعد وكييل القائممقام كل من يتصل به بتقديم كل التسهيلات الالزمة لهم ، من أجل إثارة القطيف ضدّ السلطة المحلية التركية فيها .. كما «أن بواخر الانجليز تترنّد هذه الأيام بكثرة على قضاء قطر ، يرافقها في الذهاب والآياب قنابل دولة الانجليز في الخليج وجزر البحرين ... الخ»^(٣) .

يبدو واضحًا الآن ، أن ابن سعود يقود دفة الاضطرابات في الأحساء ، بدفع العجمان لمحاجمة القرى ونهبها ، وبالتالي مع بعض موظفي الأتراك من العرب ، كما حثّ مع محمود بيك ووكييل قائممقام القطيف ، وبالتنسيق مع معتمده في البحرين ، وهكذا ..

وتزايدت الشكايات ضدّ المتصرف نجيب بيـك أبو سهيل لضعفه وإيكـال الأمور إلى المتواطئ مع ابن سعود محمود بيـك ، وسرعان ما اختلف المتصرف مع قوـاد عسكـره ، فقد أرسـل القـائد العام إلى الصـدارـة العـظمـى رسـالة في ٣١ يولـيوـ ١٣٢٢ـهـ ، تـقـيـدـ بـأـنـ نـجـيـبـ (لا يـأـبـهـ بـأـمـوـرـ منـصـبـهـ) ، وـهـوـ يـرجـعـ مـصـالـحـ الذـاتـيـةـ عـلـىـ مـصـالـحـ دـوـلـتـهـ ، وـيـظـهـرـ هـذـاـ مـنـ سـلـوكـهـ وـحـرـكـاتـهـ غـيرـ المـرـضـيـةـ ، بـالـاضـافـةـ إـلـىـ نـلـكـ فـقـدـ كـانـ يـكـتمـ الحـقـائقـ وـيـخـفـيـ اـمـرـهـ . وـهـوـ يـحـاـولـ انـ يـفـتـريـ عـلـىـ هـذـاـ اوـ ذـاكـ لـيـؤـمـنـ نـفـسـهـ وـمـصـالـحـهـ وـاـغـرـاـضـهـ غـيرـ المـشـروعـهـ) .. ثـمـ تـأـتـيـ الرـسـالـةـ إـلـىـ الـخـلـافـ بـيـنـ نـجـيـبـ وـأـمـيـرـ الـلـوـاءـ حـلـمـيـ بـيـكـ (فـقـدـ كـانـ نـجـيـبـ بـيـكـ يـتـهمـ بـتـهـمـ ضـالـةـ لـيـسـتـرـ وـرـاءـ مـاـ تـفـعـلـهـ يـدـاهـ ، وـلـلـاثـيـاتـ أـرـفـقـ طـيـهـ الـمـارـاسـلـاتـ وـالـصـورـةـ الـمـرـفـقـةـ إـلـىـ مـقـامـ الصـدـارـةـ العـظـمـىـ)^(٤) .

وـقـبـلـ ذـلـكـ اـتـهـمـتـ دائـرـةـ الـأـرـكـانـ الـحـربـيـةـ ، فـيـ وـثـيقـةـ مـوـرـخـةـ فـيـ الثـانـيـ منـ يولـيوـ ١٣٢٢ـهـ ، اـتـهـمـتـ نـجـيـبـ بـيـكـ بـنـاءـ عـلـىـ مـعـلـومـاتـ وـرـدـتـهاـ مـنـ الـوـكـلـاءـ الـانـجـليـزـ وـالـبـحـرـينـ وـمـنـ شـكـاوـيـ الـأـهـالـيـ ، اـنـهـ (قـلـيلـ الـوقـوفـ عـلـىـ الـأـحـوـالـ الـمـلـحـيـةـ .. وـهـوـ لـاـ يـتـصـدـىـ لـلـحـرـكـاتـ غـيرـ الـمـرـضـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ ، وـيـكـتمـ الـحـقـائقـ لـسـتـرـ أـعـمـالـهـ ، وـلـاـ يـهـتـمـ بـأـمـرـ إـدـارـةـ الـمـتـصـرـفـيـةـ)^(٥) .

وـهـنـاـ تـشـيرـ الـوـثـائقـ بـإـصـبـعـ الـاتـهـامـ إـلـىـ الـمـتـصـرـفـ بـأـنـهـ ، كـمـحـمـودـ بـيـكـ ، لـيـسـ مـتـسـاـهـلـاـ فـيـ التـصـدـيـ لـغـارـاتـ الـبـدـوـ فـحـسـبـ بـلـ وـأـيـضـاـ مـتـوـاطـئـ مـعـ ابنـ سـعـودـ فـيـ تـسـهـيلـ ذـلـكـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـحـصـلـ عـلـىـ جـزـءـ مـنـ الـمـنـهـوـبـاتـ ، أـوـ عـلـىـ بـعـضـ الـمـالـ مـنـ ابنـ سـعـودـ نـفـسـهـ ، خـاصـةـ وـأـنـ رـاتـبـ الـمـتـصـرـفـ قـلـيلـ إـلـىـ حدـ مـاـ !ـ . وـعـلـىـ أـثـرـ الشـكـاوـيـ ضـدـ أـبـيـ سـهـيلـ ، قـامـ الـحـاجـ مـنـصـورـ بـنـ جـمـعةـ ، زـعـيمـ الـقـطـيفـ بـتـأـلـيـبـ النـاسـ ضـدـ الـمـتـصـرـفـ ، وـكـتـبـ لـلـسـلـطـاتـ الـعـلـيـاـ حـولـ الـأـمـرـ ، فـطـلـبـ الـبـابـ الـعـالـيـ مـنـ وـالـيـ بـغـدـادـ تـقـدـيمـ بـعـضـ الـاستـيـضـاحـاتـ حـولـ حـقـيقـةـ الـمـتـصـرـفـ ، وـحـولـ حـقـيقـةـ مـاـ يـشـكـوـ مـنـهـ السـكـانـ الـمـحـلـيـونـ ، وـحـولـ خـالـفـ الـمـتـصـرـفـ مـعـ الـأـمـيـرـ لـاـيـ مـصـطـفـيـ حـلـمـيـ بـيـكـ الـذـيـ كـانـ يـرـفـضـ تـصـرـفـاتـ الـمـتـصـرـفـ . فـأـجـابـ

الوالى بأن معرفة المطلوب ليس أمرا سهلا «بخاصة أنه لا توجد اعتمادات ومصاريف تومن إرسال رجل قنير يجري تحقيقا في الأمر». وتبصر الوالى بالاجابة قبل أن يتحقق، فقال بأنه لم ترد إليه «آية شكایة ضد متصرف نجد، ولم تأت أخبار عن إرتکاب قائد نجد لـأعمال تسيء إلى وظيفته». كل ما في الأمر أن الحاج منصور باشا القطيفي، أشاع مثل هذه الأخبار الملقحة ضد المتصرف، حتى يظهر للناس عدم قدرته في الادارة، ويقصد بذلك إلى إقصائه».^(٧٦).

لم تقتعن السلطات العثمانية بالأمر، وأجرت تحقيقاتها، ووجدت أن مصطفى حمي بيك أذى وظيفته بكل إخلاص، واقتصرت تعين سعيد بيك قائدا على نجد وإعادته لذلك.^(٧٧).

مع هذا كانت الأوضاع تسير من سيء إلى أسوء، فالخلافات بين المتصرف وقيادات العسكر تتسع وتتفاقم، والنقص في المال زاد حدة، فتناقص عدد الموظفين، وعاش الجندي حالة سيئة، ورأى البدو الذين لا يمكن إخضاعهم إلا بالمال أو القوة، الفرصة لخريطة الأوضاع، حيث كانوا يربدون زيادة في مخصصاتهم، وأدت كل هذه الأمور إلى اهتزاز معنويات رجال الحكومة وأتباعها^(٧٨).

إزاء ذلك زاد الالاحاج في طلب تعزيز قوة الحاميات العسكرية التركية المهللة في الأحساء، لعادة الأمن :

★ فقد طلبت «الصدارة العظمى» في برقية مؤرخة في الثالث عشر من تشرين ثاني ١٣٢٢هـ، ووجهة إلى نظارة البحرية «بضرورة إرسال عدد من السفن العثمانية لنقل طلابورين من الجيش إلى منطقة الهدف لتائب قبيلة العجمان التي أخلت بالأمن في الهدف».^(٧٩).

★ وفي الخامس من كانون أول - ١٣٢٢هـ، أرسل الفريق صدقى باشا قائد الجيش السلطانى السادس فى بغداد إلى الجهات العليا برقية جاء فيها: «أن الحل الأجدى للأزمة القائمة فى الأحساء، هو إيدال العسكر النظامي بعسرك نظامي غيرهم، عن طريق إرسال أربعة أفواج من الجنود النظامي بدلا من الموجودين حاليا، إضافة إلى سرعة ما طلبنا إيصاله إلى المنطقة من قوى الخيالة».. وتشير البرقية إلى أعون ابن سعود فى الأحساء وأفعالهم فى تهبيج السكان، حيث تقرّ البرقية بأن «الأمن العام فى المتصرفية قد إنسلب»، وأن أعون ابن سعود «كتباوا اليه خفيه يعلنون أنه اذا ما أراد أن يجعل اللواء - أي الأحساء - في يده فسوف يفتحون له سور المدينة»، و«أنه من الصعب على الحكومة المحلية الدفاع عن الأحساء إذا ما هوجمت من قبل ابن سعود».^(٨٠).
★ ووافقت «الادارة السنانية» على «ضرورة إرسال أربعة طوابير من العسكر إلى الأحساء، إلا أنه لا توجد سفن تنقل العسكر إلى المنطقة المنكورة، وأخيرا

تم نقل طابور منهم ، وهو الطابور الثالث المنسوب الى الآلي الواحد والأربعين الى ميناء العقير ، مع نخائر تكفي لمدة أربعة شهور . أما عن مفرزة الخيالة فيتعذر إرسالها لعدم وجود الدواب ، واذا تم إرسال الفي ليرة من صندوق مال البصرة ، فعندما يكون بالمقدور إرسال هذه المفرزة . لذا وجب تبليغ الأمر الى ولاية البصرة لارسال المبلغ المذكور الى بغداد حتى ترسل المفرزة على جناح السرعة^(٨١).

★ ووجهت برقية الى نظارة البحرية من الصداره العظمى في ١١ تشرين الثاني ١٣٢٢هـ ، تشير الى أن الامن في الاحساء غير مستتب ، وأن الحوادث الأخيرة فيها تكتسب طابع الخطورة ، وفي البرقية ابلاغ بضرورة إرسال سفينتي شحن ، وأربعة قوارب عسكرية بحرية (Gun Boats) على وجه السرعة الى الاحساء ، لتعمل على استباب الأمان ، وحتى تبقى طرق المواصلات مفتوحة^(٨٢) . ويبدو أن طلب القوارب البحرية له علاقة بمسألة توزيع السلاح الانجليزي على القبائل البدوية في الاحساء ، فبعد مدة طلبت الصداره العظمى من نظارة البحرية ، أن تعطى الأوامر الى القارب البحري العسكري في ميناء بيروت ، وسفينة الرصد «طارش كوبيري» الموجودة في البحر الاحمر للقدوم الى الخليج من أجل رصد سواحل الاحساء والبصرة ، ومراقبة التحركات المعادية .

وهناك وثيقة تركية أخرى توصي باتخاذ «الترتيبات الالزمة للسيطرة على المنطقة وحماية الاحساء من الانجليز ومؤامراتهم في المنطقة حتى تتمكن من عودة الهدوء والأمن»^(٨٣) .

في الثالث والعشرين من مارس ١٩٠٥ - الموافق ١٧ محرم ١٣٢٣هـ ، التقى القائم بأعمال القنصل البريطاني في البصرة «مونهان» بالوالى هناك .. وجرى حديث عام أشار فيه القائم بالأعمال الى أن حاكم الكويت لا يتدخل في أمور سنجق نجد «الاحساء» ، فقال الوالى له «إنه يتظاهر بذلك ، ولكنه يتدخل فيها سراً» .. ولما ردّ البريطاني بالقول «أعتقد ان الكويت ستبقى على نفس الوضع» . أجاب الوالى ملماحاً بأن الأمور تغيرت ، وأن العلاقات بين البصرة والكويت تتبدل «ولا بد من فتح حساب جديد مع حاكم الكويت» ، لانه يؤوي المجرمين والفارين من العدالة ، من الذين يقومون بالاعتداء على حقوق الناس^(٨٤) .

وفي اواخر ابريل من نفس العام ، تحت حكومة الهند على وزارة الخارجية بأن تضغط على الباب العالى «في المطالبة بانسحاب الحامية العسكرية التركية من جزيرة بوبيان» لاضعاف النفوذ التركي في تلك الأجزاء .

وفي بدايات شهر رمضان المبارك ١٣٢٣هـ (نوفمبر ١٩٠٥) ، بعث قائمقام القطيف ، والمرحوم منصور باشا الجمعة ، العامل بالادارة المدنية هناك ،

برقيتين لوالى البصرة يقولان فيما : «إن الأوضاع مضطربة جداً في قضاء القطيف ، وان السكان يهاجرون منه»^(٨٥) . وعلق والي البصرة الجديد : «أنه بما أن البرقيتين أرسلتا عن طريق بوشهر والفاو ، فلا بد أن يعرف محتواهما في الخارج» .. وأضاف الوالى : «أنه طالب إحدى وعشرين مرة باتخاذ إجراءات للدفاع عن الساحل ، وتبني الاجراءات الضرورية ، ومع هذا فإن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وأن الأوضاع تزداد سوءاً وتدهوراً»^(٨٦) .

وكما جرت محاولات تركية لاعادة الأمن المسلوب ، جرت تبديلات عديدة في قيادات العسكر والحاميات لمواجهة التحديات المفروضة ، والتي كانت أكبر مما تتحمله إمبراطورية تسير الى حتفها و نهايتها !

فقبل أن يودع محمد نجيب أبو سهيل متصرفية الأحساء ، وقعت حادثة «الحزم والوزية» واللتان كانتا من الوقعات البارزة في تاريخ المنطقة بين الأهالي في الأحساء ، والعجمان . وكانت هتان الوقutan قد حدثت في عام ١٩٠٦ - ١٣٢٤ هـ.

يقول مؤلف كتاب تحفة المستفيد^(٨٧) ، أن العجمان وأهلاهم اعتادوا أن ينزلوا صيفاً في مكان يسمى «الحزم» قرب المبرز ، و «الرقيقة» ، قرب الهفوف ، وذلك لشراء ميرتهم وقت جذاد التمر .. وفي تلك العام ١٣٢٤ هـ ، اعتدى رجال من الساكنين في حزم المبرز على نخيل «عين الزواوي» فطردتهم أهلها ، وتراموا بالبنادق ، وفزع أهل المبرز لأهل النخيل ، وأهل الرقيقة لاصحابهم ، ودامت المعركة من بعد طلوع الشمس حتى قرب الزوال ، وقد إنتصر الأهالي على البدو ، وسقط من الفريقين قتلى كثيرون .. ويومنها أعلنت الأحساء الحرب على العجمان ، فلا يدخلها أحد منهم ، ودام ذلك من شهر جمادى الثانية ١٣٢٤ هـ ، حتى رمضان من نفس العام «يوليو - أكتوبر ١٩٠٦» .

وفي أوائل رمضان ١٣٢٤ هـ بلغ الأهالي الأحساء ، أن العجمان جاؤوا بآجعهم لمهاجمتهم ، ومعهم حلفاؤهم من البدو ، وأخذ الميرة قهراً ، فطلب الأهالي من المتصرف أن يخرج معهم حملة عسكرية للتصدي للبدو ، ولكنه تردد كثيراً ثم أجابهم ، وخرج الأهالي من القرى وغيرها ، ومعهم عساكر من الدولة الى ناحية «الوزية» عصراً . ولكن نظراً لعدم وجود قائد يأترون بأوامره ، تغلب العجمان عليهم بحيلة عسكرية ، وقتلوا كثيراً من الأهالي ، في حين كانت الحامية ترمي بالمدافع على غير ناحية العدو !! .

إنهزم الأهالي وانتشر الأعداء في النخيل والزرع وأفسدوها ، وهاجموا قرى ، الحلية ، والكلابية ، والشقيق وانتهواها . وبعد ذلك جرى الصلح بين الطرفين ، على أن تعود الأمور كسابق عهدها^(٨٨) .

وسجلت وثائق الانجليز هذه الحادثة ، ذلك أنهم كانوا يراقبون الأوضاع ، ويعقدون التحالفات مع العجمان ، وكان مبارك الصباح يبلغ بالأخبار أولاً بأول

إلى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، المستر نوكس !

فعلى إثر الحادثة، التقى مبارك الصباح في الكويت بالمعتمد البريطاني وأطلعه على ما وصله من أخبار الهجوم بمبالغه كعادته، وهو ما اكتشفه الأنجلiz بعدئذ. قال مبارك لنوكس : «إنه لا يملك معلومات دقيقة عن عدد الاصابات التركية في الأحساء، إلا أن قبائل العجمان أعلنت أنها دمرت طابورين، واستولت على أسلحتهما، وأن أكثر من نصف جنود حامية الأحساء قد قتلوا» .. وأضاف : «أنه مما لا شك فيه أن فهد بن حثلين -زعيم العجمان - والموجود حاليا في الكويت، قد استولى على مدفع واحد، وأحضر معه بغلين والعديد من الحمير لبيعها في الكويت^(٤٩)، وأنه سيرسل أعدادا أخرى منها لهذا الغرض»^(٥٠).

غير أن نوكس، المعتمد في الكويت، والذي أصبح فيما بعد رئيسا للخليج «أي لكل المعتمدين في الخليج»، لم يكن ليعتمد على مصدر واحد من المعلومات، ليقف على جلية الأمر في الأحساء، فانتهز فرصة وجود زعيم العجمان في الكويت، ودعاه لمقابلته في دار المعتمدية، ثم قدم تقييما للاحبار.

قال نوكس : «قدم فهد بن حثلين لزيارتني يوم التاسع عشر من الشهر الحالي -نوفمبر ١٩٠٦ -، ومعه شيخ مسن نو نفوذ، من شيوخ العجمان، وإسمه سالم بن محمد، من عشيرة الهادي. أما الزعيم نفسه. أي فهد - فهو شاب أنيق وسيم، في حوالي الثلاثين من عمره. كان يبدو كسولا، طيباً المعاشر، ولم يكن يتكلم إلا قليلاً، ولكنه ترك انطباعاً لدى بأنه سيكون قائداً للرجال شديداً قاسيَا، وإنقاذاً حقوداً، حين يدفع للعمل».

وأضاف : «كلا الرجلين - فهد و سالم - بالغاً وأطرباً مدحأ لرواية الشيخ مبارك عن إنتصارهما، و قالا إن أهالي الأحساء، ومعهم الجنود، قد ذاقوا الان طعم ثأرهم وإنقاذهما ، وأن الآخرين على استعداد الان للقبول بأية شروط. لقد عرضوا أن ينسوا كل دية مستحقة لديهم، وأن يدفعوا كل الروابط المتاخرة والمستحقة لشيوخ العجمان^(٤١)، وأنهم عرضوا الفي ليرة تركية لاسترداد المدفع، وأن يدفعوا ضعف ثمن الأسلحة والبغال المنهوبة، لكن فهد رفض أن يبيعهم المدفع قائلاً : أنه سيرسله إما إلى مبارك أو إلى ابن سعود»^(٤٢).

لاحظ هنا ما يستشف من علاقة ورابطة بين ابن سعود والعجمان، وبين الآخرين ومبارك الصباح، وهذا الحديث يُقال في دار المعتمدية البريطانية في الكويت، وللمعتمد نفسه، الذي حرص على القول بأن الزعيمين العجمانيين «رحباً بزيارتى لبلادهم إذا أحببت، والتي تقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام إلى الجنوب من الكويت» !.

ويخلص نوكس من كل هذا إلى أن ما حدث في الأحساء من هجوم عجماني عليهما، وما حدث في نجد من إنسحاب القوات التركية من القصيم عدا «٢٥

جندي في بريدة، و٥٥ في عنيزه» مع اعتراف ابن سعود الاسمي بتبعيته للسلطان العثماني، بأن ذلك أثر على موقع الأتراك، فاهتزت معنويات الأهالي .. يقول : «يدو أن الانسحاب التركي من نجد، والأخبار الواردة من الأحساء، قد تركت أثرا سينا على الرأي العام تجاه الأتراك في هذه الأنحاء، حتى أن الشخص يستطيع أن يغامر بالقول إن الشيخ مبارك يعلم الكثير، وأكثر مما أخبرني به، حول المضاعفات والتعقيدات في الأحساء».

لم تكن هذه الأخبار هي كل ما التقطه الانجليز من عملاهم ومخبرיהם، فقد أضاف القنصل البريطاني في البصرة «المستر كراو» معلومات جديدة عن حادثة «الوزية» حيث أرسل القنصل برقية إلى القائم بالأعمال البريطاني في القسطنطينية في السابع من ديسمبر ١٩٠٦ تقول^(٩٣) :

«تقينا رسالة من الأحساء مورخة في ١٢ نوفمبر ١٩٠٦ ، وطبقاً للرواية التي توردها الرسالة، يبدو أن القبائل العربية هاجمت البلدة يوم ٢٢ أكتوبر، واشتبكت مع القوات التركية هناك. كانت الخسائر التركية كبيرة في الرجال والبغال والبنادق، كما استولى العرب على مدفع واحد، كما أن قرية تدعى الشقيق، وتتبع الدائرة السنوية قد نهبت ثم أحرقت. وقد نفعت الأموال للقبائل كي تتراجع، وأعيد المدفع ، واستعادت البلدة السلام والهدوء» !!^(٩٤).

وصادف أنه في أثناء حدوث هذه الوقائع، أنَّ الأتراك استخدمو الكويت والبحرين كطريق عبر لقواتهم الذهابة إلى نجد والأحساء، والعائد منها إلى البصرة، بحراً بالمرور من البحرين، أو براً عن طريق الكويت. وقد إعتقد الأتراك على فعل ذلك، إذ أنهم حتى ذلك الحين لم يتنازلوا عن حقوقهم في هاتين الإمارتين «البحرين والكويت»، وكان الانجليز في العادة يتغاضون عن مرور السفن التركية والقوات التركية المارة بمناطق نفوذهم. إلا أنهم هذه المرة حاولوا إثارة الموضوع وتضخيمه مستغلين ضعف الأتراك، وكان على رأس الصقور حكومة الهند ومقيمها في بوشهر والمعتمدين في الخليج الذين طالبوهَا بايقاف الأتراك عند حدِّهم، في حين اختارت وزارة الخارجية البريطانية رأياً مخالفًا وتمنت رأي سفيرها عند الأتراك «اوكتنور» الذي لا يجد إثارة الموضوع .. ولأن حكومة الهند تمثل رأي وزارة المستعمرات وكل الاستعماريين في بريطانيا .. ولما كانت العلاقة مع الأتراك تخضع لرأي وزارة الخارجية، فقد رضخت حكومة الهند لذلك الرأي.

فقد أبلغ المقيم البريطاني «بيرسي كوكس» عن طريق المعتمد السياسي في الكويت، الكابتن نوكس، بأن ٣٠٠ جندي نظامي عثماني عادوا إلى العراق عبر الكويت. فأرسل إلى حكومة الهند يسألها: هل من الصالح دفع مبارك لللاحتجاج، وهل من الصالح تقديم احتجاج للباب العالي بعدم استخدام الكويت، لما يسبب ذلك من إضطراب لدى الرأي العام !!.

وكان من رأي كوكس أنه إذا ما أراد الباب العالي إرسال قوات إلى نجد وغيرها، أو إخراجهم منها، فإنه يجب أن يطلب منه استخدام العقير لهذا الغرض، وليس مناطق الشيوخ المتصلحين مع بريطانيا^(٩٥).

وبالطبع فإن الانجليز لا يريدون أن يشعر أحد من حلفائهم أو أعدائهم، بأن لغيرهم أية سلطة أو ميزة في الكويت والبحرين، فهما إقطاعيتان خاصتان بالإنجليز وحدهم. ومن جانب آخر، كان من أهداف الاحتجاج الانجليزي إعاقة تقدم القوات العثمانية إلى نجد والأحساء، لتكون الحاميات هناك أكثر ضعفاً.

وما لبث أن أرسل الكابتن بريدو، المعتمد البريطاني في البحرين، إلى بيرسي كوكس في بوشهر، رسالة يقول فيها أنه سمع بأن الباخرة التركية «جون أو سكوت - Jhon.o.Scott» ستصل إلى البحرين، وأن الأتراك ينون إنزال قواتهم هناك، ثم نقلها في قوارب شراعية إلى مقصدتها «القطيف، العقير، الدوحة».

ويعتقد بريدو أن الباخرة نفسها لن تذهب إلى هذه الموانيء. وقال أنه سمع بأن الباخرة ستطلق قذيفتين في حال وصولها إلى البحرين، إما لتحية الشيخ عيسى، أو لعلام القطيف بوصولها !

وعبر بريدو عن إستيائه من إنزال القوات في البحرين، دون إذن رسمي منه، أو من الشيخ عيسى «الذي هو في الواقع واجهة لا تحل ولا تربط!»، وقال : «يبدو لي أن إنزال القوات هنا لا يمكن تبريره إلا إذا كان الميناء جزءاً من الامبراطورية التركية !، ولذا لا يمكن التسامح مع هذا الإنزال ضمن أية إمكانات أخرى، إلا بعد مراسلات خاصة والحصول على إذن رسمي»^(٩٦).

وبعد أسبوع واحد، أي بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٠٦ ، أرسل الكابتن نوكس إلى الميجور بيرسي كوكس، يبلغه باستخدام الأتراك لأراضي الكويت، من أجل العبور من وإلى نجد، وأثار نفس الاعتراضات التي سبق لزميله بريدو أن أثارها .

وببناء على هذا أرسل كوكس إلى حكومة الهند رسالة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٠٧ يبلغها بالتفاصيل، وضم صوته إلى اعتراض بريدو، ثم يطلب رأي حكومته !.

قدمت حكومة الهند رأيها لوزارة الخارجية، الذي يقضي بتوجيه تحذير إلى الباب العالي مباشرة ، بحيث يتخذ هذا الشكل : إن إستمرار عبور القوات التركية من البحرين والكويت، سيضطر حكومة جلالة الملك - البريطاني - لتفكير في ماهية رد الفعل الذي يجب أن تتخذه لحماية مصالحها^(٩٧).

وكما يبدو رأي وزارة الخارجية، أن المسألة لا تحتاج إلى كل هذه الآثار، واستطاعت رأي سفيرها في القدسية (أوكتور)، فكتب الأخير إلى حكومة الهند في الأول من أبريل ١٩٠٧ ناصحاً بعدم إثارة الموضوع بشكل مضخم ،

لأن الحكومة التركية لها حججها التي تستطيع أن تدافع بها، وقال أن من الصالح إعطاء مهلة أو مدة معلومة للباب العالي، لكي لا يستخدم الكويت أو البحرين لعبور قواته .. أما في الوقت الحالي، فمن المحبذ أن يسمح لـ «بعض» قواته بالمرور .. الخ. وهكذا خمدت ثائرة حكومة الهند !

وقعة الشريبة

بعد أكثر من عام جاء دور القطيف، حيث وقعت سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ مـ حادثة الشريبة، وكان ذلك في عهد المتصرف محمود باشا .

أما سبب الواقعة، فقد إنفقت آراء المؤرخين، على أن بدايتها كانت بسبب إعتقد أحد البدو على سقاء متوجّل يحمل شربة «جرة» ماء . ويروي المرحوم الشيخ فرج العمران بأن الحادثة وقعت في سوق القطيف ، يوم الخميس ١٨-٥-١٣٢٦ هـ (١٧/٦/١٩٠٨) وبسببها سدت الأسواق وعطلت الأعمال ، وتلفت التفوس ونهبت الأموال ، وهدمت البيوت ، وأحرقت البساتين .. وأصلها أن صبياً يسمى مكي بن الحاج ابراهيم الدبيوس ، من أهالي الدبابية كانت بيده شربة كبيرة «جرة» متخذة من الطين ، ومملوقة ماء للبيع . ووقدت من يده على الأرض فانكسرت ، فرمي بها في الشارع فوقعت قريباً من أحد البداء ، فظن أنه رماها عليه متعمداً ، فجاء إليه البدوي فلزم حلقه ليختنه ، ووضع خنجره في خاصرته ليقتلها ، فاجتمعت عليه الناس فخلصوه . فكثر القال والقيل ، وفشا السب والشتم ، وتتوفر الضرب والجرح ، فكانت الحادثة العظيمة بين الشيعة وعشائر السنة من الصبيع ومطير والعجمان والعوازم والمهاشير وغيرهم (٩٨) . واستمرت الحادثة سبعين يوماً تقريباً ، وقتل من الشيعة والسنة رجال أبطال وذرو شخصيات ، ومن قتل فيها من الشيعة الشجاع الباسل جعفر بن الحاج حسن علي الخنizi ، وكان مقتله في ١٨ / ٧ / ١٣٢٦ هـ ، ودفن في القلعة في المقبرة المجاورة لبيت آل أبي السعود (٩٩) .

لقد تطورت الأوضاع المتأزمة من الحادثة ، وتبعها هجوم على القطيف التي حوصلت قرابة ستة أشهر على مشهد وسمع من قوات أمن الدولة التركية التي أصابها الوهن والضعف .. وكانت وقعة الشريبة في شهر يونيو ١٩٠٨ الموافق لشهر جمادى الاولى سنة ١٣٢٦ هـ . أما الحصار فقد بدأ بعد الحادثة مباشرة حينما منع الأهالي البدو من شراء ميرتهم ودخول مدنهم وقرائهم ، واستمر الحصار حتى شهر نوفمبر - شوال على الأرجح .

ومما ساعد الأهالي في القطيف وقراءها على الصمود ضد هجمات البايدية ، وجود الأسوار والبروج التي تحفظ المسالك من عبث البدو .. وخلال أولى آخر العهد التركي ، وبسبب إنفلات الأمن ، عمرت الأبراج وأصلحت الأسوار ، بل

وابتني عدد منها في القرى والأرياف.

فالقطيف - مثلاً - كانت تتكون من الكوت، وهي محسن، وسوق طويل، وبجانبه ضواح سكنية مختلفة .. ويسمى الكوت أيضاً «قلعة القطيف». وهي محاطة بسور له أضلاع يبلغ إرتفاعها ثلاثين قدمًا ، في حين كانت بوابة القلعة مطلة على البحر إلى جانب بوابات أخرى من الغرب والجنوب .

ووصف الكابتن ج. فورستر سالبير في رحلته عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩ السور بقوله : «يوجد لحسن القطيف ثلاثة بوابات ، وهو على شكل مستطيل ، وبه قلعة عند أقصى زاوية باتجاه الشمال ، وهي مزودة بنبع مائي جيد ، ويعتقد أن البرتغاليين هم الذين شيده»^(١٠٠)

ووصف الاستاذ محمد سعيد المسلم السور كما رأه - وهو وصف أقرب إلى ما كان عليه الوضع أو اخر العهد التركي - فقال بأن القلطييف «يحيطها سور قديم يبلغ سمكه سبعة أقدام وارتفاعه ثلاثين قدمًا . وتبرز بين جوانبه وزواياه أبراج عالية مستديرة الشكل ، وتوصل هذه الأبراج التي يبلغ عددها أحد عشر برجاً ، جسور ممتدة في أعلى السور لتتصل الحامييات بعضها ببعض أثناء قيامها بمهامها»^(١٠١)

لهذا شهد سور القطييف أكثر من هزيمة للبادية ، إحداها كانت بعد بضعة أيام من نشوب الفتنة الأولى «وقعة الشربة» .. فقد جاء البدو بجمع كثيف ، وعسروا في الجهة الغربية وفي النخيل المجاورة للدبابية ، ثم واصلوا الزحف إلى القطييف للانتقام .. وكانت المدينة تتكون يومئذ من الشويكة والدبابية والكويكب والشريعة وميساس والمدارس وباب الشمال والجراري والقلعة التي كانت أكثر تحصينا ومنعة ، فأدخل فيها النساء والأطفال والعجزة والشيوخ ، وعاش الرجال في البلد على حذر ، وكان ضمن الحاضرين الشيخ محمد النمر - قائد إنتفاضة العوامية ضد الحكم السعودي عام ١٣٤٨هـ ..

وحينها خطط الشيخ النمر - وهو ضرير - بأن يجعلوا الرجال على طول محيط السور وفي البرج ، وأوصاهم : إذا رموكم - بالنار - فلا ترمونهم ، وانتظروا حتى ينفذ بعض ما عندهم ، ثم ابتدئوا بالرمي ولكن بصورة متقطعة .. وقبل هذا ضعوا «قلال» التمر على إمتداد الجدار الأمامي من الداخل ، وبقدر الامكان إجمعوا التراب والرماد ، فإذا إشتدت الرماية من قبلهم عليكم ، ألقوا به من أعلى من جهتي الغرب والشمال ، وعندئذ يظنون أن الحاجز الأمامي قد إنهار ، وسيقدمون إليكم بجمعهم يريدون تخول البلدة من هذا المكان ، وهم لا يتصرونكم من شدة الغبار وكثافة التراب ، وأنتم لهم مبصرون بإطلاقكم عليهم ، فإذا ما اقتربوا إرمومهم رمية رجل واحد ، وبهذه الخطة سينهزمون ، إن شاء الله تعالى .

وقد نفذ أهالي القطييف هذا التخطيط البارع ، وكانت النتيجة هزيمة البادية

هذا بالنسبة لسور القطيف وبوره ، أما القرى والمدن الأخرى ، فكانت . كما ذكرنا مسورة أيضاً . ولم يستطع البداية إخراها ، فمدينة صفوى كانت للتو قد أعادت بناء سورها سنة ١٩٠٦ ، أما سورها الأصلى الذي بناه البرتغاليون فقد أعيد بناؤه قبل عام ١٩٠٦ ، ولم تكن له إلا بوابة واحدة يطلق عليها «دروازة البحر» ، وهي التي يخرج منها الأهالى للصيد وإستخراج اللؤلؤ .. وأضيفت بعدها بوابات مثل «دروازة العصافير» و «دروازة الخويدعة» و «دروازة حسينية بن جمعة» . وعمل لكل بوابة دهليز لخروج البحارة والمزارعين . وللسور برجين يطلق عليهما «برج العين» و «برج البحر» (١٠٣)

أما قرية عنك فكانت مسورة ، وهي تتشكل من حى الشيعة «العليوات» وحى «بني خالد» ، وكان في القرية قلعة تطل على البحر ، وحامية للاتراك . وكل ذلك يصدق القول على قرية البحارى ، والملاحة ، وحلة محيش ، والخوبيلية ، والجمارونية ، وأيضاً مدينة سيهات ، والأوجام ، والقديع ، وتاروت التي لا تزال قلعتها ماثلة للعيان حتى اليوم (١٠٤)

على أن وقعة «الشربة» وتأثيراتها السلبية على الأهالى ما كانت لتخفى على الانجليز الذين يرقبون الاوضاع ويتحينون الفرص .. وقد سجلت الوثائق البريطانية الكثير من تفاصيل الحادثة .. وكان إهتمامهم منصبًا لتحقيق غرضين : اساسيين :

الأول - منع اتساع الاضطرابات بحيث لا تصل إلى مناطق تهدّد المصالح والرعايا البريطانيين في البحرين وحتى القطيف إن أمكن .. خاصة وإن البدو استخدمو السفن لمحاربة أهالى القطيف . وتجارتهم وسفنهما .. وأن إنتشار مثل هذه الأعمال يفقد البريطانيين المصداقية كحمة لما يدعونه «السلم البحري» ! .

الثاني - إستغلال الحدث ، للظهور بمظهر المنذر لدى السكان ، في وقت تجلّت فيه الصورة عن ضعف الأتراك ، الذين فقدوا هيبتهم بشكل كامل تقريباً . ولا شك أن هذا المظاهر له أثر كبير في إحتمال قبول السكان بالحماية البريطانية .. والذي حدث هو أن الانجليز تقدّموا بعروض الحماية ، وفي نفس الوقت رفعوا علمهم في رأس تنورة ، ولكن الأهالى - رغم موافقة الأتراك على المساعدة - لم يقبلوا الحماية ، وعمدوا إلى العلم البريطاني في رأس تنورة فمزقوه ! .

بمجرد وصول أخبار الاضطرابات في القطيف ، أفاد قائد البحرية في الخليج الفارسي الأدميرال ج . وارندر عنها في برقية لحكومة الهند ، قائلاً أن هناك «قرصنة في القطيف» ! ، وطلب «إستخدام زورق المعتمد السياسي في البحرين .. وإذا أمكن إعارة الزورق إليه ، فسأمر باستخدامه للعمليات العسكرية ، وأزوّده بطاقم وعلم» (١٠٥)

ردت حكومة الهند الى الميجور كوكس «المقيم في بوشهر» ، بأنه : «لا مانع لدينا من إعارة الزورق ، شريطة إصدار أوامر المهمة الأصولية ، وتزويده بطاقم وعلم»^(١٠٦)

وفي التاسع من أغسطس ١٩٠٨ ، أرسلت المقيمية البريطانية في بوشهر منكرة الى حكومة الهند حول الأحداث الأخيرة التي وقعت في القطيف ، إعتماداً على المعلومات التي تلقتها المقيمية من المعتمد السياسي في البحرين .. تقول المنكرة^(١٠٧)

«خلال الأيام العشرة الماضية تصاعدت حدة العداء بين أهل القطيف وبين البدو الى حد ينذر بالخطر .. يبدو أن الشجار الذي نشأ بسبب القضية التي أشرت اليها في الفقرة ١٣٣٠ من تقرير هذه المقيمية رقم ٢٧ ، عن الأسبوع المنتهي في الخامس من يوليو ١٩٠٨ ، قد سويت مؤقتاً ظاهرياً فقط ، نتيجة وساطة القائم مقام ، وال حاج منصور باشا - بن جمعة - ، وان الطرفين ينتظران الفرصة المواتية لتجديد الأعمال العدائية».

وتضيف المنكرة .. «ومما زاد من حدة العداء ، بعض المشاكل التي نشأت مؤخراً بين أهل القطيف وبدو السبيع وعمير المنتشرين على الساحل ، بسبب رفض سكان القطيف السماح لهؤلاء البدو بدخول بساتين النخيل لقطف مرونتهم من التمور . وقد إنضم السبيعيون والعميريون الى بدو المناطق الداخلية ، واحتشدت نتيجة ذلك قوة كبيرة طوقت الواحة من جميع الجهات ، وبدأت بفتح طرق الى داخل بساتين النخيل - لنهبها - ، وقتل من البحارنة - شيعة القطيف - في مجموعات مولفة من شخصين او ثلاثة».

وأشارت المنكرة الى تضامن الشيعة مع بعضهم في مقاومة الاعتداء ، رغم عدم تكافؤ القوى ، واستطاعوا ايقاف زحف البدو في هجمات متكررة قدموا فيها خسائر بين ٣٠ - ٥٠ ، رجالاً في كل هجوم ، أما الجنود الأتراك المتمرذون في عنك . وهم قلة . فقد حاولوا «استعراض عضلاتهم بالزحف داخل الصحراء ولكن دون نتيجة».

وتنقّم المنكرة الوضع بقولها أنه أصبح «خطراً للغاية منذ ذلك الحين ، فالواحة يحتاجها حالياً بدو يرتكبون جميع أنواع الجرائم الوحشية .. يُقال أن مئات من أهل القطيف قتلوا ، كما جرت الآف أشجار النخيل من ثمارها ثم قطعت .. ونهب البدو ثمان وعشرين قرية ثم أحرقوها .. وقد وصل حوالي ٨٠٠ من اللاجئين من الرجال والنساء والأطفال ، ومعظمهم من طبقة صيادي اللؤلؤ ، وصلوا الى قرية سنابس في البحرين يوم التاسع والعشرين من يوليو ١٩٠٨ «الأول من رجب ١٣٢٦هـ» ، وتوزعوا في القرية حيث يشغل معظمهم بيوتاً يهجرها أصحابها في هذا الوقت من العام - عادة - وينتقلون الى المناطق المرتبطة قرب الساحل».

«ويقال أن البدو استولوا على كل قرى الواحة^(١٠٨) باستثناء قلعتي عنك والقطيف، ويزيد من خطورة الوضع إنفصال البدو باتجاه البحر لنهب وقتل صيادي اللؤلؤ القطيفيين، كما يقال بأن زورقاً محملًا بـ ٢٣ قطيفياً، باغته البدو قرب دارين ونبحوم جمياً».

وأشارت المذكرة إلى أحد أسباب الاهتمام البريطاني بما يحدث حين قالت بأن «تجار البحرين، والرعايا البريطانيون والأجانب الذين لهم مصالح وأعمال كبيرة في القطيف، قدموها منكرة إلى المعتمد السياسي يرجونه فيها إرسال زورق حربي إلى القطيف لإنقاذ الوضع.. وبناء عليه أرسل زورق المعتمدية بأمر القبطان الليفتانت كوماندر غود سميث، يوم الثلاثاء من يوليو ١٩٠٨، يقوده الليفتانت بريدو-برون، من السفينة الحربية «لابوينغ»، وذلك بهدف الحصول على معلومات صحيحة وحديثة من قائمقام القطيف».

عاد الزورق في الأول من أغسطس يحمل معلومات تشير إلى أن أهل دارين يتعاونون مع البدو، طائعين أو مرغمين، متجاهلين بشكل تام سلطة القائمقام.. وأن البدو القراءنة يستخدمون قوارب أهل دارين بحرية للقيام بعملياتهم ضد أهل قرى وبلدان واحة القطيف. ويقال أن عدداً من القوارب الكويتية قد سُحبت إلى دارين، وأن أصحابها يجلسون خاملين بلا عمل في الجزيرة». وعبر القائمقام التركي في القطيف أثناء حدثه مع قائد الزورق البريطاني عن خشيه من أن يشن هؤلاء جميعاً هجوماً على القلعة!.

وكما إنضم أهل دارين السنة.. وبدافع مذهبى وقبلى-إلى البدو، وكذلك فعل بعض الكويتيين.. حاول شيعة البحرين رغم بعد المسافة، والذين تربطهم علاقة نسب بأهالي القطيف، أن يساعدوهم بالمال وبالسلاح، من هنا كانت خشية البريطانيين من التورط في الأحداث.. وقد بعث أهالي البحرين عدة شحنات من السلاح ووصلت إلى القطيف، بناء على تنسيق وطلب من المرحوم بن جمعة، وفي إحدى المرات وقعت شحنة منها بيد البدو.. وقد أشارت المذكرة إلى ذلك بقولها: «أن قارباً محملًا بأربعين بندقية، غادر المحرق متوجهاً إلى القطيف حوالي الثلاثاء من شهر يوليو، وأن البدو باغتوه بهجوم مفاجيء قرب ميناء القطيف، حيث أصيب النوخذا حمد بن عبد الله الحسن بجروح طفيفة أثناء محاولته إنقاذ البنادق التي وقعت في أيدي البدو.. وأمر الآخرون النوخذا بأن يأخذ زورقه ويعود به إلى البحرين، ويحذر الآخرين من مغبة الاقتراب من القطيف»^(١٠٩).

ولأن الحامية التركية في القطيف ضعيفة متهاكلة فقد «أرسل القائمقام برقة في الأول من أغسطس لمكتب بريد البحرين لإرسالها إلى البصرة، يطلب فيها بإلحاح إرسال التعزيزات العسكرية على جناح السرعة، بما في ذلك سفينة حربية وبعض المدفعية». وكانت السفينة الحربية البريطانية «لابوينغ» وزورق

المعتمدية في البحرين قد أبجرا في اليوم التالي ١٩٠٨/٨/٢ «بهدف منع اللصوص والقراصنة من إعتراض طريق حركة النقل البحري»!.

وما هي إلا أيام قلائل حتى بعث القنصل البريطاني في البصرة بتفاصيل إضافية عن الأحداث في القطيف إلى السير ج. لوثر في القدسية، ومنه إلى أدوارد غري، وزير الخارجية بلندن .. ففي الخامس عشر من أغسطس ١٩٠٨ كتب القنصل البريطاني في البصرة «أرثر. ب. غري» بأن العقيم في بوشهر أرسل له برقيه لينقلها إلى كبير الضباط البحريين البريطانيين، والذي كان متواجداً في البصرة يومئذ، ويقود السفينة الحربية «سفنكس» .. ومما جاء في البرقية .. «أن سكان القطيف، والذين تحميهم حامية صغيرة وغير كفوءة، في وضع بالغ الخطورة، حيث يطوق البدو البلدة بأعداد قدرت بـ ألفي بدوي .. وما لم تصل تعزيزات للحامية فإن من المحتمل أن يتبع السكان عن بكرة أبيهم».

وتتحدث رسالة القنصل^(١١٠) عن إرسال السفينة الحربية البريطانية «لابوينغ» إلى القطيف، بعد أن تقدم الأتراك رسمياً بطلب المساعدة، وقيل بمبادرة بريطانية صرفة ، غير أن السفينة لم تستطع الرسو في الميناء، فتمركزت في نقطة أقرب ما يمكن من المدينة ، بسبب موقعها الذي يجعل من الصعب إقتراب القوارب الحربية إلى موقع يكون فيه الرمي المدفعي فاعلاً إلى ما دون الستة أميال .. وأشارت الرسالة إلى أن سفينة حربية بريطانية «ردبرست» تستعد هي أيضاً لتقديم المساعدة إذا طلب منها ذلك.

الآن السفينة التي رفعت العلم البريطاني في رأس تنورة «لابوينغ» تعرضت لمحاولات الهجوم من الشيعة ، فقد تقدمت السفينة للأهالي بالحماية من عبث البدو ، وقد رفض أهل الحل والعقد ، وعلى رأسهم منصور بن جمعة ، والشيخ علي بن حسن على الخنizi ، العروض البريطانية باعتبارها دولة غير مسلمة ، وقاوموها بشدة ، وعمد أهالي صفوى إلى العلم البريطاني في رأس تنورة وحطموا ساريتها في الحال^(١١١). ومع هذا قدم قائمقام الأتراك في القطيف اعتذاراً عما بدر من الأهالي ، نيابة عن حكومته كما سنرى !.

وأشار القنصل البريطاني في البصرة «أرثر. ب. غري» إلى أنه إجتمع بوالي البصرة للتاثير عليه ، لأن قائمقام القطيف خاضع لسلطة حسان بك «وقد أظهر الأخير ترحيباً بتصرفنا تجاه هذه المسألة ، وأخبرني بأنهم - الأتراك - يستعدون لارسال تعزيزات من البصرة ، إما بواسطه السفينة الحربية «ليليد البحر» ، أو بواسطه سفينة نقل مستأجرة ، حيث يوجد خلاف في الرأي حول هذه النقطة بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية». ومرد الخلاف هو أن «مرسى الزورق الحربي التركي بعمق ١٢ قدمًا ، ولا يستطيع الإقتراب من القطيف إلى نقطة أقرب من رأس تنورة ، حيث يتوجب في هذه الحالة إنزال الجنود في قوارب ، وقد يتعرضون أثناء ذلك لنيران البدو بقيادة جاسم بن محمد بن عبد

الوهاب، الذي يحتل دارين والمتخالف مع ضاربي الحصار»^(١١٢)
وسائل والي البصرة القنصل البريطاني، عما «إذا كان من الممكن الحصول
على مساعدة زورق الحكومة البريطانية، الموضوع تحت تصرف المقيم
السياسي في البحرين»، فأجاب القنصل: «إنني لا أستطيع الأجبابة على هذا
السؤال قبل تلقى التعليمات من السلطات الأعلى».. وكان الميجور كوكس قد
ذكر في برقية له، بأن حكومة الهند سالت عن مدى إستعدادها لتقديم المساعدة
للأتراك، نظراً للمصالح التجارية للرعايا البريطانيين الهامة الموجودة هناك.
في هذه الأثناء قدمت برقية من المعتمد في البحرين إلى المقيم في بوشهر
تؤكد حرج الموقف في القطيف، فالآن القنصل البريطاني -نظراً للمصالح
التجارية- بإرسال التعزيزات الفورية، ورغم وعد الوالي بأن يفعل ذلك «فإنني
أشك في وعده، لأنه لا يوجد سوى حوالي ٢٥٠ جندياً في البصرة، والوالى
غير راغب في إخلاء البلدة من الجنود، ومن المحتمل إصلاح هذا النقص عند
وصول التعزيزات من بغداد، لكن من الممكن تماماً في هذه الأثناء أن ينخفض
عدد حامية القطيف إنخاضاً حاداً، وتجرأ وبالتالي على إخلاء البلدة، ولذلك
فأننا أوصل إلحاحي على الوالي لكي يرسل كل من يستطيع توفيره من القوات
إلى مسرح العمليات»^(١١٣)

على أن كل هذا اللغط لم يعط آية نتيجة، فلا الأتراك قدموا المساعدة
العاجلة، ولا الأهالي قبلوا المساعدة البريطانية، بل واصلوا المقاومة حتى
رددوا البدو على أعقابهم دون آية مساعدة.

وسبق لقائمقام القطيف أن كتب إلى الكابتن غود سميث معتبراً عما فعله
الأهالي بالعلم البريطاني فقال: «أبلغت بخبر وصولكم إلى القطيف من قبل
مترجمكم المستر كيلو، أنا آسف جداً للمعاملة غير المقصودة التي وقعت قبل
بعض الوقت، وأنا على إستعداد لزيارةكم، بدءاً من الساعة الخامسة
صباحاً-بالتوقيت الأفرينجي- وإذا كانت الريح مواتية، فأمل أن أصل إلى
سفينتكم في الساعة الحادية عشرة صباحاً»^(١١٤)

وقد وصل القائمقام وقدم اعتذاره حسبما هو مطلوب واتفق عليه- كما
ذكرت وثيقة بريطانية.^(١١٥)

ذلك أن الليفتنانت كوماندر غود سميث كتب إلى الكوماندر ليتشيفيلد، كبير
ضباط البحرية في الخليج الفارسي ، والقائد العام لجزر الهند الشرقية ، من
مقرة في السفينة «لابوينغ» الراسية في شواطئ القطيف «رأس تنورة» في
الثامن من يونيو ١٩٠٨ ما يلي :

«بناء على أوامر الابحار الصادرة عنكم والمورخة في الثالث من الشهر
الحالي ، لي الشرف بأن أعلمكم بأنني وصلت إلى القطيف يوم الجمعة ، الخامس
من الشهر الحالي ، وأرسل المترجم إلى القطيف حاملاً رسالة مفتوحة من والي

البصرة الى قائمقام القطيف . وقد وضعت الترتيبات لقدوم القائمقام الى السفينة قبل ظهر اليوم التالي ، بقاربه الخاص ، لتقديم الاعتذار المطلوب . وقد أرسل القائمقام مع المترجم إعتذارا خطيا باللغة العربية»^(١٦)

ويضيف غود سميث : «وقبل ظهر يوم السبت ، السادس من يونيو ١٩٨٠ ، توجه القائمقام الى السفينة ، يرافقه ضابط الميناء ، وقائد القوات التركية المتمركزة حول القطيف ، وكان القائمقام يرتدي ثيابا مدنية ، بينما يرتدي مرفقاه اللباس العسكري ، وقد حضروا على ظهر مركبهم الخاص ، وقاموا بزيارة» .

«وبدا واضحا أن القائمقام كان آسفا عن صدق لتصريحات مسؤولي الميناء السابقين ، وأعرب عن أمله بـألا تتكرر تلك التصرفات في المستقبل . وقد ألح القائمقام على كي أرد زيارته ، واتصور أنه أخبر بأن يتوقع هذه الزيارة بناء على أوامر تقاضها من القولونيلية ، خاصة وأنه كرر ذكر السلطان وانزعاجه جدا من الحادثة . إعتقد البدو على أهالي القطيف .. وفي اليوم التالي زرت القائمقام في منزله وعوملت بكل ضيافة بالغ ، كما تلقى طاقم قاربي عنابة جيدة من القائمقام»^(١٧)

وما لبثت وزارة الهند أن أرسلت لوزير الخارجية البريطاني في ١٤ أغسطس ١٩٠٨ ، رسالة حول أحداث القطيف بناء على معلومات تقاضها الكابتن برييدو أثناء زيارته لها وأرسلها إلى المقيمية في بوشهر في ١١ أغسطس ١٩٠٨ .

فقد أفاد برييدو الذي عاد لتوه من زيارة القطيف ، أن البدو في تلك الواحة وما جاورها قد تمزدوا وهاجموا بلدة القطيف والقرى الشيعية . وذبح المتمردون عددا كبيرا من الناس ، كما دمروا معظم أشجار النخيل .. وإضافة لذلك تتعرضن القطيف في كل ليلة الى اعتداءات جديدة ، والأتراك في ضائقة كبيرة . يتوقع برييدو أن تضطر الحامية التركية الى مغادرة البلدة والتخلّي عن أهلها ، وتعرّيضهم لمذبحة رهيبة ، ما لم ترسل التعزيزات بسرعة . كما يتوقع أن يتقدم القائمقام قريبا جدا بطلب مساعدة السفن الحربية^(١٨) ، ويسأل برييدو عما اذا كانت حكومة صاحب الجلالة ستوافق على تقديم مثل هذه المساعدة ، والى أي مدى» .

وتقول الرسالة : «أرسل كبار تجار البحرين مذكرة لبريدو ، وأوضحا فيها أنه نتيجة علاقاتهم التجارية الوثيقة بالقطيف ، فإنهم سيكونون أكبر الخاسرين نتيجة تدمير الممتلكات في الواحة ، والقضاء على أهل القطيف . ويعبر برييدو عن الأمل بأن يكون رد حكومة صاحب الجلالة في هذه الظروف ردا إيجابيا . ولكن حكومة الهند أبلغت المقيم في بوشهر «أنه ما لم تطلب السلطات التركية المساعدة رسميا ، فإنه من غير الوارد بالنسبة لنا أن نقدمها»^(١٩) خاصة بعد

التجربة السابقة وما سببته من حرج .

هذا ما ورد من وثائق بريطانية عن وقعة «الشريبة» التي لم يستطع الانجليز استغلالها بسبب تيقظ قيادات الشيعة الدينية والسياسية .. أما فيما يتعلق بالصراع نفسه، فقد جرى الصلح بين البداء والأهالي، رغم ما تكبده الآخرون من غرامات، وتتابعت السنون والبلاد في حالة من القلق والفوبي، بحيث أصبح المواطن لا يستطيع أن يتعذر أسوار القلعة إلا بخفيه أو فرقة مسلحة من الرجال (١٢٠)

وتجدر باللحظة أن هجمات البداء على الأحساء، كانت أكثر شراسة وأكثر نجاحا، ذلك أن الاحسائين اعتمدوا في الغالب على الحاميات التركية المريضة، فلم تحم أرضاً أو تدفع ضرراً، بينما كان تواجد القوات العسكرية التركية، ومنذ البداية، قليلاً في القطيف، مما جعل الأهالي يعتمدون على أنفسهم في حماية أرواحهم وأملاكهم، وقد ساعد وجود الشخصيات السياسية في القطيف على التصدي للبداء، وكانت خسائر هؤلاء الآخرين أكثر من خسائرهم في الأحساء .

ومما جعل الأوضاع تتفاقم في الأحساء، هو أن المتصرفين أو أعيانهم الكبار أقاموا علاقات مع زعماء البدو ومع ابن سعود أحياناً، كما فعل محمود باشا سيء السيرة والتديير، والذي كانت علاقته بابن سعود قوية، وكان يوعز إلى البداء بقطع الطريق، مقابل أن يحصل على نصيب من المنهوبات، فما كان من أهالي الأحساء، إلا أن ترصدوا له فقتلوه في سوق الهفوف بعد صلاة العصر، في الثامن من ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ، الموافق لعشرين من ديسمبر ١٩٠٩ (١٢١)

ووصل الحال أن أصبحت المنطقة في عام ١٩١٠ وما بعده، سائبة لمن أراد الاعتداء والنهب، حتى أمير الكويت مبارك الصباح، وأمير قطر الشيخ قاسم، طمعاً في الاستيلاء على المنطقة، فما بالك بابن سعود؟ .

وفي عام ١٩١١ تعدى مبارك على أهالي الجبيل «آل بوعيينين» دون خوف .. والقصة كما رواها حسين خلف خزعل، وعبد العزيز الرشيد، تقول بأن عشيرة آل بوعيينين كانت تسكن الورقة، وهم أصهاربني خالد، وكانت الرئاسة فيهم، حيث كان أميرهم عام ١٩٠٨ / ١٣٢٦هـ عبد الله بن علي بن راشد .

ولكنهم، وبعد خلاف مع أمير قطر غادروها إلى الكويت، ولكن مبارك الصباح لم يفسح لهم المجال، فعادوها إلى الجبيل -من توابع القطيف- فخشى مبارك أن تزاحم الجبيل الكويت في المستقبل، فعرض عليهم العودة إليه، ولكنهم رفضوا، فما كان منه إلا أن حرض بعضبني خالد للتعرض لهم بالأذى، ثم ما لبث أن وجه لهم سرية بقيادة الشيخ علي الخليفة، فشكوه إلى

والى البصرة حسن رضا باشا ، الذي كتب لمبارك سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ ، طالبا منه كف الأذى وعدم التدخل في شؤون أهالي الجبيل أو التعرض لهم ، وقال له في الرسالة «إن الحالة الحاضرة التي عليها الدولة العثمانية لا تتطلب من المخلصين إليها القيام بمثل هذه الأمور الصغيرة التي لا موقع لها الآن ، وإنما المتطلب منهم مصافاتها والقيام بخدمتها وإنقاذها من تلك الهوة السحرية» !! .. والوالى يشير هنا الى الاوضاع المتأزمة من حرب الغرب مع العثمانيين في البلقان ، وقد اعتذر مبارك وأنكر ، وكف الأذى^(١٢٢) واستمرت الأحوال في المنطقة على سوئها ، ومما زاد الطين بلة ، أن والي البصرة السابق سليمان بك يستدعي سنة ١٩١٠ معظم القوة العسكرية ، فأثار ذلك طمع ابن سعود ، الذي أخذ يتربّط الفرصة المواتية للاستيلاء عليها . وحين خرجت الدولة العثمانية من حرب البلقان منهوبة القوى ، وأخذت الأطماع تكتنفها من كل جانب ، رأى أن هذه هي الفرصة التي كان ينتظرها ، فقرر إحتلالها .. وفي الصفحات القادمة نتابع مطامع ابن سعود في المنطقة إلى أن يحتلها .

هوامش

- ١١: «بيان الإمام أحمد بن علي بن مشرف»، اعتنى بالطبعة عبد الله بن إبراهيم الانصاري، المكتبة العسكرية، لبنان، غير مورخة ص ٢٢، ٢٤، ٢٥.
- ١٢: المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٣.
- ١٣: المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠.
- ١٤: المصدر السابق ص ٦٢، ٦٣.
- ١٥: المصدر السابق، ص ١٢٩، ١٣٠، ١٣١.
- ١٦: ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ١٤، ١٥.
- ١٧: د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠١.
- ١٨: العرب، دراسات في التاريخ الحديث المعاصر، د. رافت غنيمي الشيخ، ط ١٩٨٣، ص ٤٩.
- ١٩: كيلي، مصدر سابق، ص ٣٩٥.
- ٢٠: د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠٤.
- ٢١: خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٣٠.
- ٢٢: المصدر السابق، ص ٢٢؛ ٢٤.
- ٢٣: عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٧، ١٥٢. وانظر الشيخ حسين خلف خزعل، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٥، ٢٦.
- ٢٤: عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٣.
- ٢٥: خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٣٥.
- ٢٦: د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠١، ٢٠٢.
- ٢٧: الوثيقة ١٦ / FO.416، من راتسلو إلى السفير البريطاني في القدسية، في التاسع والعشرين من يونيو ١٩٠١.
- ٢٨: الوثيقة ١٦ / FO.416، من المقيم كمبال إلى حكومة الهند في ١٢ / ٨ / ١٩٠١.
- ٢٩: الوثيقة السابقة، رسالة من السفير البريطاني في القدسية، رقم ١١٥، إلى وزارة الخارجية في ٢٢ / ٢ / ١٩٠٤.
- ٣٠: الزركلي، مصدر سابق، ص ٦٤.
- ٣١: المصدر السابق، ص ٦٧. وأل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٨٠. وخالد السعدون، مصدر سابق، ص ٤١، ٤٢.. الخ.
- ٣٢: «السعويون والحل الإسلامي»، جلال كشك، وأشار الدكتور محمد عرابي نخلة إلى الأمر بلفظة أخرى، قائلاً بأن عبد الرحمن بذر رفضه «العدم ثقته بخلاصـن العـاثـرـ النـجـيـةـ بعدـ أنـ لـمـ نـجـمـ اـبـنـ الرـشـيدـ». انظر ١٩٨.
- ٣٣: خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٤٧.
- ٣٤: انظر المصدر السابق ص ٦٥، «الإسلام والوثنية السعودية»، لفهد القحطاني، ١٩٨٥، ص

- ١٢ . وايضا قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة ، مستشار الملك عبد العزيز ، ص ١٨ . والزركلي ، ص ٧٠ .. الخ .
 ٢٥٠ ،
 ٢٥١ ، الزركلي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ ، والبلاد العربية السعودية ، لفؤاد حمزة ص ٢٠ .
 ٢٦٠ ، خالد السعدون ، العلاقات بين نجد والكويت ، ص ٧٣ . وفاسيليف ، مصدر سابق ، ص ٢١٢ . وقلب
 جزيرة العرب ، ص ٣٦٩ . وايضا الزركلي ص ٨١ .
 ٢٧٠ ،
 ٢٨٠ ، وثيقة رقم ٣٩ ، مرسلة من ١. س . راتسلو ، القنصل البريطاني في البصرة ، الى السير ن . اوكتور ،
 سفير بريطانيا في القسطنطينية ، مورخة في ٢١ / ٧ / ١٩٠٢ .
 ٢٩٠ ، خالد السعدون ، مصدر سابق ، ص ٧٥ .
 ٣٠٠ ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .
 ٣١٠ ، عبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٧٩ .
 ٣٢٠ ، صلاح العقاد ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .
 ٣٣٠ ، والرجل لا يزال يستلم راتبنا من الأتراك ! .
 ٣٤٠ ، شيوعيون في السعودية ، ص ٦٣ . وانظر عبد العزيز الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ . و
 د. محمد عرابي نخلة ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ . وايضا التطور السياسي لقطر ، عبد العزيز محمد منصور ، ص ٢٠١ .
 ٣٥٠ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .
 ٣٦٠ ، في الواقع كان هجومها مركزا على الأهالي ، وقد أراد المؤلف ان يصبح عملية النهب بصبغة معارضة
 سلحة وسياسية ضد الأتراك .
 ٣٧٠ ، ايضا العبارة مهنية ، وكان يجب ان يوضح أنها عمليات سطو ونهب .
 ٣٨٠ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ١٢٢ .
 ٣٩٠ ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
 ٤٠٠ ، الاصلاح الاجتماعي ، ص ٥٤ ، ٥٤ .
 ٤١٠ ، وثيقة رقم ٦٤ ، من ج . س . فاسكن ، مساعد المعتمد السياسي في البحرين الى المقيم السياسي في
 بوشهر ، بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٠٢ .
 ٤٢٠ ، آل ملحم ليسوا أحسانين أصلا ، فقد نزحوا من الجزءة قرب الرياض ، وسكنوا محلة النعاثل في
 الهافو ، وكان استيطانهم للإحسان حديثا . انظر آل عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
 ٤٣٠ ، الوثيقة السابقة .
 ٤٤٠ ، انظر الوثيقة رقم ٢٨٢ ، تاريخ ١٩٠٢/٦/١٧ ، مرسلة من م . دى . هنسن الى الماركيز لاندزون ،
 وزارة الخارجية ، لندن .
 ويقول المرسل : «نقلت الى رسالة باللغة العربية ، صادرة عن امير نجد - ابن رشيد . ومرسلة الى الوزير
 التركي الاعظم ، لي الشرف ان ارفق ترجمتها مع هذه الرسالة . وقد اطلعنا عليها بشكل سري ، وعلى أساس
 الثقة بأنها ستبقى هي والذي اطلعني عليها في طي الكتمان . الرسالة تتهم الانجليز بأنهم يسعون بمساعدة
 ودعم من شيخ الكويت الى فرض سيطرتهم على اجزاء من شبه الجزيرة ، وهي الاجزاء التي تشرفت وتسيطر
 عليها الحكومة التركية في الأحساء والقطيف . ويحذر امير نجد تركيا من عواقب المكان والسياسات
 البريطانية . الرسالة مهمة الى حد ما ، لأنها تفضح احد المصادر التي تغذى شكوك السلطان فيما يتعلق بسياسة
 لجلترا في شبه الجزيرة العربية والخليج الفارسي » .
 ٤٥٠ يشير ابن الرشيد هنا الى ما تلى معركة الصريف ١٩٠١ ، وهزيمته لابن الصباح ، مما ادى الى
 تدخل الانجليز ، وكيف ان والي البصرة محسن باشا - صديق مبارك . ميئ الموقف الحاسم لانهاء حكم آل صباح .
 ٤٦٠ ، انظر مقتطفا من الرسالة ، في قيام العرش السعودي ، ناصر الفرج ، ص ٣٤ .
 ٤٧٠ ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
 ٤٨٠ ، الثابت انه كان للأتراك حامية هناك وكانت على جانب من القوة .
 ٤٩٠ ، انظر الوثيقة ٥٢٥٢ / FO. 78 .
 ٥٠٠ ، الوثيقة السابقة .. من الليفاتنات كولونيل كمبال ، الى ٥ . س . بارنز ، حكومة الهند في سيملا .
 ٥١٠ ، قيام العرش السعودي ، مصدر سابق ، ص ١٥ .
 ٥٢٠ ، المصدر السابق .
 ٥٣٠ صفوى : مدينة تقع على بعد ١٢ كم شمالي القطيف ، وتقع رأس تنورة على مقربة منها في الشمال

الشّرقى

^{٥٤} ساحل الذهب الاسود، الاستاذ محمد سعيد المسلم، ط ٢، بيروت، ص ١٩٣، ١٩٢، وانظر ناصر الفرج ، مصدر سابق، ص ١٦.

^{٥٥} آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٨٦.

٥٦٠، هو الشيخ عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز العلجي، ولد بين عامي ١٢٩٠-١٨٥٠ هـ، تعلم على أيدي كبار علماء المذاهب في الأحساء، فكان أحد رجالات المذهب المالكي، وامتحن السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية وولاتها، وحينما استولى السعوبيون على الحكم انضم لصفوف المنتصررين، له قصائد وكتاب ضد الوهابية، ولكنَّه أُخْنِي رأسه بعد سيطرتها، بل أصبح أحد دعاتها المتطرفين. توفي سنة ١٣٦١ أو ١٣٦٢ هـ. انظر شعراء هجر، د. عبد الفتاح محمد الحلو، من ص ٢٨٣ إلى ص ٢٨٨ ، وما تلاها من أشعار.

^{٤٠٦} في شعاء بعد افهان مولى الحكم فيه و قد ١٩، ج ٦.

^{٥٨}«شعراء هجر»، مصدر سابق، من ص ٤٠٥، إلى ص ٤٠٨. وانظر أيضاً عبد القادر، ص ١٨٧.

١٨٨ - ملخص القول في المذهب

٢٠١٣:٥:٤:٦٧٣:٢٠١٣:٥:٤:٦٧٣

^{١٩٣} عبد الفتاح الخطو، مصدر سابق، ص ٨٠٢، ٢٠٠٤.

٦٢) درسه في مصادر تاريخ الجريمة العربية، ص ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، إن سبب إقالة طالب النقيب هو خلافه مع ابن جمعة.. قال: «ويصفون السيد طالب بأنه كان طاغياً مستبداً، حتى ثني المرحوم والدي، أن الصفة جمعته». أي طالب. بمنصور باشا بن جمعة في البآخرة وهو قادم في طريقه لهذه المنطقة، فتحدث معه في مختلف الشؤون، وكان طالب في أثناء حديثه يظهر اعتقاده بنفسه، ويقص عليه حكايات مزّهاً بفنه وطغيانه، فسخر منه منصور باشا، وعلق على حديثه: «إذن لم تلتقي برجل، فوجد عليه وأضمره في نفسه، فلما قدم إلى القطيف وجد الفرصة مهيأة للانتقام منه». فانتهز فرصة غيابه، فقبض على أخيه عبد الحسين، وأعتقله، ثم عمد إلى قصوره بهمها، وساعدته الظروف إذ كانت البلاد في تلك الوقت متقرفة إلى شيع وأحراب. وحين وصل خبر النكبة لمنصور باشا، اتصل بالباب العالي، ورفع قضيته للدوائر العليا، واستصدر أمراً بعزل السيد طالب باشا النقيب، وكان ابن جمعه في وقته أبرز شخصية مقربة للدولة العثمانية في القطيف».. الخ. وأكد آل عبد القادر في تحفته، أن طالب النقيب أُقيل من منصبه وكان عمره يومئذ لم يتعد الثلاثين عاماً.

٦٢، الوثيقة رقم ٤١٦ / ٤١٦، من :السير ن. اوكتور، السفير البريطاني في القسطنطينية بتاريخ ٨/٤/١٩٠٤ «قمة ١٨٤٣-١٩٠٤»، المايكرون لاتسيون، زيد الخاجة.

ويحوي تقرير طالب التالي: «إن الجزء الأكبر والأهم من شعب العراق تخلى عن عقidente السنّي وتحول إلى الهرطقة الشيعية! بسبب جهود المجهدين وعلماء الفقه. ولذا- كما يقول- يتوجب على الحكومة الامبراطورية العثمانية ان تطرد هؤلاء من المراكز الدينية مشهد / النجف، وكربلاء.. ثم يقتصر مشروعها توطينها للبدو، ومعاملتهم بشكل حسن، حتى لا يتحولوا إلى المذهب الشيعي بسبب الظلم.. الخ.

^{٦٤} جلال كشك، المصدر السابق، ص ٣١٥، ٣١٦.

^{٦٥} المصدر السابق، ص ٣١٥، ٣١٦.

^{٦٦} مجلة الدارة، مارس ١٩٨٦، بحث بعنوان «علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز»، يقلل الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير آل سعود، ص ٢٨، ٣٩.

^{٦٧} انظر الوثيقة ٤١٦ / ١٦ FO لعام ١٩٠٤.

^{٦٨} مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٣٠، ابريل ١٩٨٢، وانظر دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٠٣ ، ٢٠٤.

٦٩٠، شقة ترکة صادرة في ٤ تموز-يوليو ١٣٢٢هـ من والي بغداد.

^{٧٠} دراسة في مصادر تاريخ الحذرة العربية، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

^{٧١}، وثيقة تركية مرسلة من مخبر اسمه محمد عبده، الى قيادة الجيش السلطاني السادس في بغداد في ٢٥ آذار ١٩٢٢ هـ، انظر دراسة في، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

^{٧٢} أشياعنا هذه الحادثة في تقديمها للعمدات - اقتباساً، انظر تحفة المستقيدين، ص. ١٨٩، ١٩٠.

- ٧٣، الوثيقة السابقة، ٢٥ آيار ١٣٢٢ هـ .
- ٧٤، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
- ٧٥، المصدر السابق، ص ٢٠٩ .
- ٧٦، المصدر السابق، ص ٢٠٨ ، وثيقة مورخة في ٢١ آب ١٣٢٢ هـ .
- ٧٧، المصدر السابق، ص ٢٠٩ ، وثيقة مورخة في ٢١ تشرين الثاني ١٣٢٢ هـ .
- ٧٨، المصدر السابق، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، وثيقة مورخة في الخامس كانون الأول ١٣٢٢ هـ .
- ٧٩، المصدر السابق، ص ١٩٥ .
- ٨٠، المصدر السابق، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- ٨١، المصدر السابق، ص ٢٠٤ ، وثيقة تركية صادرة عن دائرة الاركان العامة، وموارخة في السابع عشر من كانون أول ١٣٢٢ هـ .
- ٨٢، المصدر السابق، ص ٢١١ .
- ٨٣، المصدر السابق، ص ٢١٧ .
- ٨٤، وثيقة مورخة في ٢١ / ٣ / ١٩٠٥ FO . 416 / 22 .
- برقية من ج.ه. مونهان بالبصرة، الى السفير اوكتور في القسطنطينية .
- ٨٥، راجع الوثيقة السابقة، «الارقام»، ٢٩٧ ، ١٣٧ ، ٢٤٨ .
- ٨٦، الوثيقة ٢٤، ٤٠٦ . FO ، برقية سرية جدا من السير ن. اوكتور، السفير في القسطنطينية، الى وزير الخارجية الماركيز لانزدون، مورخة في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٠٥ .
- ٨٧، تحفة المستفيد، مصدر سابق، ص ١٨٩ .
- ٨٨، تشير معلومات المعتمد السياسي البريطاني في الكويت الى ان حادثة نهب وحرق قرية الشقيق وقع في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر ١٩٠٦ ، اي في الخامس من رمضان ١٣٢٤ هـ .
- اما قرية الحليلة، فهي قرية شيعية كاملة، واما الكلابية والشقيق فيسكنها اخلاقاً من السنة والشيعة .
- ٨٩، بذلك على تقاضة مكتسبات العجمان هذه المنهوبات التي لا تتعدي الحمير الحساوية ذات الشهرة العالمية !، وما وجود العجمان في ضيافة مبارك الا يليل آخر على المساعدة، وقد اعتاد مبارك ايواء العجمان وتوفير الحماية لهم نكارة بخصوصه، وهو ما فعله فيما بعد مع الملك عبد العزيز سنة ١٩١٥ .
- ٩٠، انظر الوثيقة ٣٤٥ / ٣٧١ . FO E 5532، والمورخة في العشرين من نوفمبر ١٩٠٦ .
- ٩١، هذه تتوضح ان احد اسباب شن الهجوم، هو رفض الحامية التركية دفع المبالغ التي يأخذها العجمان، اما لأسباب ترجع الى عدم القدرة، او لأن الأهالي الذين يفترض انهم الذين يدفعون ذلك رفضوا، فتعرضوا للانتقام !.
- ٩٢، الوثيقة السابقة .
- ٩٣، الوثيقة ٣٤٥ / ٣٧١ . FO E 5532، برقية رقم ٨٤ وتأريخ السابع من ديسمبر ١٩٠٦ ، مرسلة من المستكراو «CROW E. F.» في البصرة الى القسطنطينية، وارسل المقيم في الخليج الى حكومة الهند نسخة منها في السادس عشر من ديسمبر من نفس العام .
- ٩٤، لقطة العرب التي ترد في الوثائق البريطانية، يقصد منها البدو .
- ٩٥، الوثيقة ٣٤٥ / ٣٧١ . FO ، من كوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي، بوشهر . الى السير لويس دين، في حكومة الهند، بتاريخ الرابع عشر من اكتوبر ١٩٠٦ .
- ٩٦، الوثيقة ٣٤٥ / ٣٧١ . FO .
- رسالة من المعتمد السياسي في البحرين، الكابتن بريدو .
- الى المقيم البريطاني في بوشهر، العيجور بيريسي كوكس .
- موارخة في السادس عشر من ديسمبر ١٩٠٦ .
- ٩٧، الوثيقة رقم ٣٤٥ / ٣٧١ . FO . رسالة من غولولي الى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٧ مارس ١٩٠٧ .
- ٩٨، المهاشير، فرع من الخوارد الذين هم أقرب القبائل البدوية الى الشيعة، بسبب حكمهم السابق للمنطقة وتفاعلهم مع سكانها، وامتناعهم باهلها، واعتقاد اكثربهم للمذهب الشيعي، ولا تزال صلاتهم قوية حتى اليوم مع الشيعة .. ويقال انبني خالد لم يكن لهم دور يذكر في وقعة الشربة .
- ٩٩، الأذمار الأرجية في الآثار الفرجية، المرحوم الشيخ فرج العمران، المجلد ١٣ ، طبعة النجف .

- الاشرف ، ص ٢٢٠ .
- وانظر ساحل الذهب الاسود ، ص ١٩٢ .
- ١٠٠ «الألعاب الشعبية في القطيف» ، عبد الله حسن آل عبد المحسن ، ص ٥٩ ، ٦٠ .
- ١٠١ «محمد سعيد المسلم» ، ساحل الذهب الاسود .
- ١٠٢ «عبد العلي السيف» ، مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، نقلًا عن مجلة المنهل السعودية ، الصادرة في ٢١٢٨ سنة ١٣٨٨هـ . إجابة من قبل الاستاذ مهدي السويدان على سؤال حول حادثة الشربة .
- ١٠٣ «الألعاب الشعبية في القطيف» ، ص ٧٧ ، ٧٦ .
- ١٠٤ «المصدر السابق» ، ص ٦٢ الى ص ٦٨ .
- ١٠٥ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ٨ أغسطس ١٩٠٨ ، ومرسلة من الأدميرال السير ج. وارنر إلى حكومة الهند .
- ١٠٦ «وثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ١١ أغسطس ١٩٠٨ . برقية من حكومة الهند إلى كوكس في بوشهر .
- ١٠٧ «الوثيقة السابقة» ، موّرخة في ٩ أغسطس ١٩٠٨ ، ومرسلة من الكابتن تريفور ، إلى حكومة الهند .
- ١٠٨ «هذا غير صحيح ، أضف إلى ذلك أن بعض المبالغات شابت المعلومات التي قدمتها المنكرة .
- ١٠٩ «الوثيقة السابقة» .
- ١١٠ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ١٤ سبتمبر ١٩٠٨ .
- مرسلة من القنصل آرثر ب. غري ، إلى السير ج. لوثر في ١٥ أغسطس ١٩٠٨ .
- ١١١ «محمد سعيد المسلم» ، مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
- ١١٢ «الوثيقة السابقة» .
- ١١٣ «الوثيقة السابقة» .
- ١١٤ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ٢٣ مايو ١٩٠٨ . من قائد قطيف إلى الكابتن غود سميث .
- ١١٥ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ١٣ أغسطس ١٩٠٨ . ومرسلة من قيادة البحرية و. غراهام غرين إلى وزارة الخارجية في ١٢ أغسطس ١٩٠٨ . وقد أرسلت القيادة هذه نسخة ومرفقاتها عن الموضوع جاءتها من قائد السفينة «ابوينغ» ، موّرخة في ٨ يونيو ١٩٠٨ .
- ١١٦ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ٢٨١٩٠ E . من الكوماندر غود سميث بالقطيف ، إلى الكوماندر ليتشيفيلد ، بتاريخ ٨ يونيو ١٩٠٨ .
- ١١٧ «الوثيقة السابقة» .
- ١١٨ «هذا يعني أن تقدم السفن البريطانية في وقت سابق لم ينبع رأس تنورة لم يكن لها صفة رسمية ، وإن كان مرضياً عنه من المسؤولين الأتراك المحليين .
- ١١٩ «الوثيقة رقم ٤٢٤ / ٢١٦ FO» ، موّرخة في ١٤ أغسطس ١٩٠٨ .
- وهي رسالة من حكومة الهند إلى الفايكونت مورلي «وزارة شؤون الهند» ، بتاريخ ، ١٣ أغسطس ١٩٠٨ .
- ١٢٠ «محمد سعيد المسلم» ، مصدر سابق ، ص ٩٢ .
- ١٢١ «آل عبد القادر» ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .
- ١٢٢ «عبد العزيز الرشيد» ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٠ . وانظر تاريخ الكويت السياسي ، جزء ٢ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

أطماع السعوديين

في الاحساء والقطيف (١٩١١ - ١٩٠٢)

كانت الأحساء والقطيف تجلبان إنتباه حكام الرياض دوماً، ولم يكن الأمر يقتصر على اعتبارهما ضيعة لهم، فان واحات المنطقة الغنية، والمداخل الجمركية، كان بوسعها أن تعزز الحالة المالية للسعوديين، وتتساعدهم في تحقيق مطامعهم التوسيعة .^(١)

وإقليم الأحساء هو أخصب إقليم في جزيرة العرب قاطبة من حيث غزاره مياهه، وكثرة حاصلاته الزراعية منذ عهد قديم إلى وقت ظهور النفط، وكان يغمر الأقاليم المجاورة له بالتمر والأرز - كما قال الاستاذ حمد الجاسر .^(٢) ومن المعروف أن المنطقة كانت أزهى مناطق الجزيرة العربية حضارة، وأخصبها أرضاً، وأكثرها خيرات، وأقواها صلة بالأقطار المجاورة شرقاً وشمالاً، وكانت مصدر قضاء حاجات سكان داخل الجزيرة العربية على اختلاف أنواعها، حيث كانوا يستمدون منها غذاءهم وكسائهم وسلامتهم وتوابعهم وأنبيتهم، ثم أصبحت بعد تدفق النفط أعظم مصدر للثروة والغنى حيث يرقد تحت ترابها بحار من النفط .^(٣)

واعتبرها «روبرت ليسى»^(٤) : «أنها اليوم أثمن قطعة أرض على وجه البسيطة» .. وكتب مرة أخرى مشيراً إلى أهمية الأحساء بأنها «أغنى مناطق آل سعود» و«أن حقول بترويل المملكة تقع في هذا القاطع الشمالي / الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وقبل قرن كانت تجارة التمور واللؤلؤ هي مصدر غنى الأحساء .. وقد عجل الاحتلال التركي للأحساء من سقوط حكم آل سعود في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، نظراً إلى أن الرياض كانت تعتمد على الدخل من واردات الأحساء لشراء ولاء القبائل .. لذا كان الاتجاه الواضح للسياسة الخارجية السعودية هو مقاومة قوة وأطماع الأتراك العثمانيين - في الأحساء - بعد أن رسم عبد العزيز دعائم حكمه في الرياض في السنوات التي تلت عام ١٩٠٢»^(٥).

وقال في موقع ثالث : «لقد جعلت منطقة الأحساء مزدهرة لدرجة أنه كانت للمنطقة عملتها الخاصة بها : الطويلة .. كانت تتناول الى جانب الروبية الهندية وريال ماريا تيريزا .. ولما حاول الكولونيل بيلي عام ١٨٦٥ تقدير ثروة الامبراطورية الوهابية قرر أن نصف إيراداتها تماماً أنت من المفهوف ومنطقة الأحساء، التي كانت تضم ربع السكان تقريباً .. وكان فقدان الأحساء عام ١٨٧١ بمثابة خسارة مالية كبيرة مُنِي بها آل سعود»^(٤).

واعتبر كشك^(٧) إحتلال الأحساء : «ضربة العمر لابن سعود وآل سعود ، باعتبار الموقع وما تفجر عنه من نفط ومال . حتى وان كانت مكانة الحجاز في العالم الاسلامي لا سبيل لتقديرها مالياً! .. وفعلاً كانت الأحساء ولا تزال بالنسبة للحكم السعودي ، وقبل النفط وبعده ، أهم بالنسبة له من الحجاز ومقدساته ، رغم ما يمثله من ثقل ديني لدولة السعوديين التي قامت على أساس دعاؤ دينية . ولهذا رأينا أن الحجاز سواء في الدولة السعودية الأولى أو الثالثة ، يُحتل بأموال الأحساء والقطيف ! .

لقد كان أمام السعوديين هدفان يجذبانهم نحو الأحساء :
الاول- الثراء الهائل في المنطقة ، حيث عدت أغنى مناطق الجزيرة العربية ، لوجود المياه بكثرة ، وملاءين من أشجار النخيل ، ومساحات شاسعة من حقول الأرز والقمح ، ومحاصيل زراعية اخرى .

وكانت القطيف ، إضافة الى زراعتها ، قد اعتمدت في جانب من ثرائها على صيد اللؤلؤ والاتجار به مع الهند وفارس وال العراق .

الثاني- موقع الأحساء الاستراتيجي ، الذي أغري المستعمرين البريطانيين . وقبلهم البرتغاليين الذين احتلوا القطيف مدة من الزمن ، بل وأغرى الصهاينة حيث تقدم طبيب صهيوني في باريس عام ١٩١٤ بعرض تأسيس دولة لليهود في الأحساء «راجع الملحق» .. ولم يكن غائباً عن ذهن السعوديين حاجتهم الى ميناء يطل على البحر ، إذ أن غير ذلك يجعلهم يختنقون في نجد ، أو يجبرهم على الرضوخ الى سلطات الساحل الأحسائي وغيره ، باعتباره المنفذ الذي يرد اليهم منه حاجاتهم .

يصور لنا فاسيلييف الحاجة السعودية هذه حينما قال مشيراً لاحتلال ابن سعود للمنطقة : «لقد إنزعـت إمارة الرياض من الامبراطورية العثمانية إقليماً غنياً من أقاليم الجزيرة العربية ، وحصلـت على منفذـ إلى الخليجـ من الكويتـ حتى قطر .. ان أهمـية الأحساءـ بالنسبةـ لإمارةـ الرياضـ لاـ تقدرـ بشـمـنـ ، فالـأراضـيـ التيـ كانـ السـعـودـيونـ يـسيـطـرونـ عـلـيـهاـ حتـىـ ذـكـ الحـينـ خـالـيةـ منـ آـئـةـ موـارـدـ طـبـيعـيـةـ . ولـمـ يـكـنـ مـحـصـولـ التـمرـ فـيـ حدـودـهاـ يـكـفيـ لـسـدـ حاجـةـ الحـضـرـ والـبـدـوـ . ولـمـ تـكـنـ الـحـبـوبـ كـافـيـةـ ، وـكـانـ الـإـمـارـةـ بـحـاجـةـ إـلـىـ اـسـتـيرـادـهاـ . وـكـانـ السـكـانـ الـحـضـرـ يـعـتمـدـونـ كـلـيـاـ تـقـرـيـباـ عـلـىـ اـسـتـيرـادـ الـأـقـمـشـةـ ، وـكـانـ الـقوـاتـ

بحاجة الى مشتريات السلاح من الخارج ، وقد أمن الاستيلاء على إقليم الأحساء والحصول على منفذ في الخليج قوة حيوية للدولة السعودية واستمرار تطورها^(٨).

ويلاحظ كل من تسلّى له الاطلاع على التاريخ السعودي ، ولو كان هذا الاطلاع قليلاً موجزاً ، أن الأحساء وواحة القطيف ، كانتا في أول بنود إستراتيجيات الاحتلال السعودي ، فبمجرد أن يسيطر السعوديون على نجد ، أو حتى على جزء منها ، فإنهم يحتلون الخطأ نحوهما ، للسيطرة على مواردهما الضخمة واللازمة في تمويل إحتلالات أخرى.

حدث ذلك في الدولة السعودية الأولى ، فكانت الأحساء المنطقة الثانية التي أخضعت بعد نجد ، وحدث ذلك أيضاً في الدولة السعودية الثالثة ، فإن ابن سعود ، وقبل أن تندلع سلطته خارج أسوار الرياض ، بدأ يفكّر في إحتلال الأحساء ، وكان الملك السعودي مقتنعاً أنه لن يتمكن من إخضاع ابن رشيد وإحتلال حائل - قلب نجد وعاصمته يومئذ - إلا بموارد الأحساء نفسها.

وردت أول إشارات لأطماع ابن سعود في الأحساء ، بعد أقل من شهرين من إحتلاله للرياض في شهر يناير ١٩٠٢ ، حينما طلب ابن رشيد عن طريق مبعوثه الحازمي بطرد المتعاونين الوهابيين مع ابن سعود . أما الأشارة الثانية فهي في إرسال الأخير مبعوثه «عبد الرحمن سلمان» في عام ١٩٠٣ إلى البحرين لمقابلة المعتمد السياسي البريطاني هناك ، وجسّ نبضه حول إمكانية إحتلال ابن سعود للأحساء والقطيف ، وموقف بريطانيا من ذلك ، وما يمكنها أن تقدمه من مساعدة ، وذلك على النحو الذي أشرنا اليه في صفحات سابقة . ولحساسية العلاقة مع الأتراك ، أعطي لخارجية لندن الدور الأكبر في تحديد مستواها مع ابن سعود ، بالشكل الذي لا يزعج الأتراك كثيراً ، ولذا أجل موضوع الحماية التي يطلبها ابن سعود «بمنع الأتراك من هاجنته بحراً اذا ما قام باحتلال المنطقة» الى فترة لاحقة . خلافاً لرغبة حكومة الهند وزارة المستعمرات ، وخلافاً لرغبة السير بيبرسي كوكس ، رئيس المعتمدين في الخليج والمقيم في بوشهر .

في مايو ١٩٠٤ ، تحركت قوات تركية من أربعة آلاف مقاتل من العراق لدعم ابن الرشيد ، فأرسل ابن سعود للمقيم السياسي محتجاً على الغزو ، وطالباً المساعدة والحماية^(٩) .. وفي فبراير ١٩٠٦ عرض ابن سعود إحتلال المنطقة على السير بيبرسي كوكس ، في رسالة له أرسلها عن طريق الكابتن بريدو - المعتمد السياسي في البحرين - بيد مبعوثه مسعود بن سويم ، وقال في الرسالة : «أنه قد استشعر في نفسه الآن قوة تكفي لطرد الأتراك من الأحساء ، وأنه راغب في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية مع الترتيب لـ لها بتعيين وكيل سياسي في الأحساء والقطيف ، شرط أن يكفل الانجليز الحماية من

الهجوم التركي»^(١٠).

وأضاف ابن سعود بصرامة : «انه يريد تأييد الأسطول البريطاني في حملة تهدف الى إخراج العثمانيين من الأحساء ، وبين حاجته الى تلك الأقاليم الذي يصله بالعالم الخارجي ، وعرض مقابل ذلك إمتيازات غير محددة تحصل عليها بريطانيا في بلاده»^(١١).

ورغم أن بريدو لم يشجع العروض السعودية ، إلا أن كوكس حاول عبنا توضيح مزايا التحالف مع ابن سعود للسياسة والتجارة والاستراتيجية البريطانية .. لكن جواب حكومة الهند كان الرفض ، وحدد جون مورلي للسير بيرسي كوكس ، بأن بريطانيا تقتصر عناتها ونفوذها على الساحل^(١٢).

في عام ١٩٠٦ أيضا ، زار كوكس «القطيف» والتى مع زعيمها ابن جمعه في قصر الدرويشية المطل على البحر ، وعرض عليه الحماية إذا إنفصل عن الاتراك ، ولكن الأخير رفض العرض ، ويبدو أنه كان سهلا على بريطانيا تبرير دعمها -لو حدث- لابن جمعة ، بحجة أنه زعيم محظى ، أما ابن سعود القابع في نجد ، فلا يمكن لبريطانيا تبرير دعمها له لاحتلال منطقة اعترف الانجليز «بعثمانيتها».

واستخدم ابن سعود مبارك الصباح ، وكذلك قاسم آل ثاني ، حاكم قطر ، كسعادة بريد لايصال رسائله للانجليز .. ففي أغسطس ١٩٠٦ ، حاول مبارك إقناع المعتمد السياسي في الكويت «الكابتن نوكس» بمزايا وضع ابن سعود تحت الحماية البريطانية ، ومساعدته في احتلال الأحساء .. وبعد شهر واحد ، أي في يوليو ١٩٠٦ ، طلب نوكس -بناء على أوامر من المقيم- من مبارك أن يعرفه بما لديه من معلومات عن الرواتب التي يتلقاها أمير حائل «متعب ابن رشيد» وعبد الرحمن الفيصل آل سعود ، فأبلغه بالتالي :

★ لعبد الرحمن بن فيصل بن سعود ، ٩٠ ليرة تركية كل سنة .

★ لمتعب بن رشيد ، ٢٠٠ كيس أرز ، و ٢٠٠ ليرة كل سنة^(١٣).

كان واضحا من الاستطلاع أن البريطانيين يتدون خطة للسيطرة على كامل التراب النجدي ، وذلك بإغراء ابن رشيد للتعاون معهم ، وإقامة علاقات حسنة مع ابن سعود .. وقد فشلوا في ذلك أيام الحرب العالمية الأولى .

ويذكر كوكس أنه حينما كان يتجلو على الشاطئ الغربي من الخليج في مايو ١٩٠٦ ، سُنحت له الفرصة في لقاء الشيخ قاسم حاكم قطر ، الذي أبدى تعاطفه الواضح مع ابن سعود . وقال أن الأخير قوي بما فيه الكفاية ليخرج الأتراك من نجد والاحساء ، وأضاف نيابة عن ابن سعود ، أن الأخير يسأل الحكومة البريطانية «ما إذا كانت على استعداد لتقديم الحماية له في البحر ، مثلاً فعلت مع مبارك ورؤساء العرب في الساحل ، نظراً لسياسة بريطانيا التقليدية في حفظ أمن الملاحة في الخليج»؟ . وقال قاسم مقتراحا : أن ابن سعود

يمكنه بسهولة مقابلة أي مسؤول بريطاني على الساحل لمناقشة الأمر ، اذا كان ذلك مرغوبا فيه !

رد كوكس : «قلت للشيخ قاسم بأن تلك مسألة لا استطيع أن أقدم له جواباً محدداً ومرتجلأ عليها ، وبدون تعليمات من حكومة الهند»^(١٤) .. فمازال الانجليز يودون لو أنهم لا يكلفون ابن سعود بهذه العملية .

وكان المقيم رغم رده الدبلوماسي هذا مقتنعاً بمزايا التحالف «الرسمي» مع ابن سعود ، واللح على حكومته أكثر من مرة بأن تتبني وتدعم الحكم السعودي .. ففي رسالة كتبها لحكومة الهند في السادس عشر من سبتمبر ١٩٠٦ ، عدد الفوائد او المخاطر التي يمكن أن تتم إذا ما جرى اتفاق رسمي مع ابن سعود ، وهي :

١- إن تجاهل ابن سعود وعروضه لإقامة صدقة مع الحكومة البريطانية ، قد يؤدي إلى تكوين نظرة عادئية لنا .

٢- إزالة القلق لدى مشايخ الخليج الصغار من ابن سعود «فلو أنني إستطعت أن أبلغ أمراء الساحل المهاجرين بأننا على اتفاق معه لانتهي الأمر ، ولكنني لا استطيع ، ونتيجة لذلك سيظل الأماء في حالة مضطربة من القلق والاضطراب» .

٣- إن تأثير ابن سعود سيساعدنا على قمع أعمال القرصنة .
٤- إذا لم تساعد بريطانيا ابن سعود ضد العثمانيين ، فإنه قد يتوجه إلى الاستعانة بدولة أخرى .

وكان من رأي اوكتنور «السفير البريطاني في القدسية» ، أنه لا يمكن الارتباط بابن سعود ، إلا إذا انسحب الأتراك من وسط الجزيرة العربية .. أما الحماية فأن بريطانيا تغامر مغامرة كبيرة إذا ما ساعدته في السيطرة على الأحساء والقطيف .. أما إذا استطاع ابن سعود نفسه السيطرة عليهما ، ففي هذه الحالة فقط يمكن أن ترتبط به الحكومة البريطانية^(١٥) .

وفي أكتوبر ١٩٠٦ ، شعبان ١٣٢٤ هـ ، قدم ابن سعود عرضاً آخر للإنجليز لمساعدته في إحتلال الأحساء ، حيث بعث بالعرض عبر الشيخ قاسم ، وعبر مبارك الصباح ، للدفاع عن وجهة نظره ومطامعه .

وحين وصل العرض إلى الشيخ قاسم من ابن سعود بعد شهر تقريباً ، وفيه «أهـ - أي عبد العزيز - بدأ يرتاب ويشك بأن زعيم الكويت يعرض قضيائاه على حكومة الهند بأسلوب فاتر ! ، كتب الشيخ قاسم إلى الكابتن بريديو ، المعتمد في البحرين ، رسالة مقتضبة وبخط يده ، مؤرخة في ١٩ شعبان ١٣٢٤ هـ ، ٨ أكتوبر ١٩٠٦ ، تقول : «بعد التحيات . إسمحوا لي بأن أقول إنني في حاجة لمقابلتكم في لوصيل『alusail』 ، حتى ولو كان ذلك لمدة ربع ساعة ، فلدي كلمتان فقط أود أن أقولهما لكم شخصياً»^(١٦) .

لكن بريديو لم يستطع مقابلته : «لم يكن بإمكانني الذهاب إلى لوصيل ، خلال

فترة معقولة بعد إسلامي الرسالة، ولهذا أنتبّع عنى مترجمي، السيد إنعام الحق، لزيارة الشیخ قاسم، وأمرته أن يستلم رسالة الزعيم العجوز فقط، والا يعطي أي رد باسمي». وفي ٢٣ أكتوبر ١٩٠٦، الموافق للرابع من رمضان ١٣٢٤ هـ، غادر إنعام الحق البحرين وتسلّم الرسالة، وعاد في اليوم التالي حاملاً نسخة من رسالة ابن سعود.

تقول الرسالة كما كتبها بريدي على لسان الأمير السعودي:

«إن موارد نجد قد استنزفت إلى أبعد الحدود، نتيجة الحروب الداخلية الضروسية الأخيرة، وأن ابن سعود يعُذُّ وحتى الأحساء والقطيف من أغنى ممتلكات أبيه وأجداده الوهابيين في وقت سابق.. ولهذا فهو يتوق شوقاً إلى إستعادة هاتين المقاطعتين، وهو يقترح ترتيب اتفاق سري بينه وبين الحكومة البريطانية، يمنع هو بموجب الاتفاق الحماية البريطانية من أي هجوم تركي يأتي عبر البحر في حال نجاحه في طرد الأتراك، من ممتلكات أبيه وأجداده دون مساعدة خارجية. ومقابل هذه الحماية، سيكون الأمير ابن سعود مستعداً لالزام نفسه باتفاقيات معينة، وبأن يقبل بوجود ضابط سياسي بريطاني معتمد يقيم في بلاطه. كما أنه يرغب في أن يتفق على تفاصيل هذه المعاهدة السرية، وأن يتم بحثها في لقاء عبر عن إستعداده لاجراءه معه». أي بريدي - شخصياً، وقد ينبع شقيقه كممثّل له».

«إن ابن سعود مصمم على القيام بمحاولة لامتلاك الأحساء والقطيف، إذ بدون العائدات الإضافية التي يمكن أن يستوفيها من هذه المناطق^(١٧)، فإنه يقرُّ ويعرف بأنه لن يكون قادرًا في السيطرة على القبائل التي تعتمد على طرق التجارة والحج. وبناء على ذلك فهو يقترح أن ينشد السلطان التركي يأن يجعله متصرفاً على المقاطعتين، ثم يطيح بنير العبودية التركي حالما يرى أن الفرصة مناسبة، وبعد أن يكون قد ثبت قواعده، ووَطَّ أقدامه هناك».

«أما إذا رفض طلبه هذا من قبل السلطان، فسيغير على المقاطعتين بمجرد أن يكون مستعداً لذلك. وبعد أن يستولى عليهما، سيناشد الحكومة البريطانية علنا طالباً حمايتها. وحتى إذا فشل في كل مخططه، فإنه - أي ابن سعود - لن يفشي سر الاتفاق بينه وبين الحكومة البريطانية!^(١٨)، وربما لا يقوم بمحاولته إلا بعد أربعة أو خمسة أعوام أخرى»^(١٩).

هذه الرسالة - العرض - التي قدمها ابن سعود للإنجليز، تكشف لنا الخطوط العامة لسياسة ابن سعود المزدوجة تجاه الأتراك، وتجاه الإنجلترا، وأهدافه من إحتلال الأحساء، وحتى وسائله في تحقيق هذه الأهداف !.

فالرسالة مثلاً، تكشف عن أهمية الأحساء الاقتصادية في تعزيز السلطة السعودية قديماً وحديثاً، وأنه لو لا خيراتها فإنه ما كان بإمكان السعوديين السيطرة على قبائلهم . أما طرق الاستفادة من الأحساء فهي بفرض مزيد من

الضرائب ، مع أن الأحساء والقطيف لم يعلم أحد يومها أنها تحويان كنوز النفط ، وأنهما ستدران في وقت ما نصف مليار دولار في اليوم الواحد ، بينما إرتفعت الإيرادات بسرعة الصاروخ (٢٠) .

مسألة أخرى توضحها رسالة ابن سعود ، جديرة بالتأمل ، فهو يعرض في الرسالة ، أن بإمكانه وحده إحتلال الأحساء دونما حاجة إلى دعم إنجليزي ، ذلك أنه كان يعلم بأن الجنود الأتراك لا يزيدون عن ٥٠٠ رجل في كلتا الواحتين ، وقد ثبتت هجمات بدو القبائل التي حرضها هو ، على المدن والقرى ، هشاشة القوة العسكرية التركية ، وكان ابن سعود على إطلاع كامل بحقيقة أوضاع الأحساء . لكن ما كان يخشاه هو أن ترسل تركيا قوات عسكرية إلى المنطقة عن طريق البحر لاستعادتها ، وبالتالي فهو بحاجة إلى الدعم الانجليزي العسكري والسياسي .

أما المسألة الثالثة والهامة ، فقد أوضح ابن سعود طريقتين للاستيلاء على وأحتي الأحساء والقطيف :

أولها : أن يطلب من الأتراك أن يجعلوه متصرفاً عليهم ، ويحكم باسمهم ، ثم ينتهز الفرصة بعد أن يثبت أقدماته فيطرد الأتراك ، ويعلن الانفصال . وبالطبع فإن هذا المخطط لا يمكن أن ينجح ، وقد رأينا وثائق الأتراك تشير إليه بإصبع الاتهام والتآمر مع ابن صباح (٢١) . ولم يصدق الأتراك مزاعم ابن سعود وتملقاته لهم بأنه يتبع «عظمة السلطان» ، وما كانوا مصابين بالعمى إلى حد أنهم يسلمون ابن السعود الحكم في المنطقة .. ولا يوجد بين أيدينا أية معلومات تشير إلى أن ابن سعود قد قدم هذا الطلب إلى السلطان العثماني . فالأقرب أنه تراجع عن هذا الخيار ، لعدم إمكانية تحقيقه .

وثانيها : الهجوم المباغت على الأحساء وإخراج الترك . وهذا لا يتم إلا في حالة إنهاء القوات العثمانية هناك ، وترتيب أوراقه في نجد ، وكان ابن سعود يتوقع أن يتم ذلك خلال أربع أو خمس سنوات .

وإذاء هذا الخيار الذي رجع من الناحية العملية ، استمر ابن سعود في دفع أتباعه من العجمان وأآل مرة لزيادة هجماتهم على المدن والقرى في المنطقة ، أملا في فرض الأمر الواقع وإحتلالها ، وهو الذي نجح في آخر الأمر ، وكتب للإنجليز طالباً الحماية منهم فور سقوط المنطقة بيده ، فالتحق به بيرسي كوكس في العقير هذه المرة لينسق الأمور معه .

على أية حال ، لم يلق الاقتراح السعودي تحسساً لدى الدوائر البريطانية العليا خاصة في وزارة الخارجية ، ولكن بقيت وزارة الهند والمستعمرات تناقشان مدة من الزمن فكرة تكليف ابن سعود بالمهمة .. واقتصر المعتمد السياسي في البحرين ، الكابتن بريدو ، أن يكون الرد على رسالة ابن سعود كالتالي :

طالما أن الحكومتين البريطانية والتركية، تربطهما علاقات ودية مع بعضهما البعض، فإنه يستحيل على الحكومة الهندية-حكومة الهند البريطانية!.. أن تدخل في أي إتفاق من النوع الذي يرغب فيه الأمير ابن سعود» .. ويضيف بريديو أنه يجب توجيه تحذير لابن سعود بأن لا يتوجه إلى الأتراك حتى لو رفض الانجليز مشروعه: «إلا أنني أسمح لنفسي بأن أضيف إلى هذا الرد تحذيرا للأمير، بأنه يجب أن يكون حريصا على عدم إلزام نفسه بأي صورة من صور الاعتراف بخضوعه للسلطان.. إلا إذا قرر أن يتحمل العواقب، وقد فهمت بأنه لم يفعل شيئاً من هذا القبيل حتى الآن»(٢٢)!

وصل العرض السعودي إلى بيروسي كوكس، ثم مالبث أن تسلم عرضاً مشابهاً من المعتمد في الكويت والذي سلمه له مبارك الصباح . فقد التقى نوكس صباح العشرين من نوفمبر ١٩٠٦ بمبارك الصباح، وقدم الأخير له «سلة» أخبار عن الأحساء والأتراك .

قال مبارك أنه تلقى رسائل من ابن سعود تفيد بأن «المتصرف التركي وبرفقته ١٢٠٠ من الجنود السوريين، وإثنا عشر مدفعاً قد غادروا الأحساء إلى المدينة المنورة في الخامس عشر من رمضان ١٣٢٤ هـ، الموافق للثالث من نوفمبر ١٩٠٦».

ثم قدم عرض ابن سعود لمساعدته في احتلال الأحساء، ضمن تقييمه للأوضاع هناك، فقال: «إن الأحساء في حالة سيئة للغاية، وسيكون عملاً ممتنعاً لو أن ابن سعود استولى على أملاك أبياته وأجداده في الأحساء والقطيف، وعندما يتقدم بطلب رسمي لفرض حماية حكومة جلالة الملك البريطاني».

ولمعرفة نوكس بتوجهات حكومته، لم يعط جواباً واضحاً لمبارك حول العرض المقدم، حيث قال بغموض يحمل الرفض: «إبني لا أستطيع أن أعلق على هذا الاقتراح بأي تعليق على الاطلاق . ولكن وكما يدرك الشيخ تماماً، فإن كل المعلومات عن الاتصالات التي يقوم بها، والتي يقدمها لي، يجري على الفور نقلها لكم . المخاطب هنا هو كوكس..، لتقوموا بدوركم بنقلها إلى السلطات البريطانية العليا، والتي ترسل بدورها من التعليمات ما تراه مناسباً، وأنه سيكون من الغباء بالنسبة لي أن أحاول التكهن بوجهات النظر التي قد تتبناها تلك السلطات»(٢٣)!

وفي الوقت الذي كان يحاول فيه ابن سعود جاهداً للحصول على الحماية الانجليزية، كان يمارس سياسة مزدوجة مع العثمانيين، حيث ينقل مبارك لنوكس بعض أخبار الأمير السعودي التي تسلمها منه، والتي منها: «أن ابن سعود يحتفظ بورقة وقعها ثمانون ضابطاً تركياً يقولون فيها أنهم وجدوا ابن سعود خادماً مخلصاً لجلالة سلطان الامبراطورية، وأنه ساعدتهم في كل ما

يحتاجون إليه قدر المستطاع ، وأن منطقة نجد فقيرة الموارد ، وذات مناخ سيء جدا ، ومياهاها أسنة ، وليس فيها من المؤن والموارد ما يكفي لدعم القوات التركية»! . (٢٤)

ان هذه الورقة - على فرض صحتها وهو الأقرب - تدل على أن القوات التركية فاسدة حتى النخاع ، ولا ت يريد أن تقاتل أو تبقى في نجد ، وأن ابن سعود لا يريد بقاء القوات التركية بحجج غريبة ، مثل أن موارد نجد قليلة ، وكأنه ملزم بإعاثة آلاف الجنود . لقد طلب الأتراك أن تبقى قوة من مائة جندي في بريدة ، ومائة آخرون في عنيزه ، ولكن ابن سعود أصر على أن تبقى قوة لا تزيد عن ٢٥ رجلا في بريدة ، و ١٥ آخرين في عنيزه .

لقد كان بيرسي كوكس من أشد المناصرين لقضية دعم ابن سعود ، لولا أن وزارة الخارجية البريطانية كانت تعيق تحركه ، وكان من المستعجلين في إنهاء الامبراطورية العثمانية ، وقد أفرغ حماسه كاملا حينما عين قائدا لحملة الانجليز على العراق وإحتلاله .. لهذا أرسل اقتراح ابن سعود ، الذي جاء من نوكس في الكويت إلى حكومة الهند طالبا إرسال معتمد بريطاني للبلاد السعودي ، حتى يحفظ مصالح بريطانيا في الخليج ، وربما ساحل الأحساء ، فأجابته حكومة الهند مهتمة من حماسة ، ومؤكدة «بأن مصالح بريطانيا يجب أن تحفظ على الساحل وأن تستمر» ، ولكن ليس بالضرورة أن يتم ذلك عن طريق إرسال الوكلاء إلى نجد (٢٥) .

ثم أرسل كوكس نسخة تفصيلية حول العرض السعودي ، والذي وصله من الكابتن بريدو ، إلى حكومة الهند ، واللح في دعم ابن سعود ، كما حذر من عواقب عدم إعطائه جوابا مقنعا ، وحاول إثارة ضجة بربط الأمر وكأنه إهانة شخصية له ، وقال :

«إن الصعوبة التي أواجهها حاليا تكمن في إيجاد جواب مناسب إلى الشيخ مبارك والشيخ قاسم في قطر ، والذان يتحثان نيابة عن ابن سعود ، وأنا لا أستطيع أن لا أقدم جوابا إلا إذا أردت أن أغرض سمعتي للاستخفاف الشخصي والفضاظة بين الرؤساء المهمتين ، مما يؤدي إلى تعريض عملي للأذى بطرق شتى» .. واقتراح كوكس على حكومة الهند أن تقدم أجوبة جديرة بالاعتماد والمسوؤلية (٢٦) .

بناء على ذلك أرسل نائب الملك في الهند برقية إلى كوكس تخبره بأن حكومة الهند تعد دراسة «منكرة» لمراجعة سياسة بريطانيا في شرق الجزيرة العربية ، وقالت البرقية (٢٧) :

«سنرسل لكم قريبا مراسلة تستعرض الوضع في شرق الجزيرة العربية ، وتقترح أن تنقلوا ريتنا على ابن سعود ، بأن الحكومة البريطانية في حين ترغب في المحافظة على علاقات ودية معه ، طالما أنه يتصرف بطريقة تخدم المصالح

البريطانية ، وتنقق مع التزاماتنا مع الشيوخ العرب على الساحل ، فإنها لا ترى أية ضرورة في الوقت الحاضر لتقديم أي وعد رسمي له بالحماية ، وهو وعد إذا قدم الان - فقد يكون له أثر في دفع وتشجيع المقاومة والمعارضة التركية لمحاولاته في توطيد سلطته ونفوذه . يمكنكم نقل هذا الرد شفهياً بواسطة الشيخ قاسم ، أو بواسطة أي وكيل بريطاني يوصي به معتمدنا في منطقة الخليج الفارسي»^(٢٨) .

والآن لنستعرض ما خلصت إليه المذكرة ، بل الدراسة الشاملة تجاه ابن سعود والأحساء ، والتي سببها إلحاح بيرسي كوكس وخلافه مع وجهات نظر أوكتور وزارة الخارجية ، فهذه المذكرة تخلص إلى :

- ١- ليحتل ابن سعود الأحساء والقطيف ، ثم ليطلب الحماية من الانجلiz .
- ٢- سيقوم الانجليز حينها بمساعدته ، والاحتجاج على أي تحرك عسكري تركي بأن عملهم يُؤدي إلى خلخلة الأمن .. الخ .

لقد أعد المذكرة ثمانية من فطاحلة الاستعمار بناء على رغبة حكومة الهند^(٢٩) ، حيث توضح المذكرة الخطوط العامة للسياسة البريطانية في الخليج والقائمة على عدم التصادم مع الأتراك ، وحفظ مصالح الحكومة البريطانية ، وتطلب بتعديل جزئي في هذه السياسية ، التي تتبعها بحذافيرها وزارة الخارجية ، وتطويرها بحيث تتناسب والأوضاع المستجدة ، وتوافق مع رأي حكومة الهند ، التي ترى أن الأتراك باتوا ضعفاء في نجد ، وقد تأزم حالهم في الأحساء ، في حين أن ابن سعود يرمي بكل قوته نحو الحكومة البريطانية ، بينما يدعم الأتراك بقوة ابن الرشيد .

لقد سبق أن حذر السفير البريطاني في القدسية من إستعداد الأتراك بدعم ابن سعود في إحتلال الأحساء وحمايته من غضب الأتراك .. لكن المذكرة تفتقد بحس إستعماري هذه المخاوف ، وتقول أنه لا بد من مراجعة السياسة القديمة ، وليس بالضرورة دعم ابن سعود لاحتلال الأحساء ، ولكن أن لا نقف بوجهه .. ونلاحظ في المذكرة تعاطفا واضحا مع مطامع ابن سعود ، ولكن السؤال : كيف يتم ذلك دون إستعداد الأتراك؟!

تقول المذكرة : «لقد أصدرنا أوامرنا الضرورية إلى الميجور كوكس لتأمين تقيده والتزامه بخط السياسة العامة .. ولكن في الوقت الحالي فإننا نعتقد بوجوب توضيح أن هناك ما يوحى أن أوضاع الأتراك في نجد أصبحت أكثر صعوبة ، وأنهم أصبحوا غير قادرين على فعل شيء أكثر من المحافظة على مظهر القوة الشكلي في الأحساء ، إذ أوقفوا إلى حد ما التراجع العكسي الذي تم على يد العرب المحليين^(٣٠) . ويحاول الأتراك الآن ، إعادة ترتيب وضعهم هناك بواسطة الجنود اليائسين . كما أن الأتراك اشاعوا بأنهم سيستخدمون البحرين كقاعدة وسيطة لنقل قواتهم ، ولكنهم لم ينفذوا تهدیدهم وأرسلوا

قواتهم مباشرة الى القطيف».

وهكذا تمضي المذكورة في إستعراض إنتصارات ابن سعود في نجد عام ١٩٠٦ ، وتقرر أن الأوضاع تتطور وتتغير ، وبالتالي لا بد من التعاطي مع مسألة الأحساء . فلقد «قدم ابن سعود طلباً محدداً عبر الشيخ قاسم ، من أن بامكانه ترتيب إتفاق تفاهم سري مع الحكومة البريطانية ، يحصل بموجبه على الحماية البريطانية من الهجمات التركية البحرية ، إذا ما نجح في طرد الأتراك من أراضي أسلافه» .

ثم تتحدث المذكورة عن الردود التي أعطيت له ، وتحذر من مخاطر إهمال تطلعات ابن سعود ، لأنّه قد ينجح «في السيطرة على الأحساء والقطيف بدون إعلامنا ، سواء كان بعقد ترتيبات مع الأتراك ليكون ممثلاً لهم في المقاطعتين ، أو إذا إحتلها بجهده الشخصي» .

صحيح : «نحن لا نريد أن تكون القوات التركية قوية معززة في نجد ، لدرجة تؤدي إلى إضعاف تأثيرنا على الكويت والشيوخ الآخرين» ، ولكن «إذا حصل ابن سعود على سلطة غير مسؤولة في نجد والأحساء والقطيف ، فإنه سيؤدي إلى إضطراب في تأثيرنا على سياسة الساحل ، إلا إذا ارتبط ابن سعود بنا بطريقة ما !» .

وتعالج المذكورة مسألة هامة تتعلق بكيفية عمل ابن سعود لاحتلال الأحساء ، من خلال عرضه السابق لاحتلالها ، فقد كتب ابن سعود أنه سيطلب من السلطان العثماني أن يجعله متصرفاً للأحساء والقطيف ، فإن فعل فإنه سينقلب عليه بعد أن يثبتت مواقعه ، وإذا لم يوافق فإن ابن سعود سيعذ نفسه لاحتلالها بالقوة .. وهذا رأي الانجليز في ذلك :

«من غير المحتمل أن يسلم الأتراك السلطة الإسمية في نجد والأحساء والقطيف إلى ابن سعود ، في جوابهم على طلباته التي يعتزم تقديمها للسلطان العثماني (٣١) . وحتى إذا فعلوا ، فإن ابن سعود بقوله ذلك سوف لن يستمر طويلاً ، ولكنه سينتهي أول فرصة للساطحة بالعبودية التركية . وإذا ما أخرج ابن سعود الترك من الأحساء بالخداع والنفاق أو بالقوة ، واستناداً على خياره المقترن ، فإنه لن يستطيع أبداً المحافظة على حكمه هناك طويلاً ، مادام الأتراك قادرين على مهاجمته من البحر» .

لهذا تتصح المذكورة بأنه لا تجب المجازفة بتحويل ابن سعود إلى الانجليز عن طريق السقوط في صراع مع الأتراك .. إلا في حالة واحدة هي : «إذا إستطاع ابن سعود النجاح ورسيخ سلطته في الأحساء والقطيف ، فحينها سيفقى مجبوراً ليتجه نحو الحكومة البريطانية من أجل الحماية ضد الهجمات البحرية .. وحكومة جلالة الملك - البريطاني - ستكون في وضع يمكنها فيه من التفكير فيما تتطلبه مصالحها ، بحيث تنسجم مع تعهداتها مع الباب

العالى . فتتمّ يدها لابن سعود المجبور على أخذها حفاظاً على مصالحه ، ومن الممكن إذا ما أخرج الأتراك من الأحساء والقطيف ، أن تدرس حكومة جلالة الملك فيما إذا كان من الصالح كبح جماح الأتراك ومنعهم من مهاجمة ابن سعود على الساحل ، بحجة أننا مسؤولون عن السلام البحري في الخليج ، وأننا لا نستطيع السماح لحرب أن تتواصل على الشاطئ لتتحقق الضرر بذلك .. وختاماً يقول المذكورة «إن الأتراك لا يجب أن يحوزوا على أي مظهر للسلطة في شواطئ شرق الجزيرة العربية ابتداءً من جنوب الزبير ..» !

لقد جمعت المذكورة رأي وزارة الخارجية ، في عدم التحرش بتركيا بعقد معايدة حمائية مع ابن سعود عدو الأتراك ، وعدم مساعدته مادياً - على الأقل - في إحتلال الأحساء .. وأرضت المذكورة في نفس الوقت عتاة الاستعماريين في حكومة الهند ، بأن ابن سعود سيلقى الحمائية والدعم بعد أن يطرد الأتراك من شرق الجزيرة العربية ، ويثبت أقدامه فيها ، وهذا ما يطلبه ابن سعود تحديداً ! .. إنه يريد حمايته قدر الامكان من الهجوم البحري التركي ، وهذا هو المهم . وقد قدّمت المذكورة سيناريو إتبعت خطواته بذاتها حتى إحتلال ابن سعود للأحساء .

ولكن بقيت مسألة هامة ، لم تحدّها المذكورة ، واختلفت حكومة الهند مع وزارة الخارجية حولها .. وهي : هل يُبلغ ابن سعود بأنه إلى جانب عدم قدرة بريطانيا في الوقت الحالي على عقد معايدة حمائية معه ، فإنها قدر الامكان ستتوفر له الحمائية والدعم إذا ما طرد الأتراك من الأحساء ؟ .

هذه نقطة بالغة الأهمية ، فقد أبلغ شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت - ابن سعود بسياسة الانجلiz هذه ، وحرّضه على إحتلال الأحساء ، في حين كتب لروسانه بأنه نصحه بعدم الإقدام على ذلك ! ، واكتشف رؤساوه الأمر ، وإزاء ضغط وحنق وزارة الخارجية أبعد إلى لندن ، وما هي إلا مدة قصيرة حتى اشتعلت الحرب العالمية الأولى ، فطلب شكسبير على وجه السرعة ليمثل مصالح بلاده في بلاط ابن سعود كأول ممثل لبريطانيا ، وما هي إلا أشهر حتى كان شكسبير هذا يدير مدفعاً لابن سعود ضد ابن رشيد في معركة جراب في يناير ١٩١٥ فُيقتل على يد الشمربيين .

فهناك من أوصل فحوى المذكورة لابن سعود .. هناك من قال له : أن بريطانيا لا تعارض إحتلال الأحساء ، وأنها ستدعمه وتحميـه ، وليس أحد يعرف هذه السياسة سوى المعتمدين البريطانيـين في الخليج .

وهذا ما دفع أحد الكتاب لأن يقول «ورغم أن ابن سعود لم يتلق جواباً بريطانيا حاسماً ، فلم يغب عن ذكائه اللماح موقف الرضا الذي يمكن في ثنياـيا الصمت البريطانيـي . إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عملية كهذه» (٣٢) .

مهما تكن الأحوال، فقد وافقت وزارة الخارجية على السياسة المعدلة الجديدة، وأرسل السفير أوكتور إلى حكومة الهند في الأول من أبريل ١٩٠٧ مؤكداً موافقته، ومعيناً بالنصر بعدم التورط في دفع ابن سعود لاحتلال الأحساء «لأننا اعترفنا بأنها جزء من الإمبراطورية العثمانية» وأن «ابن سعود لم يتعاط بعد مع القوة العسكرية التركية الكبيرة، بسبب الاضطرابات القبلية من جهة، وبسبب سياسة النفاق التي يتبعها تجاه السلطان العثماني من جهة أخرى».

ولكن:

إذا حدث في وقت ما أن ابن سعود قد نجح في تأسيس حكم وسلطة تتمتع بقدر مقبول من الاستقرار، فإنه يبدو من الضروري التفكير فيما إذا كان علينا أن نعرف به كممثل لرغبة شعبه، وربما نفكر في المقدار المرغوب فيه من الحماية لشواطئه قبال الهجوم -التركي - والفرصنة! .
وهنا تتفق رؤية أوكتور مع ما ورد في المذكرة مع إختلاف بسيط جداً، ولكنه ملحوظ^(٣٣).

ومرت السنون، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، وطيف الأحساء وأحلام السيطرة عليها لم يفارق مخيلة الحاكم السعودي، وكلما زادت مشاكله في نجد مع آل الرشيد، إزداد قناعة بضرورة وأهمية الأحساء في تسهيل وتوسيعة الملك السعودي.

في مطلع ١٩٠٩ كانت المشاكل قد تصاعدت في غير صالح آل سعود في نجد، حيث الثورات المتكررة، وإنشقاق العائلة المالكة، وتفرق القبائل عن الحكم الجديد .. في تلك الأثناء كتب القنصل البريطاني في دمشق «ج . ب . ديفي» إلى السير «ج . لوثر» في القدسية بتاريخ التاسع عشر من يناير ١٩٠٩ بيلفه : «أن القوات التي كان ابن سعود يعتمد عليها بدأت تتلاشى إلى حد أنه تخلى عن فكرة القيام بحملة على الأحساء والساحل الشرقي» .. وهذا غير دقيق تماماً ، فالفترة هذه توضح حجم مصاعب ابن سعود ، وقد أشارت الرسالة إلى شيء منها ، حين قالت أن حمود بن سبهان نجح في تقويب وتوحيد فروع قبائل شمر تحت قيادته ، واستطاع إستمالة أكبر عدد من قبائل نجد . وأن ابن سعود قد تخلى عنه قبائل عتيبة ومطير ، وأعلن إستقلالها عن كلا الأميرين في نجد «ابن السعود ، وإبن الرشيد» : وأن قبيلة أسلم ، وهي فرع من شمر ، والتي إنحازت عام ١٩٠٨ إلى ابن سعود ، عادت وانضمت إلى ابن سبهان .

ويرى أحد الكتاب أنه لم يمنع ابن سعود «من تحقيق أهدافه في بسط سيطرته على الأحساء ، إلا إنشغاله في حروبها داخل الجزيرة العربية ، ومنها على سبيل المثال ، ثورة الهزادنة في مقاطعتي الحريق والخرج في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ، وهي ثورة أسرية من جانب المطالبين بالحكم ، وهم الفرع الأكبر من

وفي عام ١٩١١ إحتلت ايطاليا ليبية، فأحدثت هزة كبرى في العالم الإسلامي، لم تستطع دولة الخلافة الاستفادة منها واستثمارها في مقاتلة المحتلين.. ففي اليمن أعلن الإمام يحيى الذي اكتوى بنار حكم الأتراك أنه مستعد لارسال قواته لمحاربة الكفار الإيطاليين الذين أعلنوا حرباً صليبية ضد الإسلام، وظهرت أناشيدهم تقول:

أنا ذاهب الى طرابلس
فرحاً مسروراً لأبذل دمي
في سبيل سحق الأمة الملعونة
ولاحارب الضالة الإسلامية
ساقاتل بكل قوتي لمحو القرآن
ليس بأهل لل Mage
من لم يمت إيطاليا حقاً

وفي مصر تطوع الناس للقتال إلى جانب الأتراك، وراح الشعرا «شوقي وحافظ» وأمثالهما يشعلون الحماس، وشكّلت لجان الدعم والمناصرة، بل أن بعض المبعوثين إلى أوروبا، قطعوا دراساتهم وعادوا للقتال في ليبيا.

وفي داخل العراق أفتى العلماء الشيعة بوجوب الجهاد ضد الطليان، منهم آية الله محمد سعيد الحبوبي، وآية الله محمد كاظم الخراساني، وآية الله عبد الله المازندراني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، وعلى رفيعش، ومحمد حسين القمشة، وغيرهم^(٣٥).

وانتشرت حركة الرفض إلى الأحساء والقطيف، حيث أفتى المجتهد العلامة حسن علي البدر بحمل السلاح ضد الإيطاليين، وقد طبعت الفتوى في كراس حمل إسم «دعوة الموحدين إلى حماية الدين».. وعلى العموم كانت النقمة عامة، في كل أرجاء البلاد الإسلامية، لكن الأتراك استسلموا للهزيمة، وكان ذلك من أكبر الأسباب التي أدت إلى النفور منهم فيما بعد.

أما موقف السعودية، فلأن الكتب السعودية نفسها تشير بوضوح إلى انتهازيته، فالأتراك الذين حاربوا إيطاليا لبعض الوقت لم يلقوا من حاكم الرياض أي تعاطف، بل اعتبر ذلك فرصة مناسبة للانقضاض على الأحساء واحتلالها، وقد فعل.

وحتى مبارك الصباح، اضطر لأن يحيي هامته أمام المشاعر الجياشة التي كانت سائدة يومئذ، فتبرع بثلاثة آلاف ليرة تركية في حرب طرابلس، وأرسلها إلى والي البصرة في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٣٢٩ هـ، مصحوبة بخطاب يعلن فيه «تعلقه بأنصار الدولة وتمتنّيه من صميم قلبه أن يكون لها الفوز على أعدائها، وقال بأنه لا يدخل وسعاً في معارضتها»، وتبرع نيابة عن ابن

سعود، فقال أن لديه -أي مبارك- ستين ألف مقاتل ما بين فارس وهجان بما فيهم ابن سعود نفسه^(٣٦).

وفي نفس العام ١٩١١ ، قدم ابن سعود أكثر من عرض للانجليز لاحتلال منطقة القطيف والاحساء، وعرض عليهم إمتيازات خاصة غير محددة إذا ما حموه باسطولهم البحري، وقدم مبارك هذا العرض للمعتمد السياسي البريطاني في الكويت، حيث أوضح له أن «مصالح ابن سعود لا تتعارض مع مصلحتهم في هذا الموضوع، فكلامها يريد التخلص من الأتراك، وبذلك يتهيأ لبريطانيا تحقيق هدفها دون الدخول في صراع مكشوف مع الامبراطورية العثمانية وإثارة ممالك أوروبا وأماراتها .. أما إذا تولى ملك نجد طرد الأتراك، فلن يتعدى الأمر نطاقاً خاصاً داخلياً محدوداً يعود بالنتائج السارة على الجميع. واقتصر الانجليز بهذا المنطق، وأبلغوا مبارك الصباح أنهم لا يعارضون خطط ابن سعود»^(٣٧).

وفي نفس عام ١٩١١ أيضاً. عام الحرب مع إيطاليا -و رغم برقيات ابن سعود الولائية للعثمانيين فإنه وثق علاقاته مع معتمد بريطانيا في الكويت الجديد (الكاتب شكسبير)، وكتب هذا الأخير تقريراً عن رحلة له في أعماق نجد، بعد أن التقى بابن سعود في معسكره، وادعى بأن اللقاء كان «صدفة»، رغم أنه تم في أعماق نجد، ولكن الوثائق البريطانية نفسها، ما لبثت أن إعترفت بأن الأمر كان مدبراً.

لقد أقام شكسبير في معسكر ابن سعود أيامًا عديدة، وأعد تقريراً ممتعاً عن توجهات السعوديين السياسية، وخططهم المستقبلية . وقال إنه عولج بكرم بالغ، وهو أمر غير متظر كما يقول . دعنا نتابع فقرات التقرير المطول، واحدة، واحدة^(٣٨).

ابتداء يثنى شكسبير على معاملة ابن سعود له فيقول : «لقد عاملني بكرم بالغ، وبأكثر أساليب الصداقة صدقًا، ولم يوفر جهداً ولا عناء لجعل إقامتي عنده في غاية الامتناع، حيث لم يظهر هو ولا إخوته أي أثر للروح المتعصبة يمكن أن يتوقعها المرء من العائلة الوهابية الحاكمة .. كما عولمنا، أنا ومن بي، من قبل مستشاريه وقادته بأقصى ما يمكن من الصداقة والود، وأجابوا على أسئلتي عن بلادهم وعاداتهم ومواردهم، وغير ذلك، بكل الصراحة الممكنة، ومنحت مطلق الحرية للتجول بين الخيام، والتحدث إلى الجماعات والأفراد، دون أن أثير أي مقدار من الريبة أو الشكوك التي يثيرها عادة أجنبى يقيم بين عرب الداخل . وإننى أشعر بالقناعة بصحة هذا الانطباع، لأننى غالباً ما كنت أناقش فى قضائياً العقيدة والعادات والتقاليد والدين، وهي مسائل يعتبر المذهب الوهابي النقاش فيها مع غير الوهابيين من المحرمات . وكانت الإجابات تأتينى هادئة نكية المنطق، دونما أثر لحرارة

التعصب».

«إن هدفي من تدوين ما أوردته أعلاه، هو أن أظهر بأن علاقتي بعائلة آل سعود يمكن أن توصف بأنها من القرب والالتصاق بما لا يدع مجالا للشك في صدقهم وإخلاصهم حول ما دار بيننا .. والحقيقة فانهم إعتقدوا على مناداتي باسم «الأخ»، ولو كنت أخا بالفعل، لما عوملت بشكل أفضل وأكرم، باعتباري واحدا من أفراد العائلة المالكة».

بعد هذا ينتقل شكسبير للحديث عما يخص السعوديين، فالرجل جاء للاستطلاع، وقد أعطوه كل المعلومات التي أرادها .. وقد سأله ابن سعود الكاتب عن العلاقات البريطانية التركية، فأجاب شكسبير على الفور : «قلت له على الفور بأنني لم أت لمناقشة قضايا سياسية ، ولكن لأنتم بالتجول في الصحراء ، ولأقابله إن أمكن .. ولأرى كيف يعيش زعماء العرب في الصحراء ، وإضافة لذلك ، لست مخولا لمناقشة قضايا سياسية معه»^(٤٩).

وبكلمة، أوضح له أنه جاء ليستمع ويسجل المعلومات، فطلب ابن سعود إصغاءه، وأعلن عن سعادته «لتوفّر هذه الفرصة لفتح قلبه كاملا في الحديث»! . قال ابن سعود أنه «أرسل رسولا سريا إلى بوشهر بهدف إستئناف العلاقات القديمة مع المقيم، لكن الرسول لم يحمل أي رسائل ، وكانت التعليمات الصادرة إليه بأن يقابل المقيم شخصيا ، وأن يسر إليه بشكل عام ، بأن ابن سعود يرغب في الدخول في علاقات مع الحكومة البريطانية ، وأن آية علاقة أكثر رسمية من ذلك ، يمكن إجراؤها عن طريق المعتمد السياسي في الكويت» .. وقال أن إسم الرسول «مسحوق»، وأنه افترق عن ابن سعود أواخر يناير ١٩١١^(٤٠).

بعد هذه المقدمة، راح ابن سعود يحدث شكسبير عن تاريخ عائلته ابتداء من أيام إبراهيم باشا قائد الحملة المصرية ، وكيف قام جده تركي بن عبد الله بتأسيس حكمه مؤكدا أن مملكته كانت تضم «الأحساء والقطيف» وهو ما بيت القصيد. ثم تحدث عن إغتيال تركي ، وتولى جده فيصل بن تركي الحكم ، ثم عودة المصريين لنجد بقيادة خورشيد باشا حيث قاموا بأسره ونفيه إلى مصر ، وأكد ابن سعود أن جده فيصل «وبعد محاولة دامت سنوات طويلة نجح في الحصول على عفو عنه ثم عاد إلى نجد» ، وكان أول عمل قام به هو أنه «جدد المعاهدة القديمة مع الحكومة البريطانية .. وصار يتلقى موافقة الأخيرة جزية من سلطان مسقط بلغت ١٥ ألف دولار سنويا».

وأضاف ابن سعود «ومع أن فيصل كان في هذا الوقت على اتصال دائم بالحكومة البريطانية ، فإنه لم يسمح له بمساعدة محمد بن عبد الله آل خليفة في محاولة إستعادة حقوقه في البحرين ، حيث كان المعتمد البريطاني قد عين أحد أفراد عائلة آل خليفة في موقع السلطة .. إلا أن الحكومة البريطانية ، وكيليل على صداقتها لعائلة آل سعود ، عاقبت شيخ البحرين حين تحرك للقيام

بهجوم على أراضي الأحساء والقطيف، والتي كانت أملاكا وهابية في ذلك الحين. وفي ذلك الوقت تقريبا، بدأت بريطانيا تظهر مدى التصاق علاقاتها بنجد، وذلك بإرسالها أحد ضباطها إلى الرياض^(٤)، حيث جدد المعاهدات والصداقات القديمة، رغم أن ذلك لم يكن بموجب وثائق فعلية مكتوبة».

ويستمر ابن سعود في الحديث، كما يستمر شكسبير في الكتابة.

تحدث ابن سعود عن موت فيصل وال الحرب الأهلية بين عبد الله الفيصل وأخيه سعود الفيصل، وكيف أخذ الأتراك الأحساء، ووجه اللوم للإنجليز على سماحهم للأتراك باستخدام البحر للوصول إلى موانئ القطيف، وقد أشرنا إلى ما قاله في حديثنا عن الحرب الأهلية. وأكد ابن سعود مستعرضاً حديثه عن إحتلاله للرياض وحربه مع ابن رشيد والقوات التركية عام ١٩٠٦، حيث إنسبحت أغلب هذه القوات بعد ذلك.

هنا يغرى شكسبير رؤساه بالأتراك منتها ضعفهم : «منذ إخراج الأتراك الأخير هذا، لم تظهر أية علائم على وجود أي سلطة تركية في نجد، واستطاع عبد العزيز أن يوطد سلطانه على مسافة تمتد مسيرة يومين من حائل، حتى الشريط الساحلي للخليج الفارسي، باستثناء الهافوف والقطيف، حيث أبقى الأتراك هناك على بعض الحاميات».

وأوضح ابن سعود بفخر وإعتزاز بالغ «أنه لم يعلن أنه من أتباع السلطان، وأنه كوهابي لا يعترف بالسلطان خليفة على المسلمين^(٥) ، والوهابيون يكرهون الأتراك . كما قال عبد العزيز .. ولا تقل كراهيتهم تلك إلا عن كراهيتهم لشيوخ فارس ، وذلك بسبب الممارسات الكافرة التي أدخلها كلاهما - الفرس والأتراك - على الدين الصحيح النقي الذي أنزل في القرآن !».

وتقول الفقرة التالية من التقرير ما هو أدهى .. فقد قال ابن سعود أنه يستعرض مع شكسبير تاريخ آل سعود على مدى أعوام مدينة «لبيرهن» أن آل سعود كانوا دائمًا على علاقة ودية مع الإنجلiz ، وأنهم كانوا يكرهون الأتراك من كل قلبهـ .. ولكن حين وصل الأتراك عن طريق البحر إلى الأحساء، واستطاعوا المحافظة على مواقعهم هناك ، فإن آل سعود لم يتمكنوا من طردتهم . ولطالما عبر آل سعود عن رغبتهـ للإنجليز - في القيام بأعمال عسكرية ، ولكنهم كانوا يخلصون إلى هذه النتيجة في كل مرة ، بأن حملة عسكرية من هذا النوع ستكون عديمة الجدوى ، ما لم يوضع حد لقدرة الأتراك على جلب قواتهم عن طريق البحر ، وهذا أمر لا يمكن تحقيقه إلا من قبل الانجليز» !.

أما لماذا يكره ابن سعود الأتراك ، ولماذا هو حريص على إحتلال الأحساء ،

فذلك ما يشرحه شكسبير بقوله :

«إن آل سعود يكرهون إحتلال الأتراك للأحساء كراهية عميماء لسبعين

رئيسين :

- ١- لأن المقاطعة تشكل جزء من ممتلكات آل سعود المتوارثة عبر سلالتهم^(٤) .. وهي أغنی تلك الممتلكات على الإطلاق .
- ب- لأن الاحتلال التركي يحرم حاكم نجد من الميناء الطبيعي لممتلكاته ، ويجعل من مهمة الأشراف والسيطرة الحقيقة على القبائل البدوية المنتشرة ما بين البحر والرياض مهمّة مستحيلة ، مع ما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة بالنسبة لازدهار نجد التجاري» .

هذه مبررات إحتلال الأحساء الحقيقة ، وهذه هي أهمية الأحساء لابن سعود قبل عهد النفط ، فكيف بها بعد فورانه وطفيقانه؟! .. إن منطقة نجد بدون الأحساء والخليج ، تصبح كعوض ذابل لا يمكنه المقاومة أو حتى الاستمرار . ويزعم ابن سعود أنه ليس وحيداً - كما أخبر شكسبيـر - في كراهيته للأتراك ، فكل أمراء الجزيرة العربية يتباينون الرسائل وينسقون معاً لطرد الأتراك نهائياً ، ونكر ابن سعود أنه تلقى رسائل من إمام اليمـن بهذا الشأن ، وكذلك من محمد الأدريسي ، وحتى من ابن الرشيد !! .

وهذه مغالطة كبيرة ، وأكبر منها قوله : «إن العرب أصحاب الحل والعقد في الأحساء والقطيف» كانوا فمن طلبوا إليه يرجونه أن يساعدـهم في القيام بثورة عامة شاملة وناجحة في جميع أنحاء الجزيرة العربية ! .

إذا كان الأدريسي فعل ذلك ، فهو أمر ليس بغيرـب أن يصدر منه ، لأنـه تعامل معـ الطليـان ومعـ الانجـليـز وقبلـ اـقدامـهـ ، وطـعنـ دـولـةـ الـخـلـافـةـ فـيـ الـظـهـرـ وـفـيـ أـسـوـأـ أـيـامـ مـحـنـتـهاـ ، حينـماـ هـاجـمـتـ دـوـلـ الصـلـيـبـ أـطـرـافـهـاـ ! .

أما إمام اليمـن ، فلا يـجبـ أنـ تـقارـنـ كـراـهـيـتـهـ لـلـتـرـكـ بـكـراـهـيـةـ ابنـ سـعـودـ لـهـ . كـلاـ .. فـتـكـ مـغـالـطـةـ لـاـ يـجـوزـ المـرـورـ بـهـ مـرـورـ الـكـرـامـ .

إنـ الـيـمـنـ بـلـ الثـورـاتـ ضـدـ الـأـتـرـاكـ الـذـينـ مـارـسـوـاـ فـيـهـ أـبـشـعـ وـأـقـبـحـ مـاـ مـورـسـ تـجـاهـ بـلـدـ مـنـ مـمـالـكـهـ . باـسـتـثنـاءـ العـرـاقـ رـيـماـ .. ولـكـنـ يـحـيـيـ الـذـيـ حـارـبـ الـأـتـرـاكـ مـرـارـاـ لـمـ يـكـنـ إـلـاـ سـيـدـ نـفـسـهـ . دـعـنـاـ مـاـ يـقـالـ عـنـ تـحـجـرـهـ وـرـجـعـيـتـهـ ، لـكـنـ الوـثـائقـ تـثـبـتـ أـنـهـ كـانـ خـصـماـ عـنـدـاـ لـلـأـيـطـالـيـيـنـ وـالـانـجـليـزـ عـلـىـ حـدـ سـوـاءـ .

الـأـمـامـ يـحـيـيـ لـمـ يـمـدـ يـدـهـ لـلـانـجـليـزـ ، لـكـيـ يـحـارـبـ الـأـتـرـاكـ كـمـاـ فـعـلـ إـبـنـ سـعـودـ . وـالـأـمـامـ يـحـيـيـ لـمـ يـسـتـفـلـ ضـعـفـ الـأـتـرـاكـ أـثـنـاءـ حـرـبـهـ مـعـ دـوـلـ أـورـوـبـاـ فـيـ الـبـلـقـانـ وـغـيـرـهـاـ لـكـيـ يـطـعـنـهـمـ ، فـيـقـدـمـ فـائـدـةـ جـلـىـ لـأـعـدـاءـ الـاسـلـامـ .

كـلاـ .. وـالـأـمـامـ يـحـيـيـ لـمـ يـحـارـبـ دـوـلـ الـخـلـافـةـ حـيـنـماـ قـامـتـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ ، وـلـمـ يـقـلـ «لـوـ كـانـ فـيـ بـنـيـ قـطـرـةـ دـمـ تـمـيلـ إـلـىـ الـأـتـرـاكـ لـأـخـرـجـتـهـاـ» .. وـلـمـ يـرـسـلـ تـهـنـةـ لـلـانـجـليـزـ بـاـحـتـالـلـهـمـ لـلـبـصـرـةـ كـمـاـ فـعـلـ إـبـنـ سـعـودـ حـيـنـ أـرـسـلـ لـكـوكـسـ قـائـدـ الـحـمـلـةـ مـهـنـتاـ : «سـيـديـ السـيـرـ بـيـرسـيـ كـوكـسـ ، مـنـدـوبـ بـرـيطـانـيـاـ الـعـظـمـيـ دـامـ عـزـهـاـ .. دـخـولـ جـيـوشـكـ الـانـكـلـيـزـيـةـ الـعـظـيـمـةـ لـلـعـرـاقـ نـصـرـ مـبـينـ لـلـمـسـلـمـينـ ، وـعـزـ

مكين لنا .. عبوديتنا وخدماتنا لبريطانيا العظمى ، وولاؤنا لكم الى الأبد» .
ولم يرسل الامام يحيى ابنه الى لندن مهنتا بهزيمة دولة الخلافة وتقسيم
ديار العرب ، كما فعل ابن سعود عام ١٩١٩ حينما أرسل ابنه فيصل الى لندن
لتهنة الملك جورج الخامس ! .

لا شك أن الامام يحيى كان كارها للأتراك ، كما كره المسلمون ممارساتهم ،
أما أن يتحالف مع دول الكفر ضدهم ، فتلك غلطة لم يرتكبها الامام الذي أثبت
يومها أنه أشرف الحكام المسلمين .. ومن أراد المزيد ، فليراجع الوثائق
البريطانية للسنوات «١٩١٨ - ١٩١٢» .

وهما هو ابن سعود يطلب عبر شكسبير «الحماية الانجليزية» .. خوفا من
«اضطهاد» الأتراك كما يقول .. وهو هو يعلن براعته من دولة الخلافة ، ولكنه
في الوقت نفسه مستعد عن طيب خاطر لأن يرفع العلم البريطاني في القطيف
قبل أن يحتلها .

قال شكسبير على لسان ابن سعود نصا : «ليس لأن سعود أية أطماع في
أية منطقة باستثناء الأحساء والقطيف .. ولكن ما هو أهم من ذلك كله ، هو
أنهم - أي السعوديين - يريدون أن يكونوا على علاقة بالحكومة البريطانية ،
بحيث تتردد الحكومة التركية قبل أن تحاول إضطهادهم ، أو التدخل في
شؤونهم في نجد . وقد قدم عبد العزيز وضع الشيخ مبارك كمثل للعلاقات التي
يرغب فيها مع بريطانيا» . أي معااهدة حماية ، ثم يزايد ابن سعود على مبارك
الصباح ، فكيف يحصل الأخير على الحماية البريطانية وهو أقل من ابن
سعود !! : وأضاف ابن سعود ، أن آل سعود في وضع أفضل من وضع مبارك ،
لأنه لا علاقة لهم بالأتراك على الاطلاق ، ولا يرتفعون علمهم ، كما يفعل مبارك ،
ولا يعترفون حتى بخليفة الاسلام - السلطان .. وهو - أي ابن سعود - ينادى
الانجليز من أجل حمايته على أساس العلاقة القديمة والطويلة ، ولأن الانجليز
يعملون دائمًا من أجل السلام والعدل ، وإذا أعطوا وعدا فيمكن الوثوق بأنهم
يحافظون على وعودهم » !! .. نعم ، والدليل وعود مكمahون للشريف حسين من
جهة ، ووعود الانجليز لليهود بإقامة وطن قومي في فلسطين من جانب آخر ! .
وأظهر ابن سعود ، كما يقول شكسبير في تقريره «استعداداً كاملاً لاستقبال
معتمد سياسي بريطاني ، ولكن بما أن الأتراك يحتلون حالياً المينائيين الوحدين
الذين يخصان الوهابيين (٤٤) ، فلا يسعه إلا الاقتراح بأن يقيم مثل هذا المعتمد
إما في القطيف أو العقير ، بعد أن يجر الأتراك على الجلاء عن الأحساء . وحين
يتم ذلك ، فإنه سيرحب بالعلم البريطاني عن طيب خاطر (٤٥) كدلالة على أنه
لا يخاف من تركيا بعدئذ ، وأن الأخيرة لن تستطيع مضايقته وإزعاجه بعد
ذلك» .

واستمر ابن سعود يقدم إغراءاته ، وشكسبير يسجل : «أضاف ابن سعود

مبيناً أن آل سعود إذا ما سيطروا على الأحساء، وأقام ضابط بريطاني في أحد المينائين ، فإن الانجليز سيسقطون كثيراً من إزدياد النشاط التجاري الذي سينشاً من وجود سلطة مستقرة مؤثرة فعالة ، وسيطر على البيو ، الذين جعلوا طرق التجارة مع الداخل - أعمق نجد - غير آمنة على الأطلال حالياً .

ويلاحظ أن شكسبير يكتب بعاطفة مؤيدة ، وقد أتيحت له الفرصة ليبسأل سؤالاً تتضح فيه سياسة ابن سعود المزدوجة طوال تسع سنوات مع الأتراك ، قال الكابتن : حين إستفسرت عن كيفية توفيقه بين إستلامه لراتب منتظم من الأتراك ، وبين إدعائه الاستقلال المطلق ، قال عبد العزيز : بأن الراتب يعود تاريخه إلى زمن توقيف والده في بغداد ، وكان يدفع له حينئذ كراتب يعيش عليه ، وأنه استمر منذ ذلك الحين كراتب شخصي يدفع لعبد الرحمن ، وأنه لا يزيد عن ستين جنيهاً- ليرة- تركيا سنوياً . أما هو نفسه فلم يتسلم شيئاً من أي نوع طيلة حياته من الأتراك ، سواء كان ذلك أوسمة ونياشين ، أو كان راتباً مالياً ، ويقترح عبد العزيز أن يسمح لراتب والده أن يوقف بعد وفاته .. وأن كل ما تبادله من الرسائل مع المسؤولين الأتراك ذو طبيعة دبلوماسية ، إما لتحقيق جلاء القوات التركية بالظهور بالخصوص لهم ، أو لتخفييف حدة صعوبات ومشاكل أخرى كلما بربت . ولو أن الانجليز - يقول ابن سعود - أبقوا على علاقاتهم القديمة مع آل سعود ، ووضعوهم تحت جناحهم ، وهو ما يرغبون فيه ، لما وقعت هذه التقلبات ، ولا هذه النراiture المصلحية ، ولا كان لها لزوم على الأطلاق ! .. أي ضعونا تحت جناحكم واحمدونا وساعدونا ، وسنعلنها بعند حرفاً على الأتراك .

وأخيراً يقترح شكسبير في تقريره «جمع القادة الرئيسيين في الجزيرة العربية ، والتنسيق معهم للقيام بثورة متزامنة يرأسها أشخاص من ذوي الميول الدينية المتفاوتة ، مثل الإمام يحيى ، والامام الوهابي .. وسوف يؤدي ذلك إلى توحيد العرب إلى أن يتحقق هدفهم !» .

لكن الحقيقة هي أن الانجليز لم يجدوا أصلح من الشريف حسين ، فهو قرشى ، ويدعى الانتساب إلى سلالة الرسول ، وهو حاكم مكة والمدينة اللتين تضمان أقدس مقدسات المسلمين ، في حين أن ابن سعود أصبح بعند تابعاً لأمير مكة ، لأن سمعة الوهابيين بين المسلمين سيئة ، أما الإمام يحيى فبقى على الحياد ، ولم يلوث نفسه بثورة لورنس ! .

ويعتقد شكسبير في آخر التقرير ، وهو في الواقع يقترح : «أنه إذا ما وطّد آل سعود دعائم حكمهم في الأحساء ، وأقاموا علاقات صداقة معنا ، فلن وضعنا سيزداد قوة بدرجة كبيرة ، وستختفي المحاولات التي تجري حالياً لحبك الدسائس والمؤامرات بين زعماء المشيخات المتصالحة وبين الأتراك .. ومما لا شك فيه ، فإن قوة وسلطة ابن سعود في أعمق الجزيرة العربية ، ستجعل طريق

القوافل الى الداخل آمنا الى حد يمكن للتجارة . وهي في معظمها الآن بريطاني أو هندي . أن تستفيد مادياً .

سؤال آخر : ألا يحق للإنجليز ، ولشكسبير شخصياً ، أن يرحبوا بحاكم مثل ابن سعود ، فيأخذ الأحساء ويطرد الأتراك ، ويرفع العلم البريطاني في القطيف ، ويسمح للتجارة البريطانية في الخليج بأن تجني أرباحا طائلة .. فوق هذا يدفع بمشائخ الساحل أن يتزموا حدهم ، فيرتمون أكثر في الأحضان البريطانية ، ويشجع على الثورات ضد الأتراك ، إلى أن تسقط الامبراطورية العثمانية وتتوزع أسلاء تقاسمها ممالك أوروبا الصليبية !^(٤٦) .

هو امش

- ١٦، فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٢٣، ٢٢٤.
- ١٧، آل عبد القادر، مصدر سابق، المقتمة، ص ٢٠.
- ١٨، المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، جزء ١، حمد الجاسر، ص ٤٢، ٤٣.
- ١٩، المملكة، روبرت ليسى، ترجمة دهام عطاونة، ص ٧٤.
- ٢٠، المصدر السابق، ص ٤٨.
- ٢١، المصدر السابق، ص ٧٣.
- ٢٢، جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
- ٢٣، فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٣.
- ٢٤، كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٣. وناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٢٦. وانظر التطور السياسي لقطر، مصدر سابق، ص ٢٠٢، حيث يقول المؤلف أن ابن سعود «استفاد بالحماية البريطانية».
- ٢٥، عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.
- ٢٦، العقاد، مصدر سابق، ص ١٩١. وانظر: جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ٣٠٥.
- ٢٧، وايضاً مجلة «الدارة»، مارس ١٩٨٦، ص ٣٩.
- ٢٨، عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.
- ٢٩، انظر الوثيقة رقم ٣٤٥ FO. 371 / 345، رسالة من الكابتن نوكس بالكويت، إلى الميجور بيرسي كوكس في بوشهر، بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٠٦. وقال نوكس في رسالته «وبينما كنت أناقش هذا الامر مع الشيخ مبارك، إلتقت إلى فجأة وقال: لقد سألكتني عن مخصوصات ابن رشيد وإن بن سعود، ولكنك لم تسألي عن مخصوصاتي؟.. قلت له: بالتأكيد إنك لا تقاضي أي شيء؟.. أجاب: بالطبع، ولكن السلطات التركية في البصرة تضغط على تقبيل المخصوص، وبدلاً من ذلك، أنا الذي أقوم بالدفع للأتراك، فحينما يطلبون مني مائتي ليرة تركية، أرسل لهم ستمائة. لقد أخبرتهم في إجابتي على إلحاحهم، بأن قطع الحكومة للراتب صار مصدراً للشرف، ولذلك لم يعد يغريني قبوله. الحمد لله أنا أملك سالاً كثيراً».
- ٣٠، انظر الوثيقة ٣٤٥ FO. 371 / 345، رسالة من نوكس إلى المقيم كوكس في السانس عشر من سبتمبر ١٩٠٦. وانظر أيضاً: جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، من ٣٠٧.
- ٣١، جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، مصدر سابق، ص ٢٠٦.
- ٣٢، الوثيقة ٥٥٣٢ E 371 / 345، FO، مؤرخة في الثامن عشر من فبراير ١٩٠٧.
- ٣٣، من المعتمد السياسي في البحرين، الكابتن ف. ب. بريدو.
- ٣٤، إلى المقيم السياسي في الخليج - بوشهر، السير بيرسي كوكس.
- ٣٥، تاريخ الإرسال في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦.
- ٣٦، لا يلاحظ أن ابن سعود، وقبل أن يستولى على الأحساء يفكر في كيفية استقلال أهلها وثرواتها، فهو لا يتحدث فقط عن الزكوات والضرائب المعتادة، وإنما يتحدث عن عائدات اضافية فوق كل ذلك. ونحن نقدم هذا النص من الرسالة إلى كل أولئك الذين بالغوا في الحديث عن إضطهاد الاتراك الاقتصادي للسكان، وأن ابن سعود جاء لينقذهم من ذلك، خاصة للاستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو علية، ولفاسيلييف الذي يقول «كان سكان الأحساء الذين أرهقهم ابتزاز الاتراك وظلمتهم ينظرون إلى التجاريين كمنقذين» انظر ص ٢٤١ من كتابه، فحصول من تاريخ العربية السعودية.

- ١٨، علامة التعجب موجودة في الأصل، وهذه من عنتنا!!! .
- ١٩، الوثيقة السابقة، وانظر ملخصا لها في كتاب التطور السياسي لقطر ص ٢٠٣ ، وكتاب قيام العرش السعودي ، ص ٣٢ . وايضا تاريخ الاحسنه السياسي ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- ٢٠، جلال كشك ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .
- ٢١، أصدر السلطان العثماني في عام ١٣٢٢ هـ، أمرا بالانعام على ابن رشيد بلقب قائد عام العسكر والمجاهدين في نجد والزبير، إعترافا منه بفضل ما قام به من أعمال حربية ضد الانجليز .
- ٢٢، الوثيقة السابقة، من بريديو الى كوكس، رسالة مورخة في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦ .
- ٢٣، الوثيقة ، FO 25532، E 371 / 345، رسالة من الميجور نوكس، المعتمد السياسي في الكويت، الى الميجور بيرسي كوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي، بوشهر، مورخة في العشرين من نوفمبر ١٩٠٦ .
- ٢٤، الوثيقة السابقة .
- ٢٥، الوثيقة السابقة، E 5532، رسالة رقم ٢٧١٩، تاريخ ٢٤ نوفمبر ، ١٩٠٦ .
- ٢٦، الوثيقة السابقة .
- ٢٧، الوثيقة السابقة، E 5937، تاريخ ١٥ فبراير ١٩٠٧ . من نائب الملك في الهند، الى المقيم السياسي في بوشهر .
- ٢٨، انظر احمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٣٠ ، ١٣١ . والاسلام والوثيقة السعودية، ص ٢٧ . وانظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، الجزء الأول، ص ٢٠٨ .
- ٢٩، انظر المذكرة في الوثيقة رقم ٣٤٥، FO 371 / 345، وقد أعدت حكومة الهند المنكرة في الحادي والعشرين من فبراير ١٩٠٧ ، وقدمت الى جون مورلي .. أما الثمانية فهم :
- ١ / E . N . Baker .
 - ٢ / C . H . Scott .
 - ٣ / H . Adamson .
 - ٤ / J . F . Finlay .
 - ٥ / Minto .
 - ٦ / D . Ibbetson .
 - ٧ / Kichener .
 - ٨ / H . E . Richards .
- ٣٠، اشارة الى حادثة الشقيق وحرقها من قبل العجمان .
- ٣١، أرسل الكابتن بريديو الى كوكس في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦ حول إشاعة تربت في البحرين بيان الحكومة التركية، وبعد أن وجدت نفسها غير قادرة على تحصيل العائدات في القطيف والاحساء، وبعد أن وجدت أن الأهالي فيما يمليون الى ابن سعود، تذكر بدعة هذا الأخير الى تسلم منصب المتصرف فيما بإسم السلطان .
- انظر الوثيقة E. 5532، FO 371 / 345، ولاشك ان هذه الاشاعة من تصدير ابن سعود نفسه، خاصة وأنها توحي بأن ابن سعود سيستلم الحكم ليأخذ العائدات التي لم تدفع للاتراك ! .
- ٣٢، خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٣ .
- ٣٣، يذكر حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين، ان العرض السعودي للانجليز حول احتلال الاحساء، قد تم سنة ١٩٠٧ . وربما كان ذلك إشتباها منه، بسبب أن مناقشة العرض استمرت إلى ذلك العام . انظر كشك ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ .
- ٣٤، عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٣ .
- ٣٥، لعل من المناسب أن نورد نموذجا من فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد ضد الإيطاليين، وإليك نحن إحداها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المسلمين الموحدين، ومن جمعتنا وأياتهم جامعة الدين، والاقرار بمحمد سيد المرسلين .
السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد، والمدافعون عن الدين، والحافظون لبيضة الاسلام .
لا يخفى عليكم أن الجهاد لنفع هجوم الكفار على بلاد المسلمين وثغوره، مما قام إجماع المسلمين،
وضرورة الدين على وجوبه. قال سبحانه : «أنفروا خفافا ثقالا وجاهوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله» .. هذه كفرة إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب، التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها،
فخرموا عاملها وأبدوا أبنيتها، وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها. ما لكم تبلغكم دعوة الاسلام فلا تجيبون،

وتوافقكم صرحة المسلمين فلا تعتنون، انتظرون ان يزحف الكفار الى بيت الله العرام، وحرم النبي، والائمة عليهم السلام، ويمحوا الديانة الاسلامية عن شرق الارض وغربها، وتكونوا معشر المسلمين اذل من قوم سبا؟.

فالله الله في التوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في نواميس الدين، وقواعد الشرع العبين، فما بعد التوحيد الا التثليث، ولا بعد الاقرار بمحمد «ص» الا عبادة المسيح، ولا بعد استقبال الكعبة الا تعليق الصليب، ولا بعد الاندان الا قرع النواقيس.

فيادروا الى ما افترضه الله عليكم في الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، واجمعوا كلمتكم، وابنوا اموالكم، وخذنا حذركم (واعدوا لهم ما تستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، لثلا يفوت وقت الدفاع وانتم غافلون، ويقتضي زمن الجهاد وانتم متباكون (وليمدح الذين يخافون من أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم).

التقييعات : ١ / خادم الشريعة المطهرة، محمد كاظم الخراساني - ٢ / الأحرar الجاني، عبد الله المازندراني - ٣ / الجاني، شيخ الشريعة الاصفهاني - ٤ / الأقل، علي رفيش - ٥ / أقل خدام الشريعة، محمد حسين القمشة - ٦ / أقل خدام الشريعة الغراء، حسن بن المرحوم صاحب الجواهر - ٧ / الأحرار الجاني، السيد على التبريزى - ٨ / الأقل الجاني، مصطفى الحسيني الكاشاني - ٩ / الراجي عفو ربه الغفور، محمد جواد الشیخ مشکور - ١٠ / الراجي عفو ربه الغفور ، محمد جواد الشیخ مشکور - ١١ / الأحرار، جعفر بن المرحوم الشیخ عبد الحسن - ١٢ / بسم الله الناصر المعین .. وبه انا وكل مسلم نستعين، محمد سعيد الحبوبي .
تجد هذه الفتوى في كتاب «دعوه الموحدين إلى حماية الدين» للعلامة الكبير، المجتهد الشيخ المرحوم حسن على البدر القطيفي، وكان قد فرغ من تسجيل فتواه في العشرين من شوال ١٣٢٩ هـ، الموافق للثالث عشر من أكتوبر ١٩١١.

٢٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٠٠ . وينكر حسين خلف الشیخ خزعلي في كتابه تاريخ الكويت جزء ٢، ص ٨٦-٨٥، أن يبارك ارسل الى ابن سعود أن يعني هو الآخر هامته، في كتاب وجهه اليه، فلما بلغ ابن سعود الكتاب ارسل هذه البرقيات .

«اعتاب الخلافة .. عبوديتها وخدماتها لمقام الخلافة الاسلامية معلومة وثبتت، عند اولياء الامر، وان سكان جزيرة نجد عموماً قبلها وقبلها قد تحركت النخوة العربية في عروقها، حين ما بلغهم اعتداء الطفافات الطليان، جعل الله كيدهم في تحورهم، وألصان الدولة الاسلامية من تجاوزاتهم، وجمينا على استعداد للدفاع عن الدولة بسيوفنا واموالنا وارواحتنا، ومتضررين الاشارة من مقام الخلافة، والامر لكم .

خادم الدولة امير نجد ورئيس عشيرتها
عبد العزيز السعودية .

وأبقى الى المصدر الاعظم سعيد حلمي : «اليوم نفتخر نحن مع سكان نجد بتوجيه الصدارة لعهديكم، واننا املين في تسوية المشاكل الحاضرة بهمكم المشهورة، واننا على استعداد لمساعدة الدولة بأرواحنا ومتضررين امركم السامي» .

وابرق الى نظارة الداخلية ونظارة الحربية برقيتين بالمعنى المذكور .

٢٧) عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولاد ملكة، بنيا ميشان، ترجمة عبد الفتاح ياسين ، ص ١١١ .
وانظر خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٢ .

٢٨) الوثيقة 20868 E، تقرير من الكابتن شكسبيير في الكويت، الى الميجور كوكس في بوشهر ، ومن كوكس الى مكماهون . وهناك نسخة من التقرير ، وهي الاصلية في مكتب الهند India Office ، محفوظة تحت رقم ١٧ - C . NO . 25 , ١٥ / ٥ . O . R . I .

وانظر روبرت ليسى ، مصدر سابق، ص ٧٠، ٣٩ .
٢٩) مجلة الدارة، مارس ١٩٨٦ ، ص ٤٠ .

٤٠) قال العقيم السياسي في بوشهر، السير بيرسى كوكس، معلقاً على هذه الفقرة من التقرير ، في رسالة الى السير هـ . مكماهون بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١١، ان مسحوق هقدم نفسه علينا في بوشهر، قبل حوالي ستة اسابيع-بداية مارس- حاملا رسالة شفوية، قال انها اتية من ابن سعود . ورغم ان ملامح مسحوق واسلوبه كانا يوحيان بصدق إدعائه، فإنه لم يكن يحمل أية اوراق اعتمد تعرف هويته، بحيث لم تتمكن من معرفة شخصيته الحقيقة، وعلى هذا الاساس عاملته بحرصن وحضر المرتبا، ولم ازد على ان اصدرت تعليماتي بأن يزود كفريج عربي بكل ما يحتاجه من الطعام، بانتظار مفادرته البلاد عائداً من حيث أتي على ظهر اول مركب يقاد ببوشهر ! .

٤١) اشارة الى زيارة لويس بيلي .

٤٢) كتب عبد الرحمن الفيصل من الكويت قبل ان يغادر الى الرياض، رسالة الى السيد رجب النقبي في الخامس من صفر سنة ١٣٢٠ هـ يعلن فيها «انتا خدام محسوبين على الدولة العلية»، و «انتا لم نلغا الى

أحد الآلى لله تعالى ثم إلى عدالة أمير المؤمنين أيام الله ملوكه .. وكان عبد الرحمن قد أرسل للتو طالباً من المقيم البريطاني في بوشهر الحماية والعون .. وقال عبد الرحمن للنقيب «أختنا ننتظر تعطافاته الملكية بأن نعطيه من المعاش ما يقوم بأحرازنا» وانحن في كل مكان وحال من الأحوال تؤدي الخدمات لحضوره أمير المؤمنين، بانلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، متلقين إلى أوامر الدولة العلية ، فنرجو من مرحوم وتفضلات واحسان حضرة أمير المؤمنين بحلول انتظاره علينا ... واجراء ما تفضل به من المعاش» .. انظر تاريخ الكتب، عبد العزيز الشيد، ص ١٧٩.

٤٣) ليس لأن سعود حقوق متوازنة، بمنطقة الاسلام، وبمنطق الواقع كما سيتبين ذلك لاحقا.
٤٤) على أي منطقة استند قول إن ميناء العقير والقطيف يخصان الوهابيين، فإن كان بمنطق ملك الآباء والأجداد، فأهل المنطقة أولى منه بهما، لأنهم سكانها وحكامها قبل آبائه وأجداده . وحتى السلطان العثماني، بإمكانه أن يغلب ابن سعود إذا استخدم هذا المنطق، لأن آبا عبد الحميد الثاني أخنو الأحساء منذ القرن العاشر الهجري، وبعد مائة وخمسين سنة، أخذها آل سعود . وإن كانت المسألة تعتمد على منطق الغلبية والقوة والفتح، فالمنطقة بيد الأتراك الآن، وإن كان بمنطقة الاسلام، فلا الحكومة التركية ولا السعودية تقومان على الشيء ونظامه.

٤٥ ينقل حافظ وهبة، مستشار ابن سعود، وسفيره المفوض في لندن، هذه الحكاية : «الذى قبل اربع سنوات - اي في عام ١٩٣٠ - أخذ شيخ البحرين، عن حقيقة ما أشيع من أن جلاله الملك سعيد قبل تعين أحد القنصلات في القطيف والأخساء، فقلت له أن الاشاعة غير صحيحة . ولكن ماذا يمنع من ذلك ؟ فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاد السلام . ان الرأي الانجليزية ما رفعت على بلد ، لا وأعقبها الاستسلام عليه ، ولقد رأيت ما صنعوا بالبحرين .. انه في خمسين سنة قضوا على كل ثروة لشئخ البحرين .

والحقيقة ان الرأي لم يترقب في القلبي، وانما رفعت منذ وقت مبكر في العاصمه السيسية للمملكة السعوديه في جده. وعلى آية حال لا تحتاج الأمور دالها الى رياض مرفوعة، فوسائل الاستثمار كثيرة.
 ٦٤؛ هذا التقرير المطول لشكسبير، والذي استعرضناه في الصفحات السابقة، لا يشير له الكتاب السعوديون ولا يغرضون له إن ارداوا. إلا لاما، ففتلا يقول جلال كشك، الذي ينشر كل الوثائق الانجليزية وحور مقتطفاتها الى صالح السعوديين، يقول حول التقرير: أنه في عام ١٩١١ اجتمع شكسبير مع ابن سعود، وتحدث معه عن كراهيه للاتراك واستيائه الشخصي من إحتلالهم للاحساء، الاقليم الذي كان ابن سعود شديد الاهتمام باسترداده، ليس فقط لأنه من أملاك أبيه، بل لأنه يعطيه منفذًا على البحر، ويمكنه من السيطرة على القبائل في المنطقة الممتدة من الرياض الى الساحل.. وأشار كشك الى أن ابن سعود عرض على شكسبير انه في حال استرداد الاحساء، فسيربح بقىوبل وكيل بريطاني في أحد موانئ الاقليم.. وأن الأخير رد بأن الحكومة البريطانية تحصر اهتمامها في الساحل. الساحل لا بد ان يشمل الاحساء والقطيف.. ولم تنتزع تركيا ابدا في سياقها على وسط الجزيرة، الخ.. انظر السعوديون والحل الاسلامي ص ٣٤١-٣٤٢.

ويرى المستشرق الروسي إيليكسي فاسيلييف، أن مباحثات ابن سعود وشكسبير، كانت ونية واتفاق معه على التعاون، وتخلّى حاكم الرياض عن كل الادعاءات في مسقط وعمان، وتقرر أن يسيطر على الأحساء والقطيف وجزيرة دارين ومرفأ العقير، وأن يحول الانجليز دون تدخل آلية دولة من جهة البحر، انتظر، فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٣٤.

وأشار خالد السعون، في صفحة ١٤٢، إلى اللقاء بقوله، إن ابن سعود «استغل فرصة اجتماعه بالوكيل السياسي البريطاني في الكويت، في ربیع الثاني ١٣٢٩هـ-ابریل سنة ١٩١١، فعرض عليه الفكرة. فكرة احتلال الأحساء... والمح له بما سيعود على بريطانيا من فوائد فيما اذا وقفت بجانبه عند تنفيذ خطته المزعمة... ورغم انه لم يتلق جواباً بريطانيا حاسماً، فلم يغب عن نكائه اللماح موقف الرضا الذي يمكن في شباب الصمت البريطاني... إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي تستعود عليها من عملية كوهنهذه... وبعد ذلك يضم المؤلف اشارة عابرة للوثيقة او التقرير الذي كتبه شكسبيسر نفسه.

٩

المراحل الموجة ..

ما قبل الاحتلال (١٩١٢ - ١٩١٣)

بحلول عام ١٩١٣ تجمعت كل الظروف الإقليمية والدولية والمحلية المساعدة لتجعل عملية إحتلال الأحساء من قبل ابن سعود سهلاً يسيرة، بل لم يحدث أن لاحت ابن سعود منطقة بأسهل منها .
وهناك جهات أربع يهمها إستطلاع أوضاعها، عشية الاحتلال السعودي لها، وهي الأتراك، وإبن سعود في نجد، والأهالي في الأحساء، والإنجليز في الخليج .

بالنسبة للأتراك، يتفق المؤرخون والكتاب بالاجماع تقريباً على أن إبن سعود يستغل إنشغال دولة الخلافة في مشاكلها الدولية، وحربها مع الغرب في أوروبا ، والتمردات التي واجتها هناك ، ليقوم بمباغة الأتراك من الخلف ، وهم في أقصى حالات الانشغال والضعف . وينسب بعض المؤرخين سبب تأجيل إبن سعود لاحتلال الأحساء حتى هذا الوقت ، أنه جاء بناء على نصيحة من مبارك الصباح حاكم الكويت ، وبعدهم نسبه إلى الإنجلiz ، ومهما كان الحال فان الأمر سيان ، مع أننا لا نعتقد أن إبن سعود يقل ذكاء ودهاء عن مبارك .. وسنقتطف فيما يلي فقرات متعددة مما قاله المؤلفون - أكثرهم من المؤيدية - حول استغلال إبن سعود للضعف التركي هذا .

١ - تحت عنوان «تحرير المنطقة الشرقية» ، كتب أحمد عَسَّه ، بعد أن يتحدث عن كيفية سيطرة إبن سعود على القصيم : «واليوم نجد عبد العزيز في عام ١٩١٣ / ١٣٣١ هـ يغتنم فرصة إنشغال الدولة العثمانية في حرب تشتبك فيها مع إيطاليا من أجل السيطرة على ليبيا ، وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، ليقوم بتحرير مقاطعة الأحساء ويستردتها من الدولة العثمانية» .^(١)

٢ - قالت حفيدة الملك السعودي في دراسة لها^(٢) : «في عام ١٩١١ هاجم الإيطاليون طرابلس الغرب ، وما كادت تنتهي الحرب الإيطالية التركية فيها حتى نشببت حروب البلقان الأولى ١٩١٢ ، بينما انفجر الصراع بين آل الرشيد في

حائل، وهكذا توفرت الأسباب التي جعلت غزو الأحساء فرصة مواتية». وتلقيت قائلة: «وتعتبر الأحساء المنفذ الطبيعي لنجد إلى الخليج العربي والخارج، بالإضافة إلى مصادر الدخل منها، ولذلك كان عبد العزيز يتطلع إلى اليوم الذي يسير فيه لاسترداد الأحساء، وقد جاء هذا اليوم في جمادى الأولى ١٣٢١هـ، ١٩١٣م، مستفيداً من ضعف الدولة العثمانية نتيجة حربها ضد الإيطاليين وفي حروب البلقان، وأضطرارها لسحب جزء من حامياتها في الهافو»^(٣).

٣- وكتب بنوا ميشان^(٤): «ضمن ابن سعود حياد الانجليز!، ولكن خوض معركة ضد الأتراك لم يكن مع تلك مأمون العوائب، فنصحه الأمير مبارك الذي كان على إطلاع وثيق على ما يدور في الأستانة، بالتراث وترقب الفرص.. وصدق حدس مبارك بأسرع مما كان يتوقع، ففي نهاية العام-تشرين الثاني ١٩١١- هاجم الإيطاليون طرابلس الغرب، ولم تنته الحرب التركية/ الإيطالية حتى نشب حرب البلقان الأولى-تشرين الأول ١٩١٢م.. وزحف الصرب إلى سالونيك والبلغار إلى الأستانة، وأصبح الأتراك بحاجة إلى كل واحد من جنودهم.. وأدرك ابن سعود أن ساعة العمل قد أزفت».

٤- وكتب آخر^(٥): «يبدو أن ابن سعود أجل تنفيذ عزمه استجابة لنصيحة مبارك له، بانتظار انتهاء فورة النشاط التي يتسم بها نظام الحكم العثماني الجديد.. ولقد صدق ذلك الحدس، إذ تبدد ذلك النشاط في مواجهة مشاكل دولية عويصة، مثل الحرب العثمانية/ الإيطالية سنة ١٣٢٩هـ، ١٩١١م، وال الحرب البلقانية سنة ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م. فاستغل ابن سعود الفرصة السانحة وعبأ قواته في ربيع الأول ١٣٣١هـ-فبراير سنة ١٩١٣م، وتحرك صوب الأحساء بحجة إخماد بعض الفتنة القبلية هناك. ثم فاجأ القوات العثمانية في الهافو وأجلتها عن طريق البحر في أبريل ١٩١٣م- جمادى الآخرة سنة ١٣٣١هـ..، بعد قتال طفيف لم يزد عدد ضحاياه عن خمسة وعشرين رجلاً».

٥- وكتب خامس: «وترجع أسباب هذا الانتصار السريع لابن سعود في فتحه المفاجيء للأحساء، إلى إنشغال الدولة العثمانية في حروبها في البلقان، إذ لم تزد قوات الأتراك في الأحساء على نحو أربعينائة رجل»^(٦).

٦- وقال الدكتور العقاد: «في سنة ١٩١٣م، تهافت الظروف لغزو الأقليم، فالعثمانيون يواجهون صعوبات في البلقان، وقد اضطروا إلى إنقاذه حامياتهم في أطراف الدولة الأخرى حتى قدرت في الأحساء بنحو ٤٠٠ رجل...، وفي مايو^(٧) شنَّ غارة من غاراته المفاجئة على الحاميات العثمانية، فلم يصادف مقاومة تذكر»^(٨).

٧- وكتب الاستاذ ناصر الفرج: «كما خططت بريطانيا لابن سعود إحتلال الأحساء والقطيف، فقد وقت له هذا الاحتلال وحدته، في الوقت الذي كانت

فيه الدولة التركية تحشد كل جيوشها وطاقاتها العسكرية لصد الزحف المتواالية عليها في البلقان، وفي الوقت الذي تتعرض فيه سالونيك والأسننة للسقوط بيد الصرب والبلغار.. وقد فاجأ ابن سعود تركيا بأحداث لم تكن تنتظرها في الخليج، ولم تكن في حال تمكّنا من إستعادة سلطتها الفعلية على منطقة الأحساء»^(٩).

٨- وأشار الاستاذ جمال زكريا قاسم الى ان «إنشغال الدولة العثمانية في البلقان كان مما ساعد عبد العزيز على فتح الأحساء، إذ ترتب على تلك الحروب سحب سليمان نظيف بيك والي البصرة الاتحادي معظم القوات العثمانية من الأحساء، فلم تزد القوات الموجودة على اربعين نفر، منهم ٩٠ في القطيف»^(١٠).

٩- ويذكر كشك، أن شكسبير قدم لابن سعود آخر المعلومات عن أحوال الأتراك في حروبهم الدولية يومئذ، وكان شكسبير قد قضى نحو إسبوعين في معسكر ابن سعود في الجمعة بين ١٩ نوفمبر حتى الثالث من ديسمبر ١٩١٢ - ١٣٣٠ هـ، وقال الكابتن عن ذلك اللقاء «كان الامير قلقا على سماع أنباء حرب البلقان»!
فما هو سر هذا القلق؟ .

يقول شكسبير أنه اعطى الأمير حقيقة المعلومات عن الحرب، وأن الاترك هزموا : «فأعطيته المعلومات الحقيقة لأدهش لردة الفعل.. فلم يكن هناك أي عطف على الأتراك، بل أن الأمير وأخوه وأعيان نجد لم يجدوا في هذا الموقف إلا فرصة ممتازة للتخلص نهائيا من كل بقايا النفوذ العثماني، وطرد قوتهم من القطيف والأحساء.. وقد خرجت بانطباع أن التكبات لم تثر أي عطف عليهم ...»^(١١).

وما دمنا قد تعرّضنا لرأي الانجليز في مسألة توقيت الاحتلال للأساء، وما سجلوه على لسان ابن سعود ، فإننا سنتعرض لما قاله ابن سعود لشكسبير يومئذ بالتفصيل .

يبداً شكسبير تقريره^(١٢) المؤرخ في ١٥ مايو ١٩١٣ بالقول : «خلال الجولة التي قمت بها مؤخرا في أعمق-غرب-الكويت في هذا الربع، والتقيت مرة أخرى بعبد العزيز بن سعود أمير نجد، وأمضيت أربعة عشر يوما في معسكره ..».

«كان هو وإخوته بالغى السرور لتجديد علاقتنا القديمة، وكان الاستقبال الذي حظيت به، وكل ذرة منه، مليء بالصداقة والود وكرم الضيافة، كما كان الاستقبال أول مرة في مارس ١٩١١».

«كان الأمير توافقاً لسماع آخر الأخبار عن الحرب التركية / البلقانية، وعن مجرى الأحداث فيها، لأنه لم يكن يصدقـ كما قالـ الروايات التي وصلته سواء

من المصادر التركية، أو من الصحف المصرية، إذ رغم أن هذه الأخبار كانت تحتوي على وصف للنجاجات التركية العديدة، فقد كانت القوات التركية تبدو دائمًا وكأنها تهرب وتتراجع من موقع لآخر، وقد سمع من الكويت والبحرين، بأن الجيش العثماني لم يكن يسيطر إلا على العاصمة التركية فقط، وعلى بعض القلاع التي لا تبعد أكثر من مسيرة يوم عنها، إضافة إلى بعض المناطق المعزولة، في حين أن كل بقية تركيا الأوروبية قد استولى عليها الحلفاء».

قدمت له من المعلومات ما كان قد وصلني -أخبار سقوط الدردنيل لم تكن وصلتني حينها-. وقد ذهشت حين وجدت أنه، بدل التعبير عن روح موالية للأترارك، فقد كان العكس هو الصحيح، حتى أن الأمير، وأخوه، وكل وجهاء نجد الموجودين في المعسكر، بدوا وكأنهم ينظرون إلى هزائم تركيا وضعفها الحالي، وكأنها توفر لنجد أفضل فرصة للتخلص من السيادة العثمانية ولطرد قواتها من الأحساء والقطيف»^(١٣).

«سأحاول الآن أن أبين فقط مدى تأثير أحداث العامين الماضيين -الвойن الايطالية في طرابلس، والвойن التركية البلقانية- على آراء الأمير وطموحاته. لقد تحدث بعنفوان أعظم من الماضي عن كراهيته للأترارك، وكان خائب الأمل بشكل ظاهر، بحيث لم يكن بحاجة إلى تشجيعه، ولا حتى إلى إعطائه أقل أمل بأن طموحاته ستلقى موافقة الحكومة البريطانية، ولقد بذلت جهدا شاقا لتبيان أننا على علاقة ودية مع الحكومة التركية.. وأننا نجري مفاوضات معها، وأن الفترة الحالية من بين جميع الفترات لم تكن مناسبة لنا للقيام بدور البطولة في الدفاع عن مطالبه، حتى ولو كنا راغبين في ذلك». وعلى أية حال، فهذا كلام لم يقنع حتى روساء شكسبير، فالجميع أدرك أن ابن سعود لم يكن على إطلاع كاف على أوضاع الحكومة التركية، وأن المعتمد لا شك شجعه على إحتلال المنطقة، وقال له: هذه هي الفرصة المناسبة، فاضرب ضربتك. ويبدو أن حكومة الهند وزارة المستعمرات والمعتمدين السياسيين في الخليج، كانوا في قرار أنفسهم يؤيدون شكسبير في عمله، عدا وزارة الخارجية التي وصل إليها التقرير في شهر يونيو ١٩١٣، أي بعد أن تم إحتلال الأحساء في أبريل ١٩١٣، وهذا أول تقرير يتأخر كل هذه الشهور !.

ورأت وزارة الخارجية أن المسألة طبخها شكسبير، ووافق عليها البقية، ولم يكن أمامها سوى الغضب، والاحتجاج الذي أدى إلى إبعاد الكابتن إلى لندن لبضعة أشهر، وكان الأخير قد أخذ إحتياطه، ليس فقط بتقديم معلومات كاذبة لرؤسائه، وإنما أوضح لهم بأن ابن سعود رغم تحذيره الشخصي سيحتل الأحساء، فإذا حدث ما توقعه، يخرج هو بريء من تهمة التآمر مع ابن سعود !.

ونتابع في التقرير هذه الفقرات : « قال الأمير أنه منذ أن تحدث إلى آخر مرة عن هذا الموضوع، مر على تركيا عامان، أظهرت فيهما عجزها عن القيام بعمليات عسكرية ، وبالتالي شعر العرب أنهم قادرون على إجلاء القوات التركية من الأحساء والقطيف باقتصى السهولة . وكانوا جميعاً متفقين على أنه لن تسنح فرصة أفضل من هذه الفرصة ، حيث جيش تركيا مهزوم محطم ، فقد التنظيم ، وأوضاعها المالية مشلولة ، ورعاياها العرب في العراق وسوريا يطالبون جميعاً بالاصلاح والحكم الذاتي ، ولهذا فستكون تركيا منهكـة مقيدة اليدين في مقاطعاتها وأقاليمها الاسيوية ، وبسبب محاولة الاستنقاذ بعد إنتهاء الحرب ، بدرجة لن تستطيع معها إرسال حملة عسكرية جادة إلى الأحساء أو إلى نجد ! . لقد بتنا في حيرة من أمرنا ، ولعل القاريء يشاركتـنا في هذه الحيرة ، مما قدرنا أن نميزـ بأن هذا الكلام هل هو تحليل لشكسبير ، أم للأمير السعودـي نفسه ، ، بحيث أن صديقه الانجليزي كان يكتب بالنيابة عنه ؟ .

وقال ابن سعود مطلـاً هزائم الأتراك من وجهـة نظر دينـية : « إن العرب يعتقدون عن يقينـ بأنـ الهزائم والخسائر التركـية ما هي إلا حكم الله وعقابـه لأنـاس يسمـون أنفسـهم مسلمـين ، بينماـ هـم قد تخلـوا عنـ إيمـانـهم منذـ أعوام طـويلـة ، واضطـهدـوا رعاياـهم ، واستـنزـفـوا وابتـزـوا أموـالـ الأوقافـ الدينـية ، وخـرقـوا كلـ حدـ منـ حدودـ القرآنـ ، وخرـبـوا حـكمـ الخـلافـة .. ثـمـ أـكـدـ جـازـماـ بـأنـ السـلطـانـ الحالـيـ لمـ يـعدـ خـلـيقـ حـقاـ بـأـيـ معـنىـ منـ المعـانـيـ ، بلـ يـتمـسـكـ بـعـرـشـهـ ، وـهـوـ لـعـبـةـ فـيـ أـيـديـ عـصـابـةـ مـنـ السـيـاسـيـينـ فـيـ القـسـطـنـطـنـيـةـ ، هـدـفـهـ الـوحـيدـ مـلـءـ جـيـوبـهـ ، وـهـمـ عـلـىـ إـسـتـعـادـ لـايـجادـ خـلـيقـ آخـرـ غـداـ إـذـ أـثـبـتـ التـغـيـيرـ أـنـهـ أـفـضـلـ بـالـنـسـبـةـ لـمـصـالـحـهـمـ » .

ثم يـبـرـرـ ابنـ سعودـ العلاقةـ معـ الانـجـليـزـ ، بـزـعـمـ عـدـالـتـهـ وـنـزاـهـتـهـ ، يـقـولـ : « أـمـاـ العـربـ فـلـيـسـواـ فـاقـدـيـ الـبـصـرـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ إـلـاـ أـنـ يـقـارـنـواـ الـعـدـالـةـ وـالـصـدـقـ وـالـمـساـوـةـ وـالـازـدـهـارـ ، وـالـرـفـاهـ المـادـيـ ، وـالـحرـيـةـ الـدـينـيـةـ (١٤)ـ ، التـيـ يـتـمـتـ بـهـ النـاسـ فـيـ ظـلـ حـكـمـ الـأـمـمـ الـأـخـرـيـ ، خـاصـةـ تـلـكـ الـخـاصـةـ تـحـتـ الـعـلـمـ الـبـرـيطـانـيـ .. أـنـ يـقـارـنـ العـربـ كـلـ ذـلـكـ بـمـاـ رـأـوـهـ وـيـرـونـهـ فـيـ ظـلـ سـلـطـةـ الـحـكـومـةـ التـرـكـيـةـ » .

فـاـيـنـ سـعـودـ هـنـاـ وـاـضـعـ وـصـرـيـعـ فـيـ آرـائـهـ .. إـنـهـ يـفـضـلـ وـلـاـيـةـ الـانـجـليـزـ عـلـىـ حـكـمـ الـأـتـرـاكـ ، وـبـتـرـيـرـ دـيـنـيـ أـيـضاـ .. وـلـقـدـ قـالـ لـشـكـسـبـيرـ فـيـمـاـ بـعـدـ بـالـنـصـ : « إـنـ الـكـافـرـ مـنـ وـجـهـ نـظـرـهـ كـانـ أـفـضـلـ مـنـ التـرـكـيـ ، لـأـنـ هـذـاـ الـأـخـيـرـ كـانـ يـخـالـفـ الـقـانـونـ الـذـيـ يـدـعـيـ بـأـنـهـ يـتـبعـ .. بـيـنـماـ الـأـوـلـ.ـ الـكـافـرـ.ـ يـتـصـرـفـ بـمـوـجـبـ الـقـانـونـ الـخـاصـ بـهـ (١٥)ـ .»

هـذـهـ الجـملـةـ هـيـ الـأـسـاسـ الـذـيـ يـعـتمـدـ الـوـهـابـيـوـنـ.ـ حـتـىـ الـيـوـمـ.ـ فـيـ تـعـالـمـهـ مـعـ الـمـسـلـمـيـنـ ، مـنـ لـاـ يـؤـمـنـ بـاعـقـادـهـمـ ، وـبـغـضـ النـظـرـ عـمـاـ قـالـهـ إـنـ سـعـودـ ،

لأنه ليس هنا مجال مناقشة مثل هذه الآراء المتطرفة .. فلين ما يجب التأكيد عليه، هو حقيقة أن السعويين والإنجليز استغلوا الضعف التركي لاحتلال المنطقة، وكان شكسبير صادقاً حينما نكر بأنّ مشارع إين سعود لم تكن تتنقل سرّاً، وأنّ (مثل هذا الحديث كان يجري علينا في كل لقاء للأمير مع رؤساء قبائله وعشائره، ولقد كونت إنطباعاً مؤكداً، بأن هزائم تركياً وتراجعاتها لم تثر أي عطف أو تعاطف معها كدولة، ولكنها إعتبرت كبرهان قاطع على أن تركياً تجاهلت بينها وتخلى عنه ونسيته، ولذا نساحتا الله وتخلّى عنها، فحرّي بكل وهابي أن يتخلّص ويبتعد عن آية صلة مع مثل هؤلاء المنغمسيين بالمعاصي، والهالكين».

ويمكن القول الآن، بكل وضوح، أن ليست هناك أية حجة لمن يزعم بأن الحاكم السعودي لم يستند من إنشغال تركيا في حروبها مع ممالك أوروبا الصليبية المحتشدة ضدها .. كما قال ذلك جلال كشك^(١٦) ، والذي أراد أن يمرر مقولة بعيدة عن الواقع بحجم قوله، أن عملية إحتلال الأحساء كانت موجهة بالكامل ضد بريطانيا، وإن إتخذت طابع المواجهة مع الأتراك ! .

هذا هو حال الأتراك عشية إحتلال السعوديين للمنطقة الشرقية «واحتى الأحساء والقطيف» .. ولكن كيف كان حال إين سعود في نجد، وهو الطرف الآخر في المعادلة ؟

ومسألة ثالثة ترد هنا حول وضع ابن سعود الشخصي، فهو رجل يحمل طموحات توسيعية على حساب جيرانه، ولقد وصف بيرسي كوكس، المقيم البريطاني في بوشهر، والذي عرك ابن سعود سنوات طويلة، وصف مطامعه التي لا تحد بقوله: «يعتقد ابن سعود من الناحية العملية أن له الحق من حيث المبدأ في إستعادة أية أراض كان أجداده قبل نحو قرن قد استولوا عليها، أو جعلها من مناطق نفوذه»^(١٨).

ثم أن عملية الأحساء، لا تكلّف ابن سعود شيئاً كثيراً، وهي أسهل المناطق التي يمكن أن تسقط في قبضته، بل لم تسقط منطقة بالسهولة، التي سقطت بها الأحساء.

أما أوضاع الأحساء الداخلية فهي ناضجة منذ مدة ، فالأهلالي أصحابهم الأعياء من إنفراط الأمن الذي كان أحد مسبباته ، إين سعود نفسه ، وقد إنقطعت سبل التجارة والمعاش ، بسبب الحصار المتكرر الذي فرضه البداء على الحواضر القطيفية والاحسانية ، مما أذهب بازدهار المنطقة التي كتبت عنها الدولة العثمانية في دائرة معارفها «إين هذه الواحة ، لولا ما يحيط بها من بوادي سوء ، لازدهرت الحياة فيها إزدهارا لا نظير له ، لتتوفر وسائل العمran في هذه التربة الخصبة»^(١٩).

ولم تكن لأهالي المنطقة بعد سنوات من الفتن والاضطراب ، أي قدرة على مقاومة الغزاة .. شأنهم في ذلك شأن الجنود الأتراك أنفسهم ، وفي نفس الوقت فقدت القطيف زعيمها السياسي الأول المرحوم منصور بن جمعة ، وأصابت الفرقة زعماء القطيف الدينيين والسياسيين ، مما سهل عملية الاحتلال .. في حين أن من حاول المقاومة وحضر الأهالي عليها قد غادر البلاد بمجرد أن وصلت القوافل السعودية للقطيف ، كما حدث بالنسبة للعلامة المجتهد حسن علي البدر ، ليموت بعد حوالي عامين أثناء مقاومته للاحتلال البريطاني للعراق . وهكذا حين دخل إين سعود القطيف والأحساء وإن كانت غير راغبة فيه ، فإنها لم تكن قادرة على مقاومته .

بقيت نقطة جديرة بالالتفات ، نحو أن نجيب عليها ، وهي : هل دعا الأهالي إين سعود ليأخذ الأحساء وينقذهم من إنفراط الأمن ؟ . بالنسبة للقطيف ، يمكننا الإجابة بالنفي ، حتى وإن زعم إين سعود نفسه ذلك .

وأما الأحساء ، فقد يستعرضنا أكثر من قول لابن سعود ومؤيديه من أن الأهالي دعواه لإنقاذهم .. ولكن هناك مبالغات في هذا الدعوات ، لدرجة أن كشك علق عليها بأنها من «عادة كبار الفاتحين» ! .. قال : «وإذا كانت العادة قد جرت أن يقول كل الفاتحين الكبار ، أنهم جاؤوا بناء على طلب الأهالي ، فإن إين سعود هو أحقرهم بهذا الادعاء ، لأنه ليس غريبا على الأحساء ، وفتحه عاد بالخير والاستقلال والعروبة للإقليم»^(٢٠) ، وفي هذا القول نقاش طويل للتبريرات نتركه إلى حينه .

ويبدو أن عمل مخبري إين سعود من النجديين -في الغالب - ، إعتبر دعوة مفتوحة لاحتلال المنطقة ، فكانوا هم المبّرر .. فمن هم هؤلاء ؟ .

قال قدرى قلعي^(٢١) أن عبد العزيز قبل إحتلال الأحساء «كتب إلى أصدقاء له هناك من آل سويلم والقصبي والعقاجي والغنيم ، يبنبئهم بهجومه ، ويطلب منهم أن يطمئنوا الأهالي ، فيلزموا مساكنهم ويخلدوا إلى السكينة» .. أي القيام بعملية تثبيط .. وأشار آخرون إلى دور آل الملا ، والحملي والمبارك والملحم . هذه هي العوائل ، فمتى جاءت إلى الأحساء ، وما هو تصنيفها المذهبى ؟ .

★ آل العجاجي .. نزحوا الى الأحساء من الرياض في آخر القرن الثالث عشر^(٢٢) .. أي أنهم مستوطنون جدد ، وخلال أقل من عقدين بدأوا ينسقون مع ابن سعود في تحركاته ، وهم وهابيو المذهب ، واعتنق بعضهم المذهب الشيعي ، كما يوجد جماعات منهم في البحرين .

★ آل غنيم .. نزحوا الى الأحساء من الرياض في القرن الثالث عشر^(٢٣) ، وحالهم مثل الذين سبقوهم ، واعتنق بعضهم المذهب الشيعي .

★ آل ملحم .. نزحوا الى الأحساء من بلدة الجزعنة المشهورة في نجد بقرب الرياض^(٤) .. وهم وهابيو المذهب سعوديو الولاء منذ أيام الدولة السعودية الثانية ، حيث عينهم آل سعود ولاء على الأحساء فاستقروا فيها .

★ آل سويلم .. ينتسبون الى العرينات ، البطن المشهور في سبيع ، وقد نزحوا الى الأحساء من الرياض^(٥) .

★ آل جميح .. نزحوا الى الأحساء من بلدة شقراء بنجد .

★ آل الملا .. وفدو من الشام مع الحملة التركية الأولى في القرن العاشر الهجري ، وكان عميدهم «مطوع» العسكر التركي ، واسمه علي الواقع آل الملا^(٦) .

★ آل مبارك تميميون نجذبون ، جاؤوا الى المنطقة حوالي منتصف القرن الثالث عشر ، منهم الشيعة والسنّة ، واشتهر منهم من الشيعة ، الشيخ محمد بن صالح المبارك .

★ آل القصبي ، نجذبون ، وكانوا أول ممثلين لابن سعود في الخارج ، بربع منهم عبد العزيز القصبي ممثل الملك في البحرين ، والذي أشعل الفتنة الطائفية فيها أوائل العشرينيات الميلادية ، مما إضطر الانجليز الى إبعاده مؤقتا^(٧) . وهكذا يتبيّن أنه لا أحد من الغالبية الشيعية في الأحساء ، قد دعا ابن سعود ، كما أن الغالبية السنّية التي ارتبطت مصالحها بالحكم التركي ، وهي حنفية وشافعية ومالكية المذهب ، بقيت على ولائها ، إلا ما شد ، وإن كان الآخرون قد صُهروا في بوقعة الحكم السعودي المنتصر فيما بعد .

وال المشكلة الأساسية التي واجهها السكان يوم احتل ابن سعود الأحساء ، هي عدم وجود القيادة السياسية مطلقاً ، في حين سلّمت القيادة الدينية بحكم الأمر الواقع ، ولم تكن لها الامكانيات الحقيقة للتمرد على ذلك الواقع ، وان كان ذلك لا يعفيها من العتاب .

بقي علينا إستطلاع وضع الانجليز لنكون قد ألمتنا بالصورة الكاملة لما كان يجري عشيّة إحتلال الأحساء .

فازاء الضعف الذي ألم بالأترار ، تقدم الانجليز خطوة لأخذ الشرعية الكاملة لتواجدهم في الخليج ، فقاموا بالتفاوض مع الأترار واعترفوا لهم بالأحساء والقطيف على الساحل ، في حين تخلى الآخرون عن حقوقهم في الامارات

الخليجية الأخرى، واعترفوا للإنجليز بالسيادة الكاملة على مياه الخليج .. وقد كان ذلك مشروع إتفاق لم يوقع إلا بعد الاحتلال السعودي للمنطقة، وهو «مشروع إتفاق ولد ميتا» كما وصفه العقاد^(٢٨).

ورغم أن الخلاف في وجهات النظر بين حكومة الهند ووزارة الخارجية، لم يكن إستراتيجيا بائيا حال، فإن الآراء تتفق حول تصفية الإمبراطورية «الذاهبة»، أو «الرجل المريض»، ولكن الخلاف في التوقيت.

فوزارة الخارجية تعامل مع الدولة العثمانية، كما تعامل مع آية دولة قاصرة، وكانت ترى في هذا القصور فرصة ممتازة لتوطيد المصالح البريطانية على حساب تلك الدولة المنهارة رويدا رويدا .. في حين أن حكومة الهند ووزارة المستعمرات ورآهما كل الاستعماريين يستعجلون الحرب مع الدولة العثمانية لأنها كلية مرة واحدة، وقد إنتصرت وجهة النظر هذه، حينما بدأت بريطانيا الحرب ضد دولة الخلافة دون أي مبرر ودونما إستفزاز مسبق من الأخيرة.

وقد كانت وجهة نظر حكومة الهند تجاه ابن سعود على خلاف مع وجهة نظر وزارة الخارجية، مما جعل الأولى تلتئم بشتي الطرق على تذرعات الثانية، وراحت رغم القرار الرسمي تشجعه عن طريق المعتمد السياسي في الكويت والذي اعتاد على مقابلة ابن سعود في أعماق نجد.

وفي لقائه الأخير والذي تم بعده مباشرة إحتلال الأحساء، كتب شكسبير : «حين راح ابن سعود يناقش طموحاته الشخصية ، وقال أن الوقت قد حان ليختار سياسته المحددة الواضحة بالنسبة للمستقبل . فلقد إزدادت سلطته في وسط الجزيرة العربية ، ولم يعد يخشى أيا من شيوخها أو حكامها ، والأكثر من ذلك أنه متحالف معهم جميعا ، باستثناء واحد فقط ، هو شريف مكة ، وهو الذي عاد فتحالف مع الأتراك خوفا من غزو وهابي جديد».

وقال شكسبير : «أن آل سعود قادرون على الاحتفاظ بما استعادوه من أملاكهم القديمة في الجزيرة العربية على مدى الخمسة عشر عاما الأخيرة ، وهم يشعرون بأنهم قادرون على ذلك بسهولة نسبيا ، لو لا التهديد الدائم بغزو تركي يأتي من الشرق عن طريق الأحساء ، ومن الغرب عن طريق مكة والمدينة ، وأن آل سعود لا يستطيعون مواجهة الأتراك من الجهتين ، ولكي يأمنوا حدودهم الغربية بحشد قواتهم العسكرية هناك ، تحدوهم الرغبة في طرد الأتراك من الأحساء والقطيف . وهناك سبب آخر من أهم الأسباب أيضا لتحقيق تلك الرغبة ، و هو إمتلاك هاتين المقاطعتين الغنيتين وإمتلاك مينائهما ، خاصة العقير ، لأنهما سيوفران موردا عظيم القيمة من العائدات لدولة هي الآن من أشد الدول فقرا .. وإضافة لذلك ، فإن آل سعود مبررات أخرى في مطالبتهم بالأحساء والقطيف ، أحدها هو أن هاتين المقاطعتين كانتا من أملاك عائلتهم ،

وأن الأتراك في وثيقة أعطاها نافذ باشا لعبد الله الفيصل ، وافقوا على أن المنطقة من حق عبد الله وعائلته وهم الذين يحكمونها ، وقد أخبرني الأمير بأن هذه الوثيقة لم تقع في يده إلا منذ فترة قريبة ، وأنه سيرسل إلى بعد عودته إلى الرياض نسخة منها»^(٢٩).

وقال ابن سعود «أن هناك وثيقة أخرى سمع بها ولكنه لم يستطع العثور عليها حتى الآن ، تصل في فحواها أن تكون معايدة عقدها الكولونيل السير لويس بيلي ، تضمن بالنيابة عن الحكومة البريطانية ، بأن يُعترف بآل سعود شيوخا على مقاطعة القطيف . وقال أن هذه الوثيقة جاءت نتيجة مفاوضات جرت بعد العمليات العسكرية البحرية التي وقعت في القطيف والدمام عام ١٨٦٥^(٣٠)، حين قام أربعة رجال هم : محمد بن مانع ، عبد العزيز بن عمر ، صالح الوداوي ، إبراهيم بن غانم ، بزيارة للمقيم البريطاني في بوشهر كممثلين لعبد الله الفيصل بن سعود الذي أرسلهم إلى هناك».

لقد أوضحنا في صفحات سابقة أنه لم تكن هناك معايدة ، وإنما تعهدتا سعوديا دون مقابل ، وأورينا نص التعهد ، ولعل ذلك هو ما كان يبحث عنه ابن سعود . وبناء على ذلك ، لأن شكسبير يبحث عن كل المبررات لدى حكومته وللآخرين التي تدعم الاحتلال السعودي للإحساء والقطيف ، فقد راجع أرشيفات بريطانية قيمة للتحقق من إدعاء ابن سعود الأخير ، فلم يجد سوى التعهد السعودي الذي قدمه محمد المانع ، نيابة عن الحاكم السعودي الجديد عبد الله الفيصل ، وقال أن هذا التعهد الصريح ، ربما يكون له دلالة فيما يتعلق بالاتفاقية .

ولكن ما هو الموقف الانجليزي من إحتلال الأحساء؟ .

قال المستشرق الروسي^(٣١) : «لم تقف بريطانيا حجر عثرة أمام طرد الحامية التركية من الأحساء ، وقد قام المندوب البريطاني في البحرين بزيارة مجاملة لعبد العزيز في مرفا العقير بعد سقوط الأحساء» .. وكتبت القنصلية الروسية في البصرة بعد سقوط الأحساء : «من المحتمل أن يكون قد حدث كل ذلك ، ليس بدون علم الانجليز وليس بدون نصائحهم ، فإن دسائهم بين الشيوخ العرب معروفة جيدا»^(٣٢) . وصار من الثابت أن مما «ساعد على نجاح ابن سعود في المرحلة الأولى من حكمه ، دعم بريطانيا له في كفاحه ضد الامبراطورية العثمانية وولاتها ، وإنهايار هذه الامبراطورية نتيجة للحرب العالمية الأولى»^(٣٣) .

والذي حدث أثناء لقاء ابن سعود مع شكسبير ، كان يجري في هذا الاتجاه ، إتجاه الحق والتبرير لابن سعود على إحتلال الأحساء ، ولكن ما كتبه شكسبير في التقرير مخالف للواقع ، حيث قال أنه حذر من أن الدعم الانجليزي لن يأتيه إن فعل ذلك .. وقبل أن نستعرض ما جاء في التقرير نطرح تفسيرا

لما جاء فيه:

(ولا - كانت أجوبة المعتمد في الكويت على طلب ابن سعود في توفير
الحماية له إذا ما إحتل الأحساء، وبالغة في التقييد بوجهة نظر وزارة الخارجية،
وكانما كتب التقرير «إبراء للذمة»، من أنه حذر ابن سعود بأن لا يحتل
الأحساء .

ثانياً - إن توقيت زيارة شكسبير إلى أعمق نجد، لم يكن دون هدف، وأن يمضي في معسكره إسبوعين ليس أمراً اعتيادياً، وأن تأتي عملية الاحتلال الأحساء بعد أسابيع قليلة من اللقاء، يزيد في الشكوك حول حقيقة ما قاله شكسبير:

ثالثاً . لم يبعث الكابتن شكسبير تقريره إلاً متأخراً ، خلاف المأثور ، لرؤسائه ، فإذا كانت المسألة على درجة عالية من الأهمية فإن الرسائل تبعث برقياً في حينها ، بينما لم يصل التقرير إلى وزارة الخارجية إلاً بعد شهرين من إحتلال الأحساء ، وبعد حوالي أربعة أشهر من اللقاء مع إين سعو ، فبماذا يمكن أن يفسر تأخير وصول تقرير مهم عن منطقة مهمة للإنجليز ؟ ! .

رابعا - إن حكومة الهند ، والتي يبدو أنها على إطلاع على فعله شكسبير ، لم تعتراض على فعلته ، وإنما جاء الاعتراض من وزارة الخارجية ، إلى حد طلب إبعاده إلى لندن .

والآن الى ما قاله شكسبير في تقريره^(٣٥):

«وجد ابن سعود نفسه مجبراً على طلب الحماية البريطانية. من النوع الذي منحناه للكويت والشيوخ الآخرين نتيجة علاقات الصداقة القديمة .، أو أن يعتمد على سيفه وإيمانه، وهو مصمم على طرد الأتراك من الأحساء والقطيف عاجلاً أم أهلاً، وإن لم يكن ذلك بالليلو ماسية فسينفذه باللحوء المي، السلام».

«وابن سعود لا يستطيع ان يتبنّى بفرصة أفضل من المتاحة حالياً، ولكن قبل أن يندفع حتى آخر الطريق، فإنه يرغب في أن يكون على إطلاع حول الموقف الذي يجب أن نتخذه نحن . حول هذه النقطة أخبرته على الفور بأنه إذا ما هاجم الأحساء فإبني على يقين من أننا لن نعرض علاقتنا مع تركيا للخطر من أجله ، وعليه أن يدرك بأنه سيكون من الصعب جدا علينا ، أن نشن

مثل هذا الخلاف حين يصل الى حد الصدام ، أو بعد هجوم غير مبرر يقوم به ضد الأتراك في الأحساء» .

بالطبع قد يكون بامكانه طرد الأتراك في الفترة الحالية ، لأن الأتراك لا يحتفظون بحامية كبيرة ، ولكن ذلك قد يعني معارك ضارية ، وفي هذه الحالة عليه أن يفكر بما سيكون عليه تتبع الأحداث فيما بعد . إن أي عمل يقوم به ضد الأحساء ، سيسقط بالتأكيد عملاً إنتقامياً ، قد يتتطور الى حالة حرب شبيهة بتلك التي وقعت مؤخراً في اليمن ، وقد تؤدي الى تقدم تركي جديد داخل نجد ، وفي هذا الحالة قد يفقد كل ما يسيطر عليه الآن» .

«لا يمكن إنكار الحقيقة القائلة بأنه سيحاول قتال قوة عالمية إذا حاولت بجد أن تحطمها وتدمّر قواته نهائياً .. ويبدو لي أن مثل هذا المشروع -احتلال الأحساء- أحمق ، نهايته محتملة ، وسيؤدي الى أن يفقد كل ما يملكه الآن .. ولأنني صديقه ، فلم أكن لأتركه يخطط ضمن فهم وتقدير خاطئين الى هذا الحد فيما يتعلق بالقوة التركية ، رغم أن مجرى الاحاديث في حرب البلقان كان يبرر مثل هذا الفهم الخاطيء» .

هذه مبالغات شكسبير التي لم يقتنع بها هو ولا رؤساؤه ولا ابن سعود عن قوة تركيا ، وهو يورد هذه المبالغات -كتابة- ليقول بأنه فعل كل جهده لاثناء عبد العزيز عن إحتلال الأحساء ! .

مع هذا تتحدث فقرة التقرير التالية ، عن عدم قناعة ابن سعود بالرأي وأنه مصمم على إحتلال الأحساء .

«من كل ما سمعته في معسكر ابن سعود ، لا أشك في أنه سيقوم في يوم من الأيام بمحاولة لاحتلال الأحساء والقطيف ، وكل النقاشات كانت تشير الى أن العرب يحتقرن القوات التركية الموجودة في الحاميات هناك ، باعتبارها عديمة الفائدة ، والى أن العرب واثقون من إنتصارهم الفوري ، والى أن تفكيرهم الرئيسي ينحصر الآن في الطريقة التي يمكن أن ينجز بها هذا الأمر على أكمل وجه ، وإن أمكن ، دون إراقة الدماء . لأنهم حينها سيشعرون بأنهم قد يكسبون تعاطف البريطانيين في هذه الحالة» .

(شعرت أنه من الضروري أن أبين ما كان يبدو لي محتمل الوقوع ، أي الردود الانقامية العنيفة من قبل الأتراك ، وعدم إمكانية أي تدخل من جانبنا لدعم قضية ابن سعود ، وقد فعلت ذلك في كل مناسبة أثير فيها هذا الموضوع) .
ويقدم شكسبير تحليلاً يحمل الصبغة الوطنية والسياسية لأطماء السعوديين فيقول :

«ما لا شك فيه أن العرب -أي البدو- في جميع أنحاء الجزيرة العربية - تقريباً - يحتقرن الأتراك الآن إلى حد يشعرون معه بأنهم قادرون تماماً على تصفية حسابهم معهم . ذلك أن الحربين اللتين خاضتهما تركيا

مسؤولتان عن إنهيار هيئتها، بينما عدم الثقة بالأترارك وإحتقارهم قد إزداد حدّة نتيجة إنفصال حقيقة الهزيمة التركية، والتي تزداد جلاء يوماً بعد آخر، بأن الانتصارات المزعومة لم تكن إلا أكاذيب تشيعها الحكومة التركية عمداً لأخفاء ضعفها وفشلها، وأن الرغبة في التحرر من نير الحكم التركي لا تقتصر على نجد، فالصحافة تعج بالروايات والتقارير عن قيام حركات مماثلة تطالب بالحكم الذاتي».

وقال شكسبير في تقرير عن ابن سعود في ١٥ مايو ١٩١٣ : «في الأعوام الأخيرة ، خاصة خلال حروب تركيا مع إيطاليا ودول البلقان ، كان المسؤولون الأتراك يلحون على عبد العزيز ليقدم لهم الدعم والمساعدة ، خاصة بالرجال والمال وأن يبرهن على أنه من رعايا السلطان المخلصين :

١- بإرسال ثلاثة من آل سعود إلى القسطنطينية للدراسة والخدمة في الجيش العثماني .

ب- وبالاعتراف بالسيادة التركية علينا ، وذلك بأن يقبل لقباً تركياً ، مع فرمان سلطاني يعين بموجبه حاكماً على نجد .

ج- وأن يسلم لهم كل الرسائل والوثائق التي تبودلت في أيام فترة بين آل سعود والمسؤولين البريطانيين».

«وقد رفض ابن سعود حتى الآن كل هذه المطالب ، بلغة مهذبة قدر الامكان ، لأنّه يعلم أنّ الأتراك ما أن يمسكوا به حتى يتحوّل في الواقع إلى واحد من الرعايا الأتراك ، وهو ما لا يعترف بأنه واقع حالياً».

«والى جانب ذلك فالأتراك مقتعنون بأنّ شكلًا ما من أشكال التفاهم موجود وقائم فعلاً بين آل سعود والحكومة البريطانية . هذا الاعتقاد هو أحد أسباب محاولاتهم المتكررة لجعله يتخلّى عن إستقلاله .. وهو -أي ابن سعود- على استعداد شخصياً لأن يعلن بصراحة على الملأ عن أي اتفاق واضح ومحدد معنا ، إذ أن مجرد وجود مثل هذا الاتفاق سيريحه من الأذى والتحرش التركي . وما لم يكن مسلحاً بشكل ما من أشكال التفاهم مع الحكومة البريطانية .. يجرّ الأتراك على التعامل والتربّد في مهاجمته ، فإنه سيكون دائمًا عرضة للمكائد والدسائس والمؤامرات».

أما ما يريده أن يصل إليه المعتمد فهو : «أمل أن تولوا عناية جدية لشؤون ابن سعود ، وقضايا وسط الجزيرة العربية ، فالرجل حاكم من أفضل ما ينتجه العرب .. ولا أظن أنه سيكون هناك أدنى شك بأن تحرك ابن سعود الأول سيكون هجوماً على الأحساء والقطيف .. وهو في الوقت الحاضر عميق الصداقة والود نحونا ، وهو ميال إلى إلزام نفسه بالتزامات تجاهنا .. وإنني أميل إلى الاعتقاد بأنّ الطريق ستكون طويلة إذا ما توفّرت له الأسباب للاعتقاد بأنّنا سنساعدك في طرد الأتراك من الأحساء والقطيف .. ومن الناحية الأخرى فإن رفض

مبادرات الأمير ستولد بلا شك مرارة لديه قد تتعكس على مصالحنا على طول الساحل العربي للخليج، ربما ليس على الفور، ولكن في المستقبل القريب .. وإنني مقتضي بأن ابن سعود سيكون مسؤولاً بأن يقدم لنا أي تعهد نرغبه في الحفاظ على «الوضع الراهن» في المستقبل. وختاماً لي الشرف بأن أستحب دعمكم ومساندtkم لاعادة النظر في كل مسألة علاقتنا مع أمير نجد ...^(٣٦) الغـ

هذا هو تقرير شكسبير الذي أجراه قبل إحتلال الأحساء بفترة قصيرة مع ابن سعود، وأرسله بعد سقوطها إلى رؤسائه .. فماذا قال هؤلاء؟!

علق رئيس شكسبير، وهو المقيم السياسي في بوشهر، السير بيرسي زكرياء كوكس ، وهو عادة ما يعبر عن وجهة نظر حكومة الهند، على قوله أنه «تقرير هام وممتع أرسل إلى قبل أن يسمع الكابتن شكسبير بسقوط الأحساء والقطيف .. ومما لا شك فيه أنه من الغريب حقاً، من وجهة نظرنا، أن يصل ابن سعود بإحتلال الأحساء، إلى آخر المدى في هذه المرحلة من المفاوضات الأنجلو-تركية ، وبعد فترة وجيزة جداً من ذلك اللقاء الودي مع معتمدنا» .. ومع هذا الشك الذي طرحة كوكس ، وأبدى إستغرابه من توقيت عملية الإحتلال ، إلا أنه يقفز على ذلك متجاهلاً : أنه لا بد من الرضوخ للأمر الواقع ، ثم يثنى على العملية وتوريتها قائلاً بأن «اللحظة كانت مثالية بالتأكيد»^(٣٧).

وحين وصلت المراسلات إلى حكومة الهند ، أرسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية واستلمتها في ٢٥ يونيو ١٩١٣ ، في وقت متاخر ، وبعد أن إنتهى الإحتلال وتوابعه .. مع هذا وضع الماركيز كراو - وزير شؤون الهند . خطأ أمام الجمل الهامة من تقرير شكسبير والتي ثبت تواطؤه مع ابن سعود ، وكتب تعليقاً مقتضياً : «الرجاء التركيز على الفقرات التي وضع الماركيز علامات عليها. يجب الطلب من الكابتن شكسبير الامتناع عن الظهور بمظهر المشترك في مؤامرات ودسائس ابن سعود . التوقيع / الوزير ، في ٢٦ يونيو ١٩١٣». وهذه الجملة باللغة الدلالية في إتهام الكابتن وحكومة الهند بالتوطؤ ، وإن جاءت بتعبير مبطن . وعلق آخر في حكومة الهند : «لقد حذر الكابتن شكسبير بالآ يظهر هناك ..»^(٣٨) ، فحتى حكومة الهند التي ينتمي إليها شكسبير حاولت إرضاء وزارة الخارجية وتبئنة نفسها من العملية !.

أما وزير الخارجية فقد طلب من أحد موظفيه في الوزارة أن يرسل رسالة شديدة اللهجة إلى وزارة شؤون الهند وحكومتها ، وإلى السير بيرسي كوكس شخصياً ، وإلى كل المعتمدين الذين هم تحت إمرته ، محذراً إياهم من التمادي في دعم ابن سعود لأن وزارة الخارجية هي المسؤولة في التعاطي مع قضيته المرتبطة بالعلاقة مع تركيا . وما علينا الان إلا أن نضع أمام القاريء بعض نصوص تلك الرسالة .

فقد كتب «لويس ماليت» نيابة عن وزير الخارجية السير إدوارد غري ، إلى وزارة شؤون الهند ، رسالة بتاريخ الثاني من يوليو ١٩١٣ قالاً^(٣٩) : «أمرني الوزير السير غري أن أُبيّن بأنه درس بعنابة فائقة المراسلة المؤرخة في ٢٦ مايو ١٩١٣ ، الصادرة عن المقيم السياسي في بوشهر ، والمرسلة إلى حكومة الهند ، وكذلك درس مرفقاتها ، وهي المراسلة المؤرخة في ١٥ مايو ١٩١٣ ، الصادرة عن المعتمد السياسي في الكويت والمتعلقة بالأوضاع في نجد».

«لقد علم السير غري ببالغ الأسف أن الكابتن شكسبيير قد أمضى أربعة عشر - يوماً مؤخراً في معسكر ابن سعود ، وهو عمل لم يكن يبدو أنه أمر أساسى وضروري لأية مهمة يمكن أن يكون ذلك الضابط قد كلف بها في أعماق الكويت ، وهو عمل سيكون له بكل تأكيد أثر كبير في إثارة الشكوك حول الأطماع والنوايا البريطانية».

ويرد غري على ما جاء في رسالة شكسبيير والتي يقول فيها أن إهمال مبادرات ابن سعود ستترك شعوراً بالمرارة وتعرض المصالح البريطانية للخطر على الساحل .. يرد بقوله «إن السير غري ، ليس في موقع يستطيع من خلاله أن يقدر مدى صحة هذا التنبؤ . ولكن مقتنه تماماً بأن عواقب مثل هذا الاستياء وهذه المرارة لن تكون ذات قيمة أبداً ، بالمقارنة مع مرارة وإستياء الأتراك ...». «وبالنظر إلى هذه المراسلة ، والمراسلات التي وصلت مؤخراً من المعتمدين البريطانيين في منطقة الخليج الفارسي ، فإن السير غري ، يرى بأنه يجب إصدار تعليمات إضافية أكثر تشديداً وحزمـاً إلى السير بيروسي كوكس ، تحظر عليه وعلى مرؤوسـيه ، وتأمرـه بالامتناع وببالغ الحذر والعناية ، من إجراء أية اتصالـات مهما كان نوعـها مع ابن سعود ، باستثنـاء ما كان منها ذا طابـع شكـلي محض ، وباستثنـاء ما كان منها محـتمـاً لا مـفرـ منه».

وفعلاً أبلغ كوكس والمعتمدون بطلبات وزارة الخارجية ، وإن كان هؤلاء كعادتهم يلتـفـون حول إـحـتجـاجـات وزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ ، لأنـهـمـ يـرـونـ أنـ مـصـلـحةـ بـرـيطـانـيـاـ تـفـرـضـ دـعـمـ ابنـ سـعـودـ . وـقـدـ سـبـقـ لـلـوـزـيرـ إـدـوارـدـ غـرـيـ أنـ بـعـثـ بـرـقـيـةـ فيـ ١٨ـ يـوـنـيوـ ١٩١٣ـ ، إـلـىـ وزـارـةـ شـؤـونـ الـهـنـدـ بـأنـهـ «ـسـيـسـرـهـ أـنـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـانـعـ لـدـىـ الـمـارـكـيزـ كـرـوــ وـزـيـرـ شـؤـونـ الـهـنـدـ ..ـ أـنـ يـطـلـبـ مـنـ الـمـعـتـمـدـ السـيـاسـيـ فـيـ الـكـوـيـتـ بـرـقـيـاـ ،ـ الـامـتـنـاعـ قـدـرـ الـامـكـانـ عـنـ الـاتـصـالـ بـأـمـيرـ نـجـدـ ،ـ أـوـ إـلـزـامـ حـكـومـةـ جـلـالـةـ الـمـلـكـ بـأـيـةـ سـيـاسـةـ مـهـمـاـ كـانـ نـوـعـهـاـ»^(٤٠).

وـتـتـابـعـ الـاحـتجـاجـاتـ ،ـ فـكـتـبـ وزـيـرـ الـدـولـةـ لـلـشـؤـونـ الـخـارـجـيـةـ فـيـ التـاسـعـ مـنـ يـوـنـيوـ ١٩١٣ـ ،ـ يـقـولـ :ـ (ـكـنـاـ نـوـدـ لـوـ أـنـ شـكـسـبـيـرـ لـمـ يـقـمـ بـرـحلـتـهـ هـذـهـ ..ـ إـنـاـ نـعـتـقـدـ أـنـهـ أـخـطـأـ ،ـ أـوـ أـسـيـءـ نـصـحـهـ بـالـسـفـرـ بـعـيـداـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ)ـ وـأـنـهـ «ـسـتـصـدـرـ الـتـعـلـيمـاتـ إـلـىـ حـكـومـةـ الـهـنـدـ بـضـرـورـةـ التـنـبـيـهـ عـلـىـ الـوـكـلـاءـ السـيـاسـيـنـ بـأـنـ يـلـتـزـمـواـ

في المستقبل ، بالحدود المقررة في الاتفاق الأنجلو تركي» ، وأن الأمر يستدعي «بصفة عاجلة تقليل الوكلاء السياسيين قدر الامكان من إتصالاتهم بإبن سعود . وأن حكومة صاحب الجلاله لا تريد في هذه المرحلة أن يصدر قول أو فعل يمكن أن يثير الشكوك لدى تركيا أو غيرها ، بأن حكومة صاحب الجلاله ترغب أو تشجع على تمزيق السلطة التركية في آسيا «^(٤١) .

وأصدر المكتب الهندي في ١١ يوليو ١٩١٣ نسخة من التعليمات المتعلقة بموضوع العلاقة السعودية / البريطانية من قبل الحاكم العام للهند ، تضمن ما يلي : «لاحظنا أنه في مارس ١٩١٣ كان الكابتن شكسبير في المجموعة التي تقع على بعد مائة وخمسين ميلاً خارج حدود الكويت عندما سمع بوجود ابن سعود في المنطقة المجاورة . أرجو أن تبلغوا ملاحظاتي للكابتن شكسبير ، وهي أنه لا يُسمح للوكلاء السياسيين - ما لم تصدر تعليمات مباشرة من حكومة صاحب الجلاله - بتجاوز حدود المنطقة المتعارف عليها باسم الكويت في الاتفاق الأنجلو / تركي»^(٤٢) .

وأدلى السفير البريطاني في القدسطاني والمحسوب على وزارة الخارجية ، بدلوه فانتقد تصرفات شكسبير في معرض حديثه عن إتفاقية ٢٦ يوليو ١٩١٣ ، فقال «لقد وقعت حوادث عدة تعزز شك الحكومة التركية في أننا نريد التعامل مع ابن سعود ، فمثلاً قبل شهر واحد من هجوم ابن سعود على الأحساء ، كان الوكيل البريطاني بالكويت يزوره في الداخل . وفي مطلع هذا العام - ١٩١٤ - زاره موظفون بريطانيون آخرون مما أدى إلى صدور التعليمات لحقى باشا للشكوى في لندن»^(٤٣) .

وإذاء هذه المعارضة الصلبة من وزارة الخارجية ضد وزارة شؤون الهند وتوابعها - «حكومة الهند ، المقيم في بوشهر السير بيرسي كوكس ، والمعتمدين التابعين له في الخليج» ، على دعمهم لابن سعود وتشجيعهم إيهاه على إحتلال الأحساء ، إضطر الجميع إلى إبعاد معتمدها شكسبير عن منصبه إلى لندن ، حيث ضخت وزارة شؤون الهند به وهي مرغمة لاسكات وزارة الخارجية .

غادر المعتمد الكويت وهو مصر على تحد رأي وزارة الخارجية ، ربما بایعاز من حكومة الهند التي كان رأيها - من وجهة المصلحة الاستعمارية البريطانية - أكثر صوابية ، فمر شكسبير بالرياض التي وصلها في التاسع من مارس ١٩١٤ براً بعد رحلة طويلة مضنية ، وهناك قابل ابن سعود وأباه عبد الرحمن ، واطلع على الحركة العسكرية النشطة في نجد لمواجهة إحتلالات الهجوم التركي ل إعادة إحتلال الأحساء والقطيف . وبعث من هناك بتقاريره التي تفيض بالتأكيدات على أن مصالح بريطانيا ستتأكّد وتتدعم باحتضان حركة ابن سعود ، وسوف تستعرض هذه التقارير في موقعها .

ومهما يكن من أمر ، فقد استمر شكسبير في مراسلة ابن سعود محافظاً على

العلاقة الشخصية معه ، فيطلب منه أحياناً أن يبلغ سلامه وتحياته لوالده «الإمام عبد الرحمن!» ، وأخيراً وصل شكسبير إلى لندن في شهر مايو ١٩١٤ ، وما هي إلا أشهر قلائل حتى طلب منه العودة للخدمة في أكتوبر ١٩١٤ ليتمثل مصالح بلاده في الرياض بسبب إندلاع الحرب مع الاتراك^(٤).
وملخص الأمر أن الموقف البريطاني عشية إحتلال ابن سعود للرياض كان موائماً للأخير ، رغم أن الخلاف مع وزارة الخارجية والممثلين المحليين البريطانيين إنتهى بإحتلال ابن سعود للأحساء أولاً ، وبتعديل رأي وزارة الخارجية بعد أقل من عام فقط .. فالمهم أن الممثلين المحليين هم الذين ينفذون السياسة الواجب إتباعها ، وأن صناع السياسة ليسوا جهة واحدة وإنما جهات عديدة أهمها حكومة الهند .

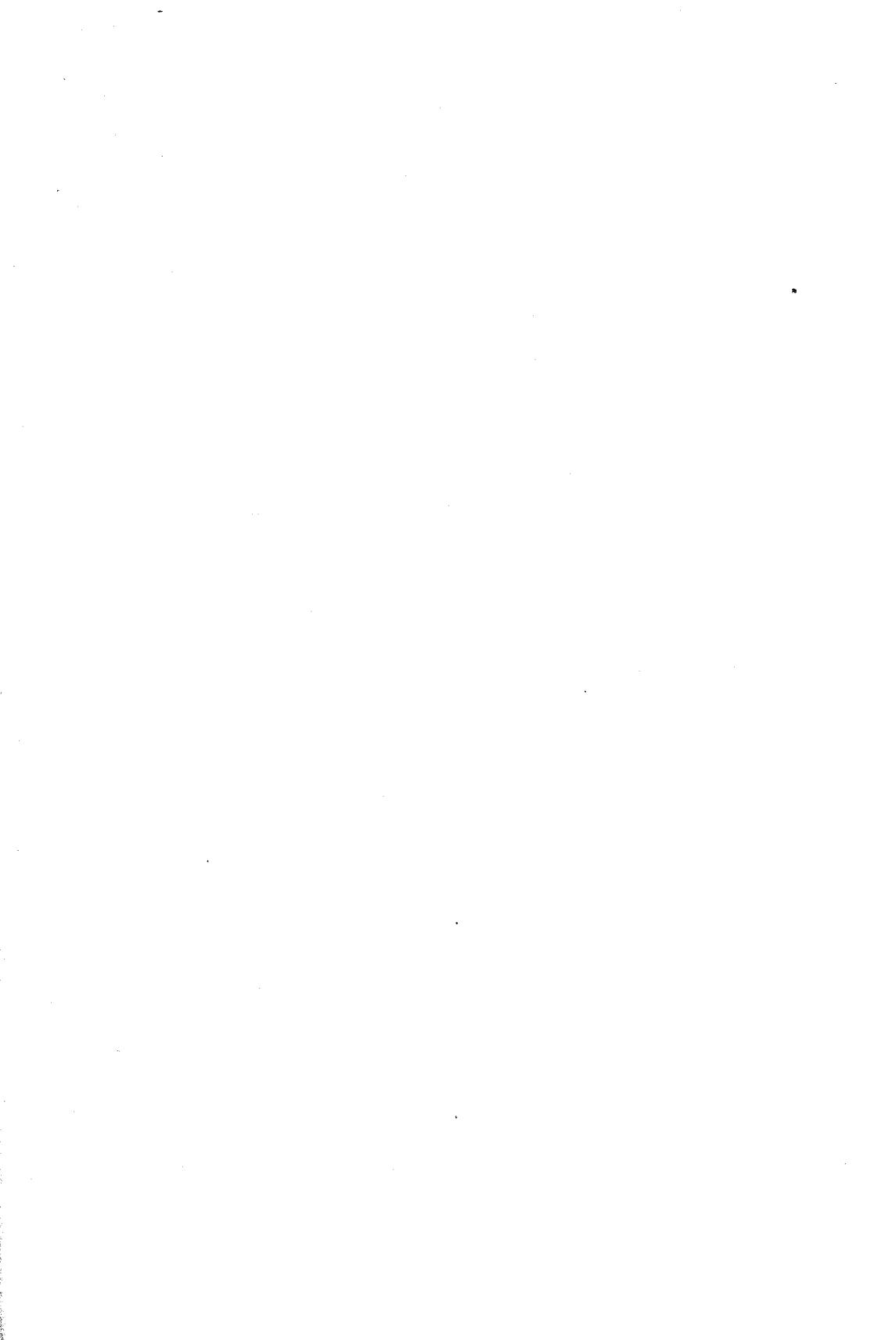
لهذا كلّه تهيأً لابن سعود السيطرة على المقاطعة الغنية .
فكان ضربة الاحتلال .

هوامش

- ١٠، معجزة فوق الرمال، أحمد عسّه، ط ٣، ١٩٧١، بيروت، ص ٦٥.
- ١١، الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٩٢٣ - ١٩٢٤، موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، ط ١ جدة، ١٩٨٢، ص ٢٣.
- ١٢، المصدر السابق، ص ٢٣.
- ١٣، بنيوا ميشان، مصدر سابق، ص ١١١، وأيضاً بنيوا ميشان، فيصل، تعريب رمضان لاوند، ص ٢٣.
- ١٤، خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٣.
- ١٥، الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، الدكتور أيمن الياسini، ط لندن الأولى ١٩٨٧، ص ٤٨.
- ١٦، وأيضاً الدكتور عبد العزيز منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٤.
- ١٧، بعض المؤرخين يقول أنه في شهر «أبريل».
- ١٨، الدكتور العقاد، مصدر سابق، ص ١٩٢.
- ١٩، ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٤٤.
- ٢٠، جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ٣١٠.
- ٢١، جلال كشك، مصدر سابق، ص ٤٥١، ويبدو أن اللقاء تم في عام ١٩١٣ قبل أسبوعين من الاحتلال الأحساء، وليس في أواخر عام ١٩١٢، لدرجة أن التقرير لم يصل إلى روساته إلا بعد إحتلال الأحساء.
- ٢٢، انظر الوثيقة ١٨٢٠ / FO 371، E29150، مؤرخة في الخامس والعشرين من يونيو ١٩١٣، ومرسلة من الكابتن شكسبيير في الكويت، إلى السيد بيبرسي كوكس في بوشهر.
- ٢٣، واضح أن شكسبيير قدم المعلومات لابن سعود محظياً به على إحتلال الأحساء، ويبدو أنه كتب هذا التحليل على لسان ابن سعود نفسه، والغريب أن التحليل هذا وصل إلى وزارة الخارجية البريطانية بعد إحتلال ابن سعود للأحساء، أي بعد أن قضى الأمر الذي فيه تستفتيان!
- ٢٤، من الطريف جداً أن يتحدث الوهابيون عن «الحرية الدينية»، التي لا يؤمن بها أساطين المذهب الوهابي، حتى وإن كانت ضمن إطار الإسلام، ولذا كان قتل من خالفهم في الرأي سمة من سمات تشديدهم وغلوتهم.
- ٢٥، وثيقة رقم ٣٥٤٤ / FO 371، E35392، مؤرخة في الرابع عشر من فبراير ١٩١٧، من تقرير مطول أعدد الكابتن A.T. ويلسون، كبير الضباط السياسيين الملحقين بالقوات الإمبراطورية البريطانية «المكتب العربي» في البصرة بعد إحتلالها، ومرسل إلى مدير العام لمكتب الاستخبارات العربية، عن طريق مدير الاستخبارات العسكرية بالقاهرة.
- ٢٦، وقد أرسلت نسخة من التقرير المطول جداً، إلى كل من «وزير الخارجية، لندن- وزير خارجية حكومة عموم الهند البريطانية، بلهي- السكرتير السياسي في وزارة شؤون الهند، لندن- والى سكرتير حكومة عموم الهند للشؤون العربية».
- ٢٧، جلال كشك، المصدر السابق، ص ٤٥١.
- ٢٨، جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، مصدر سابق، ص ٣١٠.

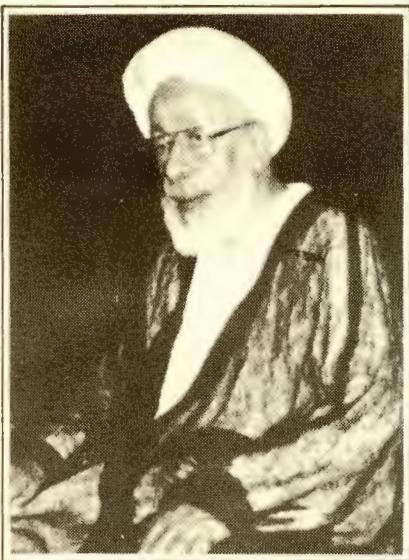
- ١٨٥، كيلي، مصدر سابق، ص ١٨٥.
 ١٩٠، الحياة العلمية والتكنولوجية والفكرية في المنطقة الشرقية، الدكتور عبد الله ناصر السبيسي، ط ١
 ١٩٨٧، ص ٢٥٠.
 ٢٠٠، جلال كشك، المصدر السابق، ص ٤٥٣.
 ٢١٠، موعد مع الشجاعة، قبس من حياة عبد العزيز، قدرى قلعجي، ص ١٧٤.
 ٢٢٠، آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٣٤.
 ٢٣٠، المصدر السابق، ص ٣٤.
 ٢٤٠، المصدر السابق.
 ٢٥٠، المصدر السابق، ص ٣٧.
 ٢٦٠، المصدر السابق، ص ٣٢٢.
 ٢٧٠، لمزيد من التفاصيل عن هذه العائلة راجع كتاب *The Merchant*، للكاتب مايكل فيلد، والكتاب مترجم ويحمل اسم «التجار»، جزءان، ترجمة دمام عطاونة، لندن.
 ٢٨٠، العقاد، مصدر سابق، ص ١٩٢، ١٩٣.
 ٢٩٠، انظر أيضاً، كشك، مصدر سابق، ص ٣٤١، ٣٤٢. وربما لا تعبر الوثيقة المنكورة منشوراً من منشورات ناقد باشا للتبرير الاستيلاء على الأحساء، وأذا كانت مواعيد الأتراك قد ذهبت هباء، فإن مواعيد السعويين لأهالي المنطقة قد أخلفوها مرات ومرات، وفي شئ المجلات.
 ٣٠٠، إشارة إنجلزية مهنية للصحف البريطاني للقطيف في فبراير ١٨٦٦.
 ٣١٠، اليكسي فاسلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٣.
 ٣٢٠، المصدر السابق، ص ٢٤٢.
 ٣٣٠، المصدر السابق، ص ٣٢٠.
 ٣٤٠، ينقل روبرت ليسى طرفة تقول إن أحد أعضاء وفد بريطاني سأل الملك عبد العزيز في الرياض، عن أعظم شخصية بريطانية أعجب بها، فرد بدون تردد شكسبير، فظن الزائر السائل، أن الملك يقصد الآديب الانجليزي شكسبير، وتعجب كيف أن بدوايا متزوجاً في نجد يتبع باهتمام الآداب الانجليزية، ولكن الملك أكمل حديثه مثنياً على شكسبير، وتبيّن لهم أن المقصود، هو المعتمد السياسي البريطاني في بلاده، والذي قُتل معه في معركة جراب.
 ٣٥٠، انظر الوثيقة E29150 / 1820 / 371 FO، مرسلة من الكابتن شكسبير، إلى المقيم في بوشهر، بتاريخ ١٥ مايو ١٩١٣.
 ٣٦٠، الوثيقة السابقة.
 ٣٧٠، رسالة من الليفتانت كارلونيل، السير بيروس كوكس، إلى حكومة الهند، في ١٦ مايو ١٩١٣.
 ٣٨٠، راجع التعليقات على الوثيقة E29150 / 1820 / 371 FO.
 ٣٩٠، الوثيقة E29150، تاريخ ٢/١٩١٢، من وزارة الخارجية إلى وزارة شؤون الهند.
 ٤٠٠، انظر E27206 / 1820 / 371 FO، برقية في الثامن عشر من يونيو ١٩١٣.
 ٤١٠، جلال كشك، مصدر سابق، ص ٣٤٩.
 ٤٢٠، المصدر السابق، وهناك ملاحظة هامة، هي أن احتلال الأحساء تم في الحادي عشر من أبريل ١٩١٣، أي أن اللقاء تم مع ابن سعود قبل أقل من شهر من إقامته على احتلال المنطقة.
 ٤٣٠، المصدر السابق، ص ٣٥٥.
 ٤٤٠، انظر الوثيقة E35392 / 3044 / 371 FO، ومؤرخة في ١٤ فبراير ١٩١٧. أعد التقرير في ١٢ يناير ١٩١٧، وانظر أيضاً جلال كشك، مصدر سابق، ص ٣٥٨، ٣٦٠.

ملحق الصور





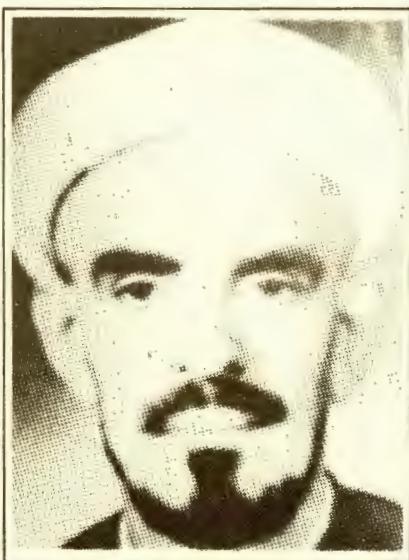
العلامة الأديب الشيخ عبد الحميد الخطيب
قاضي الشيعة في القطيف واحد كبار العلماء
المعاصرين .



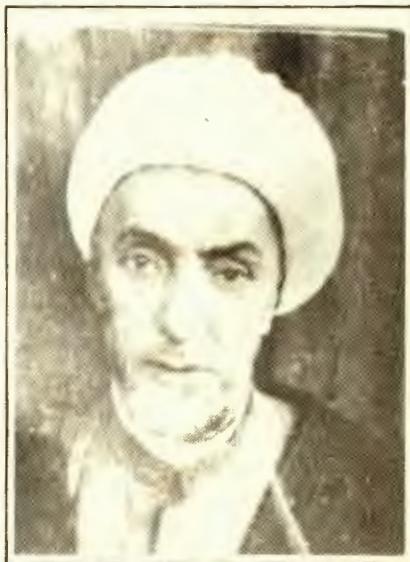
آية الله المجتهد الشيخ محمد الهاجري من
كبار العلماء المعاصرين في الأحساء .



فضيلة الشيخ محمد علي العمري ، أحد
العلماء المعاصرين في المدينة المنورة .



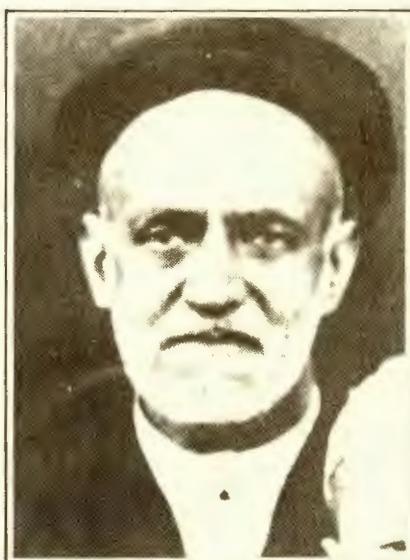
العلامة الشيخ حسن الخليفة أحد كبار
العلماء المعاصرين في الأحساء .



آية الله الشيخ محمد صالح المبارك الصفواني
(صفوی) ١٣١٨ - ١٣٩٤ هـ



الإمام الشيخ علي أبو حسن ابن مهدي
الخنizi ١٢٩١ - ١٣٦٣ هـ



الخطيب الفاضل السيد هاشم السيد شرف
المير الصفواني (صفوی) ١٣٢٣ - ١٣٨٧ هـ



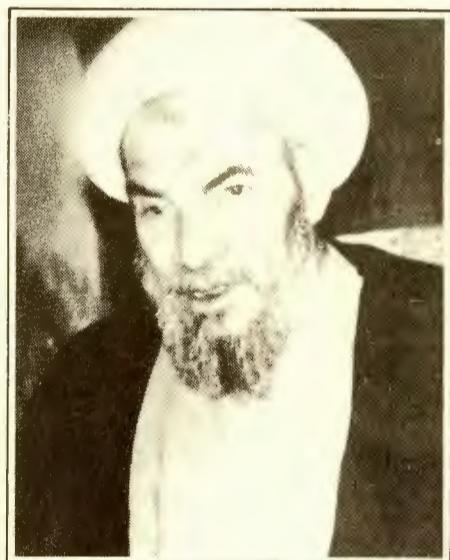
العلامة الشيخ فرج حسن العمران
(القطيف) ١٣٢١ - ١٣٩٨ هـ



آية الله السيد ماجد السيد هاشم العوامي
(القطيف) ١٢٧٩ - ١٣٦٧ هـ.



العلامة الخطيب الشيخ منصور المرهون
(أم الحمام) ١٢٩٤ - ١٣٦٢ هـ.



العلامة الشيخ علي بن يحيى المحسن
(تاروت - السنابس) ١٣٢٢ - ١٤٠١ هـ.



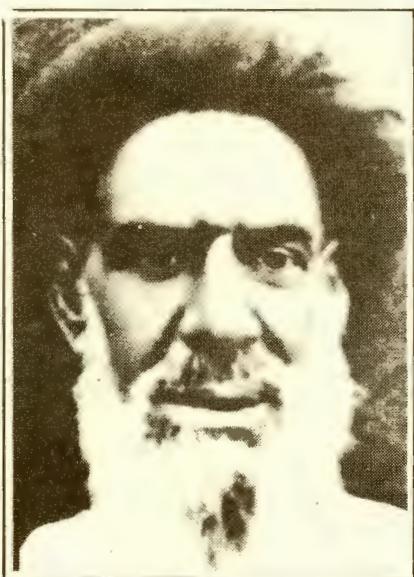
آية الله الشيخ موسى أبو حمسين
(الهفوف) ١٢٩٥ - ١٣٥٣ هـ



العلامة الشيخ عبد الكريم حسين الفرج
(العوامية) ١٣١٩ - ١٣٧٣ هـ



آية الله السيد ناصر السيد هاشم السليمان
الأحسائي (المبرز) ١٢٩١ - ١٣٥٨ هـ
(القطيف)



آية الله المجاهد الشيخ حسن علي عبد الله البدر
الأحسائي (المبرز) ١٢٧٨ - ١٣٣٤ هـ



مدیر الشرطة بمنطقة حضرموت الحاج عبد الله بن نصر الله //

من اليمين : مدير شرطة القطيف احمد مقدمي ، الحاج عبدالله نصر الله، الحاج احمد الكاكا ،
وعبد الرحيم بن نصر ، الصغير ، التقطت الصورة سنة ١٣٦٩ هـ .



من اليمين : الزعيم الحاج عبد الحسين بن جمعة الذي أعدمه السلطات السعودية عام ١٩١٤ م ، الوجيه المرحوم الحاج عبدالله بن راشد ، الزعيم الوطني البasha منصور بن جمعة المتوفى ١٣٣٠ هـ .

من اليمين : مندوب امارة المنطقة الشرقية ممثل الامير سعود بن جلوبي ، احد تجار القطييف الكبير - انتادا - ويدعى ابو عائشة وهو من حائل ، الوجيه عبد الله بن نصر الله عمدة القطييف ، الوجيه سلمان عبدالله الشناسي ، عدة سهيلات ، الوجيه سلمان عبد المهدى عده صلوى ، حسن على المزروق ، احد وجاه القطييف ، وسائلن مندوب الامارة





الزعيم الوطني الباشا منصور بن جمعة المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ



سلمان بن عبد الهادي، زعيم بلدة صفوى، التقطت الصورة في يونيو ١٩٤٧ م.



أمير الظهران وأخ حاكم الأحساء، الأمير عبد المحسن بن جلوى، قبل أن يصبح أميراً
لعموم المنطقة الشرقية لستيني طولية.



رئيس قوة الشرطة في القطيف، يونيو ١٩٤٧ م.

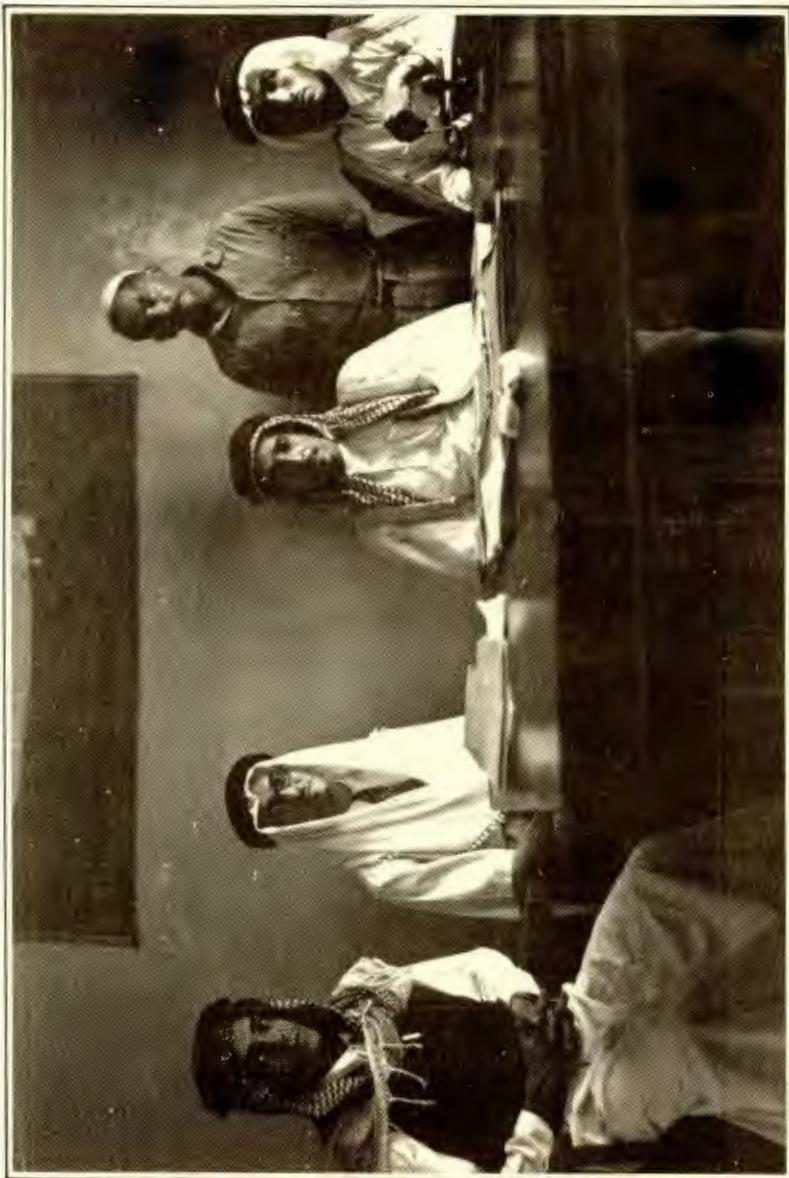


أحد شيوخ القطيف مع ابنه ينتظران ملقاء الأمير في مبني الإمارة.



ثلاثة من موظفي أرامكو السعوديين خارج خيمتهم في رأس تنورة، ويعملون كخدم لدى الأميركيين.

يساره مدير جمارك بلدة الخبر،
الصبيت أثناء الخلاف على واحات البريمي، وعن يمينه مدير الجمارك في رأس تنورة سالم البرغري، وعن





مجموعة من خويا بن جلوى في الظهران والمكلفين بحفظ الأمانة!.



صباب القهوة في امارة القطيف مع دلته وأقداحه (الفناجين).

بنى الأسرة في القبطي في بيروت ١٩٦١م، ولها صاحب حمود العقادوي.

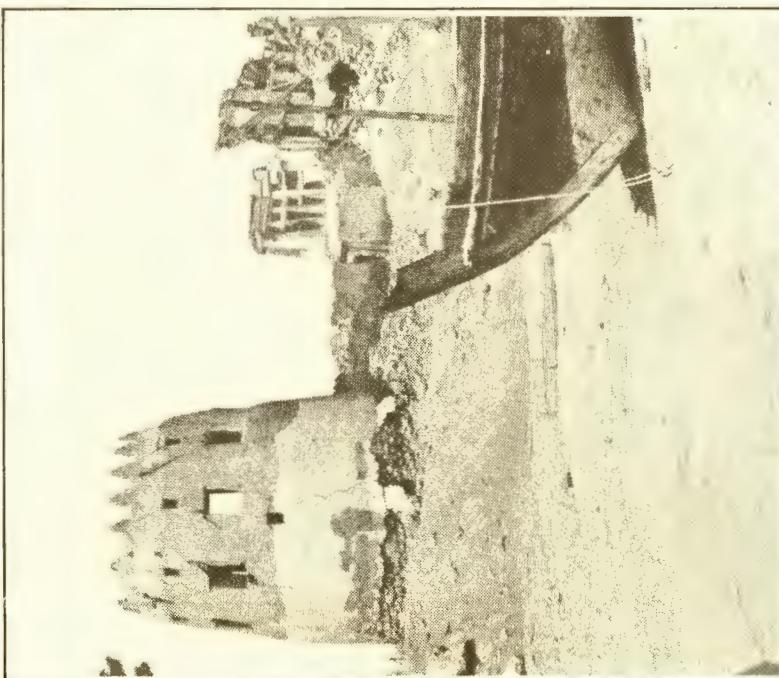
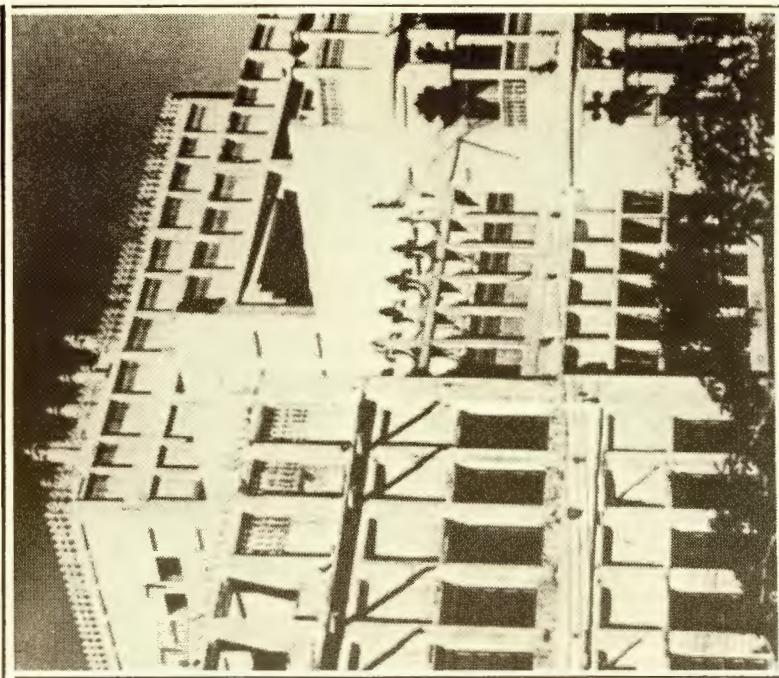


مبني الجمارك في القصيف، ومن خلفه المبناه الذي يتم عبره تصدير التمور الى عدد من البلاد.



طر إمارة المنظلة الشرقية بعد نقلها من المهووف إلى الدلم.

قلعة جزيرة تلوت بناها البرتغاليون أثناء احتلالهم المنظلة.



الصورة في يونيو ١٩٤١ م. مدينة القطف الساحلية والزراعية في لقطة من الجو، حيث تحف بها مئات الآلاف من أشجار النخيل، التقاطت





مدينة الجبيل عام ١٩٣٥ م لم تزد مساحتها عن كيلو متر واحد .



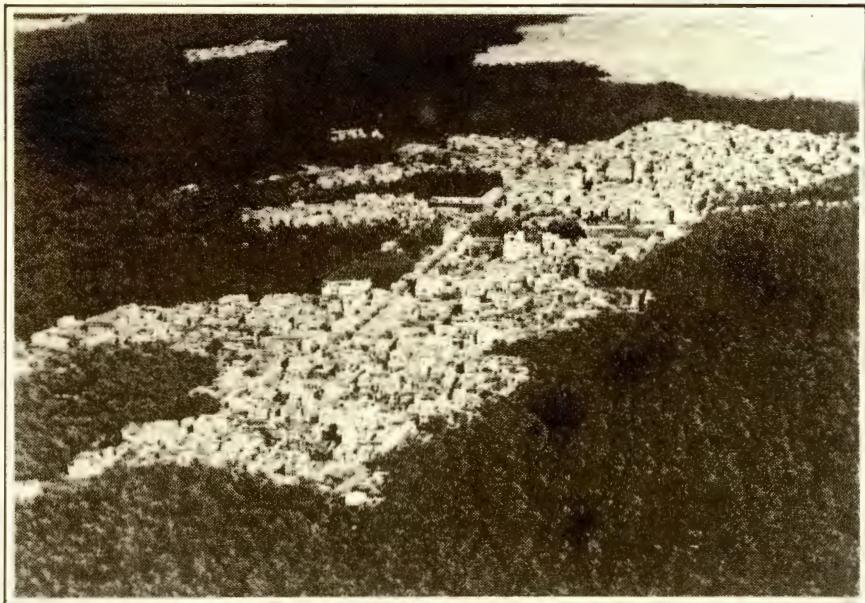
مبناء العقير ١٩٣٥ م



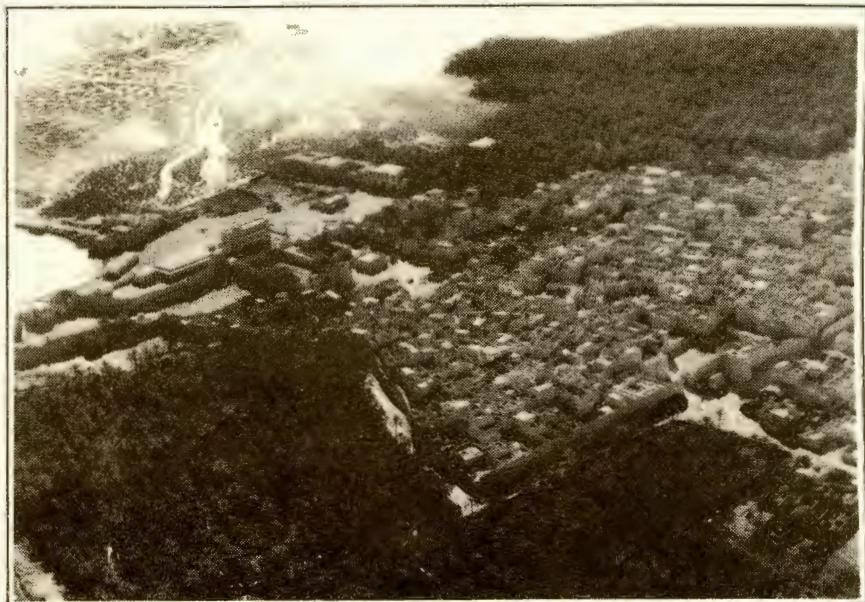
كانت الخبر قبل الأربعينيات قرية لصيد السمك . والصورة لبعض المنازل فيها .



نواة مدينة الدمام اليوم ، حيث لم يكن سوى بعض البيوت والمتاجر والسكان .



صورة للقطيف من الجو التقطت عام ١٩٥٥ م



صورة جوية اخرى لجزء من مدينة القطيف عام ١٩٥٥ م ، وقد بدا سورها يحيط بالاحياء السكنية .



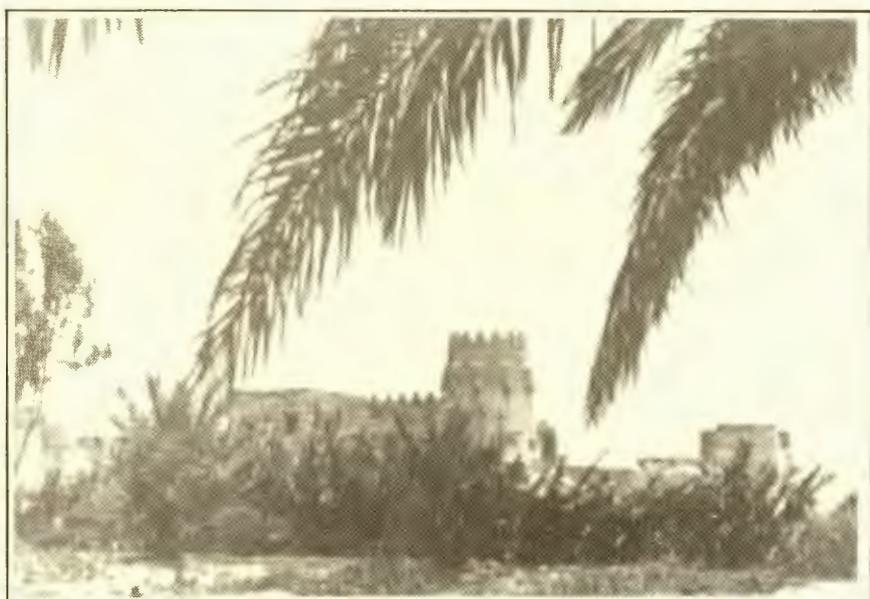
جانب آخر من القطيف في صورة التقطت ايضاً في العام ١٩٥٥ م .



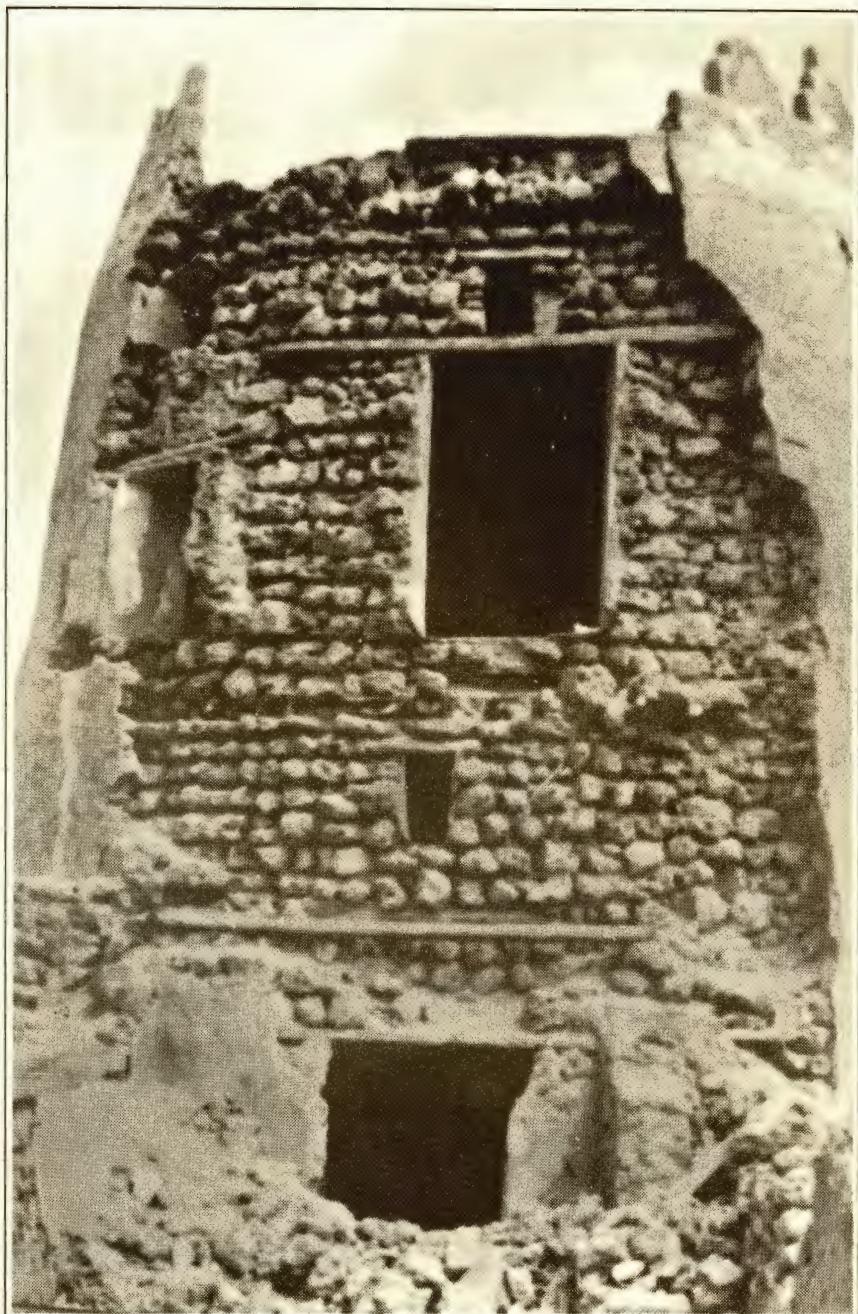
عين أم سبعة في الاحساء .



أحدى قلاع الدمام القديمة قبل أن تصبح الدمام مدينة .



قلعة بناتها الاتراك في قرية عنك جنوب القطيف .



إحدى القلاع التاريخية في منطقة دارين الساحلية .



سوق القطيف القديم



سور احدى القلاع التاريخية بالمنطقة



سور آخر لقلعة تاريخية أخرى .



قلعة القطيف التي بناها مؤسس الدولة الساسانية ، أردشير بن بابك ، (٢٢٦ - ٢٤١ م)



سوق القطيف المعروف بسوق السكة .



احدى قنوات الري الصغيرة والكثيرة، التي يقف عندها الفلاحون لشرب الحمير الماء.



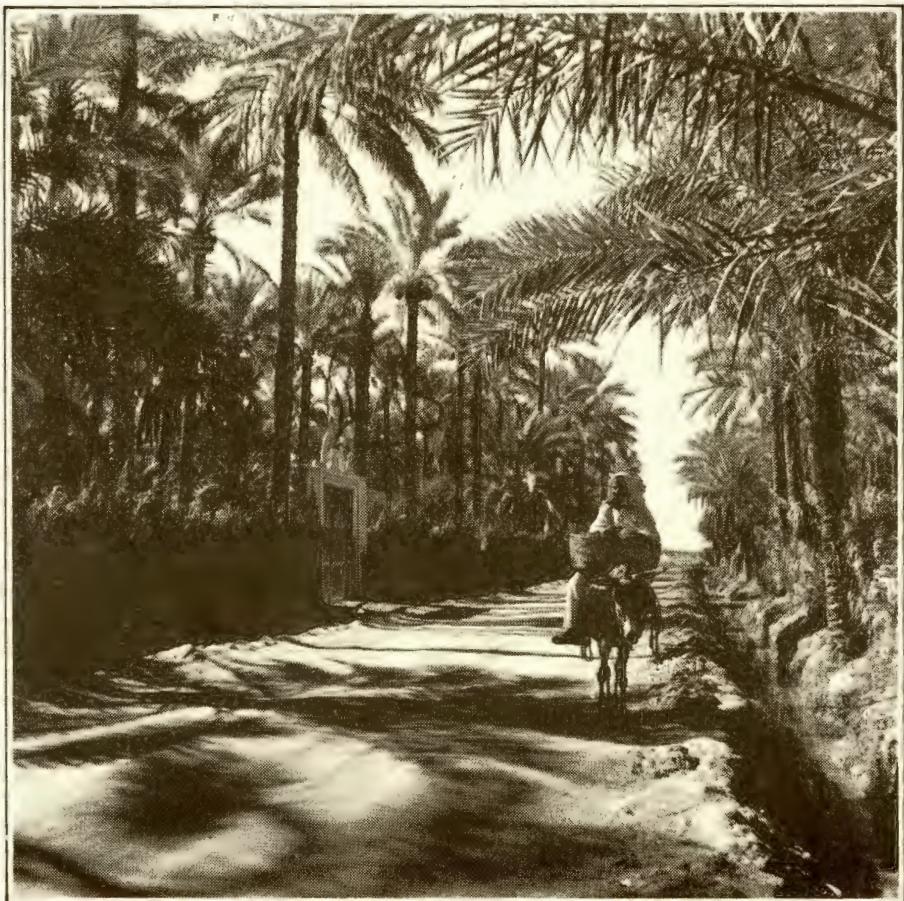
صبي يتسلق شجرة لوز تشتهر بها منطقة القطيف بنحو خاص.



سعف النخيل على ظهور الحمير المادة الأساسية في صناعة الكثير من احتياجات السكان.



قافلة صغيرة من الحمير مغادرة سوق القطيف في طريقها الى احدى القرى عبر شارع
ترابي بين النخيل.



فلاح في طريق عودته الى منزله قادماً من احد بساتين النخيل.



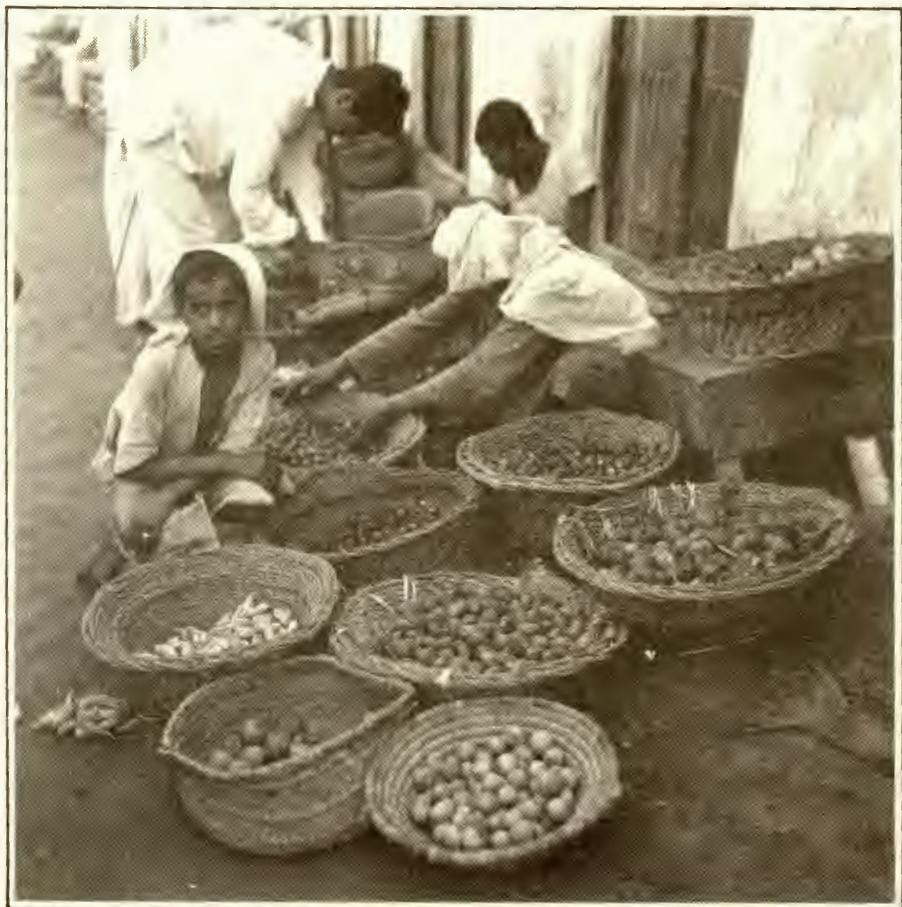
القطيف.. إحدى عيون المياه العذبة المنتشرة تحيط بها بساتين النخيل، يونيو ١٩٤٧م.



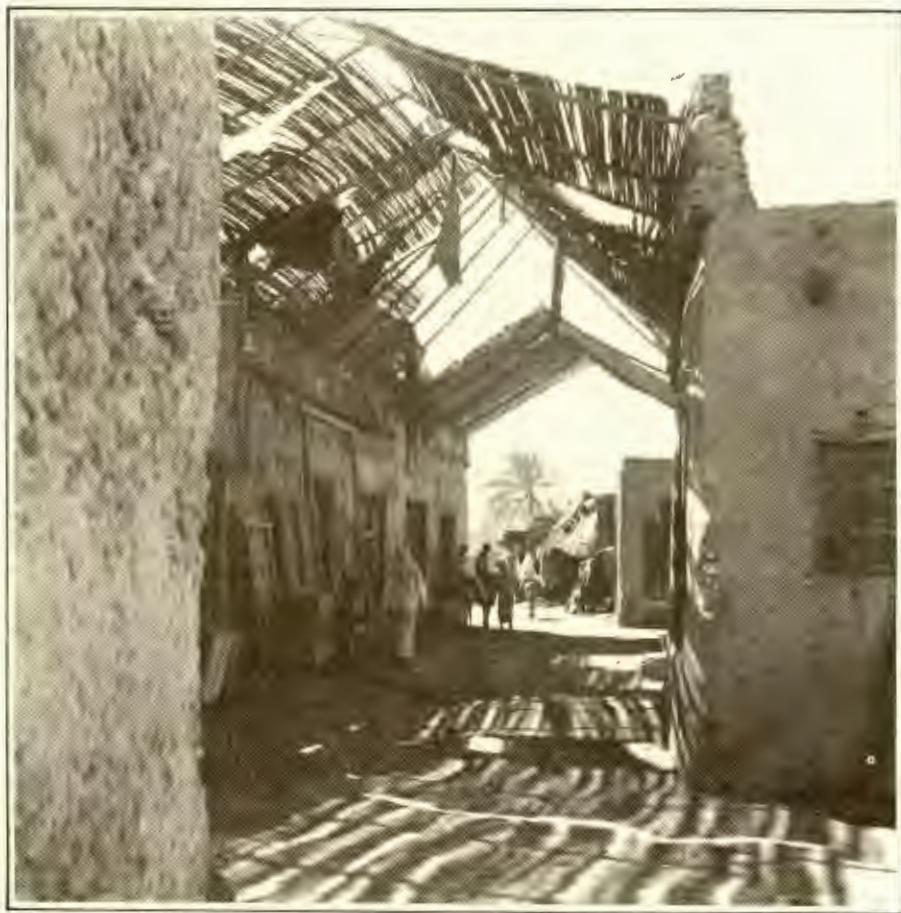
قنات ري ترابية تخترق الغابات الكثفة من أشجار النخيل.



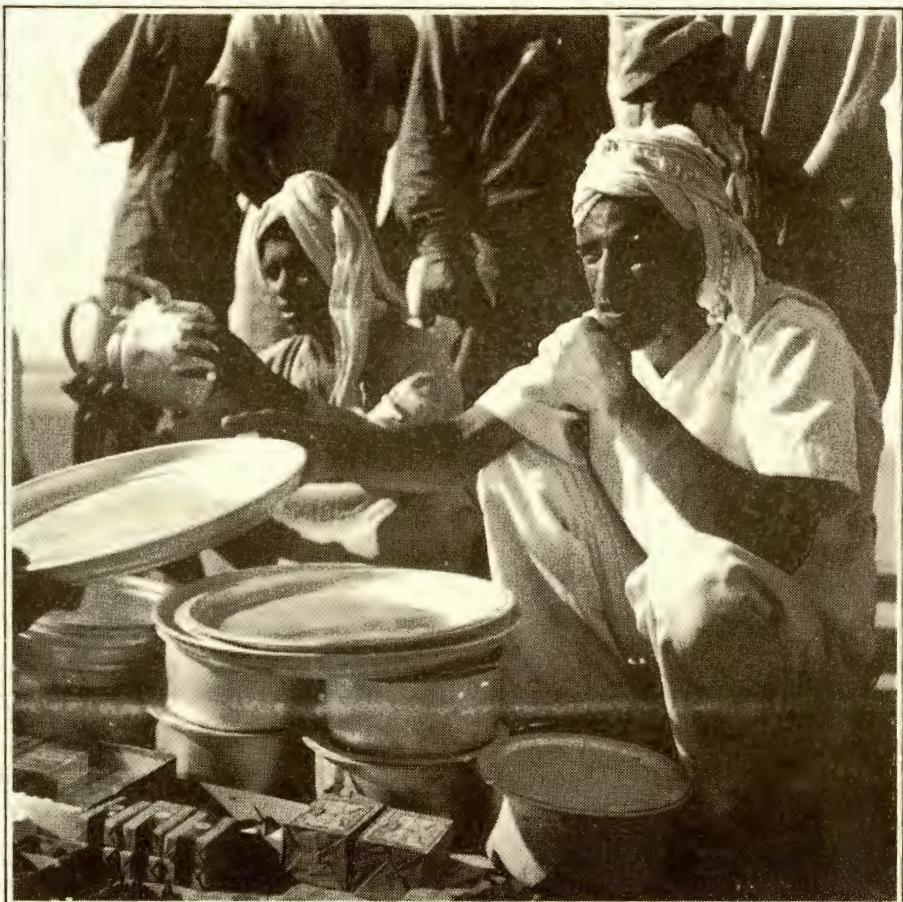
حافلات أيام زمان بالقرب من سوق القطيف.



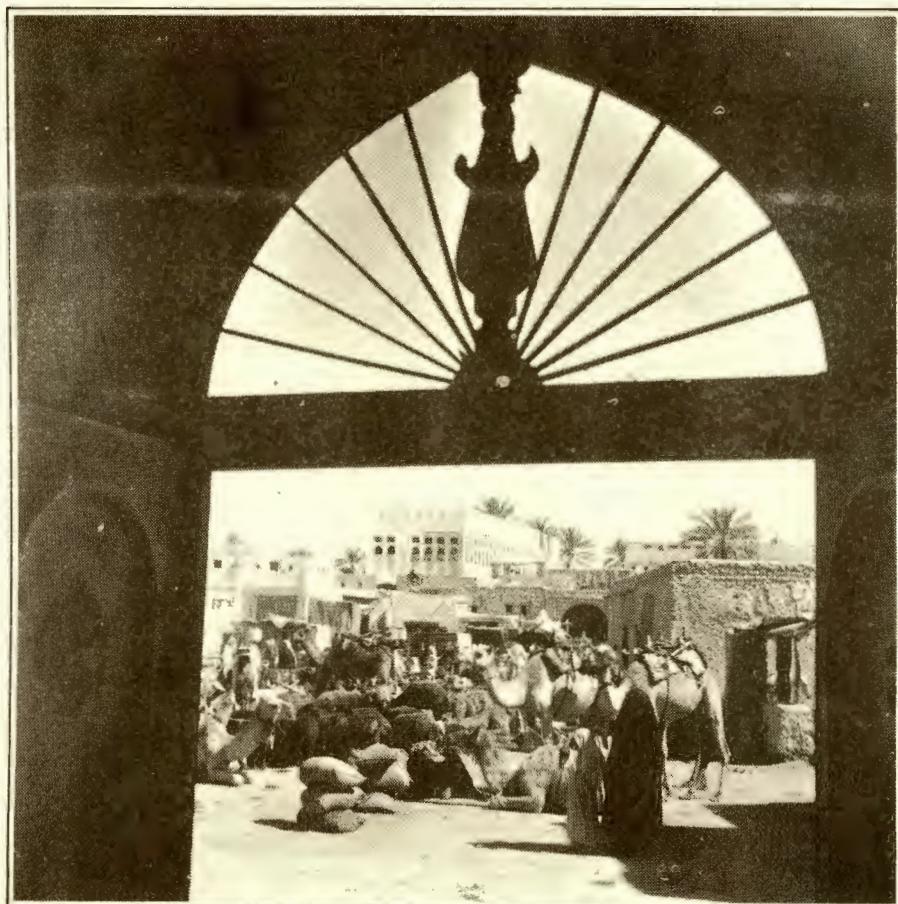
شارع جديد مستحدث في منطقة سوق القطيف، حيث تعرض الفواكه والخضروات في سلال محلية صنعت من سعف النخيل وغيرها، ١٩٤٧م.



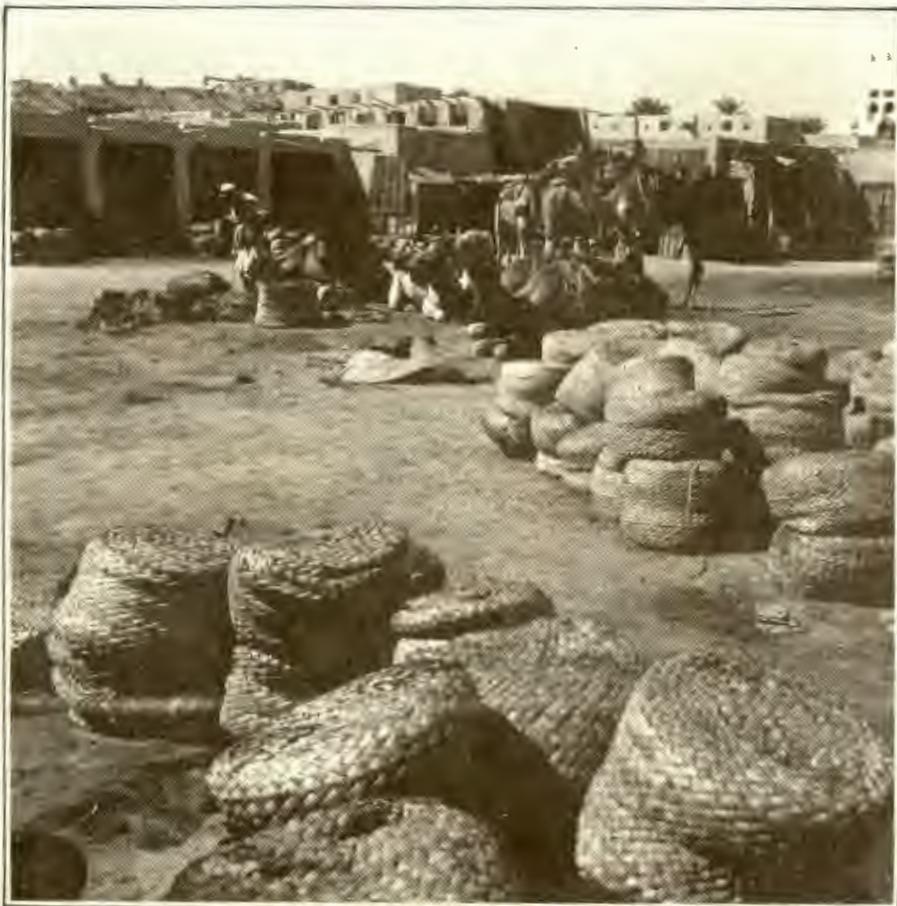
شارع في منطقة السوق بالقطيف، والسقف: قليل من جريد النخل، ١٩٤٧ م.



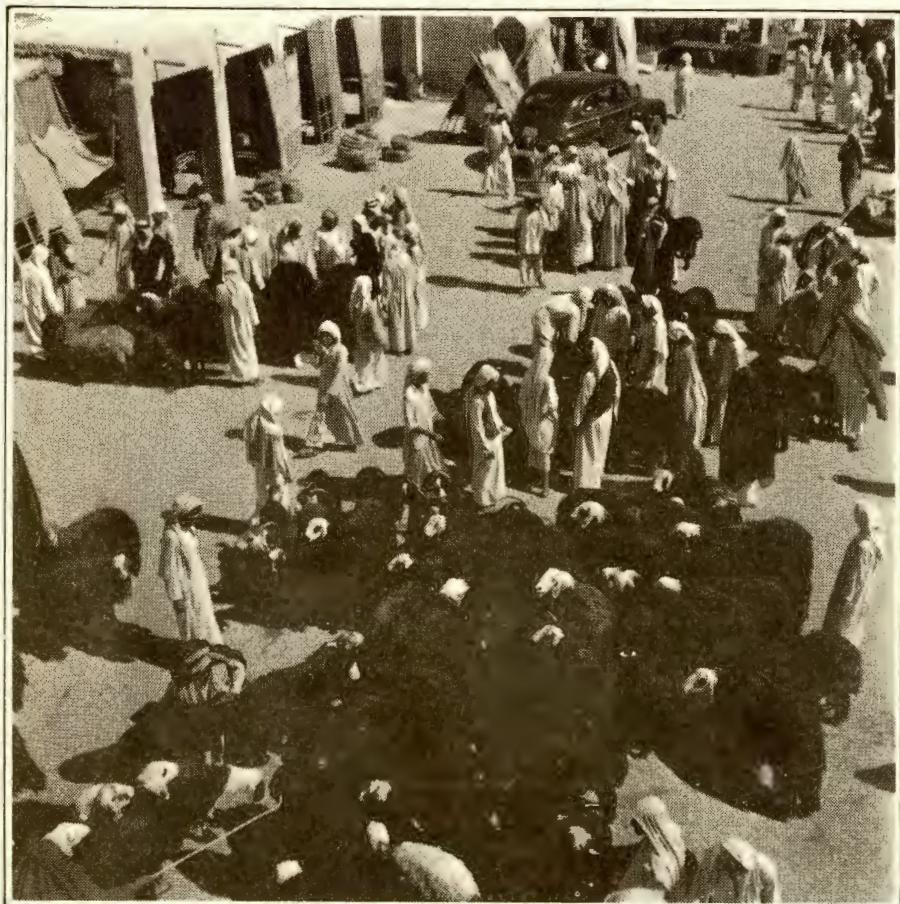
أحد موظفي أرامكو يبيع في السوق غير الرسمية التي تشكلت خلف بوابة معمل التكرير (الريفابيني) في رأس تنورة، وذلك في يوم استلام العمال لمرتباتهم، سبتمبر ١٩٤٧ م.



الظهران .. سوق الحي السعودي، أو سعودي كامب.. جمال وخراف وماعز وغيرها
للبيع، يونيو ١٩٤٧ م.



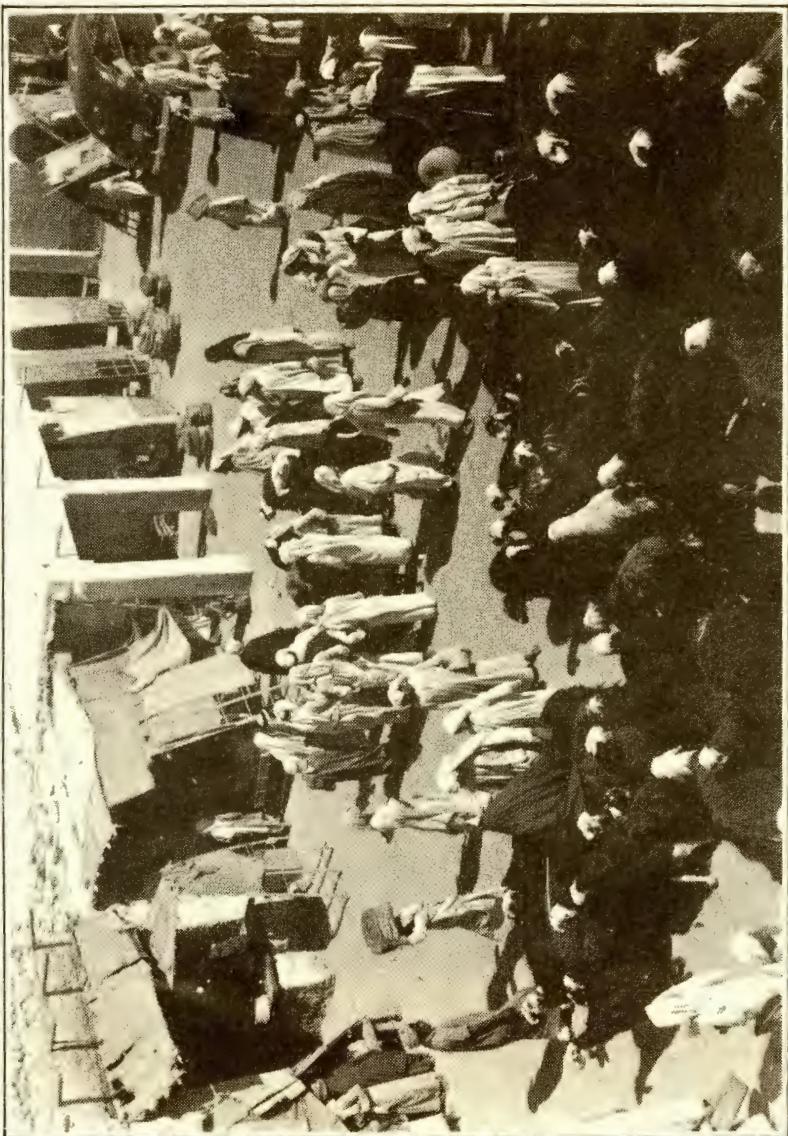
سوق التمر بالقطيف. قلال التمر المضغوط للبيع، وجمال وحمير تأتي بالبضائع من أجل التبادل التجاري.



جانب من سوق الغنم بالقطيف، يونيو ١٩٤٧ م.

في منطقتي الاحساء والقطيف، يونيو ١٤٧٤ هـ

لقطة أخرى من مدينة القصيف وسوقها، السوق المفضل الذي يرتاده البدو المقيمين في محيط المدن والقرى



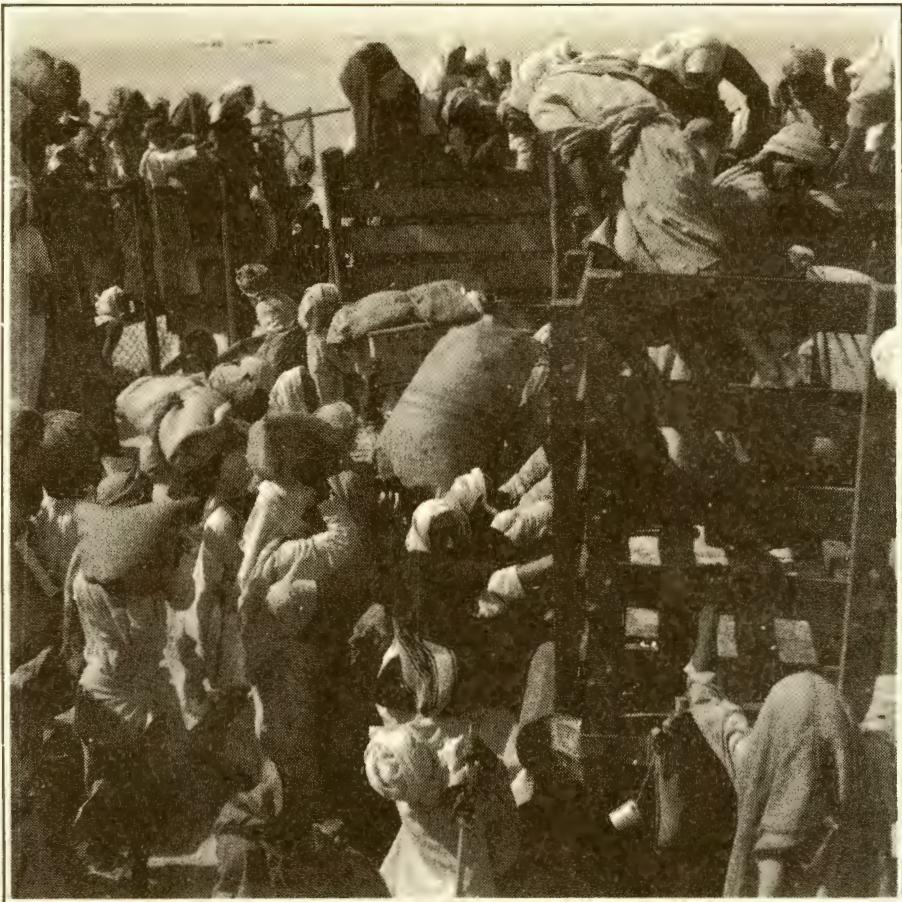


قافلة من الحمير تخترق شوارع القطيف وهي تحمل أكياس الرز والطحين.

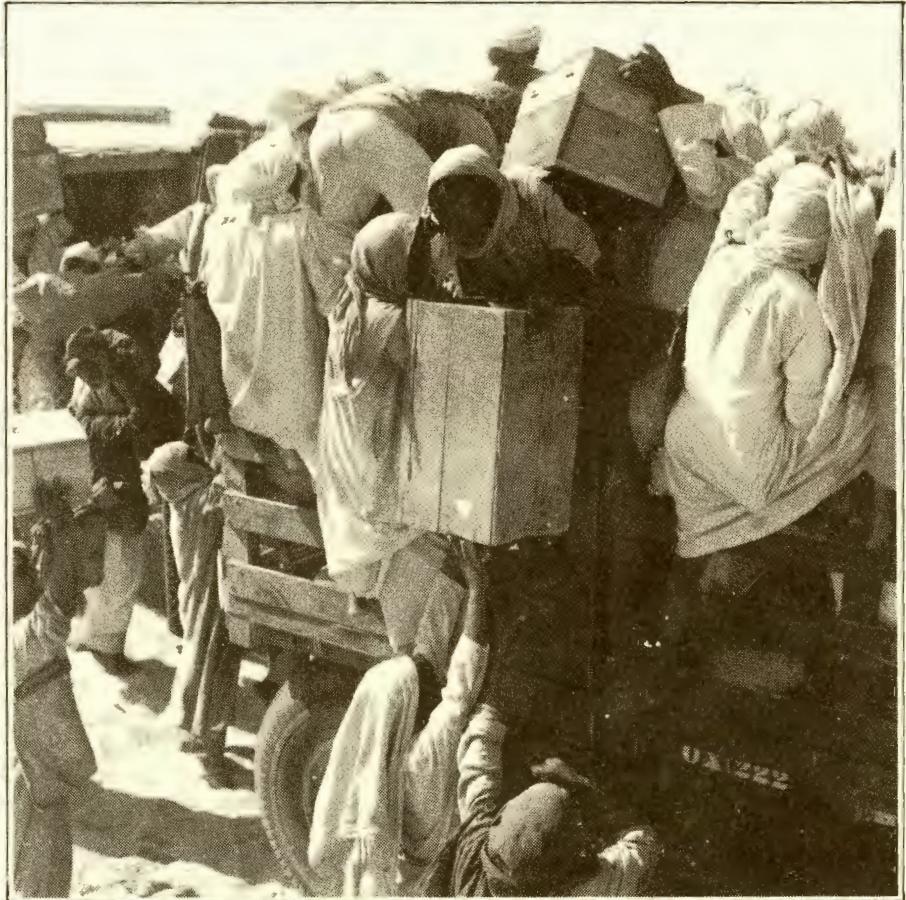
لبعودوا في سيارات شحن أرموكي إلى منازلهم وقضاء العطلة بين ذويهم.

ساحة خلاء وعمال النفط ينتظرون استلام مرتباتهم نصف الشهرية والذى تدفع عادة يوم الخميس.





لقطة أخرى للعمال السعوديين الذين استلموا رواتبهم للتقدّم وهم يبحثون عن مكان لهم في سيارات الشحن تقلّهم إلى مدنهم وقرائهم.



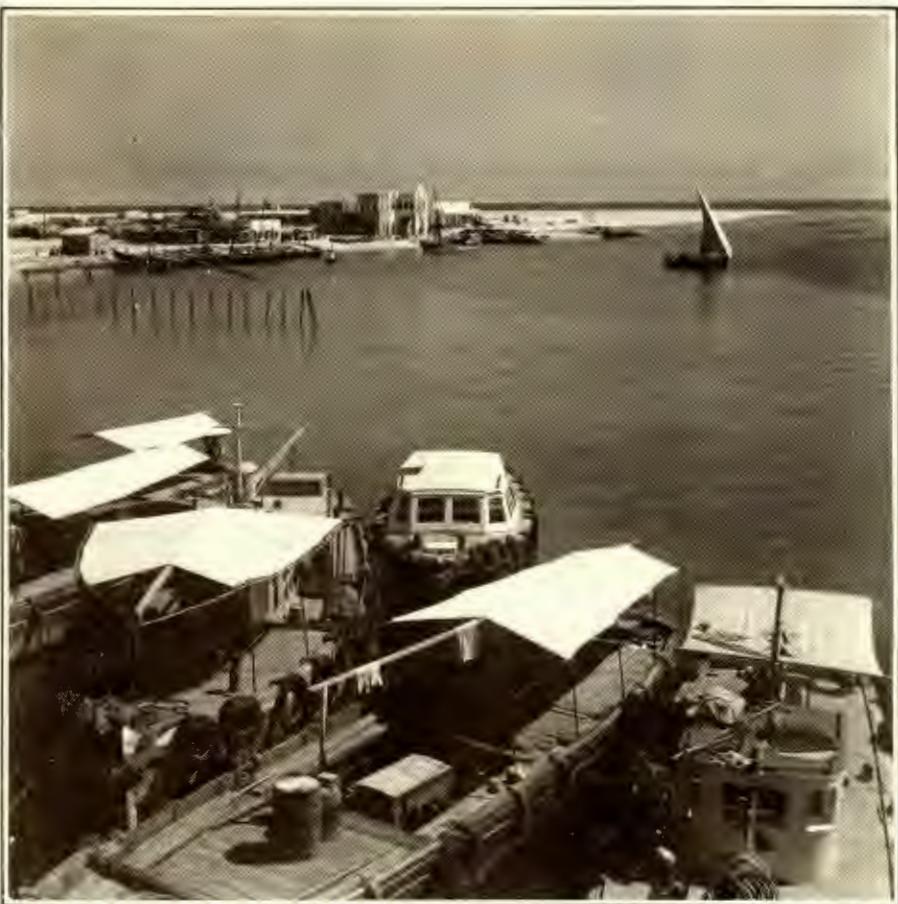
عمال النفط يتدافعون للحصول على مكان في سيارات الشحن التي ستقلهم من
أبقيق إلى مناطق سكناهم في المدن والقرى الأخرى.



المواصلات والمرتبات والسكن، ثلاثة أمور كانت دائمًا مثار احتجاج للمواطنين العاملين لدى شركة النفط الأمريكية -أرامكو. سيارة شحن تنقل العمال إلى رأس تنورة.



النسخة المحسنة لمواصلات أرامكو، سيارة شحن طورها النجارون السعوديون
لتتصبح حافلة، خصصت للمسافات الطويلة بين رأس تنورة والهفوف.



نماذج من القوارب الشراعية الصغيرة التي كانت تصنَّع محلياً بالقرب من
مرفأ بحري لأرامكو رأس تنورة، سبتمبر ١٩٤٧م.



المدمرة الأمريكية توليدو أثناء زيارتها لميناء رأس تنورة النفطي، فيما يقوم حرس ابن جلوى الشخصيين بمعاينتها وحراستها، مايو ١٩٤٧ م.



قارب صغير للصيد .



قارب اخر بفريق اكبر .



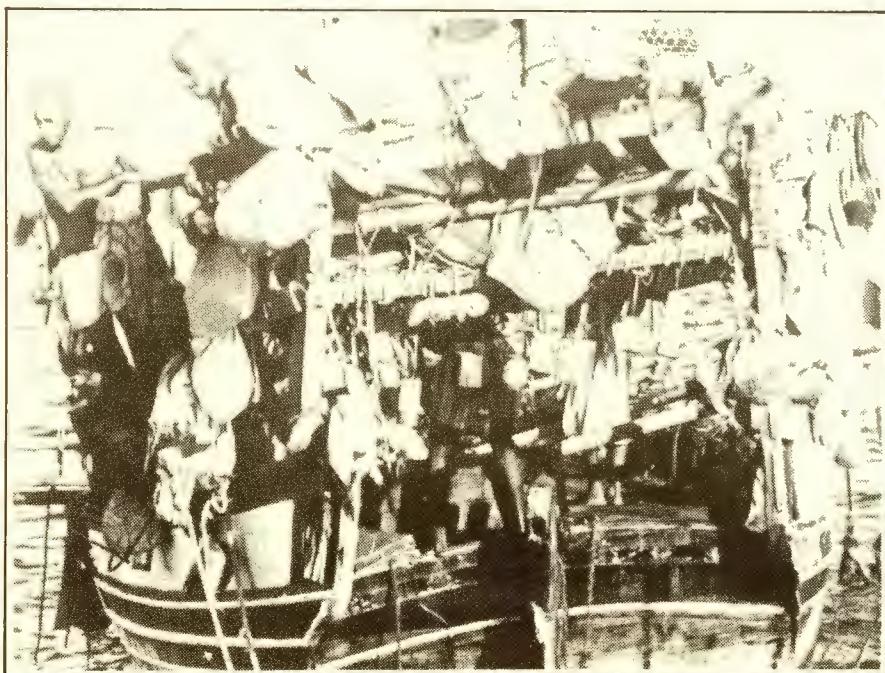
صناعة السلال وغيرها من شجر النخيل .



الصيد بالشبكة في المياه الضحلة .



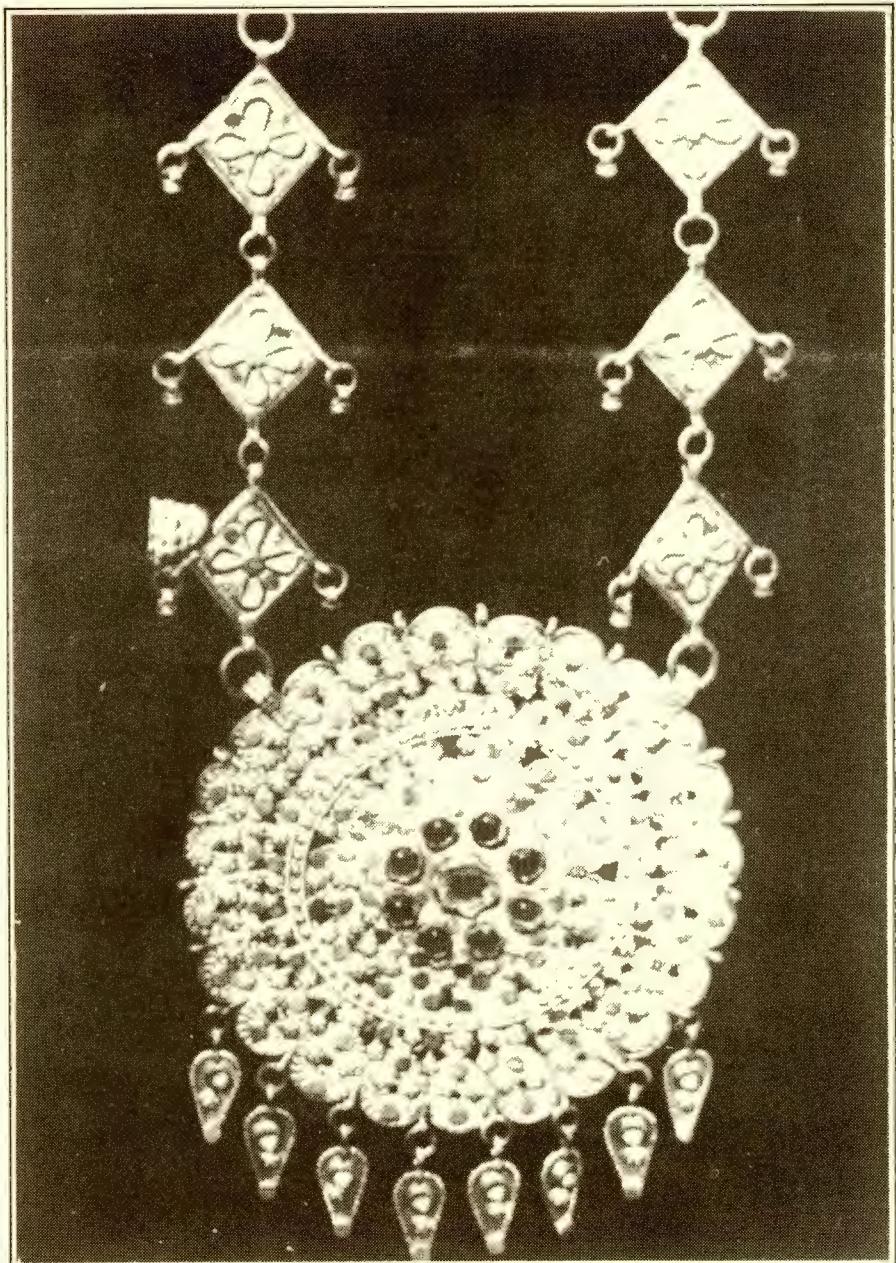
احد غواصي اللؤلؤ في لباس الغوص .



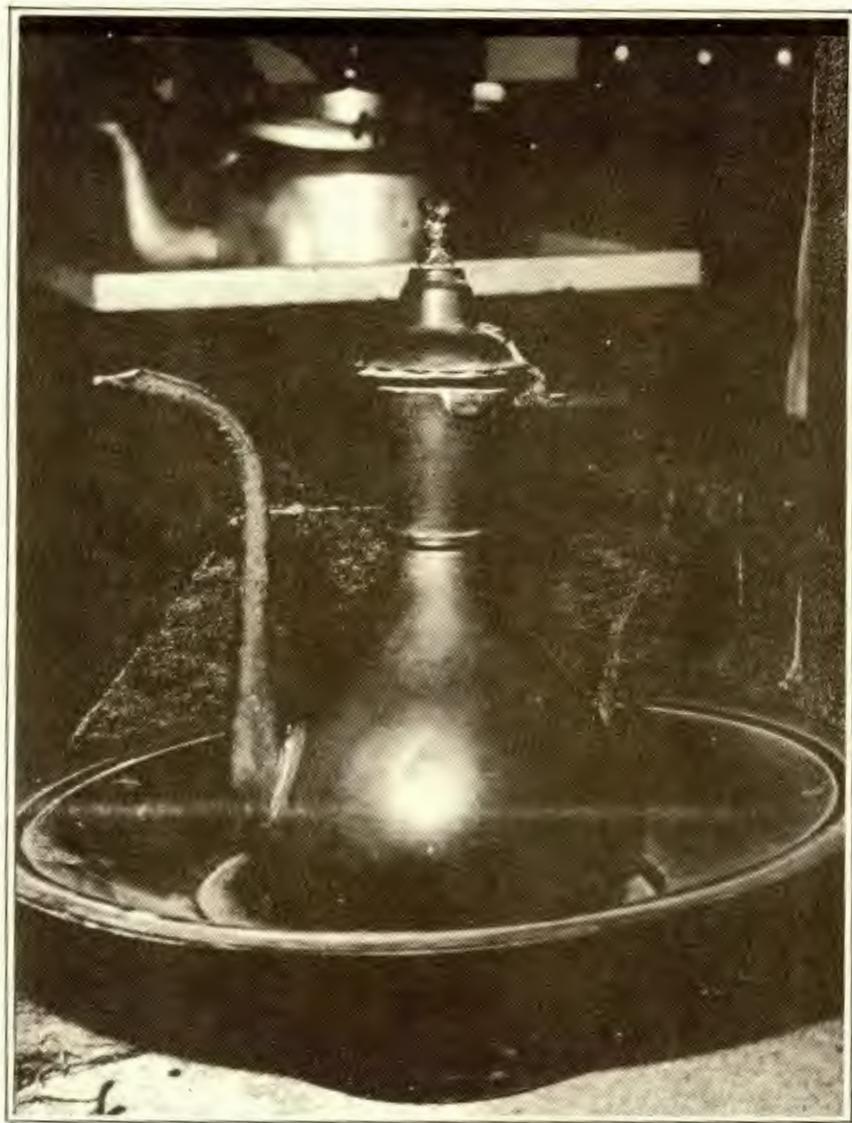
والسفينة تستعد للإبحار لأجل الغوص .



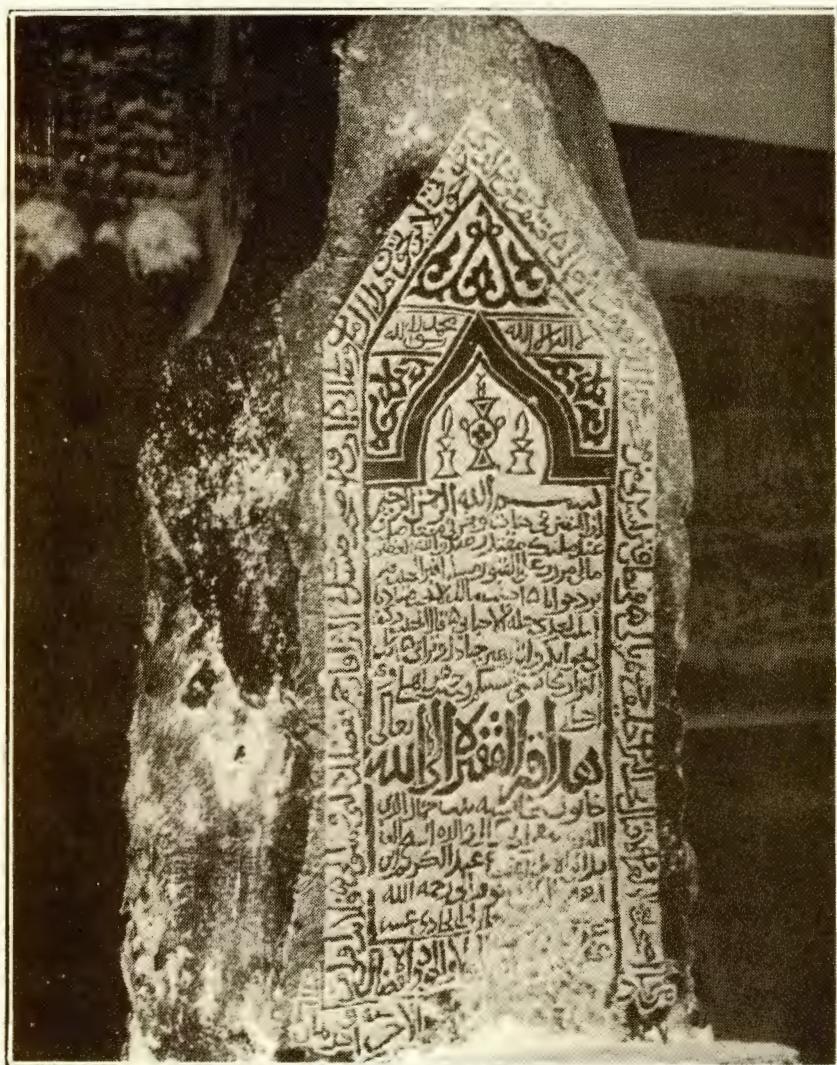
تاجر لؤلؤ من جزيرة تاروت - السنابس وهو المعاصر الحاج علي بن عبداله الحبيب .



أنموذج من صناعات الحلي التي اجادها الحرفيون الشيعة.



وأجادوا أيضاً الصناعات النحاسية . وفي الصورة إناء وابريق ماء يستخدمان
لل موضوع .

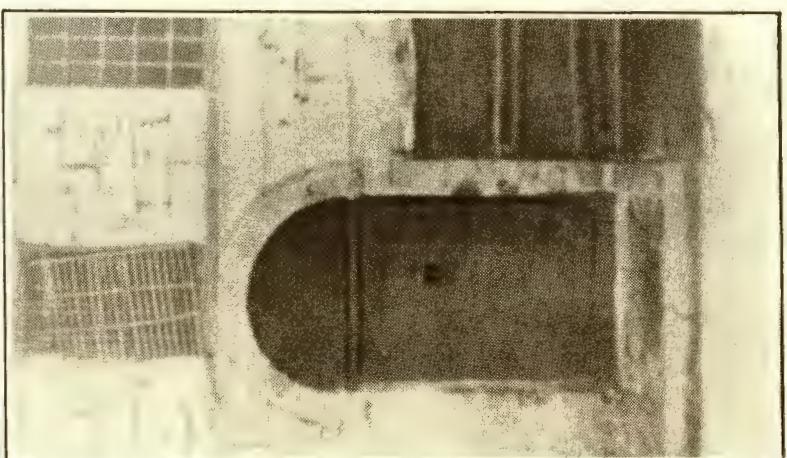
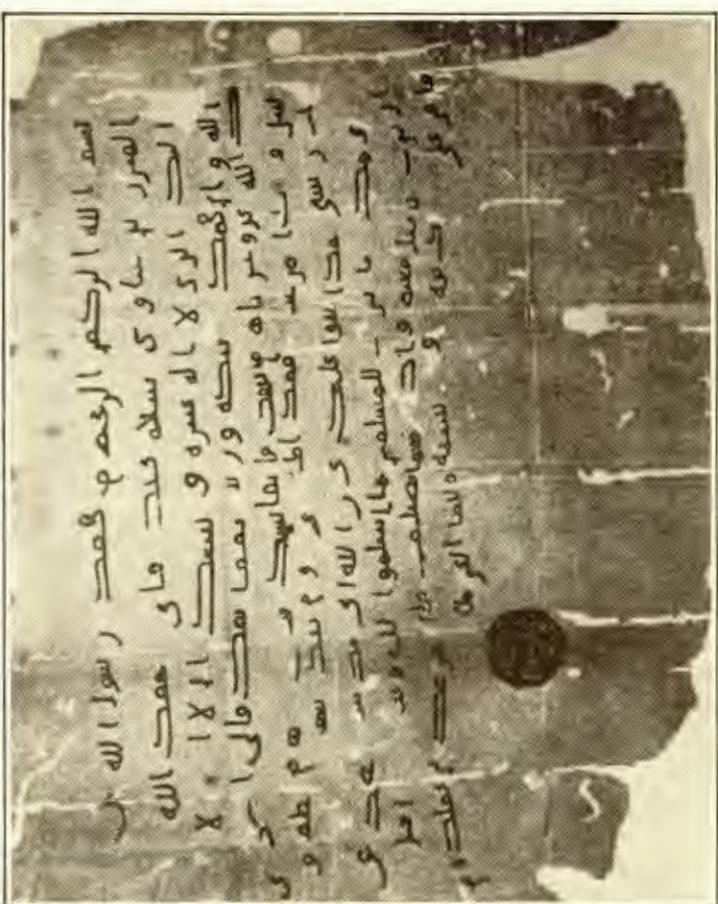


صخرة نحت عليها زخارف وأيات من القرآن الكريم . وضعت علامة على قبر متوفاة . عثر
عليها في المنطقة الشرقية .

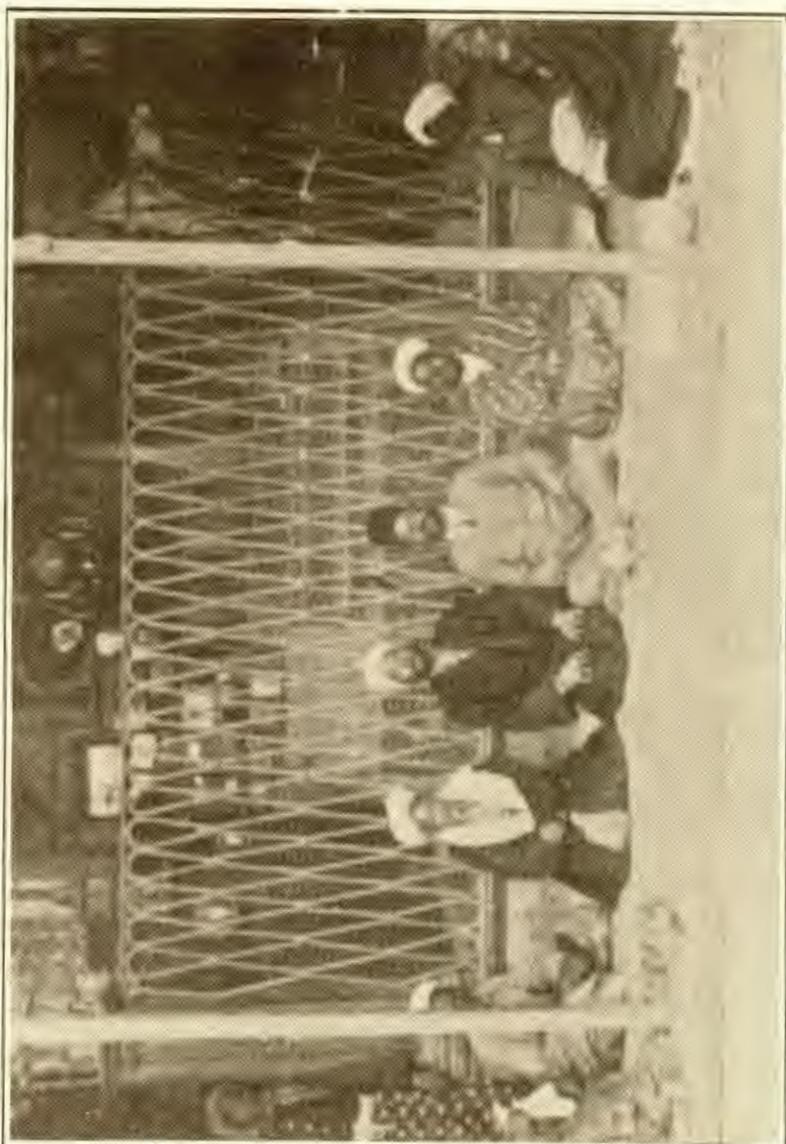
بنى علىه فارس ابن انتار المأوى في الإسلام.

صورة لمدرسة مهذبة بيت العلاء الحضرمي بمدينة فتحها المجرين

منزل الصابي في الجليل التي أتى بها الأنصاري



قبر سيد الشهداء الصمدة بن عبد المطلب قبل ان يهدمه الوهابيون





الفهرس

٥	اهداء.....
٧	تقديم
١٣	الشيعة في المملكة .. الهوية ، التاريخ ، السكان
٩٣	الشيعة والوهابيون الأوائل
١٣٥	الأحساء والقطيف في الحرب الأهلية السعودية .. حملة مدحت باشا لاحتلال الأحساء
١٥٩	والقطيف (١٨٧١ م)
	السياسة والاقتصاد في الأحساء والقطيف
١٩١	(١٨٧١ - ١٩١٢ م)
	الوضع المذهبي والثقافي في الأحساء
٢٢٢	والقطيف (١٨٧١ - ١٩١٢ م)
٢٦٢	الأمن في الأحساء والقطيف (١٨٧١ - ١٩١٢ م) .. أطماع السعوديين في الأحساء والقطيف
٣١٥	(١٩٠٢ - ١٩١١ م)
٣٤٣	المرحلة الحرجية ما قبل الاحتلال (١٩١٢ - ١٩١٣ م) ..
٣٦٥	ملحق الصور ..